مسلم وذلك انه كتب الى عمر بن الخطاب فى السر من قومه انى بى صداعا لا يسكن فانفذ الى بدواء أتداوى به
فأرسل اليه قلنسوة فكان اذا وضعها على رأسه سكن صداعه واذا رفعها عاد اليه فتعجب من ذلك وأمر
بفتحها فاذا فيها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم فقال هرقل ما اكرم هذا الاسم وأعزه حيث شفانى الله به
وكانوا قد توارثوا هذه القلنسوة الى أن وصلت الى صاحب عمورية فلما كان يوم المعتصم ونزل عليها عرض
للمعتصم صداع فأرسل اليه صاحب عمورية بالقلنسوة فلما وضعها على رأسه سكن ما به فأمر المعتصم
بفتحها فاذا فيها الرقعة ومكتوب فيها بسم الله الرحمن الرحيم (قال الواقدى) رحمه الله تعالى واما ما كان
من أمر تاليس فانه لما أصبح ركب ورتب عساكر الروم عن آخرها ودارت المواكب حول تاليس بن
رينوس وكان كل من رآه يظن انه هرقل ولا يشك فيه ودارعوا كبه عسكر فلنطانوس صاحب رومية
وركب يوقنا ومن معه وهم متنكرون تحت السلاح فكان أول من حمل خالد بن الوليد بجيش الزحف
قال وتبعه سعيد بن زيد وتبعه قيس بن هبيرة وتبعه ميسرة و بعده عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق
وذو الكلاع الحميرى وأمثالهم وأطبق الناس بعضهم على بعض فلما اشتبكت الحرب هجم يوقنا ومن معه
وحمل ضرار فلله دره لقد أعطى السيف حقه وأخذ بثاره من الروم وكلما قتل واحدا صاح واثارات أمر
ضرار بن الازور وكان قد قصد عسكر المتنصرة هو وأصحابه و رفاعة بن زهير يشجعهم ويوبخهم ويقول
خذوا بثاركم ممن أسركم واحملوا وايا كم ان تفشلوا واعلموا أن الجنة قد فتحت أبوابها وزينت حورها
وقصورها وأشرف بنيانها ومرح ولدانها وتجلى ديانها ثم صاح يافتيان العرب ايكم يرغب فى زواج
الحور فان بذل النفوس هى المهور ومن يريد عرسا فى الجنان ويقوم فى خدمته الولدان من يرغب
فيما قال الملك الديان متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان أين من شهد بدرا وحنين مع سيد
الكونين أين من يزيل عن قلبه حجاب الغفلة والرين وافقوا وما صارت همهم الى دار الازل فاناخوا
بباب من لم يزل محبوبهم فاراد الحق أن يوقفهم على منازلهم لئن يدوا فى حسن أفعالهم فكشف عن
سرائرهم فرأوا دارا بناؤها النور قواعدها من الرحمة حيطانها من الذهب والفضة ملاطها المسك
ماؤها الحيوان حصباؤها الدر والجوهر ترابها الكافور والعنبر سورها المجيد اللطيف ستورها
الكرم أشجارها لا اله الا الله أغصانها محمد رسول الله ثمارها سبحان الله والحمد لله عرضها
السموات والارض سقفها عرش الرحمن فلما كشف لهم عن هذه الاسرار اشتاقوا الى سكنى الدار
قيل لهم لن تصلوا اليها الا ببذل النفوس فى رضا الملك القدوس ثم خلع عليهم خلع الاحسان وتوجهم
بتيجان الرضوان ونشر على رؤسهم رايات الغفران مرسوم على طرزها بقلم السر المكنون ولا
تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون لقد بذلوا النفوس فى رضى القدوس
(قال الواقدى) رحمه الله تعالى فبينما ضرار يحمل فى الاعدا ويذيقهم شراب الردى واذا هو بفارس
يطحطح الكتائب ويفرق المواكب ويصيح واثارات ضرار بن الازور فتأمله فاذا هو أخته خولة
فناداها درك يابنت الازور أنا والله أخوك فاقبلت لتسلم عليه فقال لها اليك عنى ما هذا وقت سلام وان
قتال الكفر أفضل من كلامك يابنت الازور فاجعلى عنانك مع عنانى وسنانك مع سنانى وجاهدى
فى سبيل الله فان قتل أحدنا فالملتقى فى الحشر عند حوض سيد البشر فبينما هم فى ذلك اذ نظر الى
جيوش الروم وقد تقهقرت وفرسانهم قد انهزمت وكان السبب فى ذلك ان صاحب رومية رحمه الله لما
رأى الحرب قد أضرمت نيرانها وعلا دخانها حمل باصحابه وقصد تاليس بن رينوس فقبض عليه وهو
يظن أنه هرقل فصاح الصائح ان الملك هرقل قد قبض عليه فلنطانوس ملك رومية وغدر به فولت
الروم الادبار وقتل المسلمون منهم مقتلة عظيمة لم يقتل مثلها الا باجنادين واليرموك وقتل من
العرب المتنصرة زهاء عن اثنى عشر ألفا وطلب جبلة وولده فلم ير لهم خبر فقيل انهم واكابر قومهم ركبوا
مع الملك هرقل فى المراكب وكان جملة من هرب من سادات المتنصرة مع جبلة وابنه خمسمائة من

وهزمهم شر هزيمة وحصلت مقتلة عظيمة ثم وقع الصلح مع التتار بعد امور طويلة (وتولى من بعده ابنه الاشرف خليل

جملتهم ابن عمه قرظة وعروة بن واثق ومرهف بن واثق وهمام بن سالم وشيبان بن مرة قال فسكنوا
جزائر البحر فنسلهم هذه الافرنج قال وأخذ المسلمون ما كان من السرادقات والخيام والديباج
والمتاع والخزائن وأسروا ثلاثين ألفا وقتلوا من الروم سبعين ألفا وولت العرب المتنصرة منهزمين فمنهم
من أخذ نحو الدروب ومنهم من طلب قيسارية الى قسطنطين بن هرقل فلما وضعت الحرب أوزارها
وخمدت نارها جمعوا الاموال والاثقال والاسرى بين يدى أبي عبيدة فلما نظر الى ذلك سجد لله شكرا
وسلم المسلمون بعضهم على بعض وجاء ضرار وأصحابه ويوقنا وفلنطانوس وأصحابه وسلموا على المسلمين
وفرحوا بهم فلما وصل فلنطانوس قام اليه المسلمون وقال كبار الصحابة سمعنا نبينا صلى الله عليه وسلم
يقول اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه قال فنظر فلنطانوس الى تواضعهم وحسن سيرتهم وكثرة عبادتهم
فقال هؤلاء والله القوم الذين بشر بهم عيسى عليه السلام قال فاسلم بنو عمه عن آخرهم وجاهدوا فى
الكفار الى أن فتحوا جميع الامصار وبعدها مضى فلنطانوس الى مكة فحج وزار قبر النبى صلى الله عليه
وسلم المختار وسلم على عمر رضى الله عنه فلما رآه وثب اليه قائما وصافحه هو وجميع المسلمين وعاد الى بيت
المقدس فجلس يعبد الله فيه حتى اتاه اليقين (قال الواقدى) رحمه الله ونظر أبو عبيدة الى حيش انطاكية
وقد تحصنوا فيها وهم لا يحصون فقال اللهم اجعل لنا الى فتحها من سبيل وافتح لنا فتحا مبينا قال وكان
على انطاكية بطريق اسمه صليب بن مرقس وكان جاهلا فى رأيه فعزم على القتال من داخل السور
فاجتمع اكابر البلد الى البترك فى الليل وقالوا له اخرج الى هؤلاء العرب وصالح بيننا وبينهم على ما تقدر
عليه قال فخرج البترك الى أبى عبيدة وحدثه فى الصلح فاجابه الى ذلك فكان جملة ما صالح عليه أهل
انطاكية ثلثمائة الف مثقال من الذهب فلما تقرر الصلح قال له أبو عبيدة احلف لنا أنكم لا تغدرون
بنا فان مدينتكم مانعة كثيرة الجبال والوعر فقال خالد ومن يحلفه فقال أبو عبيدة يوقنا قال فوضع يوقنا
يده على رأس البترك فوق يده وقال قل والله والله والله أربعين مرة والا قطعت زنارى وكسرت صليبى
ولعنت الشمامسة والديرانيون وخلعت دين النصرانية وذبحت الجمل فى جرن ماء المعمودية ونجستها
ببول مولود من أولاد اليهود وقتلت كل الشهود والا خرقت شدائد مريم وعصبت رأسى والا ذبحت
القسوس وصبغت بدمائهم ثوب عروس والا جعلت مريم زانية به والا جعلت فى المذبح حيضة يهودية
والا أطفأت قناديل بيعة جرجيس وجعلت عزيرا فى مقام كالوس والا تزوجت يهودية طامثة لا تنقى أبدا
والا غسلت أثوابى صبيحة يوم الجمعة والا هدمت الكنائس والبيع وأحللت الاعياد والجمع والا عبدت
اللاهوت وجحدت الناسوت والا أكلت لحم الجمل يوم عيد الشعانين والا صمت رمضان عاطشا وكنت
للحم الرهبان ناهشا والا صليت فى ثياب اليهود وقلت ان عيسى دباغ الجلود أننا لا نغدر بكم ولا كنا
الا معكم (قال الواقدى) رحمه الله فعندها قام أبو عبيدة ودخل انطاكية وكان دخوله لخمسة أيام مضين من
شعبان سنة سبع عشرة من الهجرة فدخلها وبين يديه اللواء الذى عقده له أبو بكر الصديق رضى الله
عنه وعن يمينه خالد بن الوليد وعن يساره ميسرة بن مسروق ودخلها والقراء بين يديه يقرؤن سورة الفتح فلم
يزل سائرا حتى وصل الى باب الجنان فنزل هناك وخط هناك مسجدا وأمر ببنائه وبه يعرف الى يومنا
هذا قال ميسرة بن مسروق فنظرنا الى بلد رطب طيب الهواء كثير الماء والخيرات فاستطابته المسلمون
ووددنا أن لو اقمنا فيه شهرا لنستريح فما تركنا أبو عبيدة فيه غير ثلاثة أيام ثم انه كتب الى عمر بن الخطاب
رضى الله عنه سلام عليك وانى أحمد الله الملك الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
وأشكره على ما فتح علينا ورزقنا من الغنيمة والنصر وأعلمك يا أمير المؤمنين أن الله عز وجل قد فتح على
المسلمين كرسى النصرانية مدينة انطاكية وكسر الله عساكرها ونصرنا الله عليهم وهرب هرقل فى
البحر وانى لم أقم بها الطيب هوائها وانى خشيت على المسلمين أن يغلب حب الدنيا على قلوبهم فيقطعهم عن
طاعة ربهم وانى معول على المسير الى حلب وانى منتظر أمرك فان أمرتنى أن أسير الى داخل الدروب

فاقام ثلاث سنين وشهرين
ومات سنة ثلاث
وتسعين وستمائة ودفن
بمدرسته التى أنشأها بجوار
مشهد السيدة نفيسة وقد

فعلت وان أمرتنى بالمقام أقمت واعلم يا أمير المؤمنين ان العرب قد نظرت الى بنات الروم فدعتهم أنفسهم
الى التزوج فمنعتهم من ذلك وانى أخشى عليهم الفتنة الا من عصمه الله فعجل الى بأمرك والسلام عليك
وعلى جميع المسلمين وطوى الكتاب وختمه وقال معاشر المسلمين من يسير بكتابى هذا الى أمير المؤمنين
فأسرع بالاجابة زيد بن وهب مولى عمير بن سعيد مولى عمرو بن عوف فقال أنا أيها الامير أوصله ان شاء
الله تعالى فقال له أبو عبيدة يا زيد أنت لست مالك نفسك وانما أنت مملوك فان أردت المسير فسل مولاك
أن يأذن لك فى ذلك فأسرع زيد الى مولاه عمير فانكب على يديه يقبلهما فمنعه من ذلك وذلك أن عميرا كان
رجلا زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة ما يملك من الدنيا سوى سيفه ورمحه وفرسه وبعيره ومزادته
وقصعته ومصحفه وكان الذى يصيبه من الغنائم لا يدخر منه شيأ ولا يأخذ الا ما يقوته وكان يفرق الباقى
على قرابته وقومه فان فاض شئ يرسله الى عمر رضى الله عنه يفرقه على فقراء المسلمين المهاجرين
والانصار قال فلما أراد زيد ان يقبل يد سيده منعه وقال له ما الذى تريد فقال يا مولاى تأذن لى أن
أكون رسولا للمسلمين بشيرا الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال عمير بن سعيد تريد أن تكون بشيرا
للمسلمين وأمنعك من ذلك انى اذا لآثم امض فأنت حر لوجه الله تعالى وأرجو بعتقك أن يجيرنى الله من
النار قال ففرح زيد بذلك وعاد الى أبى عبيدة فأخبره أن ببركة كتابه صار حرا فسر أبو عبيدة وسار زيد على
نجيب من نجب اليمن دفعه اليه وكان سابقا قال فجعل زيد يطلب أقرب الطرق حتى قدم المدينة ودخلها
واذا بها ضجة عظيمة ولاهلها ضجيج وهم يهرعون نحو البقيع وقباء فقلت لنفسى ان لهم أمرا فتبعتهم
لأرى ما شأنهم وأنا أحسب انهم يريدون حربا فرأيت رجلا فعرفته فسلمت عليه فعرفنى وقال أنت زيد
قلت نعم قال الله أكبر ما وراءك يا زيد قلت البشارة والغنيمة والفتح قلت ما فعل أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب قال انه خارج يريد الحج ومعه أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يحججهن والناس يشيعونه قال زيد
ابن وهب فأنخت بعيرى وعلقته وأسرعت مهرولا حتى وقفت بين يدى عمر رضى الله عنه وهو يمشى راجلا
ووراءه مولاه يقود بعيرا وقد رحله بعباءة قطوانية وزاده وجفنته عليه والهوادج بين يديه سائرة وعن يمينه
على بن أبى طالب وعن يساره العباس بن عبد المطلب ومن ورائه المهاجرون والانصار وهو يوصيهم بالمدينة
قال زيد بن وهب فلما وقفت بين يديه ناديت السلام عليك يا امير المؤمنين أنا زيد بن وهب مولى عمير بن
سعيد أتيتك بشيرا فقال عمر بشرك الله بخير فابشار تك قلت هذا كتاب من عاملك أبى عبيدة يخبرك ان الله
قد فتح على يديه انطاكية قال فلما سمع عمر بذكر انطاكية وأن الله فتحها خر لله ساجدا ومرغ خديه على
التراب ثم انه رفع رأسه من سجوده وقد ترب وجهه وشيبته من التراب وهو يقول اللهم لك الحمد والشكر
على نعمك السابغة ثم قال هات الكتاب رحمك الله فناولته اياه فلما قرأه بكى فقال له على كرم الله وجهه
مم بكاؤك قال مما صنع أبو عبيدة بالمسلمين وعما استعقب رأيه فى الموحدين ثم قال ان النفس لأمارة بالسوء
ودفع الكتاب الى على فقرأه على المسلمين الى آخره قال زيد بن وهب ثم رأيت عمر قد هدأ من بكائه وقد زاد
فرحه وأقبل على وقال يا زيد اذا عدت فامعن النظر فى أتيانها وأعنابها واحمد الله كثيرا فقلت يا أمير
المؤمنين ليس هذا أوانه قال ثم جلس عمر على الارض ودعا بدواة وقرطاس وكتب الى أبى عبيدة كتابا
يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر الى عامله بالشام أبى عبيدة عامر بن الجراح سلام عليك
وانى احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه وأشكره على ما وهب من النصر للمسلمين وجعل العاقبة
للمتقين ولم يزل بنا لطيفا فامعنا وأما قولك لم نقم بانطاكية لطيبها فان الله عز وجل لم يحرم الطيبات على
المؤمنين الذين يعملون الصالحات فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا أيها الذين
آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله الآية فكان يجب عليك ان تريح المسلمين من تعبهم
وتدعهم يرغدون فى مطعمهم ويريحون ابدانهم من نصب القتال مع من كفر بالله وأما قولك انك منتظر
أمرى فالذى آمرك به ان تدخل وراء العدو وتفتح الدروب فانك الشاهد وأنا الغائب وقد يرى الشاهد

خربها الافرنج سنة اربع عشرة ومائتين بعد الالف وفى أيامه توجه لمحاصرة عكا وفتحها وفتح غالب سواحل الشام وافتتح قلعة الروم

مالا يراه الغائب وانت بحضرة عدوك وعيونك تأتيك بالاخبار فان رأيت ان دخولك الى الدروب بالمسلمين
صواب فابعث اليهم بالسرايا وادخل معهم الى بلادهم وضيق عليهم المسالك ومن طلب منك الصلح فصالحه
ووف لهم بما تقدر واما قولك ان العرب أبصرت نساء الروم فرغبت فى التزوج فمن احب ذلك فدعه ان لم
يكن له اهل بالحجاز ومن أراد ان يشترى الاماء فدعه فان ذلك أصون لفروجهم واعف لنفوسهم ومايحتاج
أن أوصيك فى امر فلنطانوس صاحب رومية أوسع عليه فى النفقة وعلى من معه فانه قد فارق اهله وملكه
وامره ونهيه والسلام عليك وعلى جميع المسلمين وطوى الكتاب ودفعه لزيد بن وهب وقال له انطلق
رحمك الله واشرك عمر فى ثوابك فاخذ زيد الكتاب وهم ان يسير فامره ان يقف وقال له على رسلك حتى
يزوّدك عمر من قوته ثم ان عمر أناخ راحلته واخرج له تمرا واعطاه صاع تمر وصاع سويق وقال يا زيد أعزر
عمر فهذا ما أمكنه ثم ان عمر قبل رأس زيد بن وهب فبكى زيد وقال يا أمير المؤمنين أو بلغ من قدرى ان
تقبل رأسى وانت امير المؤمنين وصاحب سيد المرسلين وقد ختم الله بك الاربعين فبكى عمر وقال أرجو
ان يغفر الله لعمر بشهادتك قال زيد بن وهب فاستويت على كور ناقتى وهممت بالمسير فسمعته يقول
اللهم احمله عليها بالسلامة واطوله البعيد وسهل له القريب انك على كل شئ قدير قال زيد بن وهب
ففرحت بدعوة عمر رضى الله عنه وعلمت ان الله لا يرد دعوته اذا كان لربه طائعا ولنبيه تابعا فجعلت أسير
والارض تطوى لى تحت أخفاف مطيتى فكنت والله فى اليوم الثالث عند أبى عبيدة وقد رحل عن
انطاكية وقد نزل على حازم قال زيد فلما وصلت الى عساكر المسلمين سمعت ضجة وجلبة وقد ارتفعت
الاصوات فسألت رجلا من اهل اليمن ما سبب ذلك قال فرحا بما فتح الله على المسلمين وهذا خالد قد اتى
وكان قد ضرب على شاطئ الفرات واغار بخيله وقدم اليه اهل منبج وبزاعة وبالس واتى برجالهم
واموالهم وافتتحها صلحا وقد فتح منبج وبزاعة وبالس وقلعة نجم فى العشر الاوسط من المحرم سنة ثمانى
عشرة من الهجرة وصالحهم بعد رد أموالهم على مائة ألف وخمسين ألف دينار وأخذها بعد ان نزل
صاحبهم جرفناس وسار بأمواله وأثقاله وعبيده وخيوله الى بلاد الروم وولى على منبج عباد بن رافع
التميمى وعلى الجسر نجم بن مفرح وولى على بزاعة أوس بن خالد الربعى وعلى بالس بادر بن عوف الحميرى
وبنى له بها قلعة الى جانب بالس من الشرق وسماها باسمه وعاد خالد بالاموال والاثقال يوم قدوم زيد بن
وهب قال فاتيت أبا عبيدة وهو جالس وخالد الى جانبه وقد قدم مال الصلح فانخت ناقتى وسلمت عليهم
ودفعت الكتاب الى أبى عبيدة ففضه وقرأه على المسلمين فلما سمعت المسلمون ما فيه قال أبو عبيدة معاشر
المسلمين ان أمير المؤمنين قد جعل أمر الدخول الى الدروب الى وقال أنت الشاهد وأنا الغائب وانا لا أفعل
شيأ الا برأيكم فما تشيرون على ان أفعل رحمكم الله فلم يجبه أحد وأعاد القول ثانيا فلم يجبه أحد والله أعلم

بهسنا ومرعش وفتح حصن
صور المسمى الآن بحصن
منصور وكان من أحصن
الاماكن بحيث عجز عنه
السلطان صلاح الدين ومن
يومئذ قطع دابر الافرنج من
سواحل الشام وصار أمرهم
فى ادبار فالله تعالى يرحمه
رحمة واسعة

✵تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى أوله ذكر غزوة مرج القبائل داخل الدروب✵

﴿فهرست الجزء الاول من فتوح الشام للعلامة الواقدى﴾

صحيفة

﴿تمت الفهرست﴾

﴿الطبعة الثانية﴾

الجزء الثاني
من فتوح الشام

للامام العلامه الحبر البحر
الفهامه سيدى محمد
الواقدى نفع الله
به المسلمين
آمين

﴿وبهامشه تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين﴾

﴿تأليف الامام الشيخ عبد الله الشرقاوى رحمه الله تعالى﴾

بالمطبعة العثمانية سنة ١٣٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر غزوة مرج القبائل داخل الدروب

فقال معاشر المسلمين هذا الشام قد ملكتموه وملككم الله اياه وأخرج عدوكم منه بالذل والهوان وأورثكم أرضهم وديارهم كما قال الله تعالى فى كتابه العزيز فما تشيرون به على أن ادخل فى هذه الدروب وراء أعدائنا فلم يجبه أحد فاعاد الكلام ثم قال ما هذا السكوت أفشل بكم بعد الشجاعة أم كسل بعد النشاط أم قد انتقيتم من الحسنات ولم يبق عليكم من الذنوب وان الحسنات لكم كثيرة ولم يبق عليكم خطيئة فالرغبة الى الله أن يعينكم على الجهاد فهو خير لكم من الدنيا وما فيها قال فكان أول من تكلم ميسرة بن مسروق العبسى فقال أيها الامير انا لم نسكت لجزع لحقنا ولا لفزع رهقنا واغا بعضنا ينتظر بعضا اجلالا وأدبا واعلم أيها الامير انه ما لنا تجارة ولا عمل غير الجهاد فى اعداء الله وطلب ما عند الله وها نحن لك وبين يديك ومنك الامر ومنا الطاعة لله ولرسوله ولك واما انا فلا املك الا نفسى فوجهنى حيث شئت تجدنى طائعا فقال ابو عبيدة معاشر المسلمين من له رأى وحضرته مشورة فليلقها ويظهر ما عنده فقال خالد أيها الامير ان اقامتنا عن طلب القوم وهن وعجز منا فى ديننا وطلبهم هو الغنيمة والنصر من عند الله والذى اشير به ايها الامير ان تبعث الجيوش فى كل درب من هذه الدروب فان ذلك يوهن العدو وتقر به اعين المسلمين قال فجزاه ابو عبيدة خيرا وقال يا ابا سليمان انى قد رأيت ان أعقد لميسرة عقدا واسير معه رجالا لانه هو اول من سارع الى هذا الامر واشار به فيفتح الله لهم الدروب ويغير على ما قرب من البلاد ويرجع فيخبرنا عن خبر البلاد فنعمل على حسب ما نرى فقال خالد هذا هو الصواب فعقد لميسرة وانتخب له من القبائل ثلاثة آلاف فارس من الشجعان والف عبد من السودان وجعل من كل قبيلة نقيبا وجعل على العبيد دامسا ابا الهول قال فلبسوا أكمل السلاح وكل منهم يقول انه يلقى الكتيبة وحده وجعل أمير القوم ميسرة وقال أبو عبيدة يا ابا الهول كن أنت بجماعتك فى اوائل العسكر ولا تخالف ميسرة فيما أشار به فانه مبارك الطلعة فقال سمعا وطاعة قال وجهز القوم ثم ان خالدا قال

(وولى بعده اخوه الملك القاهر بيدر) الذى كان نائبا عنه فأقام يوما واحدا وقتل (وولى بعده أخوه الملك الناصر محمد بن قلاوون) سنة ثلاث وتسعين وستمائة فاقام سنة واحدة ثم خلع لصغره فانه كان ابن تسع سنين (وولى بعده نائبه الملك المنصور) حسام الدين لاجين المنصورى (ثم قتل سنة ثمان وتسعين

ايها

أيها الامير أرسل معهم ادلاء يعرفونهم الطريق ويكونون لهم عيونا على اعدائهم فطلب لهم من أهل حلب
من المعاهدين من يكون ناصحا لهم فاختاروا لهم أربعة وأعطاهم أبو عبيدة واحسن اليهم وطرح عنهم
الجزية وقال لهم فى أى درب يكون دخول المسلمين فى طلب العدوّ فاجتمع رأيهم على أن يدخلوا فى الدرب
الاعظم من بلد قورص ثم انهم قالوا أيها الامير ان هذه الدروب ليست كمثل البلاد التى فتحتموها بل
هى بلاد شديدة البرد كثيرة الشجر والمدر والحجر وفيها مضايق وشعاب وأودية وكهوف وعقبات فقال
أهل اليمن سيروا انتم امامنا فانكم ترون منا عجبا فسار ابو الهول والمعاهدون امامه وسار ميسرة فى
أعقابهم بعد ما ودعوا الناس ومضوا وهم بالتهليل والتكبير وقراءة القرآن والمسلمون يدعون لهم
بالنصرة والسلامة قال عطاء بن جعدة ومرنا والدليل امامنا حتى أتينا عقبة حنداس فقطعناها وعبرنا
نحو الساجور وأتينا قورص فنزلنا فيها وبتنا فلما أصبحنا ودخلنا الدروب وجدنا بها أرضا وعرة وأشجارا
ومياها جارية ومضايق ليس للفرس فيها مجال فهالنا وحشة ذلك المكان اذ ليس للعرب فيه مجال ولا
فسحة فقلت فى خاطرى ان طالت علينا هذه الاودية خشيت على المسلمين أن يظفر بهم عدوّهم والادلاء
امام المسلمين وقد تعلقوا فى جبال شامخة صعبة الصعود فلم يبق أحد الا وترجل عن فرسه قال ومشينا حتى
تقطعت نعالنا وسال الدم من ارجلنا فلم نزل على ذلك ثلاثة ايام والادلاء يقولون لنا كونوا على يقظة
فان أخذ عليكم المجاز هلكتم فلما كان فى اليوم الرابع خرجنا الى أرض واسعة وكان دخولنا الى بلاد
الروم فى أول الصيف ونحن مخففون من الثياب ولما دخلنا الى تلك الارض وجدنا بردا كثيرا ونظرنا
الى الثلج وهو على الجبال عن يميننا وشمالنا قال وكان دامس أبو الهول لم يأخذ معه ثيابا تدفئه فحصل
له من البرد ما لا يحصل لغيره فقال قبح الله تلك البلاد فاذا كان هذا البرد عندهم فى الصيف فكيف
يكون فى الشتاء وجعل يرتعد فرآه ميسرة فقال يا أبا الهول مالى أراك ترتعد فقال أخذنى البرد وليس معى
ما يدفئنى فدفع اليه فروة فلبسها فدفئ فقال كساك الله من ثياب الجنة (قال الواقدى رحمه الله تعالى)
وساروا الى أن وصلوا الى أرض طيبة كثيرة المياه قليلة الشجر فنزلوا فيها ثم انهم ساروا فلم يروا أحدا
لان الروم كانوا قد نزحوا عن البلاد لحذرهم من المسلمين فلما كان فى اليوم الخامس ونحن سائرون اذ
لاحت لنا قرية فقصدها المسلمون واذا هى خالية بل سمعوا أصوات الديوك والغنم فدخلوها فلم يجدوا
عندها مانعا ولا دافعا فعرفنا انهم توار واعنا فصاح ميسرة وقال خذوا حذركم فان القوم قد انهزموا
فدخل الناس الى القرية فاخذوا ما كان فيها من طعام وأثاث ومتاع قال سعيد بن عامر فرأيت ابا الهول
وهو يحمل على عاتقه ثلاثة أكسية وقطعتين قال فقلت له يا ابا الهول ما هذا فقال استعد به لبرد هذه
البلاد الخبيثة فما أنساها أبدا قال وأخذوا ما كان فى القرية من طعام وعلوفة وساروا الى أن وصلوا الى
مرج يقال له مرج القبائل وهو مرج واسع فانبثت الخيل فيه يمينا وشمالا ونزل الجيش هناك وميسرة
يراود نفسه فى الرجوع الى حلب وذلك أن أبا عبيدة كان قد أمره أن لا يبطئ عنه وان يكون حذرا
فبينما هو كذلك والخيل منبثة والناس آمنون من عدوّهم اذ أقبل بعض الخيالة ومعه علج يقوده فلما
وصل الى ميسرة قال له ما شأن هذا ومن أين أخذته فقال اعلم أيها الامير انى سبقت أصحابى فرأيت شخصا
يلوح مرة ويختفى مرة فاسرعت اليه فاذا هو هذا فاتيته وسقته اليك قال فتقدم اليه رجل من المعاهدين
فسأله فحدثه فاطال معه الكلام والناس سكوت فلما أطال قال ميسرة ويلك ما الذى يقول هذا
العلج فقال أيها الامير انه يقول ان الملك هرقل لما ركب البحر وخرج من انطاكية ووصل الى قسطنطينية
قصدته الروم من كل مكان من المنهزمين وغيرهم وبلغه ان انطاكية قد فتحت صلحا وانه قتل من كان
فيها من المقاتلة فصعب عليه وبكى ثم قال السلام عليك يا أرض سوريا الى يوم اللقاء وقد تجمع عنده من
البطارقة والحجاب وغيرهم خلق كثير فقال لهم انى أخاف من العرب ان ترسل فى طلبنا ثم انه جهز ثلاثين
ألفا مع ثلاثة بطارقة وامرهم ان يحفظوا له الدروب فقال له ميسرة قل له كم بيننا وبينهم قال يقول لكم

وستمائة فأقام سنتين
وعاد السلطان محمد بن
قلاوون الى السلطنة
ثانيا سنة سبعمائة فأقام
سبع سنين ثم حصل بينه
وبين العسكر وحشة فخلع
نفسه وذهب الى الكرك
وفى مبدا ولايته سنة تسع
وتسعين وستمائة قدم
غازان ملك التتار فى مائة

فرسخين قال فلما سمع ذلك ميسرة اطرق الى الارض لا يرد جوابا ولا يبدى خطابا فقال له رجل من آل
سهم يقال له عبد الله بن حذافة السهمى وكان من ابطال الموحدين وشجعانهم وكان له عمود من حديد
وكان يقاتل به لا يقله فى الحرب سواه وكان ذميم الخلقة فقال لميسرة بن مسروق مالى أراك ايها الامير
مطرقا الى الارض اطراق الحصان لصلصلة اللجام والرجل منا يقاتل ألفا من الروم فقال والله يا عبد الله
ما أطرقت خوفا ولا جزعا ولكن خوفا على المسلمين أن يصابوا تحت رايتى وهى أول راية دخلت الدروب
فيلومنى عمر بن الخطاب وكل راع مسؤل عن رعيته فقال المسلمون والله ما نبالى بالموت ولا نفكر فى الفوت
لاننا قد بعنا أنفسنا بجنة ربنا ومن يعلم انه ينقل من دار الفناء الى دار البقاء فلا يبالى بما وصل اليه من
الكفار ثم انه قال أيها الناس أترون ان نلقاهم فى موضعنا هذا او نسير اليهم فسألوا المعاهد وقالوا ان كان
موضعهم افسح من هذا رحلنا اليهم فقال ليس من هذه البلاد بعد عمورية افسح من هذا المكان فان عولتم
على لقائهم فاثبتوا امكانكم وان عدتم الى ورائكم كان خيرا لكم من قبل أن يشرف عليكم عدوكم قال
فعرض ميسرة على العلج الاسلام فابى فضرب عنقه فبينما هم على ذلك اذ اشرفت عليهم الروم فنزلوا بازائهم
وكانوا كالجراد المنتشر وكان قد مضى النهار فاضرمت النيران فلما اصبح الصبح صلى ميسرة بالناس صلاة
الفجر فلما فرغ قام بالناس خطيبا فقال أيها الناس هذا يوم له ما بعده وان رايتكم هذه أول راية دخلت
الدروب واعلموا أن اخوانكم مطاولون لفعلكم واعلموا ان الدنيا دار غرور والآخرة دار مقر واسمعوا ما قال
نبينا صلى الله عليه وسلم الجنة تحت ظلال السيوف ولا تنظروا الى قلتكم وكثرة اعدائكم فقد قال تعالى
كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين فقال المسلمون اركب بنا يا ميسرة على بركة
الله والقهم بنا وانا لنرجو من الله النصر عليهم قال فاستبشر بقولهم وركبوا وانفصلت العبيد من العرب
ووقفوا تحت راية أبى الهول واخذوا على انفسهم لقتال عدوهم واستنصروا بربهم وهو يوصيهم وجعل
على الميمنة عبد الله بن حذافة السهمى وعلى الميسرة سعد بن أبى سعيد الحنفى وقدم العبيد مع أبى الهول
فلم ينطق بكلمة وركب جيش الروم ومدوا صفوفهم ثلاثة صفوف كل صف عشرة آلاف وامامهم الصلبان
وهم فى عددهم وعديدهم فلما استوت الصفوف خرج رجل من الروم من المتنصرة وقرب من المسلمين
وقال ان الباغى بغيه يرديه أما كفاكم ما ملكتموه من الشام العظيم حتى اقتحمتم هذه الجبال وانما
ساقتكم الآجال وهنا ثلاثون ألف عنان وقد حلفوا بالصلبان أن كلا منهم لا ينهزم وان وقع ميتا فان أردتم
أن نبقى عليكم فاستسلموا للاسر حتى يحكم الملك هرقل فيكم بما يريد فخرج ابو الهول والراية بيده وقال له
صدقت فى قولك ان الباغى يرديه بغيه واما قولك انا نلقى اليكم بايدينا لتبقوا علينا فانت اذا باغ بقولك
هذا اذ نطقت بغير تجربة منكم وها انا عبد من عبيد العرب لا قدر لى ولا قيمة عند ذوى الرتب فاقرب منى
حتى اجندلك صريعا تخور فى دمك ثم ان دامسا هز حصانه اليه وطعنه فارداه عن فرسه قتيلا ثم جال على
فلوه وهز رايته وقال الله أكبر فتح الله ونصر وجاءنا بالظفر ونظرت الروم الى أبى الهول وقد قتل صاحبهم
وكان من شجعانهم فغضبوا لذلك فخرج اليه آخر فتاركه يقرب منه حتى طعنه فى نحره فاخرج السنان من
ظهره ونظر الروم الى ذلك فقالوا هذا عبد من عبيد العرب قد فعل ما ترون قال فلم يجسر احد أن يخرج
اليه فاغار عليهم وقتل من القلب واحدا ورجع قال فحمل عليه صف من الصفوف وهم عشر آلاف ودهموه
بالخيل فحملت العبيد وحملت المسلمون والتقى الجمعان قال ميسرة فلله در العبيد لقد أبلوا بلاء حسنا
واستنقذوا ابا الهول من عين الهلاك وهم يقولون نحن عبيد لعباد الله وضربنا مثل الحريق فى سبيل الله
ونقتل من كفر بالله قال ولم يزل الحرب بينهم حتى قامت الشمس فى قبة الفلك وحمى عليهم
الحر وافترق الجمعان قال وان المسلمين موقنون بالظفر والنصر والمشركون قد أيقنوا بالهلاك وقد قتل
منهم خلق كثير وأسر من الروم تسعمائة وقتل منهم زهاء من ألف فلما انفصل الجمعان افتقد المسلمون
ابا الهول فلم يجدوه فقال ميسرة ان كان أبو الهول قد قتل أو أسر فقد أصبنا به والى الله تعالى أشكو

ألف الى دمشق فخرج
الناصر الى قتاله فى نحو
عشرين ألفا فانهزم عسكر
الناصر وقتل جماعة من
الامراء وملك غازان دمشق
ماخلا قلعتها وخطب له بها
وحصل لاهلها من التتار
المشقة العظيمة ثم أخذ
الناصر فى التجهيز لقتالهم
لان ابن تيمية جاءه على

ما أصابنا من فقد أبي الهول وأسر من المسلمين عشرة ثم ان ميسرة قال من فيكم يكشف لنا خبرهم واذا بالروم قد عادوا للقتال وحملوا بأجمعهم فقاتلوا قتالا شديدا فكان الرجل من المسلمين يجتمع عليه العشرة والعشرون والخمسون الى أن يقتلوه أو يأسروه وكانت العرب فى أربعة آلاف والروم فى ثلاثين ألفا فعظم بينهم الحرب وهاج الطعن والضرب فلله در ميسرة بن مسروق العبسى لقد جاهد فى الله حق جهاده وهو مع ذلك ينادى أيها الناس اذكروا الدار الآخرة واعلموا انها أقرب لاحدكم من رجوعه لاهله فاستقبلوها استقبال الوالدة لولدها ولا تولوا الأدبار عنها فان أصاب القوم منا فانى أخشى ان ذلك وهن بنا ثم انه نادى احطموا أجفرة سيوفكم فذلك طريق النجاة قال زيد بن وهب فلم يبق أحد من المسلمين حتى رمى بجفير سيفه فلما رأت الروم ذلك فعلوا مثلنا ورمى كل منهم بجفير سيفه وسميت تلك الوقعة باسمين وقعة مرج القبائل ووقعة الحطمة لاجل حطم أغمدة السيوف قال واقتتلوا حتى ان الرجل يقول ان سيفه ما بقى يقطع والمسلمون يبتهلون الى الله والكفار تعج بكلمة كفرهم قال وان المسلمين يطلبون الفرج من الله والسودان تقاتل قتال الموت وكان شعار العرب فى ذلك اليوم النصر النصر وشعار السودان يا محمد يا محمد قال ابن ثابت وكنت قد أخذنى القلق على المسلمين ونحن فى ركب عظيم اذ سمعت فى الروم ضجة هائلة واذا بهم يقاتلون اناسا من ورائهم وهم فى وسط عسكرهم والزعقات منهم قد علت وسمعت قائلا يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فقلت هذه أصوات الملائكة فاتبعت الصوت فاذا هو صوت دامس ابى الهول وهو بارك تحت جحفته ومعه العشرة المأسورون وهم يقاتلون معه ويحمون بعضهم الى أن خلصوا من بينهم وسمعته يقول هذه الابيات

يوثقنى الاعدا فى الحديد * وناصرى وسيدى المبيد
مهلك عاد وبنى ثمود * أغاثنى بعونه الشديد
محمد الطاهر الرشيد * فحل عنى القيد والحديد
ذاك رسول الملك المجيد * صلى عليه الناصر الحميد

قال فحملت المسلمون وكشفوا عنهم فخرجوا وكأنهم قد غرقوا فى بحر دم ووالله ما قتل من المسلمين أكثر من خمسين رجلا بواحد أو باثنين وقتل من المشركين نيف عن ثلاثة آلاف غير ما قتله أبو الهول واصحابه فى وسط عسكر الكفر فلما نظر ميسرة الى دامس أراد أن يترجل اليه فاقسم عليه أن لا يفعل وافترق الجيشان فضم ميسرة دامسا الى صدره وقبله بين عينيه وقال له كيف كان أمركم قال اعلم أيها الامير ان الروم كانوا قد تكاثروا على فرسى فقتلوه ووقعت فأخذونى أسيرا وجعلونى فى الحديد وفعلوا باصحابى مثلى وقد أيسنا من أنفسنا فلما جن الليل رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول لا بأس عليك يا دامس اعلم ان منزلتى عند الله عظيمة ثم انه أمرّ يده الكريمة على الحديد فسقط منى وفعل ذلك مع اصحابى وقال لنا أبشروا بنصر الله فانا نبيكم محمد رسول الله وقال لى اقرئ عنى ميسرة السلام وقل له جزاك الله خيرا ثم غاب عنى فانتبهت فوجدت الموكلين بنا نياما مما لحقهم من التعب وقدموا سلاحهم فأخذنا سيوفهم وظوارقهم وقتلناهم وحملنا فيهم ونصرنا الله عليهم ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلنا منهم من قتلنا وخرجنا من بينهم سالمين وهذا حديثنا قال فضج المسلمون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير (قال الواقدى رحمه الله ورضى عنه) ان بطريق الروم كان اسمه جارس فلما رأى ما قد حل باصحابه قال وحق المسيح خاب ملك أنتم حماته فان لم تقاتلوا بعزم وشدة والا قتلتكم قال فتحالفوا أن لا ينهزموا أو يقتلوا عن آخرهم فلما وثق منهم أمر أن تضرم النيران على شواهق الجبال وأمر أن ينفذ النفير الى البلاد باسرها قال فأتت اليه الروم من كل جانب فأتى اليه عشرون ألفا وان المسلمين لم يكترثوا بذلك فلما كان الغد صلى ميسرة بالمسلمين صلاة الخوف وهو أول من صلاها داخل الدروب وأول راية دخلت كانت رايته فلما فرغ من صلاته قام فى الناس خطيبا فحمد الله واثنى عليه

البريد وحثه على ذلك فخرج اليهم وهزمهم ومن يومئذ انكسر شرهم وصار أمرهم فى ادبار ولما ذهب الى الكرك ولى مكانه السلطان بيبرس الجاشنكير فاقام سنتين ثم عاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ثالثا الى مصر من الكرك وهى

وصلى على نبيه وقال أيها الناس اثبتوا المنازل بكم فاصبر عند نزول المصائب وهذه رحمة من الله لنا اذ نحن
فى صدور الاعداء وقد دارت بنا هذه الجيوش ونحن لا نقاتل الا بنصر الله لنا وان الامير أبا عبيدة
كان قد أمرنى ان لا أبعد بكم عنهم ولنا منهم الآن سبعة أيام وما يظن أبو عبيدة اننا نلاقى جيشا فقال
له سعيد بن زيد يا ميسرة ما الذى تريد بهذا الكلام ان كنت تريد انك تحرضنا فنحن اشوق الى لقاء
الله من الظمآن الى الماء البارد فقال ميسرة ما أردت بذلك الا مشورتكم وقد رأيت ان ننفذ الى أمير
المسلمين رجلا نعلمه عاقلا لبيبا وان مدد القوم يزيد فلعله ينجدنا باخواننا فقال سعيد نعم ما قد اشرت به
فدعا برجل من الاربعة المعاهدين ووعده بكل خير وأمره ان يأخذ معه آخر وان يسيرا الى أبى عبيدة ويعلمه
ان نفير القوم قد لحقنا من الحصون والقرى وسائر البلاد وقد نزلوا بازائنا وان يحدثه بما قد رأى قال فسار
المعاهد والرجل الى حلب واجهدا نفوسهما فى السير من طرق يعرفانها الى أن وصلا الجيش المسلمين
فسقطا كأنهما البغال الهرمة من شدة السير والتعب فامروا أن يرش عليهما الماء فلما أفاقا قال لهما
ماوراءكما أهلكت الكتيبة قالا لا والله ولكن نفر عليهم العدو من كل مكان وأخبراه بما كان من الحرب
والقتال وكيف حطموا أحفرة سيوفهم وكيف أسر أبو الهول وكيف خلص وما هم فيه فقلق أبو عبيدة
عند ذلك وقام مسرعا وأتى قبة خالد بن الوليد فوجده يصلح درعه فلما رآه قام اليه قائما وقال له خيرا أيها
الامير فاخذ بيده وسار به الى أن أتى رحله وقال للرجلين قوما فحدثا الامير بما عاينتما فحدثاه بما كان من
الشدائد فقال خالد ان الله سبحانه وتعالى منذ نصرنا ما خذلنا فلله الحمد على ذلك وقد أمرنا بالصبر على
الشدائد فقال عز من قائل يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا وقال ان الله مع الصابرين
وأما خالد فقد حبس على الجهاد فى سبيل الله ولا أبخل على الله ورسوله فلعل الله أن ينجينى من النار
ويرزقنى الشهادة ثم أسرع الى خيمته ولبس لامته وقلنسوته المباركة وركب جواده فوقع النفير فى الناس
قال فاقبلوا من كل جانب فلولا أن منعهم أبو عبيدة كانوا ساروا باجمعهم فانتخب منهم ثلاثة آلاف فارس
وأردفهم بالفين آخرين (أخبرنا) أحمد بن هشام عن عياض عمن حدثه قال لما سار خالد بالجيش لمعونة ميسرة
ابن مسروق ومن معه رفع خالد يديه الى السماء وقال اللهم اجعل لنا اليهم سبيلا وأطولنا البعيد ويسر
لنا كل صعب شديد وسار نحو الدروب قال وأما ميسرة ومن معه فانهم دارت بهم الروم من كل جانب وهم
يقاتلون فى كل يوم أشد القتال الى ان يقبل الظلام فيفترقون وفى كل يوم يزيد عددهم ومددهم وقد لحق
المسلمين من التعب والجراح ما لحقهم ولكن من غير فشل وكأنهم قوم قد حجب عنهم الموت باذن الله تعالى
(قال الواقدى) رحمه الله تعالى حدثنا عمر بن راشد عن الزبيدى قال لما سار خالد ليلحق ميسرة وينجده الى
داخل الدروب سجد أبو عبيدة سجدة أطال فيها وقال اللهم انى أسألك بمن جعلت اسمه مع اسمك وعرفت
فضله لانبيائك ورسلك الا طويت لهم البعيد وسهلت لهم كل صعب شديد وألحقتهم باصحابهم باقرب
يا مجيب قال وميسرة ومن معه منتظرون من الله فرجا يأتيهم ونصرا ينزل عليهم قال عبد الله بن الوليد
الانصارى حدثنى ثابت بن عجلان عن سليمان بن عامر الانصارى قال كنت مع ميسرة فى وقعة مرج
القبائل ويوم حطمنا أغمدة السيوف والروم تقبل من كل جانب ومكان الى المسلمين ونحن نباكر القتال
ونروح رواحا قال سليمان بن عامر فخرج يوما من الايام بطريق من الروم قد لبس درعين وعليه سواعد
من الحديد وعلى رأسه بيضة تلمع فوقها صليب من الجوهر وبيده عمود من الحديد كأنه ذراع بعير فجال بين
الصفوف وطلب البراز وكان أحد الثلاثة المقدمين على الثلاثين ألفا قال فجعل يدعو الى البراز ويطمطم
فقال ميسرة للترجمان ما يقول هذا الأغلف قال انه يذكر انه فارس شديد ويطلب شجعانكم وأبطالكم
فقال ميسرة من يبرز اليه فاسرع اليه رجل من المسلمين من قبيلة النخع وعليه درع من دروع الروم
وثياب من ثيابهم فقلنا انه من المتنصرة وقد عاد الى الاسلام فجعل العلج يتكلم وهو يظن انه يفهم كلامه
فلما رآه لا يبرز اليه حمل عليه وضربه بعموده فزاغ النخعى عنها وعطفها عليه فوقع العمود على رأس

التولية الثالثة وكان بيبرس قد هرب الى الصعيد ثم هرب منه الى جهة الشام فأحضره الناصر وخنقه ودفن بمدرسته البيبرسية بالدرب الاصفر داخل باب النصر واستمر الملك الناصر فى السلطنة وتمكن منها وعمر مساجد ومدارس وفى ايامه انقطعت الخطبة باسم

جواده

جواده فصرع الجواد دبرا كبه وصار النخعي على قدميه فناداه ميسرة يا أخا النخع ارجع فرجع القهقرى والعلج يطلبه والنخعي راجل والعلج فارس فسار اليه عبد الله بن حذافة السهمي وصاح بالعلج فادهشه فالتفت اليه وسار النخعي الى أن وصل عسكر المسلمين وحمل عبد الله بن حذافة على العلج وحمل العلج عليه وصعب بينهما المجال وصار عبد الله كلما ضرب العلج لا يقطع فيه شيأ والعلج كلما ضرب عبد الله يأخذها بجحفته فتوهن ساعده من ثقل العمود وطال بينهما القتال والتقيا بضربتين فبادره عبد الله بالضربة تحت لحيته فطلب بها نحره فلحق رأس سيفه رقبة العلج فطار رأسه عن بدنه وأراد الفرس أن يرجع الى عسكر الروم فاخذه عبد الله ونزل اليه وأخذ سلبه ورجع الى المسلمين فعظم ذلك على الروم وكان عندهم معظما وعند الملك قال فبرز بطريق آخر وقال هذا صاحب الملك قد قتل ولا بد لي من أخذ ثاره من الذي قتله اما بقتله أو أسره وأبعث به الى الملك يصنع به ما يريد ثم انه أتى الى البطريق المقتول ورأسه طائح عن بدنه فبكى عليه وقال بلسان فصيح معاشر العرب يوشك ان الله سيهلككم ببغيكم علينا وفعالكم بنا فليبرز الى قاتل هذا البطريق حتى آخذ منه بثاره فلما سمع عبد الله بن حذافة هم بالخروج فمنعه ميسرة شفقة عليه لاجل راحته فانه قد تعب وأراد ميسرة أن يلقاه بنفسه فقال عبد الله يدعوني أيها الامير باسمي وأتخلف اني اذا العاجز فقال له ميسرة انى أشفق عليك فقال عبد الله أتشفق على من تعب الدنيا ولا تشفق على من حر النار وعيش عاش فيه رسول الله لا يبرز اليه غيري ثم برز اليه وتحته فرس المقتول وما غير من لامته شيأ وبيده سيفه وجحفته فلما التقيا ورأى البطريق فرس صاحبه علم انه قاتله فما أمهله حتى نفر اليه وحمل على عبد الله كانه جبل قد انهد من علو وتشبث به وجذبه فاخذه أسيرا وذهب به الى قومه وقال أوثقوه بالحديد واحملوه على خيل البريد واذهبوا به الى الملك في هذه الساعة قال ففعلوا ذلك وساروا به ورجع البطريق الى الميدان وهو يفتخر بما صنع فاراده ثلاثة من المسلمين كل منهم يريد أن يخرج اليه فقال ميسرة ما يخرج لهذا اللعين غيري واستدعى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وسلم الراية اليه وقال له كن للراية حافظا حتى أخرج الى هذا اللعين فان عدت أخذتها وان قتلني فأجري على الله فاخذ سعيد الراية وخرج ميسرة الى البطريق وهو يقول

قد علم المهيمن الجبار * بان قلبي قد كوى بالنار * على الفتى القائم بالاسحار
سيعلم العلج أخو الاشرار * أني منه آخذ بالثار

قال وحمل عليه وتجاولا طويلا وعظم الامر بينهما وتدانيا وتقاربا وتباعدا وغابا عن الابصار تحت الغبار وكل فرقة تنظر الى صاحبها وتدعو له ثم انكشفا وهما للتفرق أقرب منهما للتقارب فقال العلج لميسرة بحق دينك ما هذه الراية التي طلعت من وراء عسكركم فلم يلتفت الى كلامه بل قال له وما ذلك على الله بعزيز فقال وحق ديني ما قلت لك الا حقا قال وهو يحلف كاذبا فالتفت ميسرة لحرصه أن يأتي الله بالفرج وينظر تحقيق ما قاله اللعين فحمل البطريق عليه ومكن يده منه ليأخذه أسيرا واذا قد طلعت راية خالد بن الوليد وهي مشرقة بالنور وهي في يد خالد بن الوليد وكبر المسلمون يدا واحدة فمن عظم تكبيرهم ارتجت يد العلج عن ميسرة والتفت البطريق ليرى كيف الخبر فقبض عليه ميسرة وهم أن يقلعه فلم يقدر لانه كان مربوطا في السرج فجعل يجذبه فلم يقدر وقرب خالد منهم فرفع سيفه يريد أن يضرب به يد ميسرة ليطلقه من يده فخاد السيف عن يد ميسرة ووقع على يد العلج الشمال فقطعها وانتخع ميسرة وانثنى البطريق الى اصحابه ويده مقطوعة وهو يئن فالتقى به غلمانه فاخذوه وكووه وأما خالد فانه التقى بميسرة وتسالما وحدثه بما وقع له مع الروم وكيف أسر واعبد الله بن حذافة السهمي فتأسف خالد واسترجع وقال يؤسر مثل عبد الله بن حذافة والله لا يفارقهم خالد أو يخلصه ان شاء الله تعالى وأقام خالد بقية ذلك اليوم فلما كان من الغد أتاهم من جيش الروم شيخ وعليه مسوح السواد حتى وقف بازائهم وأومأ بالسجود فمنعه خالد وقال له ما الذي تريد قال ان كبير هؤلاء القوم يريد صلحكم ويطلق أسيركم ويدفع لكم ما تريدون وترجعون

العباسيين والدعاء لهم على المنابر واكتفى باسم السلطان وكانت وفاته يوم الاربعاء تاسع عشر ذي الحجة سنة احدى واربعين وسبعمائة ودفن عند والده بالقبة وكانت مدته الاخيرة اثنين وثلاثين عاما وسبعة اشهر ونصفا وصارت جملة ولايته أربعا وأربعين

فقال خالد ما ترجع الا على انفصال واما الاسير فاذا لم تطلقوه طوعا اطلقتموه كرها قال أفأنت أمير هؤلاء
قال نعم قال ان رأيت ان تؤخر القتال بقية يومنا هذا وليلتنا فافعل لنتدبر بيننا وبينكم ويبرد وجع هذا
البطريق ونجيبكم الى ما تريدون قال له أجبنا كم الى ذلك فرجع الشيخ الى قومه وقال للبطريق قد
اجابوا ووضعت الحرب أوزارها ونزل خالد والمسلمون بازائهم فى أماكنهم وأضرم الروم النيران وزادوا
فيها وحملوا أثقالهم وساروا من أول الليل فلما كان الغد ركب المسلمون فلم يجدوا للروم أثرا فعلموا انهم قد
ولوا الادبار فتأسف خالد على ما فاته فاراد أن يتبعهم فمنعه ميسرة وقال له انها بلادهم وهى وعرة وان
الصواب رجوعنا الى عسكر المسلمين قال فاخذوا ما تركه الروم ورجعوا منصورين ولكنهم حزينون
على أسر عبد الله بن حذافة السهمى وساروا حتى أتوا حلب فلقيهم أبو عبيدة وفرح بسلامتهم وأقبل
ميسرة يحدثه بما جرى لهم وكيف أسر عبد الله بن حذافة فتأسف عليه وقال اللهم اجعل له من أمره فرجا
ومخرجا وكتب الى عمر بن الخطاب يخبره بما وقع له من أمر السرية الى الدروب وما كان من المسلمين
وأخبره بأسر عبد الله بن حذافة وبعث الكتاب فلما وصل الى عمر بن الخطاب فرح بسلامة المسلمين واغتم
على عبد الله بن حذافة وأسره لانه كان يحبه حبا شديدا فقال وعيش رسول الله لا كتبن الى هرقل بان
يرسل عبد الله بن حذافة فان لم يفعل والا سرت اليه بالجيوش والعساكر ثم انه كتب بسم الله الرحمن
الرحيم الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولا صاحبة وصلى الله على نبيه محمد المؤيد من عبد الله عمر بن الخطاب
امير المؤمنين أما بعد فاذا وصل اليك كتابى هذا فابعث الى بالاسير الذى عندك وهو عبد الله بن حذافة
فان فعلت ذلك رجوت لك الهداية وان أبيت بعثت اليك رجالا وأى رجال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع
عن ذكر الله والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى ثم انه طوى الكتاب وبعث به الى أبى
عبيدة وأمره أن ينفذه الى هرقل فلما وصل الكتاب الى هرقل قال له من أين كتابك هذا قال من أمير
المؤمنين أمير العرب فقرأه فاذا هو من عند عمر بن الخطاب قال فدعا بعبد الله بن حذافة اليه قال عبد الله
ابن حذافة فدخلت عليه والتاج على رأسه والبطارقة حوله فلما وقفت بين يديه قال لى من أنت قلت
رجل من المسلمين من قريش قال أأنت من بيت نبيك قلت لا أنا من بنى عمه قال هل لك أن تتبع ديننا
وأزوجك ابنة بطريق من بطارقتى وأجعلك من اخصائى فقلت لا والله الذى لا اله الا هو لا فارقت دين
الاسلام أبدا وما جاء به محمد عليه السلام فقال أجب الى ديننا وأنا أعطيك من المال كذا وكذا ومن
الغلمان كذا وكذا ومن الجوارى كذا وكذا قال عبد الله ثم دعا بسفط من الجوهر وقال اذا دخلت فى دينى
أعطيتك اياه فقلت لا والله لو أعطيتنى ملكك وملك قومك ما فارقت دين الاسلام أبدا ولو أعطيتنى كل
ما تملكه فقال اذا لم ترجع الى دينى قتلتك أشر قتلة فقلت لست أفعل ولو قطعتنى قطعا ولو أحرقتنى بالنار
لا رجعت عن دينى فاصنع ما أنت صانع قال فغضب من كلامى وقال اسجد لهذا الصليب سجدة وأخلى
سبيلك فقلت لست أفعل قال فكل من لحم الخنزير وأنا أطلقك قلت حاش لله ما كنت بالذى أفعل قال
فاشرب من هذا الخمر شربة واحدة وأطلقك قلت لا والله لا أشرب أبدا قال وحق دينى لئن لم تشربن
قهرا ثم أمر بى فجعلنى فى بيت وجعل عندى من ذلك اللحم والخمر وقال اذا أضر به الجوع والظمأ أكل
وشرب وأغلقوا على الابواب * قال حدثنا عامر بن سهل عن يوسف بن عمران عن سفيان بن خالد عمن
يثق به أن هرقل كان قد مات بعد هزيمته من انطاكية بايام قلائل مما دخل على قلبه من القهر ويقال
انه مات مسلما والذى فعل ذلك بعبد الله بن حذافة ولده نسطيوس وكانوا لقبوه باسم أبيه هرقل قال
فلما كان فى اليوم الرابع طلب عبد الله بن حذافة وقال للغلمان ما فعل قالوا لم يأكل شيئا ولم يشرب وهو
على حاله فقال له وزيره أيها الملك اعلم أن هذا الرجل شريف فى قومه لا يرى الذل فكل ما تفعله فى هذا
الرجل تفعله المسلمون اذا قبضوا على ملك منا قال فاستدعاه وقال له ما فعلت باللحم قال هو على حاله فقال له
ما منعك أن تأكل قال فزعا من الله ورسوله وأيضا انه قد حل لى بعد ثلاثة أيام ولكن ما أردت أن تشمت

سنة وخمسة عشر يوما ولم
يبلغ هذه المدة أحد من
سلاطين مصر (وولى بعده
ولده) الملك المنصور أبو بكر
وكان سيء السيرة فخلع
وقتل سنة اثنتين وأربعين
وكانت مدة ولايته شهرين
وأياما (وولى بعده أخوه
السلطان كجك) وعمره ست
سنين فاقام ثمانية أشهر

بى المهدون و ورد كتاب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فلما قرأه اعطى عبد الله مالا كثيرا وثيابا وأعطاه لؤلؤا كثيرا هدية لعمر بن الخطاب وبعث معه خيلا الى أن اخرجوه من الدروب ووصل الى حلب ولقى المسلمين ففرح وابه ثم انه سار الى عمر بن الخطاب فلما رآه سجد لله شكرا وهناه بالسلامة وحدثه بما كان من هرقل وأخرج له اللؤلؤ فلما رآه عمر عرضه على التجار فقالت التجار له هذا ما يقوم ومن جاءك به فقالت الصحابة خذه اليك بارك الله لك فيه فقال لا اله الا الله محمد رسول الله اذا كنتم قد جعلتمونى منه فى حل فكيف أصنع بمن غاب من المسلمين ومن فى بطون الامهات واصلاب الرجال من أولاد المهاجرين والانصار والمجاهد فى سبيل الله ولا طاقة لعمر بمطالبتهم يوم القيامة ثم باعه وجعل ثمنه فى بيت المال (حدثنا) عمر بن سالم عن عبد الله بن غانم عن ابى بكر بن عمر عن عبد الله بن عبد الرحمن ابن عبد الله قالوا جميعا انه لما فتح أبو عبيدة انطاكية صلحا وكان من أمر ميسرة بن مسروق ما ذكرناه أقام أبو عبيدة بحلب ينتظر ما يأتى اليه من عمرو بن العاص لما مضى الى قيسارية فى خمسة آلاف من المسلمين فيهم عبادة بن الصامت وعمرو بن ربيعة وبلال بن حمامة وربيعة بن عامر

❁ ذكر فتح قيسارية الشام بساحل البحر ❁

قال سبيع بن ضمرة الحرانى كنت مع عمرو بن العاص حين سار الى قيسارية قال فدخلنا قرية من قرى الشام وكان البرد شديدا ونظرنا الى كرومها ونظرت الى كرمة فى دار من دور القرية وفيها عناقيد مدلاة أكبر ما يكون فاخذنا منها واكلنا فبردنا ولحقنا البرد الشديد من شدة برد ذلك العنقود فقلت قبح الله هؤلاء الملاعين بلدهم بارد وعنبهم بارد وماؤهم بارد وأنا أخاف الهلاك من شدة برد بلادهم قال فسمعنى رجل من أهل البلد فاراد أن يتقرب الى لأداعبه فقال لى يا أخا العرب ان كنت تجد البرد من العنب فاشرب من مائه قال سبيع ثم انه دلنا على دن كبير فيه خمر فشربت أنا وجماعة من عرب اليمن فسكرنا فجعلنا نتمايل سكرا فاخبر بذلك عمرو بن العاص فكتب الى أبى عبيدة يعلمه بذلك فكتب اليه أبو عبيدة أما بعد فمن شرب بها فحده عليها وأقم حدود الله كما أمر ولا تخش لومة لائم فلما وصل الكتاب الى عمرو دعا بسبيع ابن ضمرة وأصحابه فجلدهم بالسياط قال سبيع فلما ضربنى عمرو وأوجعنى قلت والله لاقتلن العلج الذى دلنا على الخمر حتى شربناها وأكلنا الحد فاخذت سيفى ودخلت القرية أطلب العلج فلما رأيته وقعت عينى عليه أردت قتله فولى هاربا فتبعته وهو يقول ما ذنبى عندك فقلت أنت دللتنى على ما يغضب الله حتى أكلت الضرب فقال والله ما علمت انه محرم عليكم قال فنادانى عبادة بن الصامت وقال يا سبيع اياك أن تقتله فانه تحت الذمة قال فتركته ومضى العلج وأتى الى بتين وجوز وزبيب وقال كل هذا بذاك فانه يدفئك قال فاكلته فوجدته طيبا فقلت لحاك الله أين هذا كان قبل ان أضرب بالسياط (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ثم أن عمرا ارتحل فنزل بموضع يقال له محل وبلغ الخبر قسطين بن هرقل وكان قد أتاه المنهزمون من عسكر ابيه ولجؤا اليه واكتمل جيشه فى ثمانين ألفا ثم انه دعا برجل من المتنصرة وقال له امض واحزر لى عسكر العرب واكشف لى اخبارهم فوصل اليهم وجاء الى قوم من اليمن وهم يصطلون حول النار فجلس بينهم يسمع حديثهم فلما أراد القيام عثر فى ذيله فقال باسم الصليب كلمة أجراها الله على لسانه فلما سمعوا قوله علموا أنه متنصر جاسوس للروم فوثبوا اليه وقتلوه ووقع الصائح فى العسكر فسمع عمرو الضجة فقال ما الخبر فقيل ان قوما من اليمن وقعوا بجاسوس من الروم فقتلوه قال فغضب عمرو وطلبهم وقال ما حملكم على قتل الجاسوس وهلا أتيتمونى به لاستخبره فكم من عين تكون علينا ثم انها ترجع فتصير لنا لان القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء ثم انه نادى فى جيشه من وقع بغريب أو جاسوس فليأت به الى قال وان قسطين استبطأ الجاسوس فعلم بقتله فارسل غيره فاشرف على القوم من فوق شرف عال وحزرهم وعاد اليه فاخبره انهم فى خمسة آلاف الا انهم كالاسود الضارية وكالعقبان الكاسرة يرون الموت مغنما والحياة مغرما فلما سمع ذلك قال وحق المسيح والقربان لابد لى من قتالهم فاما ان ابلغ المراد

والامر الى دولته قوصون وبشتك فخلعوه وتوفى بقوص بعد أربع سنين (وولى بعده أخوه أحمد) فأقام أربعين يوما ثم خلع وقتل سنة خمس وأربعين وسبعمائة (وولى بعده الملك الصالح عماد الدين اسمعيل اخوه) فأقام ثلاث سنين وشهرين وخمسة عشر

أو أموات صبرا ثم انه جمع عسكره واختار منهم عشرة آلاف فارس شدادا وولى عليهم بطريقا اسمه
بكلاكون وهو صاحب جيشه وقال سر بهؤلاء فانت طليعة جيشى فسار من ساعته ثم انه عقد صليبا آخر
وسلمه الى دمستق العسكر واسمه جرجيس بن باكور وضم اليه عشرة آلاف وقال له الحق بصاحبك
فسار فى أثره فلما كان فى اليوم الثانى خرج فلسطين ببقية الجيش وترك ابن عمه قسطاس فى قيسارية
يحفظها وترك عنده عشرة آلاف قال بشار بن عوف فبينما نحن نازلون اذ أشرف علينا البطريق الاول
فى عشرة آلاف فارس فلما قربوا منا رأيناهم فحزرناهم فاذا هم عشرة آلاف قال ففرحنا وقلنا نحن فى
خمسة آلاف وعدونا فى عشرة آلاف فكل رجل منا يقاتل اثنين فبينما نحن كذلك اذ أشرف علينا
البطريق الثانى فى عشرة آلاف فقال عمرو رضى الله عنه اعلموا أن من أراد الله واليوم الآخر فلا
يرتاع من كثرة العدو ولو تزايد المدد فان الجهاد أوفر متجرا وأعز قدرا وأى فخر أعلى عند الله ممن يقتل
فى سبيل الله وصفوف الكفار ويكون حيا عند الله يرتع فى مروج الجنة وينال من الله سابغ النعمة
والمنة فقد قال الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما
آتاهم الآية ولو ان الجاسوس الذى قتلتموه لم تعجلوا عليه لأخبرنا بمسير هذا الجيش الينا وكثرته وكنا قد
أخذنا حذرنا على أنفسنا بالأحوط ولكن أمر الله لا يرد ثم انه جمع أبطال الموحدين وقال قد رأيت ان
ننفذ الى أبى عبيدة نعلمه ليمدنا بالخيل والرجال فان هذا جيش عظيم ثم قال أيها الناس من يركب ويسير الى
الامير أبى عبيدة ويعلمه بما قد صرنا اليه فلعله ان ينجدنا كما أنجد يزيد بن أبى سفيان وهو محاصر قنسرين
وأجره على الله فقال له ربيعة بن عامر يا عمرو القَ بنا العدو وتوكل على الله فان الذى نصرنا فى مواطن
كثيرة ونحن فى قلة ينصرنا اليوم على بقية القوم الكافرين قال فقنع عمرو بكلام عامر بن ربيعة
وقال والله لقد صدقت وأمر الناس بالتأهب الى لقاء العدو فركب المسلمون ورفعوا أصواتهم بالتهليل
والتكبير فاجابتهم الجبال والتلال والأوعار والأشجار والأحجار ومن هو فى تلك الأرض من العمار
وقالوا الهنا ومولانا انا نسمع أصواتا موحدة غير مشركة ولا ملحدة التوحيد وقد أسمعتنا كلام التوحيد
وأريتنا وجوه أهل التمجيد والتحميد الهنا ما أطيب سماع ذكرك ومن لنا ان نوفى بشكرك قال وضجت
الوحوش والسباع الى مولاها شاكرة لما أعطاها وأولاها ونادت عالم سرها ونجواها يا من جميع الوحوش
راضية بما آتاها أخرج رزقها ومرعاها تغدو خماصا وتروح بطانا الى باب سيدها ومولاها يا من لو توارت
دودة تحت الأرضين السبع لرآها ولو كانت فى غلس الظلمات تحت اليم المظلم حبة لرزق عبدا بلغه
اياها الهنا انا سمعنا أصوات توحيدك فى هذه الأرض وما كنا عهدناها ونسمع آيات ما كنا عرفناها
ولا سمعناها سبحانك يا من قدرته لا تتناهى ويا من احسانه وفضله لا يتناهى قال فهتف بهم هاتف
من الجو كم لله من مسبح فى الجبال وذراها وتحت تخوم الأرض وثراها وفى فلوات البرارى المقفرات
وفى قعور البحار الزاخرات وما هاقال فارتاع عسكر الكفار لما سمعوا فى الجو هذه الاصوات وكانما
الارض واقطارها وأهلها تجاوبهم وكان فلسطين قد أتى وسمع ذلك ونظر الى جيش العرب وقد زاد
فى عينه اضعافا فقال وحق دينى لما أشرفت على القوم ما كانوا فى هذه الكثرة وما كانوا أكثر من خمسة
آلاف وقد زاد الآن عددهم وتزايد مددهم ولا شك ان الله قد أمدهم بالملائكة ولقد كان أبى هرقل
على بصيرة من أمر هؤلاء العرب وليس جيشى هذا باعظم من جيش ماهان الارمنى لما لقيهم باليرموك
فى ألف ألف ولقد ندمت على خروجى اليهم ولكن سوف أدبر حيلة على هؤلاء العرب ثم انه دعا بقس
عظيم القدر عند النصرانية وهو قس قيسارية وعالمها وقال له اركب الى هؤلاء القوم وكلمهم بالتى هى
أحسن وقل لهم ان ابن الملك يسألكم أن تنفذوا اليه أفصحكم لسانا وأجرأكم جنانا فابعثوا به ولا يكون
من طغام العرب قال فركب القس وعليه ثوب من الديباج الاسود وعليه برنس من الشعر فركب
بغلة شهباء وأخذ بيده صليبا من الجوهر وسار حتى وصل الى المسلمين فوقف بحيث يسمعون كلامه فقال

يوما وتوفى سنة ست وأربعين
وسبعمائة وعمره نحو
العشرين سنة وهو الذى
أوقف قريتين لكسوة
الكعبة بيسوس
وسنديس (وولى بعده
أخوه الأشرف شعبان)
فأقام سنة وشهرا وسبعة
عشر يوما وقتل (وولى بعده
السلطان حاجى أخوه)

يامعشر العرب انى رسول اليكم من الملك فلسطين بن هرقل يسألكم ان تنفذوا اليه أفصحكم لسانا وأجرأكم جنانا وان الله يريد صلحكم ولا يبغى قتالكم لانه عالم بدينه بصير بأموره وليس يحب سفك الدماء ولا فساد الصور فلا تبغوا علينا فالباغى مقهور والمبغى عليه منصور وقد قال لنا المسيح لا تقاتلوا الامن بغى عليكم وأن الملك يريد أن تبعثوا اليه رجلا من أفصحكم لسانا وأجرئكم جنانا ثم سكت قال فلما سمع عمرو كلامه قال أيها الناس قد سمعتم ماقاله هذا الأغلف فمن منكم يبادر الى مرضاة الله تعالى ورسوله وينظر ماتكلم به مع كلب الروم فتقدم اليه بلال بن حمامة مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان غلاما أسود طويلا من الرجال كانه النخلة السحوق بصاص من السواد عيناه جمرتان كأنهما العلق جهورى الصوت فقال ياعمرو وأنا أسير اليه فقال يابلال انك قد حطمك الحزن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيضا انك من جنس الحبش ولست من العرب لان العرب لهم الكلام الجزل والخطب والفصاحة فقال بلال بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم الاتركتنى أمضى اليه فقال عمرو ولقد أقسمت على بعظيم اذهب واستعن بالله ولا تهبه فى الخطاب وأفصح فى الجواب وعظم شرائع الاسلام فقال بلال ستجدنى ان شاء الله حيث تريد قال فخرج بلال نحوهم وهو كالنخلة السحوق عريض المنكبين كانه من رجال شنوءة وكان من عظم خلقته اذا نظر اليه أحد يهابه وكان لابسا يومئذ قميصا من كرابيس الشام وعلى رأسه عمامة من صوف متقلد بسيف ومزودة على عاتقه وبيده عصا قال فلما برز بلال من عسكر المسلمين ونظر اليه القس أنكره وقال ان القوم قد هنا عليهم فانا دعوناهم نخاطبهم فبعثوا الينا بعبيدهم اصغر قدرنا عندهم ثم قال أيها العبد ابلغ مولاك وقل له ان الملك يريد أميرا منكم حتى يخاطبه عما يريد فقال بلال أيها القس أنا بلال مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤذنه ولست بعاجز عن جواب صاحبك فقال له القس قف مكانك حتى أعلم الملك بأمرك وعاد القس الى الملك وقال له أيها الملك انهم قد بعثوا ابعبد من عبيدهم يخاطبك وماذاك الا استقلالا بأمرنا عندهم وهو عبد أسود قال فارسل له رجلا يقول له أيها العبد أبلغ مولاك وقل له ان الملك اغا يريد أميرا منكم حتى يخاطبه فقال له بلال أيها الرجل أنا بلال بن حمامة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولست بعاجز عن جواب صاحبكم فقال فلسطين ارجع اليهم وقل لهم بعث اليكم ملك النصرانية ايليق ان تبعثوا اليه بعبد من عبيدكم فرجع الترجمان الى بلال وقال له يا اسودان الملك يقول لك اسنا ممن نخاطب العبيد بل يأتينا صاحب جيشكم أو المؤمر عليكم فرجع بلال وهو منكسر وأخبر عمرا بذلك فقال لشرحبيل انا امضى اليه فقال شرحبيل يا عبد الله اذا مضيت أنت فلمن تدع المسلمين فقال عمرو والله لطيف بعباده وهو أرحم الراحمين بخلقه ولكن خذ الراية واخلفنى فى قومى فان غدر الروم فالله الخليفة عليكم فوقف شرحبيل فى مقام عمرو وأخذ الراية وخرج عمرو نحو القوم وعليه درعه ومن فوقه جبة صوف وعلى رأسه عمامة من صنع اليمن مصبوغة صفراء قد ادارها على رأسه كورا وارخى لها عذبة وفى وسطه منطقة وقد تقلد سيفه واعتقل رمحه وسار عمرو حتى وقف بازاء الترجمان الذى أرسله فلسطين بن هرقل فلما رآه الترجمان ضحك فقال مم تضحك يا أخا النصرانية قال من دناءة زيك وحملك هذا السلاح ما الذى تصنع به ولم تحمله معك وماتريد حربا فقال عمرو ان العرب حمل السلاح شعارهم ووطاؤهم ودثارهم وانما حملت السلاح معى استظهارا ولعلى ان ألقى عدوا فيكون ذلك حصنا من عدوى وأحامى به عن نفسى قال الترجمان شيمتكم أيها العرب الغدر والمكر فكن مطمئن الجانب ثم عطف الترجمان الى فلسطين بن هرقل وأخبره حين سمع مقالة عمرو بن العاص وقال أيها الملك ان أميرا العرب قد قدم الينا وعليه من اللباس كذا وكذا فتبسم الملك من قول القس وقال قل له يتقدم الينا قال فلما قدم أخذ الملك فى التأهب لقدوم عمرو وعليه وزين ملكه واوقف القسوس عن يمينه وشماله والحجاب بين يديه وأقبل على الترجمان وقال له يا أخا العرب قد اذن لك الملك فسار عمرو وعلى جواده وعسكر قيسارية تتعجب منه ومن زيه الى أن وقف على قبة الملك ثم ترجل ومشت الحجاب أمامه حتى وقعت عينه

فاقام سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيام ثم خلع وقتل وكان سيئ السيرة (وولى بعده أخوه السلطان حسن) بن محمد بن قلاوون وعمره يومئذ احدى عشرة سنة فاقام ثلاث سنين وتسعة وخمسين يوما ثم خلع وحبس بالقلعة (وولى فى محله أخوه صالح) وهو

على عين فلسطين فادناه ورحب به وبش فى وجهه وقال مرحبا بأمير قومه وأراد أن يجلسه على السرير فامتنع عمرو من ذلك وقال بساط الله أطهر من بساطك لان الله تعالى جعل الارض بساطا وأباحنا اياها فنحن فيها سواء وما أريد أن أجلس الا على ما أباحه الله ثم جلس على الارض باركا وترك رمحه أمامه وسيفه على فخذه الأيسر فقال له فلسطين ما اسمك قال اسمى عمرو وأنا من العرب الكرام أرباب الحزم المعظمين فى القول قال فلسطين انك الفتى كريم من عرب كرام يا عمرو وان كنت من العرب فنحن من الروم وبيننا قرابة وأرحام متصلة ونحن وأنتم فى النسب متصلون ومن يكونون متصلين فى النسب ما لهم يسفك بعضهم دم بعض فقال عمرو ان انسابنا لاحقة من أبينا ونسبنا الاعلى هو دين الاسلام واذا كان اخوان قد اختلفا فى الدين كان حلالا ان يقتل أحدهم أخاه وقد انقطع النسب بيننا وقد ذكرت أن نسبك لاحق بنا فكيف يكون نسبك ونسبنا واحدا ونحن قريش الكرام وأنتم بنو الروم قال يا عمرو أليس أبونا آدم ثم نوحا ثم ابراهيم والعيص بن اسحق واسحق أخو اسمعيل وكلاهما ولدا ابراهيم ولا ينبغى للاخ ان يبغى على أخيه بل يجود عليه فقال انك لصادق فى قولك الذى قلت وان العيص ونحن بنو أب واحد وأبونا نحن اسمعيل صلوات الله عليه وان كان نوح عليه السلام قسم الارض شططا حين غضب على ولده حام واعلم ان أولاد حام لم يرضوا بها فاقتتلوا عليها ازمانا وهذه الارض التى أنتم فيها ليست لكم وهى أرض العمالقة من قبلكم لان نوحا عليه السلام قسم الارض بين أولاده الثلاثة سام وحام ويافث وأعطى ولده ساما الشام وما حوله الى اليمن الى حضرموت والى غسان والعرب كلهم ولد سام وهم قحطان وطسم وجديس وعملاق وهو أبو العمالقة حيث كانوا من البلاد وهم الجبابرة الذين كانوا بالشام فهذه العرب العاربة لان لسانهم الذى جبلوا عليه العربية وأعطى حاما الغرب والساحل وأعطى يافث ما بين المشرق والمغرب وان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ونريد أن نرد هذه القسمة فنأخذ ما فى أيديكم من العمارة والأنهار عوضا عما نحن فيه من الشوك والحجارة والبلد القفر فلما سمع فلسطين كلام عمرو بن العاص علم انه رجل ماكر فقال له صدقت فى قولك الا أن القسمة قد جرت فان نقضتموها كنتم من الباغين علينا واعلم أنه ما حملكم على ذلك وأخرجكم من بلادكم الا الجهد العظيم فقال له عمرو وأيها الملك اما ما زعمت ان الجهد أخرجنا من بلادنا فنعم كنا نأكل خبز الشعير والذرة فاذا رأينا طعامكم واستحسناه فلن نبارحكم حتى نأخذ البلاد من أيديكم وتصيروا لنا عبيدا ونستظل تحت أصول هذه الشجرة العالية والفروع المورقة والاغصان الطيبة الثمار فان منعتمونا ما ذقناه من بلادكم من لذيذ العيش فما عندنا الا رجال أشوق الى حربكم من حبكم الحياة لانهم يحبون القتال كما تحبون أنتم الحياة قال وأحجم فلسطين عن جوابه فرفع رأسه الى قومه وقال ان هذا العربى صادق فى قوله وحق الكنائس والقربان والمسيح والصلبان ما لنا معهم ثبات قال عمرو فوجدت الى وعظهم سبيلا وقلت معاشر الروم ان الله عز وجل قد قرب عليكم ما كنتم تطلبون ان كنتم تريدون بلادكم فادخلوا فى ديننا وصدقوا قولنا فان الدين عند الله الاسلام قال فلسطين يا عمرو وانا لا نفارق ديننا وعليه مات آباؤنا وأجدادنا قال عمرو فان كرهت الاسلام فاعطنا الجزية منك ومن قومك وأنتم صاغرون قال فلسطين لا أجيبك الى ذلك لان الروم لا تطاوعنى الى أداء الجزية ولقد قال لهم ابى ذلك من قبل فارادوا قتله فقال هذا ما عندى من الاعذار ولقد حذرتكم ما استطعت ولم يبق بيننا حكم الا السيف والله يعلم أنى دعوتكم الى أمر فيه النجاة فعصيتموه كما عصى أبوكم عيص عن أمه فخرج من الرحم قبل أخيه يعقوب وانتم تزعمون انكم أقرباؤنا فى النسب وانا ابرأ الى الله عز وجل منكم ومن قرابتكم اذ انتم تكفرون بالرحيم أنتم من ولد عيص بن اسحق ونحن من ولد اسمعيل ابن ابراهيم عليهم السلام وان الله تعالى اختار لنبينا خير الانساب من لدن آدم الى أن أخرج من صلب أبيه عبد الله فجعل خير الناس من ولد اسمعيل فتكلم بالعربية وتكلم اسحق على لسان أبيه فولد اسمعيل العرب ثم جعل خير الناس كنانة ثم جعل خير

الثامن ممن تسلطن من اولاد الملك الناصر محمد ابن قلاوون واقام ثلاث سنين وثلاثة اشهر ثم عاد السلطان حسن سنة خمس وخمسين وسبعمائة فاقام ست سنين وسبعة اشهر واياما وجملة مدته عشر سنين واربعة اشهر واياما وفى ايامه بنى جامع الامير

العرب قريشا ثم جعل خير قريش بنى هاشم ثم جعل خير بنى هاشم بنى عبد المطلب وخير بنى عبد المطلب نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فبعثه رسولا واتخذه نبيا وأهبط عليه جبريل بالوحى وقال له طف مشارق الارض ومغاربها فلم أر أفضل منك قال فخضعت جوارح القوم حين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلت قلوبهم ودخلت الهيبة فى قلب فلسطين حين سمع كلام عمرو فقال له صدقت فى قولك كذلك الانبياء تبعث من خير بيوت قومها على لسان رجالها ثم قال له يا عمرو وهل فى أصحابك رجل بين كلامه سريع الجواب اذا سئل فقال له اعلم انى والله أحب أن أمضى وآتيك بهم لتقف على صحة قولى ثم وثب وسار الى عسكره وركب وأتى جيشه فحمد الله المسلمون على سلامته وباتوا يحرسون فلما صلى عمرو بالناس صلاة الفجر أمرهم بالركوب الى قتال عدوهم قال فأسرعوا الى ذلك واستووا على متون خيولهم واصطفوا للحرب والقتال (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنا عاروة بن زيد عن موسى مولى الحضرميين عن موسى بن عمران وابن صباح لما كان يوم الحرب صف فلسطين جيشه ثلاثة صفوف وقدم المشاة وعدل الميمنة والميسرة ورفع الصليب امامه وتقدم أمام الجيش فنظر عمرو الى فلسطين وقد رتب عساكره وعزم على الحرب فهيأ المسلمين وصفهم صفا واحدا وجعل فى الميمنة جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم شرحبيل بن حسنة كاتب الوحى وصابور بن جبابة الليثى عن شماله وكان أحد فرسان المسلمين فبينما الناس كذلك اذ خرج فارس من الروم وعليه ديباج ودرع وجوشن وفى عنقه صليب من الذهب فحمل حتى خطى برمحه من الميمنة الى الميسرة ومن الميسرة الى الميمنة ثم الى القلب ثم وقف بازاء جيش المسلمين وركز رمحه بازائه وأخذ القوس بيده وفوق سهمها ورمى رجلا من الميمنة فأثبت السهم فيه فجرحه ورمى آخر من الميسرة فقتله فنظر اليه عمرو وما قد صنع فصاح بالمسلمين ألا ترون الى هذا العلج اللعين وما يصنع بقوسه فمن يكفينا أمره ويزيل عن المسلمين شره فخرج اليه رجل من ثقيف وعليه بردة دنسة وبيده قوس عربية قد فوق سهمها وخرج الى العلج بريده فنظر اليه العلج وليس عليه شىء من الحديد يستره الا فروة دنسة وما معه من السلاح غير القوس فازدرى به وبلبسه وأطلق سهما من كبد قوسه فوقع سهمه فى صدره فاشتبك فى الفروة ووقع غير مصيب وكان اللعين أرمى أهل زمانه ما رمى قط شيأ الا نفذ فيه فغضب لذلك وهم أن يرميه بسهم ثان فامتط الثقفى نبلة ورمى بها نحوه فلم يرها لصغرها وخفاء موقعها فاشتبكت النبلة فى حلق العلج فخرجت من قفاه فما تمالك العلج الا أن وقع صريعا فأسرع الثقفى الى جواده فأخذه واستوى على متنه ونزع بيضة المشرك عن رأسه وجعل يسحبه نحو جيش المسلمين فاستقبله ابن عم له وكلمه فلم يجبه من فرحه بما صنع ثم أقبل الى عمرو فأعطاه اياه فنظرت الروم الى فعل الثقفى فغاظهم ذلك وجعلوا يشيرون الى السماء فعلمنا أنهم يقولون ان الملائكة تنصرنا قال ونظر فلسطين الى ذلك فعظم عليه وقال لبعض البطارقة اخرج الى هؤلاء العرب وحام عن دينك فخرج البطريق وعليه ديباجة خضراء ودرع حصين ومن تحت الدرع جوشن منيع وفى عنقه صليب من الذهب الاحمر ومعه غلام من ورائه يجنب جنيبة وعليه سيفه ودرقته فخرج حتى وقف بين الصفين فجعل يسأل القتال فلما نظر المسلمون اليه أقبلوا اليه ينظرون ولا يخرج اليه أحد فقال عمرو معاشر العرب من يخرج اليه ويهب نفسه لله عز وجل فخرج اليه رجل من العرب وهو يقول أنا أكون ذلك فقال عمرو بارك الله فيما تريد وحمل صاحب المسلمين عندما خرج مصمما واستقبله البطريق وجعلا يتجاولان ساعة وهما يتعانقان بالسيوف الى أن خرجت لهما ضربتان فسبقه البطريق بالضربة فأخذها الرجل بالدرقة فقدها نصفين وكانت جلد بعير بطانة واحدة فلم يصل اليه من الضربة شىء وضربه الرجل ضربة فى أثرها فقطعت البيضة وسلكها فتقهقر البطريق الى ورائه ولم يصل اليه أذى فلما رجعت اليه روحه حمل على المسلم وضربه فجرحه جرحا فاحشا فألوى الى أصحابه فصاح به رجل من العرب ممن وهب نفسه لا يرجع من بين يدى عدوه فقال الرجل أما كفاك هذه الضربة حتى توبخنى

شيخون وخانقاه الامير صرغتمش ومدرسة السلطان حسن بالرميلة بناها فى ثلاث سنين وأرصد لمصروفها كل يوم نحوا ألف مثقال ذهبا (ثم تولى من بعده ابن اخيه الملك المنصور محمد حاجى) فاقام سنتين وثلاثة اشهر وخلع سنة اربع وستين وحبس

ان الله ليلومنى بأن ألقى بيدى الى التهلكة ثم شد جراحه وعظم عليه ما قال ابن عمه فلما خرج قال له ابن عمه الذى خاطبه ارجع فخذ هذه البيضة واجعلها على رأسك فقال ثقتى بالله أعظم من حديدك ثم دلف نحو البطريق وهو يقول

يقول لى عند الخروج للقا * دونك هذا الترس فاجعله وقا
من علج سوف قد بغى وقد طغى * أقسمت بالله يمينا صادقا
لأتركن البيض فوق المرتقى * وأدخل الجنة دار المتقى

قال فدعا له المسلمون بالنصر وقال اللهم أعطه ما تمنى وحمل على البطريق وضربه ضربة هائلة فوقعت على عاتقه وخرجت من علائقه ثم حمل فى جيش الروم فقتل رجالا وجندل أبطالا ولم يزل كذلك حتى قتل رحمه الله تعالى فقال عمرو هذا رجل اشترى الجنة من الله بنفسه اللهم أعطه ما تمنى (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان هرقل حين بعث ولده فلسطين الى قيسارية بعث معه بطريقا من البطارقة وكان اسمه قيدمون وكان من أفرس الروم ويقال انه خال فلسطين وقد كان لقى عسكر الفرس وعسكر الترك وعسكر الجرامقة قال وكان اللعين يحفظ سائر اللغات فقال لفلسطين لا بد لى من قتال العرب قال وخرج وعليه لامة وخرج مبارزا فلما رآه المسلمون قد خرج وكأنه جبل قد انهدم من أعلاه الى أسفله وهو يلمع من بريق الجوهر ضج المسلمون بقول لا اله الا الله فلما وقف فى الميدان أقبل يرطن بلغته ويطلب البراز فأقبلت العرب يهرعون اليه من كل جانب ومكان يريدون قتاله لأجل ما عليه فقال عمرو ثواب الله خير لكم مما عليه فلا يخرج أحد لطلب سلبه فيكون خروجه لأجل ذلك وان قتل مات فى سبيل ما خرج اليه وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه قال فخرج غلام من اليمن ومعه أمه وأخته يريدون الشام وأخته تقول له يا ابن أمى جد بنا فى السير لنصل الى الشام فنأكل من خيره ونعمه فقال لهما أخوها انما أذهب لأقاتل لمرضاة الله عز وجل وقد سمعت معاذ بن جبل يقول ان الشهداء عند ربهم يرزقون فقالت له أخته كيف يرزقون وهم أموات قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يجعل أرواحهم فى حواصل طيور الجنة فتأكل تلك الطيور من ثمار الجنة وتشرب من أنهارها فتغذو أرواحهم فى حواصل تلك الطيور فهو الرزق الذى جعله الله لهم فلما كان قتال قيسارية خرج ذلك الغلام الى القتال بعد أن ودع أمه وأخته وداع الموت وقال لهم نجتمع على حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج وبيده قناة وهى موصولة كثيرة العقد وتحته جواد هجين فلما خرج الغلام حمل على البطريق من ساعته وطعنه بسنانه قال فاشتبك السنان فى درع البطريق فلم يقدر على انتزاعه فضرب البطريق قنا الغلام بسيفه فقطعها وحمل على الغلام وضربه على هامته فشطرها فوقع الغلام ميتا رحمه الله وجال قيدمون على مصرعه ثم طلب البراز فخرج اليه ابن قثم فقتله البطريق فلما نظر الى ذلك شرحبيل بن حسنة رضى الله عنه أقبل يعاتب نفسه ويقول تتفرجين على قتل المسلمين ثم خرج والراية بيده التى عقدها له أبو بكر رضى الله عنه يوم خروجه الى الشام فلما رآه عمرو وقد عول على الخروج قال يا عبد الله اركز الراية لئلا تشغلك قال فركزها شرحبيل فوقفت كالنخلة وغاصت فى حجر كأنها منه فتفاءل بالنصر وخرج الى لقاء قيدمون والمسلمون يدعون له بالنصر على عدوه فلما رآه البطريق ضحك من زيه وكان للملعون صوت عال وهو ضخم من الرجال وكان شرحبيل نحيف الجسم من كثرة الصيام والقيام بالليل والبطريق فى ميدانه فحمل كل واحد منهما على صاحبه واختلفا بضربتين وكان السابق شرحبيل فلم يعمل السيف فى لامة البطريق شيئا ونبت السيف فى بيضته وحمل قيدمون على شرحبيل فشجه ثم تجاولا على الجوادين قال سعيد بن روح وكان ذلك اليوم كثير البرد والسحاب فبينما هما فى المعركة اذ نزل المطر كأفواه القرب قال فنزلا عن الجوادين وجعلا يتصارعان فى وسط الطين وذلك

بالقلعة الى ان مات فى سنة احدى وثمانمائة (وولى بعده الاشرف شعبان) ابن السلطان حسن فقام اربع عشرة سنة ثم قتل وهو الذى احدث العمامة الخضراء للاشراف ومكث الى سنة خمس وسبعين وسبعمائة وكان احداث العمامة الخضراء سنة

ان قيدمون حمل على شرحبيل فضرب يده فى مراق بطنه فاقتلعه من الارض ورمى به على ظهره ثم استوى
على صدره وهم ان ينحره فنادى شرحبيل يا غياث المستغيثين فما استتم كلامه حتى خرج اليه فارس
من الروم وعليه لامة مذهبة ومن تحته جواد من عتاق الخيل فقصد موضع البطريق وشرحبيل فظن
قيدمون انه انما خرج ليعطيه جواده ويعينه فلما اقرب منهما ترجل وامال البطريق برجليه عن صدر
شرحبيل وقال يا عبد الله قد اتاك الغوث من غياث المستغيثين فوثب شرحبيل قائما ينظر اليه متعجبا
من قوله وفعله وكان الفارس متلثما ثم جرد سيفه وضرب البطريق ضربة فقطع رأسه وقال يا عبد الله خذ
سلبه فقال شرحبيل والله ما رأيت أعجب من أمرك وانى رأيتك جئت من عسكر الروم فقال أنا الشقى
المبعد أنا طلحة بن خويلد الذى أدعى النبوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذب على الله وزعم
ان الوحى كان ينزل عليه من السماء فقلت له يا أخى ان رحمة الله قريب من المحسنين وقد وسعت رحمته كل
شئ ومن تاب وأقلع وأناب قبل الله توبته وغفر له ما كان منه والنبى صلى الله عليه وسلم يقول التوبة
تجب ما قبلها أما علمت يا ابن خويلد ان الله سبحانه وتعالى لما أنزل على نبيه ورحمتى وسعت كل شئ طمع
فيها كل شئ حتى ابليس فلما انزل قوله تعالى فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة قالت اليهود نحن نؤتى
الزكاة ونتصدق فلما انزل قوله تعالى والذين هم بآياتنا يؤمنون قالت اليهود نحن مؤمنون بما أنزل الله
فى الصحف والتوراة فاراد الله أن يعلمهم انها خاصة بامة محمد صلى الله عليه وسلم بقوله الذين يتبعون
الرسول النبى الامى فقال طلحة بن خويلد مالى وجه أرجع الى الاسلام وهم أن يسير على وجهه فمنعه
شرحبيل وقال له يا طلحة لست أدعك تمضى بل ترجع معى الى العسكر قال ما يمنعنى من المسير معك الا الفظ
الغليظ خالد بن الوليد وانى أخاف أن يقتلنى فقلت يا اخى انه ليس معنا وهذا الجيش لعمرو بن العاص
قال فرجع معى فلما اقربنا من المسلمين تبادروا الينا وقالوا يا شرحبيل ما هذا الرجل الذى معك فلقد
صنع معك جميلا قال ولم يعرفوه لانه كان متلثما بفضل عمامته فقلت هذا طلحة بن خويلد الذى أدعى النبوة
فقالوا أوتاب ورجع الى الله فقال أنا تائب الى الله سبحانه وتعالى قال شرحبيل فأتيت به الى عمرو بن
العاص فسلم عليه وبش فى وجهه ورحب به * قال حدثنا حسان بن عمر والربعى عن جده ان طلحة بن
خويلد لما ادعى النبوة وجرى له ما جرى من الحرب مع خالد بن الوليد رضى الله عنه وسمع ان خالدا قتل
مسيلمة الكذاب وقتل الاسود العنسى أيضا لانه قال انه نبى فخاف طلحة على نفسه من خالد فهرب بالليل
ومعه زوجته بالشام واستجار برجل من آل كلب فأجاره الكلبى وأنزله فى داره وكان الكلبى مؤمنا وبقى
عنده مدة أيام الى أن استخبره عن حاله فخبره طلحة بجميع أحواله مع خالد بن الوليد ووقائعه معه وكيف
أدعى النبوة فغضب الكلبى لكلامه وطرده من جواره فأقام طلحة بالشام وقد تاب من أمره فلما بلغه
أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قد قبض قال ذهب من جردت السيف فى وجهه فمن ولى بعده قالوا عمر بن
الخطاب قال الفظ الغليظ وهاب ان يمضى اليه وفزع من خالد بن الوليد أن يراه بالشام فيقتله فقصد
قيسارية ليركب فى المراكب ويطرح نفسه فى بعض جزائر البحر فلما انظر الى جيش فلسطين قد خرج الى
قتال العرب قال أسير مع هذا الجيش فلعلى أنكب نكبة وأغسل بها ما سلف منى أو زارى وتكون لى قربة
الى الله تعالى والى المسلمين فلما انظر شرحبيل فى عين الهلكة قال لا صبر لى عنه فخرج واستنقذه كما ذكرناه
فلما وقف بين يدى عمرو بن العاص شكره وبشره بقبول التوبة فقال يا عمرو وانى أخاف من خالد بن
الوليد ان يرانى بالشام فيقتلنى فقال عمرو فانى اشير اليك بشئ تصنعه وتأمن به على نفسك فى الدنيا
والآخرة قال وما هو قال أكتب معك كتابا بما صنعت وشهادة المسلمين فيه وتنطلق به الى عمر بن
الخطاب وتدفعه اليه واظهر التوبة فانه يقبلها ويسيرك الى الفتوح وقتال الروم فتمحو عنك
ما سلف من خطاياك فاجابه طلحة الى ذلك فكتب له عمرو كتابا الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بما صنع
واخذه طلحة ومشى به الى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجد عمر فى المدينة وقيل له هو بمكة فمضى

ثلاث وسبعين وسبعمائة
وفى تلك السنة كان ابتداء
خروج الطاغية تيمورلنك
الذى خرب البلاد وأباد
العباد (ثم تولى من بعده
ولده على) فاقام اربع
سنين وشهورا وكان
محجوبا لصغر سنه
والكلام لبرقوق وتوفى
سنة ثلاث وثمانين

حتى وردها فوجد عمر متعلقا باستار الكعبة فتعلق معه وقال يا أمير المؤمنين انى تائب الى الله عز وجل وحق رب هذا البيت عما كان منى قال عمر من أنت قال أنا طليحة بن خويلد قال فنفر عمر عنه وقال يا ويلك ان انا عفوت عنك فكيف الامر غدا بين يدى الله عز وجل بدم عكاشة بن محصن الاسدى قال طليحة يا أمير المؤمنين عكاشة رجل اسعده الله على يدى وشقيت أنا بسببه وارجو ان يغفر الله لى ما عملت قال عمر وما عملت فاخرج له كتاب عمرو بن العاص فلما قرأه عمر وفهم ما فيه فرح به وقال ابشر فان الله غفور رحيم وامره عمر ان يقيم بمكة حتى يرجع الى المدينة فاقام معه اياما فلما رجع عمر الى المدينة وجه به الى قتال أهل فارس (قال الواقدى رحمه الله تعالى) رجعنا الى الحديث قال لما قتل البطريق قيدمون على يد طليحة ونجا شرحبيل مما كان قد لحقه ورجع الى عمرو وكان المطر شديدا فقطع الناس القتال ولحق الناس الاذى لانهم أكثرهم بلا أخبية ولا بيوت والتجؤا الى الجابية وتستروا بدورها وكان من رحمة الله بالمسلمين أن وقع فى قلب فلسطين الفزع والرعب لما قتل قيدمون البطريق وكان ركنه ودعامته فشاور أصحابه فى الرجوع الى قيسارية وقال يا معاشر الروم أنتم تعلمون أن جيوش اليرموك ما ثبتت لهؤلاء العرب وان ابى قد ولى الى القسطنطينية من خوفهم وقد ملكوا الشام جميعه وما بقى غير هذا الساحل وانى أخاف ان نذهى من قبلهم ويملكون قيسارية والرحيل أوفق من المقام ههنا فاجابوه الى ذلك فلما كان الليل ارتحل القوم والمطر ينزل قال سعيد بن جابر الاوسى وكان ذلك كله رحمة للمسلمين من الله عز وجل قال فلما كان فى اليوم الرابع ارتفع المطر وطلعت الشمس فخرجنا من الجابية نطلب قتال الروم فلم نر لهم أثرا فوالله لقد فرحنا بطلوع الشمس أكثر من فرحنا برحيل الروم فكتب عمرو بذلك الى أبى عبيدة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عمرو بن العاص السهمى الى أمير جيوش المسلمين أبى عبيدة بن الجراح سلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد فيا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فان فلسطين بن هرقل قد أخرج الى لقائنا ثمانين ألفا من الروم وكان لقاؤنا معهم على موضع يقال له نخل وأخذ شرحبيل بن حسنة وكان الذى ملك أسره قيدمون بن خالة هرقل ثم خلصه الله على يد طليحة بن خويلد الاسدى وقتل قيدمون بن خالة هرقل ثم وجهته بكتاب الى عمر بن الخطاب وقد انهزم عدو الله فلسطين وأنا منتظر جوابك والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته وبعث الكتاب مع جابر ابن سعيد الحضرمى فلما قرأ أبو عبيدة الكتاب فرح بسلامة المسلمين وسير الجواب وقال اذا قرأت كتابى فانزل على قيسارية وأنا فى أثر الكتاب معول على السير الى صور وعكة وطرابلس والسلام ثم سلم الكتاب الى جابر بن سعيد وأمره بالرجوع

وسبعمائة (وولى بعده اخوه السلطان صقرخان) حسين ابن السلطان حسن فاقام سنة وستة اشهر وكان عمره ست سنين وكان امره لبرقوق كاخيه ثم خلع سنة اربع وثمانين وسبعمائة وانقرضت بموته دولة الاتراك ومن الغرائب انه قد ولى من ذرية الملك

﴿ذكر فتح صور وعكة وطرابلس الشام وقيسارية﴾

قال وعول أبو عبيدة على النهوض الى الساحل فقام اليه عبد الله يوقنا وقال أيها الامير اعلم أن الله عز وجل قد أباد المشركين ورفع علم الموحدين وانى أريد أن أسير قبلك الى الساحل لعلى أفوز من القوم بعزوة فقال يا عبد الله ان أنت فعلت شيأ يقربك الى الله تجده بين يديك فافعل فوثب يوقنا قائما وأخذ أصحابه وكان قد انضاف اليه من كان يخدمه بحلب وكلهم رجعوا الى الاسلام وكانوا أربعة آلاف وفى عسكر العرب أيضا من أسلم من البطارقة ما يزيد عن ثلاثة آلاف فارس (قال الواقدى) رحمه الله تعالى ولما انهزم فلسطين الى قيسارية وتحصن بها بعث الى أهل طرابلس أن يبعثوا له نجدة فبعثوا اليه بثلاثة آلاف فارس من البطارقة المعدة وعليهم وال يقال له جرفاس قال وساروا يطلبون قيسارية فلما كانوا بالقرب منها نزلوا فى مرج ليعلقوا على خيولهم فبينما هم كذلك اذ أشرف عليهم يوقنا وأصحابه وكان قد صحبهم فلنطانوس صاحب رومية وأصحابه وكانوا معولين على زيارة بيت المقدس والمقام بها فلما أشرفوا على المرج وهم بزيهم ما غير وا منه شيأ ورآهم جرفاس ركب بنفسه يختبر حالهم فلما اقترب منهم سلم عليهم ورحب بهم وقال من أنتم قالوا نحن الذين لجأنا الى هؤلاء العرب واستكفينا شرهم وظننا أنهم على شئ

فاذا هم طغاة لا دين لهم فهربنا بديننا ونحن أصحاب حلب وقنسرين وأعزاز ودارم وانطاكية ونحن قاصدون الى الملك هرقل لنكون فى جنابه فلما سمع جرفاس من القوم ذلك فرح بهم وأنس لكلامهم وقال انزلوا عندنا كى تستريحوا ساعة من التعب فلا شك أنكم سرتم الليل والنهار وخافت أنفسكم من العرب قال يوقنا أين أنتم سائرون قال بعث الينا فلسطين لنكون فى طرابلس فقال يوقنا تيقظوا لانفسكم فان أمير العرب أبا عبيدة تركناه على نية القدوم الى الساحل فقال جرفاس وماذا ينفع حذرنا ودولتنا قد اضمحلت وأيامنا قد ولت ولسنا نرى الصليب يغنى عن أهله شيأ (قال الواقدى) فنزلوا عندهم ساعة وقدموا لهم من أزوادهم فأكلوا ثم ركبوا وهم جرفاس أن يركب لركوبهم فقال يوقنا اشتغل بأصحابك وألبسهم أفخر ثيابهم فان ذلك مما يظهر الرعب فى قلوب أعدائكم (قال الواقدى) رحمه الله حدثنى سليم بن عامر عن نوفل بن عبد الله عن جرير بن البكاء وكان أعرف الناس بفتوح الشام قال مادخل يوقنا الى ساحل البحر حتى أتقن الحيلة وذلك أنه قد نزل فيه الحرث بن سليم من بنى عمه يرعون ابلهم وكانوا فى مائتى بيت من العرب فأغار عليهم يوقنا وأخذهم وشدهم كتافا ودخل بهم الى بلاد الساحل فلما جن الليل جمعهم اليه وقال لا تظنوا أنى رجعت عن الاسلام وانما فعلت بكم هذا كى تسمع الروم بسواحلها انى غدرت بالعرب وأخذتهم قال فاطمأنت العرب الى كلامه وقالوا له ان كنت تريد اقامة دين الله فالله ينصرك وبالاعداء يظفرك قال ووكل يوقنا رجالا تسوق الاموال والجمال والانعام فلما ركب يوقنا وأصحابه ورأى جرفاس وأصحابه الى يوقنا لما رأى الاسرى من العرب والجمال والانعام فلما ركب يوقنا وأصحابه ورأى أنهم طالبون لساحل البحر انكب عن طريق طرابلس وكمن فى الليل على طريق القوم قال وان جرفاس فرق خزائنه التى كانت عنده على أصحابه وقعد حتى جن الليل وأكلت الخيل عليقها ثم ركبوا واستقاموا على الطريق فلما توسطوا أطبق عليهم يوقنا وأصحابه وداروا بهم ولم يمهلوهم بالقتال وأخذوهم أخذا بالكف وانتشرت الخيل فى تلك الارض لئلا يكون قد انفلت من الروم أحد فلما حصلوا فى قبضتهم وتحت أسرهم أرادوا أن يطلقوا الحرث بن سليم وأصحابه فقال الحرث انى ارى من الرأى أن تتركونا على حالنا فان ثواب الله قد حصل وصحبوا بنا بلاد العدو فانكم ما تشرفون على بلد من بلاد الساحل الا فتحه الله لكم قال يوقنا هذا رأى صحيح ثم أمر أصحابه أن يستوثقوا من الاسرى وكمن الفين من أصحابه وأصحاب فلنطانوس مع الاسرى وهم ثلاثة آلاف فارس وقال اذا جاءتكم رسلى فاقدموا ثم ألبس أصحابه زى الروم مثل أصحاب قيسارية الذين أخذوهم وساروا نحو طرابلس فلما خرج كل من فى البلد الى لقائهم كان كتاب فلسطين قد وصل اليهم انى قد بعثت اليكم بثلاثة آلاف فارس مع جرفاس بن صليبا ودخل يوقنا مع أصحابه حتى استقر قراره فى دار الامارة ودخل عليه شيوخ طرابلس والبطارقة وأهل الحشمة منهم فلما حصلوا عنده أمر بهم وقبض عليهم وقال يا أهل طرابلس ان الله سبحانه قد نصر الاسلام وأهله وقد كنا فى غش مظلم نسجد للصلبان ونعظم الصور والقربان ونجعل لله زوجة وولدا حتى بعث الله لنا هؤلاء العرب فهدانا بهم وألحقنا ببركة نبيهم صلى الله عليه وسلم وهو النبى المبعوث الذى ذكره الله فى التوراة وبشر به عيسى المسيح وان الاسلام حق وقوله الصدق يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وينطقون بالحق ويتبعون الصدق ويوحدون الله وينزهونه عن الصاحبة والولد ويجاهدون فى سبيله وهو الذى أمر به أنبياءه ورسله فاما أن ترجعوا الى دين الاسلام أو تؤدوا الجزية والا بعثتكم عبيدا للعرب وهذا ما عندى والسلام قال فلما سمعوا كلامه علموا ان يوقنا احتاز عليهم وأخذ أصحاب الملك فى الطريق فقالوا ايها السيد نحن نفعل ما أمرتنا به فنهم من أسلم ومنهم من رضى بالجزية وعدل يوقنا فيهم وبعث الى أصحاب الكمين فحلوا الاسرى وعرض عليهم الاسلام فابوا فأمر بحبسهم وبعث الى ابى عبيدة بالخبر وما جرى له وبعث الكتاب مع الحرث بن سليم من وادى بنى الاحمر وقال يا عبد الله كن للامير مبشرا بهذا الفتح قال سأفعل ذلك ان شاء الله تعالى وسار

الناصر اثنا عشر سلطانا ولم تبلغ مدتهم مدة الناصر فانه اقام أربعا وأربعين سنة ونصف شهر كامل ومدة هؤلاء ثلاثة وأربعون سنة ومدة ولاية الاتراك مائة سنة وثلاثون سنة وسبعة أشهر ثم جاءت دولة الجراكسة قال بعضهم ولهم سماحة وحماسة

بالكتاب حتى وصل الى ابي عبيدة وسلم عليه وناوله الكتاب فلما قرأه وعلم معناه فرح وقال للحرث بن سليم
ألم تستأذنى أن تسير انت و بنو عمك الى وادى بنى الاحمر فمن اوصلك الى طرابلس قال اوصلنى القضاء
والقدر وذلك أن يوقنا اغار علينا واخذنا اسرى وحدثه بحديثهم فعجب من ذلك أبو عبيدة وقال اللهم ثبتهم
وأيدهم بنصرك (قال حدثنى) عامر بن اوس قال اخبرنى ابن سالم قال حدثنى موسى بن مالك قال ان عمرو
ابن العاص لما ارتفع المطر رحل من الجابية ونزل على ابواب قيسارية وأما ما كان من أمر يوقنا فانه لما
ملك طرابلس واحتوى عليها واستوثق من سورها وابوابها ترك اصحابه على الابواب وقال لا تدعوا
احدا يخرج من الابواب وكان فى المرسى مراكب كثيرة فرفع آلاتها واخذها كل ذلك ولا يعلم أحد من
اهل الساحل بما صنع قال وبعد ايام جاءت مراكب كثيرة زهاء من خمسين مركبا فتركهم يوقنا حتى نزل
اكثرهم الى المدينة فامر بهم فاتوا بهم اليه فاستخبرهم عن حالهم وقال من أين جئتم قالوا جئنا من جزيرة
قبرص ومن جزيرة اقريطش وقالوا معنا العدد والسلاح مضروبة للملك فلسطين فاراهم الفرح والسرور
وسلم عليهم وقال انى اريد ان اسير معكم ثم امر بهم الى دار الضيافة وبعث الى قواد المراكب فاتى لهم وقدم
لهم السماط فلما اكلوا قال انى اريد أن أسير اليكم الزاد والعلوفة وعدة السلاح الى خدمة الملك ولكن
تقيمون عندى ثلاثة ايام فقالوا أيها البطريق انا على عجل من امرنا نخاف من لوم الملك ولسنا نقدر على
ذلك ولم يزل بهم حتى أذعنوا له فقال اريد أن تنزلوا الشراعات والمقاديف فتكونوا فى المدينة ليطمئن
قلبى بذلك ففعلوا وألصقوا المراكب بالسور ونزل كل من فى المراكب وما بقى فى المراكب الا ثلاثة رجال
فلما دبر هذا التدبير قبض على الجميع فلما كان الليل سلم طرابلس لبنى عمه وللحرث بن سليم
وفلنطانوس وعمر المراكب برجاله وهم بالصعود اليها واذا عند غروب الشمس قد أقبل خالد بن الوليد
رضى الله عنه فى ألف فارس من أصحابه فلما رآهم يوقنا سجد لله شكرا وسلم على خالد بن الوليد وسلم له
المدينة وحدثه بما جرى له وما قد عزم عليه فقال نصرك الله وأيدك ثم ان يوقنا ركب من ليلته وسار وكان على
صور دمستق جيش فلسطين وهو ارمويل بن نشطة ومعه أربعة آلاف فما أصبح يوقنا الا وهو فى مدينة
صور فأمر بالبوقات فضربت والرايات فنشرت ووقف الدمستق يختبر خبرهم فعاد صاحب البحر اليه
فقال هؤلاء أهل قبرص وجزيرة اقريطس قد أقبلوا بالعلوفات والطعام والعدد يريدون قيسارية فى
خدمة الملك ففرح أهل صور بذلك وامرهم بالنزول فنزل يوقنا وأصحابه وكان جملة من نزل معه تسعمائة
رجل وكان قد استخلصهم لنفسه فصنع لهم الدمستق طعاما ومد لهم سماطا عظيما وأحضر لقوادهم الخلع
ويوقنا ينتظر الليل حتى يثور باصحابه وكان جملة من نزل معه تسعمائة رجل كما ذكرنا وترك الباقين فى
المراكب وقال ان لم يتم لنا ما نريد ولم نظفر بهم فلا نبرحوا من مراكبهم وأنفذ الى خالد وأخبره بالقصة
(قال الواقدى) رحمه الله تعالى ما سمع بأعجب من هذه القصة ولقد حدثنى ابن مزاحم عن الارقط بن
عامر عن عمار بن ياسر الربعى قال لما حصل يوقنا والتسعمائة بمدينة صور وأكلوا سماط الملك وخلع على
كبرائهم أقبل اليهم فى السر رجل من بنى عم يوقنا ممن استحكمت الضلالة فى قلبه واحتوى الكفر على
أقانيم جسده فاقبل الى الدمستق وحدثه بأمر يوقنا وما قد عزم عليه وانه مسلم وانه يقاتلكم مع العرب وقد
فتح طرابلس وأخذ البطريق جرفاس صاحب الملك فلما سمع الدمستق ذلك لم يكذب خبرا دون أن ركب
باصحابه وقبض على يوقنا وأصحابه ووقع الصياح وكثر الضجيج وسمع بذلك أصحاب يوقنا فعلموا أن ذلك
بسبب أصحابهم وانه قبض عليهم فاغتموا لذلك غما شديدا وأخذوا على أنفسهم من عدو يقبل عليهم قال
ولما استوثق عليهم الدمستق أرمويل بن نشطة وكل بهم ألف رجل وقال سيروا بهم الى الملك يفعل فيهم
ما يريد وأقبلوا يعنفون يوقنا وأصحابه ويقولون لهم ما الذى رأيتم فى دين العرب حتى تبعتموهم وتركتم
دينكم ودين آبائكم قد طردكم المسيح عن بابه وأبعدكم عن جنابه فلما هموا أن يسيروا بهم وقع الصياح
من الابواب ونفر أهل القرى ومن كان بالقرب من صور فسألوهم عن أخبارهم فقالوا قدمت العرب

وصدقات وكانت أرزاق
مصر بأيديهم وكانت أهل
مصر تتلاعب فيها بأيديهم
من الارزاق وخدمهم تبيع
ما يتحصل من طعامهم
للناس من لحم ونفائس
وغير ذلك وكان لهم سوق
تبيع فيه خدمهم ما يفضل
من أطعمتهم التى يأخذونها
من أسمطتهم وكانوا

عليكم (قال الواقدى) رحمه الله تعالى وكان عمرو بن العاص لما نزل على قيسارية وجه يزيد بن أبى
سفيان فى ألفى فارس الى صور فلما سمع الدمستق أمر بالابواب فاغلقت وصعدت الرجالة على الاسوار
وعمروا الابراج ونصبوا المجانيق وأدخل الدمستق يوقنا الى قصر صور واستوثق منهم ائلا يثب عليه أمر
منهم وبات القوم يحرسون وأضرموا نيرانهم على الاسوار فاقبلوا يرقصون ويشربون طول ليلتهم فلما
كان الغد أشرف عليهم يزيد بن أبى سفيان فنظر اليهم الدمستق فلما رآهم قليلا استحقرهم وطمع فيهم
وقال وحق المسيح لابد لى من الخروج اليهم وهزم هذه الشرذمة اليسيرة ثم لبس الدمستق اللباس وأمرهم
بالخروج وترك على حفظ يوقنا وأصحابه ابن عمه باسيل قال وكان باسيل هذا ممن قرأ الكتب السالفة
والاخبار الماضية وكان قد رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى دير بحيرا الراهب وكان باسيل قد مضى الى
زيارة بحيرا فلما قدمت عير قريش وجمال خديجة بنت خويلد وفيها رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر بحيرا
الى القافلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى وسطها والسحابة على رأسه تظله من حر الشمس فلما تبينه
قال والله هذه صفة النبى الذى يبعث من تهامة ثم انتظروا واذا بالركب قد نزل ورسول الله صلى الله عليه
وسلم نزل وحده تحت شجرة يابسة واستلقى اليها فاورقت الشجرة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما عاين بحيرا ذلك صنع طعاما لقريش واستدعاهم فدخلوا الدير وبقى هو مع الابل ايرعاها فلما نظر
بحيرا اليهم ولم يره فى جملتهم قال يا معشر قريش هل بقى منكم أحد قالوا نعم بقى فينا من تخلف لحفظ القافلة
ورعى الابل قال ما اسم من يرعى الابل قالوا محمد بن عبد الله قال هل مات أبوه وأمه قالوا نعم قال هل كفله
جده وعمه قالوا نعم قال يا قريش هو والله سيد كم وبه يعظم فى الدنيا مجد كم قالوا من أين علمت ذلك قال لما
أشرفتم على من البرية لم يبق صخر ولا مدر الا خرله ساجدا (قال الواقدى) رحمه الله تعالى فبقى باسيل
فى حيرة من أمرهم وكتم سره وعلم أن بحيرا لا يتكلم الا بالحق فلما وقع يوقنا وأصحابه ووكله الدمستق على
حفظهم قال ان الاسلام هو الحق وقد بشر به بحيرا الراهب ولعل الله يغفر لى اذ دلت هؤلاء القوم (قال
الواقدى) من حسن تدبير الله لعباده المؤمنين انه لما خرج الدمستق الى لقاء يزيد بن أبى سفيان لم يتأخر
أحد من شباب المدينة لاصغير ولا كبير الا وخرج معه وبقيت العوام ينتظرون على الاسوار ما يكون
بينهم وبين العرب فلما نظر باسيل الى المدينة وخلوها واشتغل أهلها بالحرب أخذ رأيه على خلاص يوقنا
ومن معه فاقبل اليهم بالليل والتفت الى يوقنا وأصحابه وقال أيها البطريق كيف تركت دين آبائك
وأجدادك من قبل وعولت على دين هؤلاء العرب وما الذى رأيت من الحق حتى تبعتهم وقد كانت الروم
تتخذك عضدا لها وعونا قال له يوقنا يا باسيل ظهر لى من الحق ما ظهر لك من الحق فعرفته وقد هتف بى
هاتف يقول لى ان الذى هداك الى دينه يخلصك وبشرنى بالخلاص على يديك قال فلما سمع زاد ايقانه
وتحقق ايمانه وقال ليوقنا لقد أنطق الله لسانك بالحق وان الله تعالى كشف حجاب الغفلة عن قلبى منذ
رأيت نبى هؤلاء القوم بدير بحيرا الراهب وهو فى قافلة لاهل مكة ورأيت من دلائله انه لا يسير على الارض
الا والشجر تسير اليه والسحابة على رأسه تظلله ولقد استند الى شجرة يابسة فاورقت فى الحال وأنبانى
بحيرا الراهب انه وجد فى العلم أن جماعة من الانبياء استندوا اليها وجلسوا حولها فلم تورق فلما استند
بظهره اليها أورقت أغصانها وأينعت فعجبت من ذلك وسمعت بحيرا يقول هذا والله الذى بشر به المسيح
فطوبى لمن تبعه وآمن به وصدقه فلما عدت من زيارة بحيرا سافرت الى القسطنطينية بتجارة
وطفت فى بلاد الروم وأقمت ما شاء الله ثم عدت الى قيسارية فرأيت الروم فى هرج ومرج
فسألت عن أحوالهم فقيل لى قد ظهر نبى من الحجاز اسمه محمد بن عبد الله وقد أخرجه قومه من
مكة وقد أتى الى المدينة التى بناها تبع وقد ظهر على قومه ونصر عليهم فما زلت أسأل عن
اخباره وهى فى كل يوم تنمو وتزيد حتى مات ثم ولى صاحبه ابو بكر الصديق رضى الله عنه وأنفذ جيوشه
الى الشام فلم يلبث الا يسيرا ثم مات وولى هذا الرجل عمر بن الخطاب ففتح بلادهم وهزم جيوشنا وانا مع

يتفاخرون ببناء البيوت
الفاخرة والمدارس والجوامع
والترب وكان لهم خيرات
ومبرات ولهم بشاشة ولطف
وشجاعة الى أن فشا فيهم
الظلم والعدوان وكثرت
فيهم المصادرات وغلبت
سيآتهم على حسناتهم
ومالوا الى العوانية
والمفسدين وأخلوا بشعائر

ذلك انتظر قدومهم الى هذا الساحل حتى أتى الله بهم فقال له يوقنا وما الذى عزمت عليه قال عزمت والله
ان أفارق قومى وأتبعكم فان الحق بين ثم حل يوقنا وأصحابه وسلم اليهم العدد والسلاح وقال ليوقنا على
ان مفاتيح أبواب المدينة عندى والعسكر خارج المدينة مشتغل بقتال العرب وليس فى المدينة من يخاف
جانبه فانهض على اسم الله فقال يوقنا جزاك الله خيرا فلقد هداك الله الى دينه وسلك بك طريق النجاة
وختم لك بخير ويجب الآن علينا أن نظهر أنفسنا ونبعث لمن فى المراكب حتى ينزلوا الينا ونكون نحن
يدا واحدة فقال باسيل سأفعل ذلك ثم انه خرج فى حال الخفاء وفتح باب البحر ومعه رجل من بنى عم يوقنا
وركبا زورقا حتى وصلا الى البحر والمراكب وحدثاهم بما قد كان فاقبل كل مركب برجاله اليهما وساروا
الى أن نزل الجميع وحصلوا داخل المدينة أعنى مدينة صور وأعمى الله أبصار الكفار فلما هموا ان يثوروا
قال يوقنا ليس هذا من الرأى وانى عمن يهب نفسه لله عز وجل ويخفى أمره ويخرج من الباب ويدور الى
عسكر المسلمين ويتوصل الى أميرهم ويعلمه بما كان منا ويكون على أهبة واذا سمع بنا أحد لا يهوله
وليصدم جيش العدو فقال رجل من القوم أنا أكون ذلك الرجل ثم خرج متنكرا واغلق باسيل خلفه
ووصل الى يزيد بن ابى سفيان وحدثه بالامر على حقيقته وبما كان من أمر يوقنا فسجد لله شكرا وبعث
من ساعته الى المسلمين ليأخذوا على أنفسهم فى الكبسة على القوم ففعلوا ذلك وأما يوقنا رحمه الله فلما
علم ان الخبر وصل الى المسلمين قال لاصحابه ليصعد منكم خمسمائة رجل الى السور ويقتلوا من عليه قال
باسيل ليس هذا رأيا فان العوام لا اعتبار لهم ولعل الله أن يهديهم الى الاسلام ولكن مر أصحابك أن
يلزموا مطالع السور حتى لا ينزل أحد منهم ويزعقوا بالامان قال فاستصوب رأيه ووكل الرجال بالمطالع
ثم زعق يوقنا وأصحابه بصوت مزعج وقال لا اله الا الله محمد رسول الله فسمع كل من فى المدينة ومن على
السور ذلك فعلموا ان يوقنا وأصحابه تخلصوا من الاسر ووثبوا فى المدينة وطارت عقولهم وانزعجت
افئدتهم على أولادهم واهاليهم فبقوا فى حيرة فسمع يزيد بن أبى سفيان الضجة فعلم أن المسلمين قاموا
فى المدينة فكبر وكبرت المسلمون وهلل الموحدون فسمع الدمستق الضجة من المدينة فعلم أن يوقنا
وأصحابه تخلصوا من الاسر وهم الذين فعلوا ذلك فوقع الرعب فى قلوبهم ونظروا الى النيران قد اشتعلت
فى عسكر المسلمين وتأهبوا للحملة عليهم فلم يبق لهم صبر وقد انقطعت قلوبهم من أجل أموالهم وأولادهم
الذين فى داخل المدينة وقيسارية محاصرة وليس لهم مدد من ولد الملك فولوا الادبار واتبع المسلمون
آثارهم وملكوا خيامهم وما كان فيها فلما أصبح الصباح فتح يوقنا باب المدينة ودخل يزيد بن أبى سفيان
ومن معه من المسلمين واحتووا على أموال الروم ونادى من كان على السور الغوث الغوث فأمنهم
المسلمون ونزلوا باجمعهم فقال لهم يزيد ان الله عز وجل قد فتح لنا مدينتكم عنوة وأنتم الآن لنا عبيد فان
شئنا حكمنا فيكم ولكن نحن اذا عاهدنا وفينا واذا قلنا صدقنا وقد أعطينا لكم الامان من أنفسنا ولكن
عليكم الجزية على من لم يدخل فى ديننا ومن أسلم منكم فله ما لنا وعليه ما علينا فاجاب القوم الى ذلك وأسلم
أكثر القوم وبلغ الخبر الى فلسطين بان صور قد فتحت فعلم انه لا بقاء له فأخذ الفرصة وانهزم وأخذ خزائنه
وأمواله وذخائره وخدمه وأركبهم فى المراكب بالليل وأقلع يريد اللحوق الى قسطنطينية فلما نظر اهل
قيسارية الى ذلك خرجوا الى عمرو بن العاص وصالحوه على أن يسلموا له المدينة فصالحهم على مائة ألف
درهم وما ترك الملك من خزائنه ورجاله فاجابوه الى ذلك وكتب لهم كتاب الصلح فعندها دخل عمرو بن العاص
الى قيسارية وأخذ بقية ما ترك الملك وضرب الجزية عليهم من السنة الآتية كل رجل أربعة دنانير وبذلك
أمرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبعث عمرو جيشا الى صور مع ياسر بن عمار بن سلمة وكان شيخا
كبيرا قد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا والنضير وقتل أخوه يوم حنين قتله مالك بن عون
النضيرى فبعثه عمرو الى صور ومعه رجل من أصحابه وصالح عمرو بن العاص أهل قيسارية على مائة ألف
درهم وما خلفه فلسطين من بقية ذخائره قال ودخلها يوم الاربعاء فى العشر الاول من رجب الفرد سنة

الذين فاستجاب الله فيهم
دعاء المظلومين ومزقهم كل
ممزق ولم يزل ذلك فى مماليكهم
الى الآن وأولهم السلطان
برقوق وكان اسمه من قبل
الطنبغا فسماه استاذه
يلبغا الكبير برقوق وكان
أبوه مملوكا ولقب بالظاهر
باشارة السراج البلقينى
تولى سنة أربع وثمانين

تسع عشرة من الهجرة ووصل الخبر الى الرملة وعكا وعسقلان ونابلس وطبرية فعقدوا كلهم صلحا مع
المسلمين وكذلك أهل بيروت وجبلة واللاذقية وملك الله الشام كله للمسلمين ببركة سيد المرسلين صلى الله
عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الطاهرين

ذكر فتوح مصر

بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي (قال زياد بن عامر) قال هشام بن عبد الله العنبري حدثنا سالم
مولى عروة بن نعيم اليشكري قال لما فتح عمرو بن العاص قيسارية صلحا كان لعمر في الخلافة أربعة أعوام
وستة أشهر وبلغ الخبر الى أهل الرملة وعكا وبلقا وعسقلان وصيدا وغزة ونابلس وطبرية فأتى
كبراؤهم الى أبي عبيدة وأصلحوا أمرهم معه على مال لا يحصى وكذلك أهل بيروت وجبلة واللاذقية
وأنفذ أبو عبيدة لعمرو بن العاص أن يسير الى مصر بأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وملك المسلمون
أقاصي البلاد ببركة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعظم وكرم قال وسكنها العرب وتفرقوا في البلاد
والمدن ودانت لهم العباد وكل يوم يزدادون فلم يبق في الشام وأعمالها كزمن مراكز الروم الا أخذه
المسلمون وتوالدوا وتناسلوا وكثروا ببركة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (قال محمد بن اسحق الاموي)
رحمه الله تعالى قال حدثنا يونس بن عبد الأعلى قراءة عليه بالخضراء بمدينة عسقلان قال أخبرنا الليث
ابن سعد قال حدثنا نوفل بن عامر قال أخبرني يحيي بن ساكن المدني قراءة عليه يوم الجمعة ونحن عند منبر
يونس بن متى قال لما فتح الله ساحل الشام على المسلمين في سنة تسع عشرة من هجرة رسول الله صلى الله
عليه وسلم كتبوا بذلك الى أمير جيوش المسلمين أبي عبيدة عامر بن الجراح بسم الله الرحمن الرحيم من
من عمرو بن العاص الى أمين الامة أما بعد فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله
عليه وسلم وان الله جل وعلا قد فتح ما كان قد بقي من الساحل وأخذنا قيسارية صلحا وهرب منها فلسطين
ابن هرقل بأمواله وعياله ونحن بها ننتظر أمرك والسلام وكتب أيضا يزيد بن أبي سفيان بما تم ليوقنا
في صور وان الله قد عضد الدين ووصل الكتابان الى أبي عبيدة وقد رحل من حلب يريد طبرية فوصل اليه
الخبر وهو نازل على الزراعة فلما قرأ الكتابين تهلل وجهه فرحا وضج المسلمون بالتهليل والتكبير
وكتب من وقته وساعته الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يبشره بما فتح الله على المسلمين وبما فعله يوقنا
ووجه الكتاب مع عرفجة بن مازن فركب ناقته وسار حتى وصل المدينة قال عرفجة بن مازن وعلي من
ديباج الروم قباء فاخر وعلى رأسي مطرف خز مذهب قال فلما أتيت المدينة ودخلتها يوم الجمعة أول ليلة من
شهر رمضان قبل مغيب الشمس وعمر رضي الله عنه قد أتى يريد المسجد فلما أبركت ناقتي وعقلتها وجئته
لأسلم عليه نظر الى شزرا وقال من الرجل قلت عرفجة بن مازن فقال يا ابن مازن أما كان لك برسول الله
أسوة حسنة وان هذه ثياب الجبارين ومن جعل الله لهم الدنيا جنة وهذا الديباج حرام على الرجال منا ولا
يصلح الا للنساء وهذا الذي عليك تصدق به على فقراء المدينة أما والله لقد دخلت يوما على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمل بشريط وليس بين جلده وبين الشريط شيء وقد أثر الشريط في
نعومة جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأيت ذلك بكيت فقال لي يا عمر ما الذي أبكاك فقلت يا رسول
الله ان كسرى وقيصر يعيشان في ملك الدنيا وأنت رسول الله بهذه المثابة فقال يا عمر أما ترضى ان تكون
لهم الدنيا ولنا الآخرة قال عرفجة فسلمت اليه الكتاب فلما قرأه تهللت أسارير وجهه قال عرفجة ثم
نزلت على خالتي عفراء بنت أبي أيوب الانصاري وبت عندها ليلتي فلما أصبحت لم أقدر أن أقابل عمر
بذلك الزي فأعطيت الثوب والعمامة لخالتي فباعتهما وتصدقت بثمنهما على فقراء المدينة قال وسرت الى
عمر وعلي ثوب من كرابيس الشام كان تحت ثيابي فلما رآني تبسم في وجهي وقال يا ابن مازن ما فعلت
بديباجك قلت يا أمير المؤمنين باعتها خالتي وتصدقت بثمنها على المسلمين فقراء عمر وما تفعلوا من خير يعلمه
الله ثم انه كتب الى أبي عبيدة يقول بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة عامر

وسبعمائة فاقام ست سنين وثمانية أشهر وستة وعشرين يوما واختفى في جمادى الآخرة سنة احدى وتسعين وسبعمائة ثم ظهر بالكرك وكان قد بدأ في عمارة مدرسته التي بين القصرين ثم عاد من الكرك وأتم بناءها وهي من أحسن مدارس مصر وبنى أيضا

ابن الجراح أما بعد فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد فرحت بما
فتح الله على المسلمين وما وعدنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من كنوز قيصر وسيفتح علينا من كنوز
كسرى والحمد لله على ذلك كثيرا وقد بلغنى أن بادية الاعراب قد استلذوا الدنيا وزينتها وقد نصبت لهم
شباك محبتها وقد تمسكوا بذيل غرورها ونسوا نعيم الجنة وقصورها ورفلوا فى ثياب الديباج والخز وأكلوا
الحلواء وخبز الحنطة وألهاهم ذلك عن الآخرة وقد بلغنى يا ابن الجراح أنهم قد تهاونوا بالصلاة ونسوا
المفترضات فجرد عليهم عتاق الخيل ذوات الهمم وأغلظ عليهم ولا تمكن لهم خاملا فيطمعوا فيك ومن أخل
منهم بشئ مما فرض عليهم فاقم فيهم حدود الله واعلم بانك راع وكل راع مسؤل عن رعيته قال الله عز وجل
الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وقد قال فيك
رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو عبيدة أمين هذه الامة فاعط الامانة حقها ومن ترك صلاته فاضرب
عليها ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكانه لم يعرفنا ولم
نعرفه اشتغالا بالصلاة وبعظمة الله وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله عز وجل يقول ان بيوتى
فى الارض المساجد وان زوارى فيها عمارها بالعبادة فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فحق على المزور ان
يكرم زائره وقال صلى الله عليه وسلم جميع المفترضات افترضها الله على فى الارض الا الصلاة فان الله
افترضها على فى السماء واذا قرأت كتابى هذا فأمر عمرو بن العاص أن يتوجه الى مصر بعسكره ويقدمهم
عامر بن ربيعة العامرى ومشايخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقفى بهم عند مشورته وأنفذ
من قدرت عليه الى أرض ربيعة وديار الجد بن صالح والله أسأله أن يكون لكم عونا ومعينا والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته وسلم الكتاب الى عرفجة بن مازن وأمر له بنفقة من بيت المال قال عرفجة فاخذت
الكتاب وسرت به على طريق تيما فلقيت عند بيت لحم ركبا من أهل وادى القرى فسألتهم عن أبى عبيدة
فاخبرونى أنه على غباغب وهو طالب طبرية قال عرفجة فخرجت أطلب الغور والجولان وأقصد طبرية
قال فالتقيت بابى عبيدة على الاردن فسلمت عليه وناولته كتاب عمر رضى الله عنه فلما قرأه جمع المسلمين
وقرأه عليهم فلما فرغ قال ما من رجل ترك الصلاة أو أخل بشئ مما افترضه الله عليه الا حلدته ومن الغد
أتى خالد بن الوليد من طرابلس فقرأ عليه الكتاب وأنفذه الى عمرو بن العاص وأرسل يحثه على المسير
الى أرض مصر فلما وصل الكتاب الى عمرو أخذ على نفسه بالمسير وسار معه يزيد بن أبى سفيان وعامر بن
ربيعة العامرى وجماعة من الصحابة وسار معه يوقنا فى أربعة آلاف من أصحابه وقد وهبوا أنفسهم لله
ولرسوله فسار عمرو على البيداء من وراء العريش قال وكانت أرض مصر وريفها عامرة بالديور
والصوامع وكان دير الزجاج فى مملكة القبط وكان ملكهم يومئذ المقوقس بن راعيل وكان هذا الملك من
أهل الرأى والتدبير والفضل والحكمة وكان تلميذ الحكيم أغاشادمون وهو الذى لما غلبت الحيات
على أرض مصر وأخربتها صنع لها عجلا وكان ان حركه سمع صوته من مقدار ميل قال فتخرج الحيات من
جحرتها فمن هربت نجت ومن وقعت هلكت وكان المقوقس من اعلم أهل زمانه وكانت القبط معه فى عيشة
مرضية وكان يتوقع ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان حكيم ذلك الزمان بمصر رجلا يقال له
عطماوس وهو الذى صنع دواليب الريح ورحى الهواء وكان عمر فى الاجيال واطلع على مكنون الحكم
والاسرار وعرف عمل صنعة الاكسير وعمل الذهب والفضة والجوهر والحركات المتحركة من نفسها
بهبوب الريح وأجناس الاهوية فى أجسامها وكان يجد فى علمه ان الله يبعث نبيا من أرض تهامة ينشر
دينه وتعلو كلمته وتملك أصحابه البلاد فعمل فى أيام راعيل أبى المقوقس هيكلا عظيما على أعمدة من
نحاس بمكان يعرف بعين شمس وجعل عليه أشخاصا مجوفة وجعل وجوهها الى جهة مصر وكتب عليها
بالقبطية اذا دارت هذه الاشخاص الى جهة الحجاز فقد قرب ملك العرب قال فبينما المقوقس راكب فى
بعض الايام للصيد وقت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انتهى سيره الى عين شمس اذ هو سمع

تربته بالصحراء وهى مسكونة
مشهورة الى الآن فكانت
مدة تصرفه فى المرة الثانية
تسع سنين وثمانية اشهر
وتوفى سنة احدى وثمانمائة
ودفن بتربته المذكورة
(وولى من بعده ولده
السلطان الناصر فرج بن
برقوق) فاقام ست سنوات
واختفى (وولى بعده أخوه)

أصواتا من الاشخاص قد علت ثم انهم سار وا وجهها نحو الحجازة فأيقن بنـلاقى ملكه وزواله فعاد من ركوبه وهو قلق ودخل قصر الشمع وجلس على سريره وجمع القسوس والرهبان وكبراء القبط وقال لهم يا أهل دين النصرانيـة اعلموا ان زمانكم قد مضى وهـذا النبى المبعوث لاشك فيه وهو آخر الانبياء ولا نبى بعده وقد بعث بالرعب ولا بد لرجـل من أصحابه أن يملك ما تحت سريرى هـذا فانظروا الى ملككم وأصلحوا ذات بينكم وارفقوا برعيتكم ولا تجوروا فى حكمكم وأمنوا ضعفاءكم وايا كم واتباع الظلم فان الظلم وبيل ومرتعه وخيم وأعطوا الحق من أنفسكم ولا يستطل قويكم على ضعيفكم وما دامت الدنيا لاحـد من قبلكم حتى تدوم لكم وكما ملكتموها من كان قبلكم كذلك يأخذها منكم من كان بعدكم فاصلحوا نياتكم فيما بينكم وبين خالقكم فان فعلتم ذلك رجوت لكم النصر على أعدائكم ومن يريدكم وان اتبعتم أهواءكم تبين هلاككم (قال) حدثنا ابن اسحق رحمه الله ورضى عنه عن عبد الملك عن أبيه عن حسان بن كعب عن عبـد الواحد بن عوف عن موسى بن عمـران عن حميد الطويل عن أبى اسحق الراوى المغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما جاء النبى صـلى الله عليه وسـلم من مكة الى المدينة وبايعه الاوس والخـزرج كتب الى ملوك الارض وفى الجـملة كتابا الى المقوقس ملك مصر وكان الذى كتب الـكتاب اليه أبا بكر الصـديق رضى الله عنه ونسخة الـكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صاحب مصر أما بعد فان الله أرسلنى رسولا وأنزل على كتابا قرآنا مبينا وأمرنى بالانذار والاعذار ومقاتلة الـكفار حتى يدينوا بدينى ويدخل الناس فيه وقد دعوتك الى الاقرار بوحدانيـة الله تعالى فان أنت فعلت سعدت وان أنت أبيت شـقيت والسـلام ثم طوى الـكتاب وختمه بخاتمه قال أنس بن مالك فاستخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبعه وكان فصه عليه ثلاثة أسطر السطر الاول محمد السطر الثانى رسول السطر الثالث الله ولا نقش أحد على خاتمـه كنقشه قال سمـرة بن عوف قلت لحميـد الطويل أكان لخاتم رسول الله صـلى الله عليه وسلم فص أم لا قال لا أدرى قال وسال رجل جابر بن عبـد الله الانصارى فقال له فى أى يد كان يتختم رسول الله صلى الله عليه وسـلم فقال فى يده اليمنى ويقول اليمنى أحق بالزينـة من الشمال وفص الخاتم فى يمينـه وقال عبـد الله بن عباس رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتختم فى يمينه ثم حوله الى يساره (حدثنا) أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم فى يساره وحدثنا جعفر بن محمد عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن والحسين رضى الله عنهم جميعا يتختمون فى اليسار (قال) الراوى فلما طبع الـكتاب بخاتمه قال أيها الناس أيكم ينطلق بكتابى هذا الى صاحب مصر وأجره على الله قال فوثب اليه حاطب بن أبى بلتعة القرشى وقال أنا يا رسول الله فقال له بارك الله فيك يا حاطب قال فاخذت الـكتاب من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وودعته وأصحابه وسرت الى منزلى وشددت راحلتى وودعت أهلى واستقمت على الطريق الى نحو مصر فلما بعدت عن المدينة بثـلاثة أيام أشرفت على ماء لبنى بدر فاردت ان اورد ناقتى الماء واذا على الماء رجـلان ومعهـم ناقتان ومعهم رجـل آخر راكب على جواد أدهـم فلما رأيتهم وقفت واذا بالفارس اتى الى وقال لى من اين أقبلت وأنت تريد فقلت ياهـذا لا تسأل عما لا يعنيك فتقع فيما يحزنك ويخزيك انا رجـل عابر سبيل وسالك طـريق فقـال ما اياك اردنا ولا نحوك قصدنا نحن قوم لنا دم وثار عند محمد بن عبد الله وقد جئت أنا وهذان الرجـلان وتحالفنا على أن ندهمه على غفلة فلعلنا نجد منه غرة فنقتله قال حاطب والله لقد امكننى الله منهم فلاجعلن جهادى فيهـم ولو بالخديعة فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحرب خديعة فبينما أنا أخاطب الفارس واذا بالراكبين قد وصلا الى وقالا لى بغلظة وفظاظة ويحك لعلك من أصحاب محمـد فقلت لهما لقد كان أن يتبدل لكما الطريق عن سبيل التحقيق وانى رجـل مثلكما أطلب ما تطلبون وانا قاصـد يثرب وقد عولت عـلى صحبتـكم لا كون معكم ولـكن سمعت فى طريقى هذا ممن أثق به ان محمدا أنفذ رسولا من أصحابه الى مصر

عبد العزيز سـنة ثمان وثمانمائة وأقام عاما واحدا ثم عاد الناصر فرج ثانيا واقام الى أن قتـل وامتهن فى قتله سـنة خمس عشرة وثمانمائة وكان أفرس ملوك الترك بعد الاشرف خليل تجهز سبع مرات للخروج الى الشام وتمهيـدها وقهر متغلبيها كالمؤيد شيخ وغيره

بكتاب فلعله فى هذا الوادى فان وقعنا به قتلناه فقال صاحب الفرس أنا أسير معك ثم انه تقدم أمامى وتركنا
صاحبيه واقفين ينتظران قال حاطب فلما بعدت به عن أصحابه وغبنا عنهما قلت ما اسمك قال اسمى سلاب
ابن عاصم الهمدانى قلت يا سلاب اعلم انه لا يقدر أن يدخل على يثرب الا من له جنان وقلب وغدر ومكر
لان بها سادات الارض وأبطالها مثل عمر وعلى ولكن كيف سيفك قال سيفى ماض قلت أرنى اياه
فاستله من غمده وسلمه الى فاخذت السيف من يده وهززته وقلت سيف ماض ثم قلت شعر

سيوف حداديا لؤى بن غالب * مواض ولكن أين للسيف ضارب

فقال ما معنى هذا الكلام قلت يا ابن عاصم ان سيفك هذا من ضرب قوم عاد من ولد شداد وما ملكت
العرب سيفا مثله ولا أمضى من هذا السيف ولكن وجب على اكرامك وأريد التقرب اليك بحيلة
اعلمك اياها تقتل بها عدوك فقال بذمة العرب افعل ذلك فقال حاطب اذا كنت فى مقام حرب وقتال
وخصمك بين يديك وتريد قتله فهز هذا السيف حتى يهتز هكذا وتلتئم مضاربه واضرب عدوك بحرفه
فانه أسرع للقتل والقطع وملت بالسيف على عنقه واذا برأسه طائر عن بدنه فنزلت اليه وأمسكت الجواد
لئلا ينفلت فينذر أصحابه وتركته مربوطا الى شجرة وأسرعت الى صاحبيه واذا هما ينتظرا ننا فلما رآنى
اقبل أحدهما الى فقال ما وراءك وابن سلاب فقلت ابشر بأخذ الثار وكشف العار واعلم بأننا وجدنا
رجلين من أصحاب محمد وهما نائمان وقد وجهنى سلاب بأن يمضى معى أحدكما حتى نتمكن منهما ويقف
أحدكما ههنا فان هذا الوادى ما خلا ساعة من أصحاب محمد فقال نعم الرأى الذى قد أشرت به وسار معى
فلما غيبته عن صاحبه قلت ما اسمك قال عبد اللات قلت له كن رجلا واياك والخوف فانك اذا رأيتنا وقد
هجمنا على الرجلين فاستيقظ فقال لابد ان افعل ذلك فقلت له انى أرى غبرة ولا شك ان تحتها قوما من صبأ
الى دين محمد فجعل يتأمل كأنه الواله الحيران فعاجلته بضربة على غفلة فرميت راسه عن بدنه وعدت الى
الثالث فلما رآنى وحدى تيقن بالشر فقارعنى وقارعته وصدمنى وصدمته الا ان الله اعاننى عليه فقتلته
واخذت الراحلتين والفرس واسلابهما ووضعت الجميع عند رجل من اصحابى وكان رفيقا لى من زمن
الجاهلية وهو من عبد شمس ثم توجهت اريد مصر ولم ازل الى ان اتيتها فلما وصلت الى باب الملك قالوا من
اين جئت قلت انا رسول الى ملككم فقالوا من عند من قلت من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
سمعوا بذلك احاطوا بى واوصلونى الى قصر الشمع بعد ان استأذنوا لى واوقفونى على باب الملك فامرهم
باحضارى بين يديه فعقلت راحلتى وسرت معهم عند المقوقس واذا هو فى قبة كثيرة الجوهر فى حافتها ولمع
الياقوت من اركانها والحجاب بين يديه فأومأت بتحية الاسلام فقال حاجبه يا اخا العرب اين رسالتك قال
فاخرجت الكتاب فاخذه الملك من يدى بيده فقال فباسه ووضعه على عينيه وقال مرحبا بكتاب النبى
العربى ثم قرأه وزيره الباكلين فقال له اقراه جهرا فانه من عند رجل كريم فقرأه الوزير الى ان اتى الى
آخره فقال الملك لخادمه الكبير هات السفط الذى عندك فاتى به ففتحه واستخرج غطا ففتح ذلك الغط
واذا فيه صفة آدم وجميع الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين وفى آخره صفة محمد صلى الله عليه وسلم فقال لى
صف لى صاحبك حتى كانى اراه قال حاطب ومن يقدر ان يصف عضوا من اعضاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لابد من ذلك قال فوقفت بعد ما كنت جالسا وقلت ان صاحبى وسيم قسيم معتدل القامة
بعيد الهامة بين كتفيه شامة وله علامة كالقمر اذبرز صاحب خشوع وديانة وعفة وصيانة صادق
اللهجة واضح البهجة اشم العرنين واضح الجبين سهل الخدين رقيق الشفتين براق الثنايا
بعينيه دعج وبحاجبيه زجج وصدره يترجرج وبطنه كطى الثوب المدبج له لسان فصيح ونسب
صحيح وخلق مليح قال والملك ينظر فى الغط فلما فرغت قال صدقت يا عربى هكذا صفته فبينما هو
يخاطبنى اذ نصبت الموائد واحضروا الطعام فأمرنى أن اتقدم فامتنعت فتبسم وقال قد علمت ما أحل
لكم وحرم عليكم ولم أقدم لك الا لحم الطير فقلت انى لا آكل فى هذه الصحاف الذهب والفضة فان الله قد

وفى أيامه وصل تيمورلنك
ببلاد الشام فسفك دماء
المسلمين وسبى ذراريهم
واسر امير الشام وقتله
فخرج الناصر لقتاله
فوجده قد ترك البلاد
وتوجه للروم فرجع
الناصر الى مصر وكثرت
الفتن (وولى بعده
السلطان الملك المؤيد) أبو

وعد نابها في الجنة قال فبذلوا طعامي في صحاف فخار فأكلت فقال أي طعام احب الى صاحبك فقلت الدباء يعني القرع فاذا كان عندنا شيء منه آثرناه على غيره فقال ففي أي شيء يشرب الماء فقلت في قعب من خشب قال أيحب الهدية قلت نعم فانه قال صلى الله عليه وسلم لودعيت الى كراع لاجبت ولوأهدى الى ذراع لقبلت قال أيأكل الصدقة قلت لا بل يقبل الهدية ويأبى الصدقة وقد رأيته اذا أتى بهدية لا يأكل منها حتى يأكل صاحبها فقال الملك أيكتحل قلت نعم في عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنتين وقال من شاء اكتحل أكثر من ذلك أو أقل وكحله الاثمد وينظر في المرآة ويرجل شعره ويستاك فقال المقوقس اذا ركب ما الذي يحمل على رأسه فقلت راية سوداء ولواء أبيض وعلى اللواء مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فقال أله كرسي يجلس عليه أوقبة قلت نعم له قبة حمراء تسع نحو الاربعين قال فما الذي يحب من الخيل قلت الاشقر الارثم الأغر المحجل في الساق وقد تركت عنده فرسا يقال لها المرعد قال فلما سمع كلامي انتخب من خيله فرسا من أفخر خيول مصر الموصوفة وأمر به فاسرج والجم فاعده هدية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فرسه المأمون وأرسل معه حمارا يقال له عفير وبغلة يقال لها دلدل وجارية اسمها بريرة وكانت سوداء وجارية بيضاء من أجمل بنات القبط اسمها مارية وغلام اسمه محبوب وطيب وعود وندومسك وعمائم وقباطي وأمر وزيره أن يكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا يقول فيه باسمك اللهم من المقوقس الى محمد أما بعد فقد وصل الى كتابك وفهمته وأنت تقول ان الله أرسلك رسولا وفضلك تفضيلا وأنزل عليك قرآنا مبينا فكشفنا يا محمد خبرك فوجدناك أقرب من داع دعا الى الله وأصدق من تكلم بالصدق ولولا أنني ملكت ملكا عظيما لكنت أول من آمن بك لعلمي أنك خاتم النبيين وامام المرسلين والسلام عليك ورحمة الله وبركاته مني الى يوم الدين قال وسلم الكتاب والهدية الى وقبلني بين عيني وقال بالله عليك قبل بين عيني محمد عني هكذا ثم بعث معي من يوصلني الى بلاد العرب والى مأمني قال فوجدنا قافلة من بلاد الشام وهي تريد المدينة فصحبتها الى أن وردت المدينة فأتيت المسجد وأنخت ناقتي ودخلت وسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشأت أقول

أنعم صباحا ياوسيلة أحمد * نرجو النجاة غدا بيوم الموقف
اني مضيت الى الذي أرسلتني * أطوى المهامه كالمجد المعنف
حتى رأيت عظيم مصر صاحب ملكهم * فبدا الي بمثل قول المنصف
فقرأ كتابك حين فك ختامه * فاطل يرعد كاهتزاز المرهف
قال البطارقة الذين تجمعوا * ماذا يروعك من كتاب مشرف
قال اسكتوا يا ويلكم وتيقنوا * هذا كتاب من نبي المصحف
قالوا وهمت فقال است بواهم * اني قرأت ببيان لفظ الاحرف
وبكل سطر من كتاب محمد * خط يلوح لناظر متوقف
هذا الكتاب كتابه لك جامعا * ياخير مأمول بجبك نكتفي

(قال الراوي) ورجعنا الى الفتوح قال حدثني أحمد بن عبيد عن عبد الله بن عمر السلمي عن محمد بن عبد الله الزهري عن عبد الله بن زيد الهذلي عن أبي اسحق الاموي وهو المعتمد عليه في فتوح مصر وأرض ربيعة والفرس (حدثنا) عمر بن حفص ولم ينفرد بهذه الرواية سواه وكان أصحاب السير قد اشتغلوا بوقائع العراق وفتوحه وما تجدد من سعد بن أبي وقاص وبني كسرى أنوشروان وتركوا فتوح الشام وأرض مصر فيما بعد وكان قد ارتحل عنهم فتركوه لاجل الزيادة والنقصان فيه وانما انفرد ابن اسحق لانه انفرد عن مشايخ ثقات قد وثق بهم من آل مخزوم اجتمع بهم في الرملة بعد الفتوح أحدهم نوفل بن ساجع المخزومي وكان عمه خالد بن الوليد وكان من المعمرين شهد تبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم وشهد بعدها الحديبية وشهد يوم اليمامة ومسيلمة وكان مع عمرو بن العاص بارض مصر في جميع فتوحها

النصر شيخ المحمودي مملوك الظاهر برقوق فاقام ثمان سنين وخمسة أشهر وتوفي سنة أربع وعشرين وثمانمائة وخرج الى الشام مرتين ومهده ثم خرج الى بلاد العثماني وافتتح قلاعا كثيرة وكان شجاعا مقداما عارفا بأنواع الفروسية ومكر الحروب معظما

والثانى فهد بن عاصم بن عمرو بن سهل بن عمرو بن سهيل بن عمرو المخزومى وغيرهما من الثقات ممن شهد
فتوح ارض مصر والوقائع كلها قالوا جميعا ومنهم من قال ان عمرو بن العاص لما انفصل من ساحل الشام
وكتب الله سلامة المسلمين وسار متوجها يريد أرض مصر فلما كان بمكان يقال له رفح قال له يوقنا يا عمرو
انت تريد أن تدهم مصر على حين غفلة من أهلها وأنا معين على ذلك لان ثواب الله أجل غنيمة فان قلبى
ملوث بحب الدنيا وانى كنت ممن أشرك بالله سواه وأنا أجتهد فى الخلاص وأقاتل من كنت أنصره على
الكفر وعبادة الصلبان والسجود للصور من دون الله وقد أخذت الاسلام بنية وقبول لانه الحق
وأريد أن أتقدم الى أرض مصر فلعلى أجد لكم بالحيلة سبيلا فقال عمرو وفقك الله وأعانك وحفظك
وصانك قال فسار يوقنا السلام من رفح يطلب الفرماء ولم يقرب من العريش ولا القاربا وكلها حصون
عامرة وقد سكنها أقوام من العرب المختلطة وكانوا يؤدون المال الى الملك المقوقس بن راعيل وسنذكر
فتوحها فيما بعد ان شاء الله تعالى قال وان يوقنا أشرف على الفرماء وكان بها وال من قبل المقوقس اسمه
الزندبان والفرماء على جانب بحيرة تنيس من الشرق فرأى يوقنا خياما منصوبة وقبابا مضروبة فلما رأوا
يوقنا وقع الصائح فركب من كان هناك وكانت الاخبار ترد عليهم كل وقت بما صنع الصحابة فلما بلغهم
ان قيسارية فتحت اغتموا لذلك لانه كان فلسطين بن هرقل قد تزوج بابنة المقوقس ارمانوسة وكان قد
جهزها أبوها وأرسلها مع غلمانها وأموالها الى بلبيس ثم انها وجهت حاجبها بطلاطوس الى الفرماء فى
ألفى فارس لحفظ ذلك المكان (حدثنا) ابن اسحق رحمه الله أخبرنا موسى بن محمد بن ابراهيم بن الحرث
التيمى على اسامة بن زيد بن أسلم قال ابن اسحق حدثنى رجل من القبط رأيته وقد دخل فى دين الاسلام
فقربت اليه وسألته فاخبرنى انه من قبط مصر من جند المقوقس فقلت له كيف كان من أمركم لما سمعتم
بقدوم المسلمين من الشام وكسر جيوش هرقل قال لما بلغنا ذلك بعث المقوقس رسله الى جميع أطراف
بلاده مما يلى الشام بان لا يتركوا أحدا من الروم ولا غيرهم يدخل أرض مصر كل ذلك لئلا يحدثوا بما
صنع المسلمون بجنود هرقل فيدخل الرعب فى قلوب قومه فلاجل ذلك انه لما دخل يوقنا أرض مصر لم يعلم
به أحد فلما ركبوا الى لقائه ورأوا حشمه وعسكره وكانوا بزى الروم سألوه عن مكانه وكان قد أخبر فى
طريقه من حصن كيفا وأعلموه انه اشتغل فلسطين عن زوجته أرمانوسة وان أباها قد جهزها وهى على
مدينة بلبيس فقال يوقنا ومتى تزوجها قالوا تزوجها والمسلمون على حصن حلب فقال له انه قد ركب
فى البحر وترك قيسارية وقد أرسلنى حتى آخذها فى المراكب من دمياط قال فلما سمع الحاجب قوله قال
يا يوقنا أنا قد جئت رسولا من الملك فلسطين الى الملك المقوقس حتى يرسل معى ابنته الى زوجها فلما سمعوا
كلامه قالوا ان الملكة فى بلبيس وقد أنفذها اليه وما منعها من المسير الا خوف العرب وهروب فلسطين
من قيسارية فسار يوقنا حتى قرب من بلبيس فنزل هناك وسار حاجبها اليها وعرفها بما قاله يوقنا فقالت
على به فاتى اليه الحاجب وأمره بالمسير فركب وركب أصحابه وهم باحسن زى وأتوا الى عسكر أرمانوسة
واذا به عسكر كبيرا كثر من عشرة آلاف قال فترجل يوقنا ووجوه قومه ووقفوا على باب قصرها واستأذنوا
عليها فاذنت لهم بالدخول فلما وقفوا بين يديها خضعوا لها فامرت لهم بكراسى فوضعت لهم فامرتهم
بالجلوس فجلسوا ووقفت الحجاب والمماليك والخدم فقالت الملكة أرمانوسة له من غير ترجمان كم لكم عن
الملك فقال شهر فقالت أكان رحل فى المراكب أم قبل رحيله فقال يوقنا بل قبل رحيله وانه ركب منهزما
ولما وصلت الى غزة بلغنى انه سار وكان قد قال لى فى السر بينى وبينه لا طاقة لنا بقتال هؤلاء العرب فان
أبى هرقل ترك انطاكية وذهب وقد قاتلهم بجميع جنوده واستنصر عليهم بجميع دين النصرانية
وانفذ اليهم ماهان الارمنى الى اليرموك فى ألف ألف فهزموه وقتلوه وانى أريد أن آخذ خزائنى وأطلب
القسطنطينية ثم انه وجهنى اليك أيتها الملكة لتركبى فى المراكب اليه قال فلما سمعت ذلك أطرقت
برأسها الى الارض ثم رفعت رأسها وقالت انى لا أقدر أن أصنع شيئا الا بأمر الملك أبى وانى مرسلة اليه قال

للشريعة محبا للفقهاء
والعلماء وبنى مدرسته
المعروفة بباب زويلة بدا
فيها سنة سبع عشرة وكملت
فى سنة عشرين وثمانمائة
*(وولى بعده ولده أبو
السعادات احمد)* وعمره
دون سنتين وكان امره
مفوضا الى ططر ثم خلعه
ططر واستقل بالامر تلك

فقام يوقنا وصقع لها ودعا ثم خرج من عندها فوجد غلمانه قد ضربوا خيامه فنزل بها وأرسلت اليه العلوفة والضيافة قال ابن اسحق الاموى رضى الله عنه ولقد بلغنى أنه لما جن الليل أتت اليها الجواسيس واعلموها بفتح قيسارية ومدائن الساحل جميعها وبتوجه عمرو بن العاص الى مصر وبحديث يوقنا صاحب حلب وحذروها منه وعرفوها بجميع الاخبار مفصلة وانه هو الذى فتح طرابلس وصور وجبلة قال فلما سمعت ذلك دخل فى قلبها الرعب وعلمت انه محتال فطلبت حاجبها وقالت له مر العسكر بلبس السلاح وان يكونوا مستيقظين فقد جرى من الامر كذا وكذا ثم انها أوقفت مماليكها وغلمانها وقالت لهم اذا دخل هذا الرجل وخواصه فاقبضوا عليهم فاذا نحن ملكناهم انخذل عسكر المسلمين فلما رتبت هذا أرسلت تطلب يوقنا فذهب حاجبها اليه وقال له أيها البطريق الكبير ان الملكة تطلبك لتوصيك بما تقوله لابيها فقال له السمع والطاعة ها أنا راكب وأصحابى فذهب القاصد فقال يوقنا لاصحابه اعلموا أن الملكة شعرت بنا وان القوم قد عولوا على قتلنا فان حصلنا فى أيديهم قتلونا لا محالة وتضرب بنا الامثال لمن يأتى بعدنا فموتوا كراما ولا تلقوا بأيديكم الى القتل بايدى الكفار وكونوا نصرة لدين الاسلام وما عسى نرجو من هذه الدنيا الغدارة التى ما صفت لأحد الا وغيرته بالكدر فاعمروا دار البقاء وجاهدوا فى سبيل الله حق جهاده فلعلكم ترضونه بذلك قال فاخذ القوم على أنفسهم واشتدوا وركبوا وتوكلوا على الله فى جميع أمورهم (حدثنا) ابن اسحق قال رحمه الله لقد بلغنى ان الملكة أقامت تنتظر قدومهم لتقبض عليهم فاستبطأتهم فبعثت رسولا ثانيا تستحثهم فقال له يوقنا ارجع الى صاحبتك وقل لها ما جرت بذلك عادة الملوك يبعثون يطلبون الرسل الا لامر يحدث وقد كنت عندها فما الذى تريده نصف الليل منى فعاد الرسول وأخبرها بما قاله فركبت من وقتها وتقدمها حاجبها وأمرت الجيش كله أن يركب ودارت بيوقنا وأصحابه ولم تحدث بشىء الى الصباح فاقبل صاحب الملكة اليهم وقال ما حملكم أن تركتم دين آبائكم وهجرتم دين المسيح وأمه وقد جئتم تحتالون علينا ألا وان المسيح قد غضب عليكم فقال يوقنا ان المسيح عبد من عبيد الله لا يقدر على شىء لانه مأمور مكلف وقد أنطقه الله بذلك وهو فى المهد فقال انى عبد الله وقال وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ومن يؤمر بالصلاة والزكاة ويموت فليس باله انما هو عبد الله مكلف بالعبادة مثل واحد منا وان الله لا يتشبه باحد منا وان الله لا يشبهه شىء ولا يشتبه باحد ولقد أضلكم من صدكم عن ذلك وزاغ بكم عن طريق الحق بقوله على الله والمسيح ولقد كنا مثلكم نسجد للصلبان ونعظم القربان ونسجد للصور ونجعل مع الله الها آخر الى أن تبين لنا دين محمد صلى الله عليه وسلم فشفانا بعد العمى وشرح صدورنا للهدى ودين الاسلام هو الدين الواضح وكنا نقول مثل قولكم ان المسيح ابن الله وان ابراهيم واسحق كانا نصرانيين فكذبنا الله بقوله فى كتابه ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وقال سبحانه ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين وها نحن قد جئنا كم لنجاهدكم اما أن تقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله واما الجزية واما القتال قال فلما سمع الحاجب كلامه قال لقومه دونكم وهؤلاء فقد جاؤا يريدون قتلكم وأخذ أموالكم وأولادكم وبلادكم وحريمكم قال فحملوا على يوقنا وأصحابه وعمل السيف بينهم بقية يومهم فلما كان من الغد ركبوا وداروا بهم وتصايحت عليهم القبط ودارت بهم الخيل والرجال فبلى يوقنا ومن معه بما لا طاقة لهم به وقتل منهم جماعة وقتلوا هم من القبط خلقا كثيرا ولكنهم صبروا والامر لله وقالوا والله لا نسلم أنفسنا أو نموت كلنا فقد حصل لنا ما كنا نطلب من رضا ربنا * قال ابن اسحق رحمه الله الله ورضى عنه حدثنا سيف بن شريح عن يونس بن زيد عن عبد الله بن عمر بن حفص عن عبد الله بن الحرث قال لما أخبرت الجواسيس أرمانوسة بقصة يوقنا انفذت كتابا الى أبيها المقوقس تعلمه بذلك وانها مغلوبة معهم وان العرب متوجهون مع رجل يقال له عمرو بن العاص وأنا منتظرة جوابك قال فلما وصل

السنة وأقام ثلاثة أشهر وتوفى ودفن بجوار الليث بن سعد فى القرافة (وولى بعده ولده محمد) وعمره نحو عشر سنين فأقام نحو اربعة اشهر وخلع سنة خمس وعشرين وثمانمائة (وولى بعده الملك الاشرف) ابو النصر برسباى الدقاق وهو ثامن ملوك الجراكسة فأقام

الكتاب اليه دعا أرباب دولته وقال لهم قد تم من الامر على كذا وكذا فما تشيرون به على قالوا أيها الملك
نرى لك من الامر ان تنفذ جيشا الى المملكة ينصرها على عدوها وتنفذ الى حاجب ملك البرية تستنصر به
على هؤلاء العرب وتنفذ الى مازع بن قيس ملك البجاوة ينفذ لك جيشا وتنفذ الى من بالاسكندرية يأتون
والى من بالصعيد يأتون فاذا اجتمعت اليك هذه الامم فالق بهم العرب ولا تأمن لهم فيطمعوا فيك فقال
يا أهل دين النصرانية اعلموا ان الملك محتاج الى سياسة ومن ملك عقله ملك رأيه ومن ملك رأيه أمن
من حوادث دهره وليست الغلبة بالكثرة وانما هى بحسن التدبير والله لقد كان قيصر اكثر منى جندا
وأوسع بلادا وأعظم عدة وقد جمع من بلاد الروم الى اليونانية ومن أقاليمه ومن القسطنطينية ومن سائر
البلاد ومن بلاد الاندلس واستنصر بنا وبغيرنا فما أغنى عنه جمعه شيأ ولا قدر أن يرد القضاء والقدر عنه
واعلموا ان العقل اساس الآدمى المخاطب المكلف المفضل به على سائر ما خلق على الارض فمن ملك عقله
ملك أمره ومن لم يجد منه حظا كان بجهله أرضيا ولن تنال الحكمة الا بالعقل قال الحكيم ماسوسى ان
الحكمة مرقى جليل وطالبها نبيل وتاركها ذليل لانها غذاء الارواح وقوت القلوب واعلموا انى لست
اتكلم الا بالصدق وانتم تعلمون أن محمدا فى أيامه بعث الينا يدعونا الى دينه فاستدللت على صدق قوله
بكتابه وما ظهر من معجزاته وقد سمعتم أنه لما بعث ما سمع احد بذكره الا وخاف منه وقد سمعتم أن القمر
انشق له والذراع المسموم كلمه وقال يارسول الله انى مسموم فلا تأكلنى وقد كلمه الضب والحجر والشجر والمدر
وعرج به الى السماء وركب أوج الماء وأول من تغلب عليه قومه وحاربه عشيرته حين انكروا قوله وفعله
فنصر عليهم وقهرهم وقد تبين لهم الحق فاتبعوه ونصروه وهم هؤلاء الذين فتحوا الشام وما انكرت من
أمرهم شيأ فانهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون حدود الله التى امر بها وما فى كتابهم شئ
الا وفى الانجيل مثله وقد أضلكم بولص وأغواكم حين غير بكم وبدل شرعكم وسماكم باسم لا يليق بكم
وكيف وقد عاد بكم من الطريق الواضح وأحل لكم جميع ما حرم عليكم من قبل وهذا هو عين المحال وداعية
العمى ان تتعدوا ما قال نبيكم وكيف ينبغى لروح الله عيسى بن مريم ان يكلمكم عالم يرسله الله اليكم ثم ان
بولص قال لكم انه احل لكم الخنزير وشرب الخمر وارتكاب المعاصى ما ظهر منها وما بطن فأطعتم أمره
وصدقتم قوله وحاشا المسيح ان يفعل ذلك وما كان احد من الانبياء الا على ما جاء به محمد وهؤلاء الحكماء
الاولون ما منهم الا من يتكلم بوحدانية الله تعالى وهذا الحكيم دمونا الذى صنع فى برارى اخميم أرصادا
وجعلها مثلا للامم الآتية وذكر فيها من يأتى من الامم والاجيال الى آخر الزمان وصور الحكماء منفردة به
والنسر بمقدار رأس الحمل والنسر يقيم فى كل برج ثلاثة آلاف سنة كما قدر بالمقدار الحكيمى وكان قد
صور صورة وكتب على رأسها بقلم اليونانية أربعة أسطر الاول من خاف الوعيد سلم مما يريد الثانى من
خاف ما بين يديه صان دموعه مما فى يديه الثالث ان كنت تريد الجزيل فلا تنم ولا تقيل الرابع بادر قبل
نزول ما تحاذر فمن كان هذا كلامهم فكيف صنع سواهم وهذه فريضة هؤلاء القوم المحمديين قال فاطرقوا
برؤسهم الى الارض غيظا على الملك قال وما تكلم المقوقس بهذا الكلام حتى أوقف عنده من مماليكه
الف غلام فوق رأسه بالسيوف لانه كان قد سمع ما جرى لقيصر وهرقل مع بطارقته لما جمعهم ونصحهم
فوثبوا عليه وأرادوا قتله واما المقوقس فانه استوثق بمماليكه حتى لا يطمع فيه قال فلما اتكلم بذلك قال له
وزيره أيها الملك رأيك راجح وانا أول من يؤمن بما تقول فقال للوزير اكتب الى ابنتى كتابا تأمرها فيه
ان تتلطف بالقوم وتعطيهم الامان وتنفذهم الينا حتى نخلع عليهم ونطيب قلوبهم ويكونوا معنا يقاتلون
من يريد قتالنا وما اراد بذلك الا ان يسلم مثل يوقنا واصحابه اذ هم على الحق قال فكتب الوزير الى الملكة
كتابا بما قاله أبوها فلما وصل الكتاب اليها وقرئ عليها امرت اصحابها ان يرجعوا عن قتال يوقنا
ومن معه فرجعوا وأرسلت الى يوقنا تعلمه بكتاب أبيها وأرسلت اليه الكتاب فلما قرأه قال لرسولها امض
اليها حتى استخير الله تعالى فى ذلك فقال يوقنا لاصحابه ان الله قد كشف حجاب الغفلة عن قلب هذا الملك

ست عشرة سنة وثمانية
أشهر وخمسة ايام وتوفى سنة
احدى وأربعين وثمانمائة
وفى ايامه بنى المدرسة
الاشرفية التى بالعنبرانيين
بالقاهرة والشركسية
خارج باب النصر والمدرسة
بالخانقاه السرياقوسية
وارسل الى قبرس وفتحها
واحضر ملكها أسيرا ومن

وقد ظهر له ما ظهر لنا من الحق فما الذى ترون من الرأى قالوا نحن نسمع من رأيك فقال دعونى هذه الليلة
قال فلما جن عليه الليل قام يصلى وأمر أصحابه أن لا ينزلوا عن خيولهم مخافة من غدر القوم فبينما هو
يصلى واذا بشخص قد دخل عليه فارتاع منه ثم تأمله فاذا هو عمرو بن أمية الضمرى ساعى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلما رآه يوقنا فرح وكان قد رآه مرارا فقال له مرحبا يا عمرو من أين فقال ان أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب بعثنى الى عمرو بن العاص لأحثه على المسير الى مصر فوجدته قد وصل وها هو منك قريب
وقد أرسلنى اليك لأعرفه خبرك فأخبره بما وقع له وقال له امض يا عمرو وادعه يعجل بالمجئ ويعيننا على
هؤلاء القوم وحدثه بجميع ما جرى علينا قال فرجع عمرو مسرعا مثل الريح الهبوب الى عمرو بن العاص
وأعلمه بقصة يوقنا قال فترك عمرو بن العاص الاثقال ومعها من يحفظها وركب وسار يجر اذيال الخيل وترك
مع الاثقال عامر بن ربيعة العامرى فما كان قبل طلوع الفجر الا وهو عند يوقنا فدار بالقوم فلما أحس
بهم يوقنا كبر هو ومن معه ورفع الجميع أصواتهم بالتهليل والتكبير ووضعوا السيف فى القبط فما طلعت
الشمس الا وقد قتل من القبط أكثر من ألف وأسر منهم خلق كثير وولى الباقى منهزمين وأخذت
أرمانوسة ابنة الملك وجميع ما معها من الاموال والرجال والجوارى والغلمان فقال عمرو بن العاص
لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل يزيد بن أبى سفيان وهاشم بن سعيد الطائى والقعقاع بن عمرو
التميمى وخالد بن سعيد وعبد الله بن جعفر الطيار وصفوان وأمثالهم ان الله سبحانه وتعالى قد قال هل
جزاء الاحسان الا الاحسان وهذا الملك قد علمتم انه كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث له هدية
ونحن احق بمن كافأ عن نبيه صلى الله عليه وسلم هديته وكان يقبل الهدية ويشكر عليها وقد رأيت
أن ننفذ الى المقوقس ابنته وما أخذنا معها ونحن نتبع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سمعته
يقول ارحموا عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر فاستصوبوا رأيه فبعث بها مكرمة مع جميع ما معها مع قيس بن
سعد رضى الله عنه

ذكر فتح مدينة مصر

قال ابن اسحق الاموى رحمه الله تعالى ورضى عنه لما ورد المنهزمون على الملك وأخبروه بما تم عليهم وعلى
ابنته ضاق صدره وبقى متفكرا فيما يصنع وليس له نية فى القتال مع الصحابة فبينما هو متفكر اذ جاءه
البشير بقدوم ابنته وما معها فخف عنه بعض ما كان يجده فلما دخل عليه قيس رفع مجلسه فوق الملوك
والحجاب وأرباب دولته وكانوا قد اجتمعوا بمؤنه بابنته فلما حضر قيس بن سعد سأله الملك عن اشياء لعل
أصحابه ان تلين قلوبهم الى الاسلام فقال يا أخا العرب أخبرنى عن صاحبكم ما الذى كان يركب من الخيل
قال الاشقر الارثم المحجل فى الساق وكان اسمه المترجل فقال لقد بلغنا أنه كان لا يركب الا الجمال فقال
قيس ان الله أكرم الابل وشرفها قال لها كونى فكانت وأخرج ناقة من الصخر وخص بها العرب من
دون غيرهم من بنى آدم وكان يركبها لكونه قد جعلها الله مباركة تقنع بما تجد وتصبر على الحمل الثقيل
والسير الشديد وتصبر عن الماء أياما وقد ذكرها ربنا فى قوله فى كتابه العزيز فقال وعلى كل ضامر
يأتين من كل فج عميق وقال والبدن جعلناها لكم من شعائر الله ولما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم
من غزاوته غزوة بدر كان معه مائة ناضح من الابل وكان معه فرسان يركب أحدهما المقداد بن الاسود
الكندى ويركب الآخر مصعب بن عمير وانا القيناقر يشانى عددها وعديدها فهو يوابر كه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان أصحابه يتعقبون فى الطريق وكان عليه الصلاة والسلام وعلى بن أبى طالب ومرثد
ابن أبى مرثد حليف حمزة بن عبد المطلب وغيرهم يتعقبون شاسخا وكان أيها الملك يركب الحمار الذى
أهديته اليه ويردف وراءه معاذ بن جبل وعلى الحمار ركاب من ليف وخطامه ليف واعلم يا ملك القبط
انه كان يخصف نعله ويرقع ثوبه ويقول من رغب عن سنتى فليس منى وكان قميصه من القطن قصير
الطول والكمين ليس له أزرار ولقد أهدى اليه ذو يزن حلة اشتراها له قومه بثلاثة وثلاثين بعيرا

عليه وأعاده الى بلده بمن
شاء من جماعته وصار يرسل
الجزية فى كل سنة (ثم تولى
من بعده ولده عبد العزيز
أبو المحاسن يوسف) فاقام
ثلاثة اشهر وستة ايام وخلع
سنة اثنتين وأربعين
وثمانمائة وأقام ايام ما جهز
الى الاسكندرية ومات فى
ايام خشقدم (ثم تولى بعده

فلبسها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة واحدة وأهدى له جبة من الشام فلبسها حتى تخرقت وخفان
فلبسهما حتى تخرقا وكان له رداء طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعان ونصف وكان له ثوب خز يلبسه للوفد
اذا قدموا عليه وكان أفصح الناس اذا تكلم بكلمة يرددها ثلاثا وكلما رأى قوما سلم عليهم ورأيته كلما
تحدث تبسم فى حديثه وكان اذا اجتمع اليه أصحابه وأراد أن ينهض قال سبحانك اللهم وبحمدك أشهد
أن لا اله الا أنت استغفرك وأتوب اليك قلنا يارسول الله ان هذه الكلمات اتخذتهن عادة قال أمرنى
بهن جبريل وأخرجت لنا زوجته لما قبض كساء وازارا غليظين وقالت قبض رسول الله صلى الله عليه
وسلم فوق هذين فقال المقوقس هذه والله أخلاق الانبياء فطوبى لمن اتبعه فان أمته هى الأمة الموصوفة
فى الانجيل فقال بعض من حضر أيها الملك ما تكون أمة عند الله أفضل من هذه الامة وهم نحن فغضب
الملك من قوله وقال وباى شئ أنتم أفضل عند الله أبأكلكم الحرام وارتكابكم الآثام وصنعكم المنكرات
وتجنبكم الحسنات وظلمكم فى الرعية وميلكم الى الدنيا أين أنتم من قوم عبر عليهم الاسكندر فرآهم
ليس بينهم قاض ولا حاكم ولا أمير قائم عليهم ولا فيهم من يختص بالغنى دون أخيه بل هم سواء فى كل
ماهم فيه أكلهم وشربهم واحد غير متناف ولا متضاد وملبسهم غير متناف ولا متباعد فتعجب
الاسكندر منهم وسأل الاكابر منهم عما رآه من أحوالهم فقالوا أيها الملك انا وجدنا جمجمة وعليها مكتوب
يا ابن آدم ما خلقت الا من التراب وقد خلوت بما قدمت اما صالحا فيسرك واما طالحا فيضرك فتندم
حيث لا ينفعك الندم ولم يكن لك الى الدنيا من رجوع فطوبى للكيس العاقل الذى ليس ببليد ولا غافل
يتزود الى ما اليه يصير ولا يلقى الاتكال على التقصير فبادر الى الخير قبل الموت واغتنم حياتك قبل
الفوت وكأنك بالحى وقد هلك وترك كل ما ملك فلما قرأنا هذا اعتبرنا أيها الملك بهذه الموعظة البالغة
ولبسنا أثوابها السابغة فقال ما بال مساجدكم شاسعة نائية وقبوركم دانية فقالوا اما مساجدنا فبعيدة
ليكثر الأجر بكثرة الخطا وقبورنا قريبة لنذكر الموت فننتهى عن الخطا فقال مالى أرى أبوابكم بغير
غلاق قالوا لانه ما فينا خائن ولا سراق فقال مالى لا أرى فيكم أميرا ولا حاكما فقالوا لانه ما فينا متعد
ولا ظالم فقال مالى لا ارى فيكم معسرا ولا فقير قالوا لان رزق الله فينا الكبير والصغير ثم انهم اخرجوا له
جمجمتين عظيمتين فقالوا أيها الملك هذه جمجمة رجل عادل سالم وهذه جمجمة رجل ظالم وكلاهما صار
الى هذا المصير ولم يغن عنهما الجمع والتدبير أما العادل ففى سرور وريان وأما الظالم فنادم حيران
فاز المتقى وخسر الشقى فاختر ما تراه قبل الحين أيها الملك لانك قد ملكت النواصى ونفذ أمرك فى الدانى
والقاصى واستخلفك الله فى الارض وأمرك بالقيام بالنفل والفرض فتذكر مرجعك ورمسك
واعمل لنفسك واعلم أنه لا ينفعك جدك اذا قبضت روحك واشتمل عليك لحدك فاترك أوامر الشيطان
ودواعيه وخذ باوامر الرحمن ونواهيه ولا يغرنك النعيم فتبوء بالاثم العظيم اذكر أيها الملك ما فعل
الشيطان بابيك حين نصب له مكيدته وأدار عليه حيلته فنصب له فخ العداوة وغره فيه بحبة البر فقال
قيس أيها الملك أتدرى من أولئك قال لا قال هم قوم مؤمنون قال الله عنهم فى كتابه ومن خلقنا أمة يهدون
بالحق وبه يعدلون وقد رآهم نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة عرج به فلما عاد أخبر أصحابه بهم قالوا يارسول
الله أهم قوم مؤمنون بما أنزل عليك فاراد أن يعلمهم أن أمة محمد أفضل منهم فانزل الله ومن خلقنا أمة
يهدون بالحق وبه يعدلون فقال المقوقس لقيس بن سعد يا أخا العرب ارجع الى أصحابك وأخبرهم بما
سمعت وبما رأيت وانظر فيما يستقر عندكم وبينكم فقال قيس أيها الملك لا بد لنا منكم ولا ينجيكم منا
الا الاسلام او اداء الجزية أو القتال فقال المقوقس أنا اعرض ذلك عليهم واعلم انهم لا يجيبون لان
قلوبهم قاسية من اكل الحرام (حدثنا) ابن اسحق رضى الله عنه حدثنا عبد الله بن سهل عن عدى بن
حاطب عن سليمان بن يحيى قال ان الملك المقوقس كان من عادته انه فى شهر رمضان لا يخرج الى رعيته
ولا يظهر لأحد من أرباب دولته ولا أحد منهم يعلم ما كان يصنع وكانت مخاطبته لقيس بن سعد فى أواخر

الملك الظاهر ابو سعيد
جقمق العلائى فاقام اربع
عشرة سنة وتوفى سنة سبع
وخمسين وثمانمائة وعمر فى
ايامه عمارات كثيرة من
مساجد وقناطر وجسور
وغير ذلك وكان مولعا بحب
الفقراء والايتام والاحسان
اليهم (ثم تولى بعده ولده
عثمان) فاقام أربعين يوما

شعبان سنة عشرين من الهجرة فخرج قيس من عنده ومضى الى عمرو بن العاص وحدثه بما كان منه
قال ابن اسحق رحمه الله وكان ولى عهد الملك ولده أرسطوليس وكان جبارا عنيدا وانه لما سمع ما تحدث به
أبوه ورأى ميله الى الاسلام وعلم انه لا يقاتلهم وربما أسلم وسلم اليهم ملكه صبر الى أن دخل أبوه الى
خلوته التى اعتاد أن يدخلها ويختلى فيها كل سنة فجمع أرباب الدولة فى الخفية لئلا يدرى به أحد فيعلم
أباه وقال لهم اعلموا انكم قد ملكتم هذا الملك وان أبي يريد أن يسلمه الى العرب لانى فهمت من كلامه
ذلك فقالوا أيها الملك أنت تعلم ان هذا الامر مرجعه اليك وأنت ولى عهده فاعمل أمرا يكون صلاحه
عليك وعلينا قال فطلب صاحب شراب أبيه وأعطاه ألف دينار ووعده بكل جميل وأعطاه سما وقال له
ضعه فى شرابه قال ففعل الساقى ما أمره به وسقى الملك فمات فأتى الساقى الى ارسطوليس واعلمه ان اباه
قد مات فذهب اليه ودفنه فى الخفية وقتل الساقى وجلس على سرير الملك كأنه نائب عن أبيه اذا غاب
كعادته فى كل عام ولم يعلم احد بموته هذا ما كان منه وأما عمرو بن العاص فانه ارتحل من بلبيس ونزل
على قليوب وبعث الى اهل البلاد والقرى وطيب خواطرهم وقال لهم لا يرحل احد من بلده ونحن نقنع بما
توصلونه الينا من الطعام والعلوفة فأجابوا الى ذلك وارتحل من قليوب ونزل على بحر الحصى فارتجت
بنزولهم البلد ووقع التشويش فيهم وعلا الضجيج واغلقوا الدروب والدكاكين ووقف اهل كل درب
على دربهم بالسلاح ليحموا حريمهم قال واما عمرو بن العاص فانه امر اهل اليمن ومن معه من العربان ان
يحدقوا بالبلد وان اهل البلاد اقبلت اليهم بالعلوفة والطعام والخيرات وهم يردون عليهم من كل فج ثم ان
عمرا اراد ان يرسل الى صاحب مصر رسولا وكان عنده غلام له من اهل الرملة وكان اسمه وردان وكان
يعرف سائر الالسن فقال له عمرو يا وردان انى اريد أن أرسلك الى هؤلاء القبط فانك تعرف بلسانهم ولا
تظهر لهم انك تعرفه فقال سمعا وطاعة فقال أريد أن أكتب معك كتابا وهم أن يكتب واذا برسول
ارسطوليس قد أقبل وقال يا معاشر العرب ان ولى عهد الملك يريد منكم ان تبعثوا اليه رجلا منكم
ليخاطبه بما فى نفسه فلعل الله أن يصلح ذات بينكم فقال عمرو ليزيد بن أبي سفيان ولهاشم الطائى ولعبد
الله بن جعفر الطيار وللنعمان بن المنذر ولسعيد بن وائل اعلموا أنى قد ضربت على ملوك الروم ولست أرى
من بينكم مثلى وما يسير الى هؤلاء الا أنا فانى أريد أن أرود القوم وأنظر حالهم وما هم فيه من القوة وأن
لا يخفى على شئ من أمرهم فقالوا يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قوى الله عزمك وما عندنا الا
النصيحة للدين والنظر فى مصالح المسلمين فافعل ما أردت تعالى فقال لشرحبيل قد قلدتك امور المسلمين
فكن مكانى حتى أمضى الى القوم وآتيكم بما هم فيه فقال له شرحبيل الله يوفقك ويسددك قال فلبس
عمرو ثيابا من كرابيس الشام وتحته جبة صوف وتقلد بسيفه وركب جواده وسار ومعه غلامه وردان وسار
الثلاثة الى قصر الشمع واذا هم بالمواكب مصطفة والعساكر واقفة وهم بالدروع والجواشن والعدد وقد
اظهروا ما أمكنهم من القوة فلما وصلوا الى قصر الملك أخبر ارسطوليس ان رسولك أتى بواحد من العرب
فأمرهم باحضاره فدخل عمرو راكبا وهو متقلد بسيفه فأراد الحجاب أن ينزلوه عن جواده فأبى وان
يأخذوا سيفه فأبى وقال ما كنت بالذى أنزل عن حصانى ولا أسلم سيفى فان أذن صاحبكم ان أدخل على
حالتى والا رجعت من حيث أتيت فاننا قوم قد أعزنا الله بالايمان ونصرنا بالاسلام فلا يمكننا أن ننزل لاهل
الشرك والطغيان وأنتم طلبتمونا ونحن لم نطلبكم فاعلموا الملك بما قاله فقال ارسطوليس دعوه يدخل
كيف شاء فخرجوا اليه وقالوا له ادخل كيف أردت فدخل عمرو وهو راكب حتى وصل الى قبة الملك
ورأى السريرية والحجاب وقوفا والبطارقة وهم فى زينة عظيمة فلما رأى عمرو ذلك تبسم وقرأ فما أوتيتم
من شئ فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون قال وكان قصر الملك قد
بناه الريان بن الوليد بن أرسلاوس وهو الذى استخلف يوسف على مصر بعد العزيز ثم خرب وأقام خرابا
خمسمائة سنة وما بقى الا اثره فلما بعث عيسى وانتشرت دعوته ورفعه الله اليه وافترقت امته فرقا وادعوا

وخلع وجهز الى الاسكندرية (وولى بعده الملك الاشرف أبو النصر اينال العلائى) فأقام ثمان سنين وشهرين وستة ايام وتوفى سنة خمس وستين وثمانمائة ودفن بتربته التى أنشأها فى الصحراء ❁وولى بعده ولده أبو الفتح أحمد❁ فأقام خمسة أشهر

فيه ما ادعوا من الالهية وتقول الكذب وولى مصر رجاليس بن مقراطيس فبنى ذلك القصر الخرب وهو في وسط قصر الشمع وانما سمى قصر الشمع لانه لا يخلو من شمع الملوك فلما بناه أحضر الحكماء الذين كانوا قد بنوا في برية اخميم وكان المقدم عليهم قربانس فقال لهم انى قد قرأت كثيرا من الكتب التى قد أنزلت على الانبياء من الله وقرأت صحف موسى ورأيت أن الله يبعث نبيا قوله حق ودينه صدق أخلاقه طاهرة وشريعته ظاهرة وقد بشر به المسيح فما تقولون فيه فقال قربانس الحكيم ان الذى قرأته هو الصحيح فنهم من يخالف ذلك قالوا نعم قال الحكيم أريد أن أصنع تمثالا من الحكمة ونجعل له بيتا للعبادة ونجعل على هيكلها تماثيل يكون وجوهها الى التمثال بأعلى قصرك فاذا جاء وقت مبعث هذا النبى يحول كل تمثال وجهه عن صاحبه وأما الذى يجعل على الكنيسة فانه عند مبعث النبى العربى يقع على وجهه ويكون موضع عبادة القوم واقامة شرعهم قال فاخذوا في عمل الحكمة وأقاموا التماثيل على ما ذكرنا فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم حول كل شخص وجهه عن صاحبه وسقط الذى كان على سطح الكنيسة وهو الجامع اليوم وأما التمثال العال فبقى على حاله بأعلى القصر فلما دخل عمرو بجواده سمعوا من التمثال صوتا عظيما ثم انه سقط على وجهه فارتاع له الملك وارباب دولته وصكوا وجوههم ودخل الرعب في قلوبهم وقالوا بلسانهم ما وقع هذا التمثال الا عند دخول هذا العربى وما جرى هذا الا لأمر عظيم ولا شك انه هو الذى يقلع دولتنا ويأخذ مملكتنا فامر وا عمرا أن ينزل عن جواده فنزل وترجل وجلس حيث انتهى به المجلس وأمسك عنان جواده بيده ويده اليسرى على مقبض سيفه ونظر الى زينتهم وزخرفة قصرهم فقرأ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ثم قال اعلموا أن الدنيا دار زوال وفناء والآخرة هى دار البقاء اما سمعتم ما كان من نبيكم عيسى وزهده وورعه كان لباسه الشعر ووساده الحجر وسراجه القمر وقد قال نبينا صلوات الله عليه ان الله أوحى الى عيسى أن نح على نفسك في الفلوات وعانها في الخلوات وسارع الى الصلوات واستعمل الحسنات وتجنب السيآت وابك على نفسك بكاء من ودع الاهل والاولاد وأصبح وحيدا في البلاد وكن يقظان اذا نامت العيون خوفا من أمر لابد أن يكون فاذا كان روح الله وكلمته خوف بهذا التخويف فكيف يكون المكلف الضعيف وأول من تكلم في المهد قال انى عبد الله فاذا كان أقر لله بالعبودية فلم تنسبون اليه الربوبية تعالى الله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ولا اشرك في حكمه احدا جل عن الصاحبة والاولاد والشركاء والاضداد لا صاحبة له ولا ولد ولا شريك له ولا وزير ليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته انتهاء ولا يحويه مكان ليس بجسم فيمس ولا بجوهر فيحس لا يوصف بالسكون والحركات ولا بالحلول والكيفيات ولا تحتوى عليه الكميات ولا المنافع ولا المضرات ثم انه قرأ ان كل من في السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا فقال له الوزير أصح عندكم معاشر العرب ان المسيح تكلم في المهد قال نعم قالوا له فهذه فضيلة قد انفرد بها من جميع الانبياء فقال عمرو وقد تكلم في المهد أطفال منهم صاحب يوسف وصاحب جريج وصاحب الاخدود وغيرهم فقالوا يا عربى أتكلم نبيكم بغير العربية قال لا قال الله في كتابه وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء قالوا أبعث الله منكم أنبياء غير نبيكم قال نعم قالوا من قال صالح وشعيب ولوط وهود قال فلما سمعوا كلام عمرو وفصاحته وجوابه الحاضر قالوا بالقبطية للملك ان هذا العربى فصيح اللسان جرىء الجنان ولا شك أنه المقدم على قومه وصاحب الجيش فلو قبضت عليه لانهزم أصحابه عنا قال وغلام عمرو وردان يسمع ذلك فقال الملك انه لا يجوز لنا أن نغدر برسول لا سيما ونحن استدعيناه الينا فقال وردان بلسان آخر ما قالوه ففهم عمرو كلامه ثم ان الملك قال يا أخا العرب ما الذى تريدون منا وما قصدنا أحد الا ورجع بالخيبة وانا قد

وأربعة أيام وخلع ظلما مع كثرة محاسنه ﴿ وولى بعده الملك الظاهر خشقدم الناصرى ﴾ فأقام ست سنين وخمسة أشهر واثنين وعشرين يوما وتوفى سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة وكان له شح وطمع ودفن بتربته التى أنشأها بالصحراء ﴿ وولى بعده الملك الظاهر

كاتبنا النوبة والبجاوة وكانكم بهم قد وصلوا الينا فقال عمرو اننا لا نخاف من كثرة الجيوش والامم وان الله
قد وعدنا النصر وان يورثنا الارض ونحن ندعوكم الى خصلة من ثلاث اما الاسلام واما الجزية واما
القتال فقالوا انا لا نبرم أمرا الا بمشورة الملك المقوقس وقد دخل خلوته ولكن يا أخا العرب ما نظن أن فى
أصحابك من هو أقوى منك جنانا ولا أفصح منك لسانا فقال عمرو أنا ألكن لسانا ممن فى أصحابى ومنهم من
لو تكلم لعلمت أنى لا أقاس به فقال الملك هذا من المحال أن يكون فيهم مثلك فقال ان أحب الملك أن آتيه
بعشرة منهم يسمع خطابهم فقال الملك أرسل فاطلبهم فقال عمرو لا يأتون برسالة وانما ان اراد الملك
مضيت وأتيت بهم فقال الملك لوزرائه اذا احضر واقبضنا عليهم والاحد عشر أحسن من الواحد ووردان
يفهم ذلك ثم ان الملك قال لعمرو امض ولا تبطئ على فوثب عمرو قائما وركب جواده فقال الملك بالقبطية
لاقتلنهم أجمعين فلما خرج من مصر قال له وردان ما قاله الملك فلما وصل الى الجيش أقبلت الصحابة وسلموا
عليه وهم يقولون والله يا عمرو لقد ساءت بك الظنون فاقبل يحدثهم بما وقع له معهم وبما قالوه وبما قاله
وردان فحمدوا الله على سلامته وكان أقبل الليل فلما أصبح صلى عمرو بالناس صلاة الفجر وأمرهم
بالتأهب للقتال واذا برسول الملك قد أقبل وقال له ان الملك ينتظرك أنت والعشرة فقال عمرو ان الغدر
يهلك أصحابه وأهله وان على الباغى تدور الدوائر ياويلكم ينفذ صاحبكم يطلب منا رسولا فلما أتيته أراد
ان يقبض على وقال كذا وكذا فانت يا ويلك ما الذى يمنعنى عنك اذا اردت قتلك ولسنا نحن ممن يخون
ويغدر ارجع اليه وقل له انى فهمت ما قاله وما بقى بيننا وبينه الا الحرب قال ابن اسحق رحمه الله ورضى
عنه هكذا وقع له مع القبط وكان عمرو اذا ذكر ذلك يقول لا والذى نجانى من القبط قال وعاد الرسول واخبر
الملك بما قاله عمرو فعند ذلك قال أريد ان أدبر حيلة أدهمهم بها فقال الوزير اعلم أيها الملك ان القوم
متيقظون لانفسهم لا يكاد أحد أن يصل اليهم بحيلة ولكن بلغنى أن القوم لهم يوم فى الجمعة يعظمونه
كتعظيمنا يوم الاحد وهو عندهم يوم عظيم وأرى لهم من الرأى أن تكمن لهم كمينا مما يلى الجبل المقطم
فاذا دخلوا فى صلاتهم يأتى اليهم الكمين ويضع فيهم السيف قال فأجابه الملك الى ذلك وأقاموا ينتظرون
ليلة الجمعة قال وأما عمرو فانه أرسل يوقنا الى القرى التى صالحوها ليأتيه منها بما يأكلونه ويعلفون به
خيلهم قال فركب يوقنا الى القرى التى صالحوها وسار فى عسكره وبنى عمه الى ما يأتى به ومضى نحو الجرف
وكان معهم جواسيس الملك فى عسكرهم فأتوا الى الملك وأخبروه بما جرى من المسلمين فعندها دعا بابن عمه
ماسيوس وهو المقدم على جيوش مصر وقال له اختر من جيوشنا أربعة آلاف وامض بهم واكمن وراء عسكر
المسلمين من جهة الجبل واياك أن يظهر عليكم أحد وليكن لكم ديدبان فاذا دخل القوم فى صلاتهم فاحملوا
عليهم وضعوا فيهم السيف قال ففعل ماسيوس ما أمره به الملك ومضى فى الليل من نحو مغارة السودان
ولم يعلم بهم أحد فلما كان وقت صلاة الجمعة أتاهم الديدبان وأعلمهم أنهم دخلوا فى الصلاة وكانوا قد أخذوا
بغالا ودواب وحملوها ابرا وشعيرا وكان قد قال لهم اذا أردتم أن تحملوا عليهم فقدموا الحمول أمامكم فانهم
يأمنون ويحسبون أنها هى التى مضى صاحبهم يأتى بها قال ففعلوا ذلك (حدثنا) ابن اسحق رحمه الله
حدثنا عمارة بن وهب عن سعيد بن عامر عن سليمان بن ناقد عن عروة عن جابر عن محمد بن اسحق قال
هكذا دبر عليهم القبط وكان بين القوم وبينهم نصف ميل وليس عند المسلمين خبر بما صنع المشركون
وكان سعيد بن نوفل العدوى يقول لعمرو أيها الامير ما الذى عسكنا عن قتال هؤلاء القبط فيقول والله
ما تأخرى جزع وانما قد علمتم قصة هذا الملك المقوقس وما هو عليه من الدين والعقل وهو مقر بنبوة نبينا
وقد دخل الى خلوته التى أنسها النفسه فى هذا الشهر المعظم وقد بقى منه خمسة أيام ويظهر ونبعث اليه
رسولا ونرى ما يكون جوابه فاما الصلح واما القتال قال فبينماهم يتحادثون فى ذلك اذ أتاهم رسول من
عند أرسطوليس بن المقوقس وقال لهم معاشر العرب ان ولى عهد الملك يسلم عليكم ويقول لكم انى لا اقدر
أن احدث امرا حتى يخرج الملك من خلوته وقد بقى له خمسة أيام وهو يدبر فى رعيته بما يشاء فقال له عمرو وقد

أبو سعيد بلباى العلائى ۞ فأقام سبعة وخمسين يوما وخلع وجهز للاسكندرية فأقام بها الى أن مات ۞ وولى بعده الملك الظاهر تمربغا الظاهرى ۞ فأقام ثمانية وخمسين يوما وخلع وذهب الى دمياط ثم أعيد الى الاسكندرية ومات بها ۞ وولى بعده الملك الاشرف

علمنا ذلك ولولا الملك ومانعه لم منعه انه يحب نبينا وانه مؤمن به ما أمهلنا كطرفة عين فقضى الرسول قال
ابن اسحاق رحمه الله ومابعث هذا اللعين هذا الرسول الا ليطمئن المسلمون وليقضى الله أمرا كان
مفعولا واذا جاء القدر لا ينفع الحذر واذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه (قال الراوى) فكان المسلمون
قد اطمأنت قلوبهم بذلك الخبر وقربت الصلاة فقام عمرو وخطبهم خطبة بليغة حذر فيها وأنذر فلما فرغ
أقيمت الصلاة وأقاموا امواليهم يرقبون مخافة العدو أن يكبسهم فى صلاتهم قال جابر بن قيس ونحن لانرى
احدا من أهل مصر لا فارسا ولا راجلا قال فاصطففنا خلف عمرو للصلاة وليس بيننا عدو نخافه
فلما أحرمنا وقرأ عمرو وركعنا وأومأنا للسجود اذ أشرفت الدواب والبغال وعلى ظهورها الاحمال
والعسكر من ورائها وهم أهل الكمين الذى أكمنه أعداء الله وهم على عدد أصحابنا الذين مع يوقنا فلما
رآهم موالينا ظنوا أنهم أصحابنا وقد أقبلوا بالعلوفة فرفعوا أصواتهم بالفرح وقالوا جاء يوقنا وأصحابه
ولم يكلمهم العدو حتى أتونا ونحن فى الصلاة ووضعوا السيف فينا ونحن ساجدون السجدة الاخيرة
ونحن بين يدى الله تعالى قال واذا بالسيوف تقرقع فى لحومهم وما أحد منهم قام من سجوده وكان القتل
فى آخر صف من المصلين والصف الذى يليه وهم من اليمن ومن بجيلة ومن وادى القرى ومن الطائف
ومن وادى نخلة ثم قال ابن عتبة وكنت قد شهدت وقائع الشام وحضرموت واليرموك فوالله ما قتل منا
فى وقعة من الوقائع مثل ما قتل منا يوم بحر الحصى فى أرض مصر بالحيلة التى دبرها عدو الله علينا وقال
والله ما منا من انحرف عن صلاته ولا حول وجهه عن ربه وقد أيقنا بالهلاك عن آخرنا حتى أشرف علينا
يوقنا بأصحابه فلما نظروا ما حل بالمسلمين صاحوا ورموا ما على رؤسهم من العمائم وقال يوقنا لبنى عمه
والله من قصر منكم عن عدوه فالله يطالبه به يوم القيامة وما أرى الا أن الاعداء قد غدروا وكبسوا
المسلمين فدوروا من حولهم وضعوا السيف فيهم واحذروا ان ينفلت منهم أحد فحملوا وأطبقوا على
القبط فدفعوهم عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل القتال بينهم حتى فرغ عمرو من الصلاة
هو ومن معه وثاروا وثار الاسود وركب عمرو ومعاذ وسعيد بن زيد وجميع الصحابة وحملوا فى العدو
وطحنوهم طحنا قال جابر بن أوس وحلنا بينهم وبين الوصول الى مصر فوالله ما نجا منهم أحد وبقوا كأنهم
طيور وقعت عليهم شبكة صياد فلما وضعت الحرب أوزارها هنأ المسلمون بعضهم بعضا بالسلامة
وشكروا الله على ما أولاهم من نصره وأثنوا على يوقنا خيرا وافتقدوا قتلاهم فكانوا اربعمائة وستة
وثلاثين قد ختم الله لهم بالشهادة قال واتصل الخبر الى ارسطوليس بقتل ابن عمه ومن معه وانهم لم ينج
منهم احد فصعب عليه ذلك وأيقن بالهلاك فدعا ببطارقته وارباب دولته وشاورهم فى أمره فقالوا أيها
الملك انت تعلم ان الدنيا ما دامت لأحد ممن كان قبلك حتى تدوم لك وما زالت الملوك تنكسر وتعود وما
أنت بأكثر ممن انهزم من ملوك الارض وقد سمعنا ان داونوس بن أردين بن هرمز بن كنعان بن يزحوز
الطارمى هزمه الاسكندر الرومى سبعين مرة فاخرج الى لقاء القوم واضرب معهم مصاف ولا تيأس
وهؤلاء القسوس والرهبان والشمامسة والرهبان والمطران والبترك يدعون لك بالنصر قال فعول على
لقاء المسلمين وفتح خزائن أبيه وأنفق على الجند وأعطاهم السلاح وطلب شباب مصر وأمرهم بالخروج
وبعث يستنجد بملك النوبة وملك البجاوة واقام مدة ينتظر قدومهم (قال حدثنا) محمد بن اسحق
القرشى عن عقبة بن صفوان عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه قال لما كان من أمر المسلمين ما ذكرناه مما
قدره الله عليهم من كبسة عدوهم كتب بذلك عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بسم الله
الرحمن الرحيم من عمرو بن العاص الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب سلام عليك وانى أحمد الله اليك
وأصلى على نبيه أما بعد فقد وصلت الى مصر سالما وجرى لنا على بلدة بلبيس مع ابنة المقوقس كذا
وكذا ونصرنا الله عليهم ورحلنا الى بحر الحصى وقد كان صالحنا قوما من أهل قرى بلاد مصر ببلاد يقال لها
الجرف حتى يعينونا بالعلوفة والميرة ويجلبوا الينا الطعام وانى ارسلت عبد الله يوقنا ليشترى لنا منهم

أبو النصر قايتباى الظاهرى المحمودى نسبته للخواجا محمود وللظاهر جقمق معتقه وهو السادس عشر من الملوك الجراكسة والحادى والاربعون من ملوك الترك بويع يوم خلع الظاهر تمربغا سادس رجب عام اثنين وسبعين

طعاما ومضى فى خيله وسرت بنفسى رسولا الى مخاطبة القوم فهموا بالقبض على ونجانى الله منهم وانهم
أكمنوا النا كمينا من الليل واشغلونا برسول والكمين كان من الليل فلما استوت صفوفنا للصلاة كبسوا
علينا ونحن فى الصلاة فلم نشعر حتى بذلوا فينا السيوف وقتلوا منا أربعمائة وستة وثلاثين رجلا والاعيان
منهم ستون ختم الله لهم بالشهادة ونحن الآن فى بحر متلاطم أمواجه من كثرة القوم والعساكر فأنجدنا
يا أمير المؤمنين وأدركنا بعسكر ليعيننا على عدونا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وختم الكتاب
وأعطاه عبد الله بن قرط فسار من ساعته وجد فى السير الى أن وصل المدينة فقدمها فى العشر الاوسط من
شوال سنة اثنتين وعشرين من الهجرة فأناخ مطيته بباب المسجد ودخل فرأى عمر بن الخطاب عند قبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن قرط فدفعت الكتاب اليه فنظر الى وقال عبد الله قلت نعم قال من
أين أتيت قلت من مصر من عند عمرو بن العاص قال مرحبا بك يا ابن قرط ثم فك الكتاب وقرأه وقال
لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قال من ترك الحزم وراء ظهره تباعدت عنه فسحات الخطا والله
ما علمت عمرا الا حازم الرأى مليح التدبير ضابط الامر حسن السياسة ولكن اذا نزل القضاء عمى البصر ثم
انه كتب كتابا الى أبى عبيدة وذكر له ما جرى لعمرو بن العاص بمصر وأمره أن ينفذ اليه جيشا عرمرما
وأنفذ الكتاب مع سالم مولى أبى عبيدة قال عبد الله بن قرط فأقمت فى المدينة يومين واستأذنته فى المسير
فزودنى من بيت المال وكتب الى عمرو يقول بسم الله الرحمن الرحيم من عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص
أما بعد فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد بلغنى ما جرى لكم
بمصر من غدر عدوكم كما سبق فى ام الكتاب وكان يجب عليك يا ابن العاص أن لا تطمئن الى عدوك ولا
تسمع منه حيلة وما كنت أعرفك الا حسن الرأى والتدبير ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا فاستعمل
النشاط فى أمرك ولا تأمن لعدوك واستعمل الحذر فان الامام ما يكون الا على حذر والله يعيننا واياك
على طاعته وقد أنفذت الى أبى عبيدة أن يرسل اليكم جيشا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وختمه وسلمه
لعبد الله بن قرط قال فأخذته وسرت وأنا أجد السير حتى أتيت مصر ودفعت الكتاب لعمرو بن العاص
فقرأه على المسلمين ففرحوا بذلك وأقاموا ينتظرون اخوانهم (حدثنى) ابن اسحق حدثنى سهل بن عبد
ربه عن موسى بن عبد الرزاق قال لما كبس ابن المقوقس جيش المسلمين ورجعت دائرة السوء عليه
وقتلوا عن آخرهم وبلغه الخبر بكى على ابن عمه وحلف بما يعتقده من دينه أنه لا بد له أن يأخذ بثارهم
ثم انه أمر أرباب دولته أن يجتمعوا بالكنيسة المعلقة فى داخل قصر الشمع فاجتمعوا وجلس على سرير عند
المذبح وقام فيهم خطيبا فقال يا أهل دين النصرانية وبنى ماء المعمودية اعلموا ان ملككم عظيم وبلدكم
عظيم وهذه بلاد الفراعنة ممن كان قبلكم وقد ملكها عدة ملوك ممن احتوى على الاقاليم وملكها مثل
الملك المعظم من آل حمير ومثل مستفان والبستق والمحان وهو بانى هذه الاهرام وغرود بن كنعان
ولقمان بن عاد وذى القرنين الملك العظيم وانقضى ملكهم منها ورجع الى سبأ وأرضها وحضرموت وقصر
عمان ثم تولى هذه الارض القبط من آبائكم وأجدادكم اطسليس وبلينوس والريان بن الوليد وهو الذى
استخلص يوسف لنفسه والوليد وهو المكنى بفرعون وبعدهم طيلهاوس ثم جدى راعيل ثم ابى المقوقس
وجميع ملوك الارض تحسدنا على ملك مصر وهؤلاء العرب الطماعة وليس فى العرب أطمع منهم فانى
أراكم قد كسلتم وفشلتم عن لقائهم فطمعوا فيكم وفى ملككم كما طمعوا فى ملك الشام وانتزعوه من ايدى
القياصرة فقاتلوا عن أموالكم وحريمكم وأولادكم وأما انا فواحد منكم واعلموا ان الملك المقوقس قد أمرنى
بلقاء هؤلاء العرب وقال انه لا يظهر اليهم حتى أرى ما يظهر من قومى وارباب دولتى فما تقولون وما الذى
اجتمع عليه رأيكم فقالوا أيها الملك انما نحن عبيد هذه الدولة وغلمانها فانها قد استعبدت رقابنا بنعمتها
واحسانها ونحن نقاتل لمحبتها فاما ان نرزق النصر من المسيح واما ان نموت فنستريح قال فشكر قولهم وخلع
على أكابرهم وقال لهم اخرجوا واضربوا خيامكم ظاهر البلد مع القوم وطاولوهم بالمبادرة الى أن يأتى الينا

وثمانمائة فاقام تسعا
وعشرين سنة وأربعة
أشهر وعشرين يوما وتوفى
سنة احدى وتسعمائة
ودفن بقبته بالصحراء وقبره
ظاهر يزار وكان ملكا
حليما له اليد الطولى فى
الخيرات وكانت أيامه
كالطراز الذهب وهو واسطة
عقد ملوك الجراكسة

نجدة من ملك النوبة والبجاوة فاجابوا الى ذلك وأمروا غلمانهم بان يضربوا الخيام خارج البلد فضربوها
عما يلى النور والرصد قال ابن اسحق وفى ليلتهم تلك جاءتهم الاخبار بانه وقع بين ملك النوبة وملك البجاوة
حرب وانه ما يجيبكم منهم أحد واخرجوا للملك ارسطوليس سرادقا معظما وسط جيش القبط قال وأخذ
المسلمون على أنفسهم وأقبلوا يحرضون بعضهم ويحرسون قومهم بالنوبة فكان عمرو فى أول الليل
يطوف حول العسكر ومعاذ اذا انتصف الليل ويزيد بن أبى سفيان فى آخر الليل والنور على عسكرهم
والاعيان لائح عليهم واصواتهم مرتفعة بالقرآن وبذكر الله وبالصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم قال ابن
اسحق فلما وصل كتاب عمر بن الخطاب الى أبى عبيدة وقرأه على المسلمين قال لخالد بن الوليد ياباسليمان
ماترى من الرأى فقال اذا كان امير المؤمنين امرك أن تنجد عمرو بن العاص فانجده فقال أبو عبيدة ان
الطريق الى مصر بعيد وان انا ارسلت جيشا كبيرا خفت عليه من بعد الطريق ومن المشقة فقال خالد كم
جهدك أن ترسل قال أربعة آلاف فارس فقال خالد ان الله كفاك ذلك قال وكيف ذلك ياباسليمان
قال ان عزمت على ماذكرت فابعث أربعة من المسلمين فهم مقام اربعة آلاف فارس فقال أبو عبيدة
من الاربعة قال خالد انا احد الاربعة والمقداد بن الاسود وعمار بن ياسر ومالك بن الحرث فلما سمع أبو
عبيدة ذلك تهلل وجهه وقال ياأباسليمان افعل ماتراه فدعاهم خالد واعلمهم بما عزم عليه فقالوا سمعا
وطاعة فقال خذوا على أنفسكم فنحن نسير هذه الليلة قال فلما صلى أبو عبيدة بالناس صلاة المغرب قدم
الثلاثة الى قبة خالد فركبوا وودعوا اباعبيدة والمسلمين وأخذوا معهم دليلا يدلهم على الطريق الى
وادى موسى والشوبك واخذوا معهم مايحتاجون اليه وساروا يريدون مصر فما زالوا يجدون الى ان قربوا
من عقبة ايلة واذاهم بخيل ومطايا تزيد على ألف فارس فاسرعوا اليهم فاذاهم من ثقيف وطى ومرداس
قد وجههم عمر بن الخطاب الى مصر مع رفاعة بن قيس وبشار بن عون قال فلما رأوهم سلموا عليهم ورحبوا
بهم واستبشروا بالنصر لما رأوا خالدا وعمارا والمقداد ومالكا وارتفعت اصواتهم بالتهليل والتكبير
وساروا بأجمعهم (قال) حدثنا يوسف بن يحيى عن دارم عن منصور بن ثابت قال كنت فى جملة الوفد الذى
وجهه عمر رضى الله عنه مع رفاعة وبشار والتقينا بخالد بن الوليد وأصحابه عند عقبة أيلة وسرنا معهم
حتى وصلنا أرض مصر وقربنا وبقى بيننا وبينها يومان فبينما نحن نسير فى بعض الليالى وكانت ليلة مظلمة
لايكاد الرجل أن يرى من شدة الظلام اذ سمعنا احسابا لبعد منا فوقفنا فقال خالد ايكم يأتينا يافتيان
العرب بخبر هؤلاء الذين فى هذا الجيش قال نصر بن ثابت وكنت راكبا فقفزت من ظهر الراحلة وسعيت
على قدمى واخفيت حسى الى ان تبين لى جيش كثير فتحققت أمرهم فاذاهم جيش من العرب المتنصرة
وهم يزيدون على ثلاثة آلاف وهم ركبان المطايا والخيل فقلت والله لاعدت الى اصحابى الا بالخبر اليقين
قال فاتبعت أثرهم لاسمع مايقولون ومايتحدثون فمشيت معهم قليلا فاسمعهم يقولون اذل الصليب
أعداءنا فانا قد أصابنا التعب ولحقنا الجهد ومن وقت خروجنا من مدين لم نجد احدا ومصر قد قربنا منها
فانزلوا لنأخذ راحة ونريح مطايانا ونعلق على خيلنا واذا بمقدامهم يقول وحق المسيح مابغيتنا الا فى الحلع
والاموال من ملك مصر ولكن اذ عولتم على الراحة فانزلوا قال فنزل القوم على ماء يعرف بالغدير واقبلوا
يجمعون الشيح ويدفعون لهم الزاد وعلقوا على خيولهم وتركوا ابلهم ترعى قال نصر بن ثابت فعلمت أن
لحالدا الذى نرى فقال أرى أن تركبوا خيلكم الآن وتستعدوا للحرب ونسير اليهم ونكبسهم فانهم قد
أتوا لنصرة صاحب مصر وما أتوه الا بكتابة لهم يستنجدهم على أصحابنا قال فلبسوا سلاحهم وركبوا
الخيل وتركوا اموالهم مع المطايا والرحال وساروا خيلا ورجالا الى ان قربوا من نيران القوم فصبروا حتى
خمدت وناموا فتسللوا عليهم كتسلل القطاة فقال دوروا بالقوم ولا تدعوا أحدا منهم ينفلت من أيديكم
فيشير عليكم عدوكم قال فداروا بهم كدوران البياض بسواد الحدق وأعلنوا بالتهليل والتكبير

وسار فى المملكة بشهامة ماسارها أحد قبله من عهد الناصر محمد بن قلاوون وله العمارات الكثيرة من مساجد ومدارس وربـاطات وغيرها وهى باقية الى الآن ۞ ثم تولى بعده ولده محمد أبو السعادات ۞ وهو فى سن البلوغ سنة احدى

ووضعوا فيهم السيف فما استيقظ أعداء الله الا والسيف يعمل فيهم ووقعت الدهشة فى القوم وهم فى أثر النوم فقتل بعضهم بعضا ووقف ابن قيس ومعه جماعة على البعد منهم وبشار ورفقته وكل من انهزم أخذوه فلما أصبحنا رأينا القتلى منهم ألفا وأسرنا منهم ألفا فعرضوهم على خالد فقال حدثونى من أين جئتم والى أين مقصدكم فقالوا انا قوم من متنصرة العرب وكلنا كنا أصحاب الشام فلما هزمتم الملك هرقل رحلنا من أرض الشام ونزلنا ارض مدين ونحن على خوف منكم وكاتبنا صاحب مصر وهو المقوقس لعله ان يأذن لنا ان نكون من أصحابه ونكون له عونا عليكم فما أجابنا الى ذلك فبعثنا الخيل العربية الى ولى عهده وصاحب الامر من بعده فلما كان فى هذه الايام جاءتنا خلعة ورسالة بالدخول الى مصر فرحلنا اليهم فوقعتم بنا فلما سمع خالد منهم ذلك قال من حفر لمسلم قليبا أوقعه الله فيه قريبا ثم عرض عليهم الاسلام فابوا فامر بقتلهم فقتلناهم عن آخرهم وقسمنا رحالهم وما كان معهم ووجدنا معهم الخلع التى وجهها اليهم ابن المقوقس ففرقها خالد على المسلمين وفيها خلعة سنية وكانت لمقدم القوم فاعطاها رفاعة وسار واحتى قربوا من الجبل المقطم فرأوا جيش المسلمين فارسل خالد رجلا من قبله وهو نصر بن ثابت وقال له امض الى هذا الملك وقل له ان العرب اصحاب مدين قد اتوا النصرتك قال فمضى الرجل الى ان وصل الى عسكر القبط فاخذه الحرس وقالوا له من انت قال انا مبشر الملك بقدوم العرب المتنصرة الى نصرته قال ابن اسحق فاخذوا نصر بن ثابت واتوا به الى سرادق الملك قال فلما وقفت بين يديه نادانى الحجاب ان اسجد للملك ففعلت وانا اسجد لله تعالى حتى لا ينكروا على وكان قد صح عندهم انه من امتنع من السجود فهو مسلم قال فلما رفعت رأسى قال لى الوزير يا أخا العرب او صل اصحابك الى نصرة الملك فقلت نعم وها هم فى دير الجبل المقطم قال فلما سمع الملك ذلك أمر من حجابه اناسا ان يمضوا الى لقائهم وسرت فى جملتهم واخذوا معهم الجنائب واظهروا زى الفراعنة وخلع على نصر بن ثابت عوض بشارته وسار والى لقاء المتنصرة قال حدثنا عسكر بن حسان عن رفاعة بن اوس عن موسى بن عون عن جده نعيم بن مرة قال كنت فيمن وجه عمر بن الخطاب من اهل نخلة وكان خالد يحبنى ويقربنى لان أبى كان يسافر له ببضاعة الى سوق بصرى قال فلما رأى خالد اصحاب الملك قد أتوا قال لى خالد يا ابن مرة أريد أن اوصيك فقلت بماذا قال اعلم ان العدو قد أرسل يلاقينا وهو يظن اننا من متنصرة العرب ولا شك ان عمرو بن العاص ومن معه تجفل قلوبهم منا واريد ان تنزل عن فرسك وتكمن خلف هذه الحجارة فاذا خلا لك الطريق فانسل نحو عسكر المسلمين وحدثهم بامرنا وما قد عزمنا عليه من غدر القوم فان عمرا لا يطمئن لغيرك وأقرئه سلامى وقل له يكن على اهبة فاذا سمع تكبيرنا يأمر اصحابه ان يرفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير فان ذلك مما يزيد فى رعب اعدائنا فقال نعم قال وفعلت كما أمرنى خالد ونزلت عن فرسى واسلمته الغلامى دارم ومضيت نحو الجبل وكمنت بين الاحجار (قال الراوى) وان خالدا أمر أصحابه بلبس الخلع التى أرسلها لهم ابن المقوقس فلبسوها فوق دروعهم ولبس رفاعة بن قيس وبشار بن عون أحسنها وغير خالد زيه والمقداد وعمار ومالك الاشتر قال فلما وصل مقدم جيش القبط قال خالد لرفاعة وبشار ترجلوا له واصقعوا بين يديه وصلبوا على وجوهكم فليس عليكم فى ذلك حرج واحلفوا بالمسيح والسيدة مريم واياكم والغلط بان تذكروا محمدا صلى الله عليه وسلم فيفطن القوم بنا واجعلوا الجهاد نصب أعينكم وتوكلوا على الله فى جميع أموركم قال ففعلوا ما قال لهم خالد وترجلوا عند رسول القبط وصقعوا قال حدثنا نصر بن عبد الله عن عامر بن هبار قال ياعم اعلم أن الله اذا أراد امرا هيأ اسبابه وذلك اننا لما أشرفنا على أول ديار مصر نزلنا على دير يقال له دير مرقص وكان ديرا عامرا بالرهبان فلما نزلنا عليه اشرف علينا اهله وقالوا من أنتم قلنا نحن من أصحاب الملك هرقل ملك الشام وقد جئنا النصرة صاحبكم فانه قد أرسل الينا يستنفرنا لاجل هؤلاء العرب قال ففرحوا بنا ودعوا لنا وكان كبيرهم والمقدم عليهم فى دينهم شيخا كبيرا وكان من قسوس الشام وكان من أعلم القوم بدينهم واعرف الناس بآل غسان وكانت الضيعا اقطعها هرقل للملك

وتسعمائة فأقام ستة أشهر ويومين ثم خلع فى ثامن عشرى جمادى الاولى بعد ثبوت عجزه عن السلطنة بحضرة القضاة والخليفة المتوكل على الله (وولوا بدله الملك الاشرف قانصوه مملوك والده قايتباى) فاقام احد عشر يوما ثم وقعت فتنة وهرب ولم يعلم حاله

جبلة بن الايهم وكان قد جعل على حجابتها ولده هذا القس وكان اسمه نونلس وان المسلمين لما فتحوا بعلبك وحمص هرب هذا القس باموا له واولاده الى طرابلس وركب البحر فى مركب وتوصل الى مصر وبلغ خبره المقوقس فاحضره وسأله عن حاله فخبره بامره فخلع عليه وجعله قيما فى الكنيسة المعلقة التى فى قصر الشمع وصار من أصحاب الملك واقربهم اليه وكان البترك غالب سكناه فى دير مرقص ولا يدخل مصر الا فى أمر مهم فلما نزل عمرو ومن معه عليهم وقتل ابن المقوقس اباه احتاج الى رأى البترك فارسل اليه وانزله فى الكنيسة وولى البترك مكان هذا القس نونلس بن لوقا فكان فى الدير فلما نزل خالد بن الوليد ومن معه على الدير قال عامر بن المبارك الثعلبى فأشرف علينا وتأملنا وكان اعرف الناس بخالد بن الوليد لانه رآه فى مواطن كثيرة من الشام وكان صاحب حمص قد أرسله رسولا الى أبى عبيدة ليصالحوهم قال فجعل يتفقدهم وينظر فى وجوههم ثم قال وحق المسيح ما أنتم من آل غسان وما أنتم الا من عرب الحجاز وقد جئتم لتحتالوا علينا فانى رأيت امامكم الذى فتح الشام وقتل ملوكها وسوف اكاتب الملك بقصتكم ليقبض عليكم فقالوا اما عندنا خبر من الذى تقوله وقد خيل لك ذلك أما علمت ان المسلمين ما خلوا لنا حالا وقد نهبونا واصبحنا بالذل بعد العز والفقر بعد الغنى وقد كتب الينا ملك مصر بان نجىء اليه فأرسل الينا بالخلع وطيب قلوبنا قال عامر فضحك اللعين من قولى وقال لى ان آل غسان أكثرهم يعرف بكلام الروم وحق دينى ما انتم منهم وقد صح قولى انكم مسلمون فقلنا له يا ويلك لو كنا من الذين تقول عنهم ما كنا أتيكم بالنهار وكنا نكمن ونسير فى الليل حتى نصل الى أصحابنا وانك استحقرت المسيح اذ جعلتنا من اصحاب محمد فقد وقعت فى ذنب عظيم ثم اننا نزلنا بالقرب منهم فقال أصحابه يا أبانا ليس هؤلاء القوم عمن ذكرت فلو كانوا مسلمين ما جسروا أن يدخلوا أرض مصر فى ضوء النهار ولا يقربوا العمران فقال وحق دينى أنا أعرف الناس بهم وانهم مسلمون بلا شك فامتنعوا منهم ولا تخرجوا لهم طعاما ولا ماء وسأنفذ خبرا للملك بذلك فيكون منهم على حذر قال عامر بن هبار وكان من لطف الله بنا أن الرهبان الذين بالدير لما سمعوا كلامه قال بعضهم لبعض يجب علينا أن نأخذ لنا منهم صلحا فنكون آمنين من غائلتهم ولا نبرح من ديرنا هذا فقال أكبرهم ان أنتم فعلتم ذلك فاننا لا نعلم من ينصر من الفريقين أصحابنا أم العرب فان كان النصر لأصحابنا خفنا من هذا القس أن يعلم بنا الملك اننا صالحنا المسلمين بغير امره فانه يقتلنا وان هذا اللعين تعلمون أنه على غير مذهبنا وهو فى كل يوم يكفرنا لانه نسطورى ونحن يعقوبية فان انتم أردتم صلح هؤلاء العرب فدونكم وهذا القس فاقبضوا عليه وسلموه لهم وخذوا منهم أمانا قال ففعلوا ذلك وقبضوا عليه واشرفوا علينا وقالوا لنا بحق ما تعتقدون من دينكم انتم من أصحاب محمد ام لا فانا قد قبضنا على هذا اللعين ونريد ان نسلمه لكم وانكم تعطوننا امانا فانا قوم لا نعرف حربا ولا قتالا فقال لهم مالك الاشتر يا هؤلاء أما ما زعمتم من صلحنا فانا نصالحكم وما كان امرنا بالذى يخفى ولا نرضى بالكذب فانه اشنع شىء عندنا ولا سيما ان الاسلام يمنعنا من استعماله ولو أن السيف على رأس احدنا اذا سئل عن دينه أجاب به وتكلم بوحدانية الله تعالى ونحن من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولكم الامان وهذا أمان الله ورسوله قال فلما سمع الرهبان من مالك ذلك نزلوا وفتحوا الباب وسلموا لنا القس فقال له خالد يا عدو الله أردت أمرا واراد الله خلافه ثم انه عرض عليه الاسلام فأبى وقال انا هربت منكم من الشام ثم أوقعنى المسيح فى أيديكم وما أظن الان المسيح مسلم فافعل ما أردت فضربوا عنقه قال عامر بن هبار وخرج الينا أهل الدير باجمعهم ومعهم الطعام والعلوفة فأكلنا واقمنا عندهم الى الليل فقال شيخهم الذى اشار عليهم بقبض القس الرومى للخالد أيها السيد انى قد تفرست فيك الشجاعة فبالله من انت من أصحاب محمد فقال أنا خالد بن الوليد المخزومى فقال أنت وحق دينى الذى فتحت بلاد الشام وأذللت ملوكها وبطارقتها وان صفتك عندى ثم انه دخل الدير وأتى ومعه سفط ففتحه واذا فيه بين أوراقه ورقة وفيها صفة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وزيه وصورته وصورة أبى عبيدة وصورة خالد بن الوليد والسيف

فأعيد السلطان محمد بن قايتباى ثانيا للسلطنة بعد ثبوت رشده فأقام سنة وستة أشهر ونصف شهر ثم شرع فى اللهو واللعب ومخالطة الاوباش وارتكاب الفواحش وارتكاب أمور لا تليق منها ان والدته جهزت له جارية وأدخلتها عليه فقفل الباب وربطها

في يده مشهور قال مازلت أسمع أخبارك كلها فلم عزلك عمر بن الخطاب وولى غيرك فقال خالد اعلم أن عمر
هو الامام وهو الخليفة ومهما أمرنا فلا نخالفه فان الله أمرنا بذلك في كتابه فقال تعالى أطيعوا الله
وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فطاعته فرض علينا لانه يحكم بالعدل ويأمر بالمعروف وينهى عن
المنكر وانا قد وجهنا اليه خمس الغنائم من الفتوح كلها من الاموال فما ازداد في الدنيا الا زهدا
ولا آثر الدنيا على الآخرة بل مجلسه على التراب ولباسه المرقعة ويمشي في سوق المدينة متواضعا راجلا
فالتواضع لباسه والتقوى أساسه والذكر شعاره والعدل في الرعية دثاره ومازال يعطف على
اليتيم ويرفق بالأرملة والمسكين ويرفد أبناء السبيل فظ في دين الله غليظ على أعداء الله قائم
بشعائر الله لا يستحي من الحق ولا يداهن الخلق فقال القس أكانت له الهيبة على عهد نبيكم قال
خالد نعم سمعت سعد بن أبي وقاص يقول استأذن يوما عمر فأذن له فدخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يضحك فقال عمر أضحك الله سنك يا رسول الله قال عجبت من هؤلاء اللواتي كن عندي فلما سمعن
صوتك ابتدرن الحجاب فقال عمر أنت أحق أن يهبنك وقال لهن يا عدوات أنفسكن أتهبنني ولا تهبن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن نعم أنت فظ غليظ دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غيره قال فلما سمع القس
ذلك قال بركة نبيكم عادت على امامكم وعليكم فقال خالد وما يمنعك من الدخول في ديننا فقال حتى يشاء
صاحب هذه الخضراء ثم قال لخالد اريد أن أعطيكم من صلبان هذا الدير حتى تكمل حيلة ثم قال
وأخرج لهم صلبانا كثيرة فأخذها خالد ودفعها لرفاعة بن قيس وبشار بن عون وتزيوا بزي الذين قتلوهم
من آل غسان وارتحل خالد بعد ما وكل بالدير عشرة من أهل وادي القرى لئلا يخرج منهم أحد بأخبارهم
ويتقربوا للملك بذلك قال وعدنا الى سياق الحديث فلما أشرف أصحاب ابن المقوقس عليهم رأوهم وقد
لبسوا خلع الملك وعلقوا الصلبان وشدوا الزنانير ورفعوا صليبا من فضة كان قد أخرجه لهم القس فلما
صقعوا الحجاب ركبوا وساروا حتى وصلوا الى سرادق الملك فترجلوا وقد أخذوا لهم اذنا فأذن لهم فدخلوا
ودخل أولهم رفاعة وبشار ومن معه وخدموا الملك وسجدوا له ولم يدخل خالد ومن معه ووقف مع بقية
العرب خارج السرادق وان الملك لما رآهم قال لهم يا معاشر العرب أنتم تعلمون محبتنا لكم وتقربنا
لكم وقد طلبتم أن تكونوا لنا عونا على هؤلاء العرب فان نصحتم لنا في دولتنا شاركناكم في
مملكتنا وقاسمناكم في مالكنا ونعمتنا فقال له رفاعة أبشر أيها الملك سوف ترى ما نبذله في محبتك يوم
الحرب قال فخلع عليه وخرج من عنده وأمر لهم بخيام تضرب في عسكرهم (قال) حدثنا عامر بن أوس عن
جرير بن صاعد عن نوفل بن غانم عن سهل بن مسروق قال لما قدم الجيش الذي وجهه عمر بن الخطاب
مع رفاعة وبشار وكان من أمرهم ما ذكرناه ونظر اليهم عمرو بن العاص ومن معه من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم أقبلوا ينظرون اليهم والى زيهم فقال معاذ لعمرو وما هؤلاء من المتنصرة وان نفسي تأبى
ذلك فقال عمرو والله يا أبا عبد الرحمن لقد نظرت بنور الله واني نظرت فيهم واحدا واحدا ورأيتهم بزي
وادي القرى وزي الطائف فقال شرحبيل بن حسنة وأنا نظرت أعجب من ذلك اني رأيت خالد بن الوليد
في جملتهم ولاحت لي عمامته وقلنسوته وثيابه التي كانت عليه يوم دخول طرابلس فقال يزيد بن أبي سفيان
أنا والله رأيت مالكا الاشتر النخعي وعرفته بطول قامته وركبته على فرسه ثم قالوا لا بد أن ينكشف لنا
خبرهم على جليته فهم في الحديث اذ قد أتاهم نعيم بن مرة فلما رأوه تهللت وجوههم فرحا وسرورا فلما
وصل اليهم وسلم عليهم وحدثهم بالحديث كله حمدوا الله شكرا وقال بعضهم لبعض أيقظوا هممكم وكونوا
على يقظة من أمركم فاذا سمعتم التكبير في عسكر العدو فبادروا اليهم قال ابن اسحق ولله في خلقه
تدبير وذلك أنه لما جن الليل جمع ارسطوليس بن المقوقس أرباب دولته وقال لهم قد ضاق صدري من
هؤلاء العرب وقال لهم قد غلا السعر عندنا لان أهل البلاد قد أجلت من خوفهم وان خيلهم تضرب الى

من يديها ورجليها وصار
يسلخ جلدها كالجلادين
وهي حية فلما سمعوا
صراخها أرادوا الهجوم
عليه فما أمكنهم لانه قفل
الباب وأحكم قفله من
داخل واستمر كذلك الى أن
سلخها وحشا جلدها بالثياب
ثم خرج يفتخر بحسن صنعته
ومعرفته بالسلخ واستمر في

الريف من هذا الجانب والى الصعيد من هذا الجانب والنوبة والبجاوة ما يأتنا منهما أحد للفتنة التى هى بينهم والرأى عندى أن نحارب هؤلاء العرب صبيحة عيدهم قالوا أيها الملك هذا هو الرأى فقال اخرجوا السلاح وفرقوه على من ليس معه سلاح هذا ماجرى عنده وليس عنده خبر بما جرى فى قصره بعد (قال ابن اسحق) وكان من حسن تدبير الله تعالى لعباده المؤمنين أنه كان للمقوقس أخ شقيق واسمه ارجانوس وكانا متحابين وكان المقوقس لا يقطع أمرا دونه وكانا اذا ركبا لا يفترقان واذا جلسا يجلسان معا على السرير وكان المقوقس قد دخل فى خلوته التى ذكرنا وكان أخوه من محبته قد رتب هناك من يعرفه لما يخرج من خلوته فلما كان فى هذه النوبة استبطأه فأتى الى ابن أخيه فرآه على السرير فقال له ما فعل الملك فقال انه فى خلوته الى الآن وقد رأى ان طالعه ضعيف مع هؤلاء العرب وقد أمرنى أن أكون مكانه حتى يرى ما يريد من قتالهم أو صلحهم قال فكتم ارجانوس الامر فى نفسه وعلم ان أخاه قد قتل وكان ارجانوس ممن يعتقد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويعلم أن دعوته تطوف المشرق والمغرب وان الملوك تضمحل فى أيام أصحابه وسينزلون على البلاد فترك ارجانوس الامر موقوفا ولم يبد ما فى نفسه لأحد فلما خرج ابن أخيه مع العسكر جمع ارجانوس الذين تركهم ابن أخيه لحفظ البلد فى قصر الشمع وقال لهم اعلموا ان العقل هو عمدة قوى ابن آدم لان الله قد خصه به دون سائر المخلوقات وان أخى قد قتله ولده لا محالة وقد كان محبا لكم ومشفقا عليكم واعلموا ان هؤلاء العرب قد كان قدامهم من ملكه أعظم من ملككم وما ثبت بين أيديهم وليس بين دولتكم وبين أن تزول وتضمحل الا أن يلتقى هذان الجيشان وان ظفر بكم هؤلاء العرب قتلوكم ونهبوكم وسكنوا فى مساكنكم وأيتموا أولادكم فقالوا له أيها الملك فما يكون عندك من الرأى وما تفعل قال انى أرى من الرأى أن تستيقظوا لأنفسكم وتغلقوا أبواب هذا القصر ولا تدعوا أحدا يدخل عليكم من جند الملك ولا هو نفسه فانهم لا يقدرون أن يقاتلوكم والعرب من ورائهم وانه يعدى الى الجانب الغربى ويمضى الى اسكندرية ونعقد لنا صلحا مع هؤلاء العرب على أنفسنا وأولادنا وحريمنا ونسلم لهم بعد ذلك فمن أراد يتبعهم ومن أراد يعطيهم الجزية قال فاستصوبوا رأيه وعلموا أنه نطق بالحق وكان أرجانوس له فى سرايته ألف مملوك قال فاحتوى على قصر الملك وأخذ الخزائن والاموال وغلق أبواب قصر الشمع وفعل ما فعل وليس عند ابن أخيه خبر الى أن ذهب من الليل نصفه أو أكثر فجاء اليه بعض خدمه وأخبره بما فعل عمه فأيقن بتلافه وخروج ملك مصر منه قال فبينما هو فى حيرة من أمره اذ كبر خالد بن الوليد ومن معه فى وسط عسكره فسمع عمرو وأصحابه التكبير فكبروا ووقعت الخذلة على الكفار وحملت فيهم المسلمون ووضعوا فيهم السيوف فلما نظر ارسطوليس الى ما نزل به والكبسة التى وقعت بعسكره لم يكن له دأب الا أن ركب وأحدقت به مماليك أبيه وأرباب دولته وطلبوا الهزيمة وقصدوا البحر وعدوا الى الجانب الغربى وطلبوا اسكندرية فجازوا على مدينة مريوط وفيها الموبذان الساقى ومعه ثلاثة آلاف من عسكره فلما أن صاح الصائح فى مصر بأن الملك انهزم وما ثبت أحد من عسكر القبط وولوا والسيف يعمل فيهم وغرق منهم فى البحر خلق كثير ونصر الله المسلمين انهزموا (قال ابن اسحق) حدثنى من أثق به انه قتل فى تلك الليلة من عسكر القبط خمسة آلاف وغنم المسلمون أثقالهم وما كان فيها من الاموال فلما أقبل الصباح اجتمع خالد بالمسلمين وسلم بعضهم على بعض وهنوهم بالسلامة ودخلوا مصر وملكوا دورها وأحاطوا بقصر الشمع فأشرف عليهم ارجانوس بن راعيل أخو المقوقس وقال لهم يا فتيان العرب اعلموا ان الله قد أمدكم بالنصر وقد فعلت فى حقكم كذا وكذا ولولا حيلتى على ابن أخى لما انهزم منكم وقد ظفرتم الآن ونحن نسلم اليكم على شرط انكم لا تتعرضون لنا ولا تمدون أيديكم لنا بسوء ومن أراد منا أن يبقى على دينه يؤدى الجزية ومن أراد أن يتبعكم يتبعكم فقال له معاذ بن جبل قد نصرنا الله على الكفار بصدق نبيا نبينا وصالح أعمالنا واتباعنا للحق

حركاته الشنيعة الى أن قتل فى بحر الجيزة وجاؤا به وهو مقتول الى القاهرة ودفن فى تربة أبيه فى سنة أربع وتسعمائة (وولى بعده الملك الظاهر) قانصوه الاشرفى القايتبائى خال محمد بن قايتباى بذلت له أخته مالا كثيرا وولته وبويع بالسلطنة بحضرة الخليفة

وانا ماقلناقولا الاوفيناه ولا استعملنا الغدر ولا المكر وأنتم لكم الامان على أنفسكم وأموالكم
وحريمكم وأولادكم ومن بقى منكم على دينه فلن نكرهه ومن اتبع ديننا فله مالنا وعليه ماعلينا فلما
سمع أرجانوس ذلك نزل اليهم بالمفاتيح فامنوه وأمنوا من كان معه فى القصر وجمعوا أكابر مصر ومشايخها
وقالوا لهم ان الله قد نصرنا عليكم وقد انهزم ملككم منا وأنتم الآن فى قبضتنا وقد صرتم عبيدا لكم ومن
أسلم منكم قبلناه ومن أبى استعبدناه فقالوا أيها الامير ماهكذا بلغنا عنكم قال وما الذى بلغكم عنا
قالوا سمعنا عنكم ان الله قد أسكن الرحمة فى قلوبكم وأنتم تعفون عمن ظلمكم وتحسنون الى من أساء
اليكم وأنت تعلم اننا قوم محكوم علينا ولو كان الامر الينا لاتبعناكم فارفقوا بنا وانظروا فى أحوالنا
فقال عمرو لاصحابه وللامراء ماترون من الرأى فى أمر هؤلاء القوم فقال شرحبيل بن حسنة اصنع ماامر
الله به من العدل فيهم واحسن اليهم وطيب خواطرهم فاننا اذا قصدنا غير هذه المدينة وسمع أيها الامير
عنك أهل المدينة الاخرى بمافعلته مع أهل مصر يسلمون بغير منازعة ولا حرب فقال معاذ بن جبل وخالد
ابن الوليد والمقداد وعمار ومالك وربيعة ويزيد القول الذى قاله كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه
وسلم هو المعمول به فقال عمرو لاهل مصر قد أمنا كم على انفسكم واولادكم وحريمكم منة منا عليكم وقد
وضعت عنكم جزية هذه السنة وفى السنة الآتية نأخذ منكم الجزية من كل محتلم أربعة دنانير ومن أسلم
منكم قبلناه قال فلما سمع أرجانوس بن راعيل كلام عمرو قال لقد أنصفت وان الله بهذا نصركم وقد
وقفت الآن على صحة دينكم وأنا أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
واشهدوا على ان كل ماتركه أخى من الاموال والاصول والثياب والمتاع هو هبة منى اليكم بما فعلتم مع
أهل بلدى قال فلما نظر أهل مصر الى أرجانوس وقد أسلم دخل أكثرهم فى الاسلام وعمد عمرو الى
الكنيسة وعملها جامعا وهو المعروف به الى يومنا هذا وجمع الاموال التى أخذها من وراء القبط المنهزمين
ومن منازلهم وما كان فى قصر الملك وأخرج الخمس وأعطى كل ذى حق حقه ثم كتب كتابا الى أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبعث الخمس والكتاب مع علم بن سارية وسلم المال والكتاب له
وسير معه مائة فارس وأمره بالمسير الى المدينة فاستلم الخمس وسار حتى قدم المدينة وسلم المال والكتاب
لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فلما قرأه سجد لله شكرا وأمر بالمال الى بيت المال فقال علم بن سارية
ياأمير المؤمنين ان عمرا يسلم عليك ويقول لك ان القبط كانوا استسنوا سنة فى نيلهم فى كل سنة وذلك
أنهم كانوا اذا أبطأ عليهم الوفاء فى النيل يأخذون جارية من أحسن الجوارى ويزينونها باحسن زينة
ويرمونها فى البحر فيأتى الماء ويفى النيل وقد قرب ميقات ذلك ولا يفعل عمرو شيأ الا باذنك قال فكتب
عمر بن الخطاب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب امير المؤمنين الى نيل مصر أما بعد فان
كنت مخلوقا لا تملك ضرا ولا نفعا وانت تجرى من قبل نفسك وبامرك فانقطع ولا حاجة لنا بك وان كنت
تجرى بحول الله وقوته فاجر كما كنت والسلام وأمره أن يدفعه لعمرو بن العاص يرميه فيه وقت الحاجة
اليه ثم انه كتب بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فالسلام عليك وانى أحمد الله اليك وأصلى على نبيه واذا
وصل اليك كتابى فاطلب اعداء الله حيث كانوا واياك أن تلين جانبك لهم وانظر فى أحوال الرعية
واعدل فيهم مااستطعت واطلب العفو بالعفو عن الناس وأجر الناس على عوائدهم وقوانينهم وقررهم
واجبانى دواوينهم وأعل رسوم العافية بالعدل فانما هى أيام تمضى ومدة تنقضى فاما ذكر جميل واما
خزى طويل ثم انه سلم الكتاب الى علم بن سارية فسار هو ومن معه الى أن قدموا مصر وسلم الكتاب الى
عمرو فاما كتابه فقرأه على المسلمين وأما كتاب النيل فانهم قد كانوا عدوا ليالى الوفاء وتوقف النيل على
الوفاء وقد يئس الناس من الوفاء فى تلك السنة فمضى عمرو الى النيل وخاطبه ورمى فيه كتاب عمر بن
الخطاب رضى الله عنه قال فلما رماه فيه هاج البحر وزاد فوق الحد ببركة عمر بن الخطاب وانقطعت عن
أهل مصر تلك السنة السيئة ببركة عمر رضى الله عنه (حدثنا) محمد بن يحيى بن سالم عن عدى بن يحيى

والقضاة سابع عشر ربيع الاول سنة أربع وتسعمائة وكانت سيرته حميدة ورتب لاهل الازهر فى أيام رمضان الخبز والجرايات وضاعفها الغورى وزادها فأقام فى السلطنة سنة وثمانية أشهر ثم خلع (وولى بعده الملك الاشرف) جانبلاط فاقام نصف سنة

ابن عوف قال لما بلغنا أن عمرا فتح مصر وأتى الى الكنيسة المعظمة عندهم وجد فى مذبحها بيتا مغلقا واذا فيه صورة من الفضة وأمام الصورة شخص آخر وفى يده أعلام وهى على صفة الصورة التى وجدها النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة لما فتح مكة فدعا عمرو بالقسوس وقال لهم ماهذه الصورة قالوا له هذه صورة ابراهيم وأبيه آزر فتبسم عمرو وقال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين فقال معاذ بن جبل لما قدمت من اليمن سمعت أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يلقى ابراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجهه قترة فيقول له ابراهيم ألم أقل لك لا تعصنى فيقول آزر اليوم لا أعصيك فيقول ابراهيم يارب انك وعدتنى أن لا تخزينى يوم يبعثون فأى خزى أخزى من هذا فيقول الله حرمت الجنة على الكافرين ثم يقول له ياابراهيم انظر الى ماتحت قدميك فينظر الى الريح وقد أخذت أباه فتلقيه فى النار قال ثم أمر عمرو بالصورتين فكسرتا وعبر عسكر المسلمين الى الجانب الغربى وقد تقدم خالد فترحل الى نحو الاسكندرية وتقدم على مقدمته عبد الله يوقنا وسار يوما وليلة هو وبنو عمه وهم بزى الروم

﴿ذكر فتوح مدينة مريوط﴾

قال ابن اسحق وكان قد بلغ الموبذان الذى مع الثلاثة آلاف وهم فى مدينة مريوط وقد حصنها ما حصل فلما قدم عليه يوقنا قال له الموبذان ما الذى أقدمك علينا فقال يوقنا ان المسلمين وجهونى اليك وهم يحرضونك على خلاص نفسك ويأمرونك بتسليم هذه المدينة اليهم ولك الامان على نفسك وأهلك ومالك ومن أردت ولك الخيار فى المقام تحت يد الاسلام أو الانفصال فان اخترت المقام فلا مانع عنك وان أردت المسير أوصلناك الى أى موضع أردت فلما سمع الموبذان ذلك قهقه ضاحكا وقال وحق دينى ان الغدر شعاركم والمكر دثاركم فلا أفلح من آمن لكم وأما أنا فلا أخون الملك فى بلده وأنا وهو فى أرض واحدة وسوف ابعث اليه بان أقدم اليه وأساعده عليكم جزاء ما عملتموه من الخديعة وستعلمون على من تدور الدائرة ومن يكون المغبون فى الآخرة وانتم يامعشر الروم قد كفرتم بالمسيح وجحدتم السيدة ام النور وخرجتم من ملة الحواريين وأردتم هؤلاء العرب الجياع الاكباد العراة الاجساد وان يغنوا عنكم شيأ وحق المسيح لابعثن بكم الى الملك فيقتلكم على كفركم وكان يوقنا قد ترك جماعته ومضى فى عشرين رجلا منهم لعله يعمل عليه حيلة فلما دخل عليه أنزله فى دار الضيافة فوضعوا سلاحهم فلما أكلوا الطعام وتحادثوا وكان قد فطن بهم وأمر غلمانه أن يكونوا على حذر وان يهجموا عليهم فيقبضوهم يريد بذلك أن يرسلهم الى الملك الى الاسكندرية ورماهم فى بيت مظلم فى دار امارته وأقام ينتظر غفلة من عسكره وكانوا قد أحاطوا بالبلد ووكل بهم جارية اسمها رينا وهى أخت مارية التى أرسلها المقوقس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت أختها شقيقتها وسلم اليها المفاتيح لعزتها عنده وقال لها احتفظى عليهم لأرى ما انظر فيهم قال فلما جن الليل واشتغل عدو الله الموبذان بالشراب قال فصبرت رينا الى أن غرق فى سكره هو ومن معه وناموا وأمنت على نفسها فأتت الى الباب وفتحت على يوقنا وأصحابه وقالت لهم ابشروا لا خوف عليكم فان الله قد جعل رحمتكم فى قلبى وأنا أخت مارية التى أهداها المقوقس لنبيكم وانى أريد منكم ان توصلونى عند أختى مارية فقال لها يوقنا ابشرى بما يسرك ولكن أخاف عليك من عدو الله فاترين فقالت والله ماجئتكم حتى سكر ونام فقال يوقنا فعرفينا الطريق التى نسلكها الى قومنا قالت ان هذا المكان فيه سرب يخرج الى ظهر البلد وهو مبنى من قديم الزمان وبابه الخارج مبنى عليه قبة على اعمدة وتحتها قبر بين المقابر فكل من رآه يظن انه قبر وان الذى بنى هذه المدينة امرأة يقال لها فعمان بنت عاد وصنعت هذه المقابر التى وراء التل وهى كانت قصور مشيدة وكان فيها ناس سكنوها فقال يوقنا افعلى بنا مايقربك الى الله تعالى ورسوله واعلمك ان تنزلينا من هذا السرب حتى نذهب الى أصحابنا ونأتى بهم من هذا ما دام الموبذان سكران وهو نائم فقالت

وخلع سنة خمس وتسعمائة وبنى المدرسة الجنبلاطية خارج باب النصر وهدمها الفرنسيس فى سنة أربع عشرة ومائتين بعد الالف وكان فيها ساقيتان ليس لهما نظير فى مصر (وولى بعده الملك العادل طومان باى) وكان من أعيان مماليك قايتباى وكان بالشام

سأفعل ذلك ان شاء الله تعالى غير انى أريد ان أفتح لكم باب السرب قبله حتى لا تتعوقوا) قال الراوى
وقد مضت رينا أخت مارية وأشرفت على الموبذان فاذا هو ومن معه صرعى من الخمر فتركتهم وعادت
الى باب السرب لتفتحه واذا هى تسمع وراءه حسا ففزعت ووقفت تسمع قال حدثنى عبد الرزاق بن يحيى
عن سليمان بن عبد الحميد عن سفيان الاعمش عن أوس بن ماجد وكان ممن شهد فتوح مصر
والاسكندرية قال لما نزل خالد بن الوليد على مريوط بجيشه تفقد يوقنا وقال لاصحابه انه من وقت أن
بعثته برسالتى الى مريوط للموبذان ما عاد قالوا أيها الامير انه من وقت ما دخل اليه ما خرج ونحن فى
انتظاره فعلم خالد ان يوقنا مقبوض عليه فبات مهموما من اجله وكان خالد صاحب همة وعزيمة لا ينام
من خوفه على المسلمين وكان معه جواسيس قد أخذهم معه من كل اقليم وقد اصطفاهم لنفسه وهو يحسن
اليهم وانما ذهب يكونوا معه ليأتوه بالاخبار فبينما هو فى غم بسبب يوقنا واذا هو بواحد منهم قد
دخل اليه واعلمه ان ولد الموبذان قد أتى من اسكندرية من عند ارسطوليس ومعه خلع وهدايا لابيه
ومعه خمسمائة فارس وقد بلغه انكم محاصرون أباه فترك العسكر وما معه بالبعد وانفرد ومعه خادمان
واتى وما نعلم ما يريد قال فلما سمع خالد ذلك قام وأخذ معه غلامه همام وأربعة ممن يعتمد بهم وابعد وقعد على
سفح التل من نحو اسكندرية ونظروا الى التل واذا بولد الموبذان ومعه الخادمان قصدوا الى وراء التل
عند تلك المقابر التى وصفتها رينا ليوقنا وقصدوا القبة فمشى خالد وراءهم وفرق جماعته من اربع جهات
القبة وكبسهم واذاهم قد فتحوا طبقا فى وسط القبة فأخذهم خالد فلما رآه ابن الموبذان ارتعدت فرائصه
وخاف فقال خالد ان صدقتمونى أمنتكم وان لم تصدقونى رميت رقابكم فقال الغلام أنا أصدقك أنا ولد
الموبذان وكنت عند الملك فى اسكندرية وقد أنفذ معى خمسمائة فارس عونا لابى وحفظا لهذه المدينة فنحن
فى الطريق واذ قد جاءتنى الجواسيس بانكم نازلون على البلد فاوقفت العسكر وأتيت الى هذه القبة
فقال له خالد وما الذى تريد من هذه القبة ألكم فيها سلاح أم مطلب فيه مال قال لا قال فما تريد منها قال
الغلام ان امنتنى قلت لك الحق فقال له خالد قد أمنتك على نفسك فقبل يده وقال يا مولاى أريد أمانا لابى
ومن يلوذ به فاعطاه فقال اعلم ان هذه القبة على سرب والسرب ينتهى الى دار الامارة ودار الامارة فى
وسط هذه المدينة قال فلما سمع خالد ذلك تهلل وجهه فرحا وسرورا وقبض على الغلام وعلى الخادمين
وأمر هماما مع واحد آخر ممن معه ان يفتحوا السرب ففتحوه فارسل هماما الى العسكر وأمره بان يأتى بهم
فى السر وان يأتوا معهم بالنار والزيت والقناديل وان يسرع بذلك وكان ذلك التل عاليا والذين فى المدينة
لا ينظرون ما وراءه فلما اقبل همام عاطلبه خالدا وقدوا المسارج ونزلوا فى السرب وابن الموبذان أمامهم
فوصلوا الى الباب واذ برينا عند الباب تريد فتحه ليوقنا ومن معه فلما سمعت حسهم قالت من أنتم فقال
خالد لابن الموبذان أن كلمها فقال لها انا فلان بن الموبذان افتحى ولا تعلمى ابى قال فلم يبق لها بد أن تفتح
الباب ففتحت فصعد خالد ومن معه فقبضوا على رينا فقالت لهم يا قوم دعونى فانى اردت ان اخلص
أصحابكم وجئت لافتح لهم هذا الباب وانزلهم اليكم وتملكوا هذه المدينة من ههنا وقد أتى بكم رب العالمين
وانا رينا اخت مارية زوجة نبيكم فلما سمع خالد فرح وقال لها واين أصحابنا فاقت بهم عندهم فحلوا
وثاقهم واتوا الى دار الامارة فوجدوا الموبذان لا يشعر بنفسه من الخمر فوكل به جماعة وامر الباقى ان
يملكوا السور وقبضوا على الحرس ونزلوا الى الابواب وكان لها بابان فكسروا اقفالها وفتحوهما
وارسل الى بقية العسكر فدخلوا المدينة والكل فى حكم الليل فلما اصبح الصباح استيقظ الموبذان ومن
معه واذا بالمسلمين حولهم وكل من فى المدينة قد أسر فقال له خالد يا عبد الله لولا أنى أعطيت ولدك الامان
كنت قتلتك شر قتلة ولكن خذ أهلك وانصرف فاننا قوم اذا قلنا قولا نعمل به وفهم الموبذان أن ولده قد
دلهم على السرب فلما خرج الموبذان باهله قال ولده لخالد يا مولاى ان أنا مضيت معه قتلنى ولست أريد
بغيركم بدلا وأنا اقول أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقال له خالد ان قصر أبيك وما فيه لك

فبويع هناك ثم جاء الى
مصر وبويع له أيضا بقلعة
الجبل وكانت مدته أربعة
أشهر ونصفا وبنى مدرسته
العادلية خارج باب النصر
ثم هجم عليه العسكر وقتلوه
ودفن بمدرسته وقد خربها
الفرنسيس أيضا (وولى
بعده الملك الاشرف قانصوه
الغورى) يوم الاثنين يوم

وعرض خالد الاسلام على أهل مريوط فاسلم أكثرهم ثم ان خالدا قال ليوقنا رحمه الله أبشر من الله
بالرضوان والغفران والثواب فبصبرك على الشدائد فتح الله علينا هذه المدينة فقال والله ما فتحها
الا بفضله وبركة نبيه صلى الله عليه وسلم فكتب خالد الى عمرو بن العاص يبشره بفتح مريوط ونحن
معولون على الدخول الى اسكندرية وأرسل الكتاب اليه (قال ابن اسحق) وأقام خالد بمريوط لاجل
ذى الكلاع الحميرى لانه مرض معه وكان مرضه شديدا فجلسوا عنده شهرا ولم يفارقه خالد فقدر الله له
بالوفاة فحزنوا عليه حزنا شديدا عظيما فكان ذو الكلاع ملك حمير وكان قبل دخوله فى الاسلام يركب له
اثناعشر ألف مملوك سود سوى غيرهم قال أبو هريرة الدوسى رضى الله عنه ولقد رأيته بعد تلك الحشمة
يمشى فى سوق المدينة وعلى كتفه جلد شاة لما قدم من اليمن الى الجهاد فى أيام أبى بكر الصديق رضى الله
عنه فلما مات رثاه ولده تنوخ بما رثى به حمير أباه سبأ بن يشجب فى الزمن المتقدم وهو

عجبت ليومك ماذا فعل * وسلطان عزك كيف انتقل
وسلمت ملكك ذا طائما * وسلمت للامر لما نزل
فيومك يوم رفيع النزال * ودورك فى الدهر دور رحل
فلا يبعدنك فكل امرئ * سيدركه بالسنين الاجل
لئن صحبت نائبات الزمان * وشتم الدهر وجه الامل
لقد كنت بالملك ذا قوة * لك الدهر بالعز عان وجل
بلغت من الملك أقصى المدى * نقلت وعزك لم ينتقل
فطحطحت آفاقه والمدى * وجئت من العرب حول الدول
حويت من الدهر اطلاقه * ونلت من الملك مالم ينل
وحملت عزمك ثقل الامور * فقام بها حازما واستقل
صحبت الدهور فهنأتها * وما مر عيشك فيما فعل
بنيت القصور كمثل الجبال * ذهبت فلم يبق الا الطلل
نعمنا بأيامك الصالحات * ومشربنا بك وبل وطل
نؤمل فى الدهر أقصى المنى * ولم ندر بالامر حتى نزل
فزالت لعزمك شم الجبال * ولم يك حزمك فيها هبل

(ذكر فتوح اسكندرية)

قال وعول خالد على المسير الى اسكندرية (حدثنا) زياد بن أوس الطائى عن معمر بن الرشيد قال لما نزل
خالد بعد رحيله عن مريوط قال له عيونه انه لما انهزم ابن المقوقس وأتى الى اسكندرية وبلغه فتح مصر
صعب عليه قال وكانت اسكندرية عامرة كان فيها الخلق كثيرا والمراكب فارسل مراكب وعمرها
بالرجال وأمرهم أن يكبسوا سواحل بلاد الشام على المسلمين فقالوا سمعا وطاعة ومضوا الى ساحل
الرملة فوجدوا بالليل نيرانا كثيرة فسألوا من كان خبيرا بالبلاد فقالوا هذه نيران المسلمين النازلين ههنا
فقالوا هذه حاجتنا التى جئنا فى طلبها فنزلوا وقصدوها واذا بها حلة من حلل دوس بنى عم أبى هريرة وكان
معهم طائفة من بجيلة وفى جملتهم ضرار بن الازور وهو مريض وأخته خولة معه تمرضه وكان أبو عبيدة
أمرهم بالنزول هناك لاجل كثرة المرعى وهم آمنون مطمئنون من الروم وغيرهم لان دولة الروم قد
انصرمت وأيامهم قد ولت فما فطن القوم الا وقد كبسهم القبط فى حندس الليل ووضعوا فيهم السيف
فقتلوا منهم رجالا وأخذوا منهم أسارى ومن جملتهم ضرار وأخته وأخذوا ما قدروا على حمله وأتوا بهم
المراكب وكان جملة من أسروه من الرجال والنساء والاولاد والعبيد ألفا ومائة فوضعوهم فى المراكب
واقلعوا بهم من ليلتهم وساروا طالبين اسكندرية (قال ابن اسحق) وكان أبو عبيدة قد استوطن طبرية

عيد الفطر سنة ست
وتسعمائة بعد اختلاف
بين العسكر ثم اتفقوا على
توليته لانهم رأوه لين
العريكة سهل الازالة متى
أرادوا ازالته أزالوه ولانه
كان أقلهم مالا وأضعفهم
حالا فقال أقبل التولية
بشرط أن لا تقتلونى فان
أردتم خلعى من السلطنة

لكونها فى وسط البلاد وهى قريبة من الاردن والشام والسواحل وان أباهريرة قد أتى ليزور قومه فى تلك الايام ويسأل عن حال ضرار وكانوا يحبونه لشجاعته فاتى أبوهريرة ومعه حليف له من بنى بجيلة فاصبحا تلك الليلة فى الحى واذا بهم قد أخذهم القبط وبيوتهم مطروحة والرجال مقتولة وآثارهم منبوذة ووجدوا من الذين انهزموا اناسا مجروحين فسألوهم فقالوا ماعندنا خبر حتى كبسنا قوم نصارى وما نعلم من اى الطوائف هم ولم نفق حتى وقعوا فينا بالسيوف فقتلوا ماترون واسروا الباقين واخذوهم فى مراكبهم فقال ابوهريرة لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم وساروا الى ساحل البحر فلم يروا لهم أثرا فلما عولوا على الرجوع اذا بلوح من الواح المراكب تلعب به الأمواج وعليه شخص فوقفوا له حتى اقبل وخرج الرجل واذا به امير دوس وحيان ابن عم أبى هريرة فلما رآه ترجل له وعانقه وهناه بالسلامة وقال له يا ابن عم ماوراءك فقال هجم العدو علينا ليلا وأسروا ناوساروا فلما توسطنا البحر بعث الله بريح فغرقت مراكبنا وقد نجانى الله على هذا اللوح فقال له ومن اعداؤكم قال من قبط مصر وانى سمعتهم يذكرون اسكندرية كثيرا قال فرجع أبوهريرة يطلب طبرية واتى ابن عمه الى مكان الحلة حتى يلم شعث الناس ويداوى المجروحين فجمع ماتركوه وأتى بهم الى الرملة واما أبوهريرة فاتى اباعبيدة وأخبره بما جرى فاسترجع وبكى وقال أعوذ بالله من الساعات الرديئة ثم قال والله ائن وصلوا الى اسكندرية مايبقيهم صاحبها طرفة عين ويموت ضرار ويعفى دمه هدرا وكتب الى عمرو بن العاص يعلمه بذلك ويحذره من صاحب الاسكندرية وانه اسر الفا ومائة من جملتهم ضرار وأخته وكانت تداويه وهى عنده فاذا وصل اليك كتابى هذا فاجتهد فى خلاصهم وان وقع فى أيديكم أحد من القبط ففادوهم به ودفع الكتاب لزيد الخيل وأمره ان يسير الى مصر فلما قدم زيد الخيل الى مصر دفع الكتاب لعمرو بن العاص فلما اقرأه صعب عليه وكان يحب ضرارا فارسل الكتاب الى خالد بن الوليد وكتب اليه يحثه بالمسير الى اسكندرية وانه يفتقد حال الأسرى فلما وصل الكتاب الى خالد وقرأه صعب عليه امر ضرار وأخته خولة (حدثنا) ابن اسحق قال حدثنا عاصم بن منصور عن أحمد المروزى عن سلمة عن عبد الله بن المبارك عن عبد العزيز عن أبيه قال لما أخذت النصارى حلل دوس وضرارا وأخته وعصفت عليهم الريح وغرق احد المراكب ووصل الباقى الى اسكندرية أوقفوهم امام ابن المقوقس فاراد قتلهم فقال له ارباب دولته أيها الملك لاتعجل عليهم واعلم ان العرب متوجهة اليك ولابد لنا من قتالهم فان أسر أحد منا ممن يعز عليك يكون عندنا من نفادى به واعل ان نصالح العرب فاستصوب رأيهم وقال ادفعوا هؤلاء الاسرى الى دير الزجاج وأرسل معهم ألفى فارس يوصلونهم الى الدير فجاءت عيون خالد وأخبروه بما وقع فقام وأخذ معه أصحابه وسار يطلب دير الزجاج فوصل خالد الى الدير قبل وصول الاسارى ومن معهم فلما أحدقوا بالدير أشرف عليهم راهب كبير السن وكان اسمه مباح وكان تلميذ البحيرا راهب بصرى وكان مؤمنا بالله وبأنبيائه فقال له خالد يا راهب كيف ترى الدنيا قال تخلف البدن وتجدد الأمل وتقرب الامنية وتقطع المنية قال فما حال أهلها قال من نال منها شيأ نقضته ومن فاته منها شئ حسرته قال فما خير الاصحاب فيها قال العمل الصالح والتقى قال فما شر الاصحاب فيها قال اتباع النفس والهوى قال خالد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال الحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها ثم قال كيف طابت لك الوحدة قال ألفتها قال فهل نلت منها فائدة قال نعم الراحة من مداراة الناس قال فما أحسن هذا الاعتقاد لو كان فى دين الاسلام والتوحيد قال فما أعرف غيره قال فما تقول فى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم قال سيد الرسل وخاتم الانبياء وصفى الاصفياء وحجة الجبار على الورى قال فلم لاتكون فى بلاد الاسلام فهى أصلح لك من ههنا قال قلبى ملوث بحب الدنيا قال خالد أعندك خبر بالعرب الاسرى الذين أرسلهم الملك الى هنا قال لا والله ولكن مر بى البارحة بطريق واسقف واستقيا ماء من بئر هذا الدير فسألتهما من أين آتيتما فقالا من

اخبرونى وأنا أنزل لكم عنها فعاهدوه على ذلك وبويع بقلعة الجبل بحضرة الخليفة المستنصر بالله وهو وأصحاب الحل والعقد فاقام سلطانا خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وخمسة وعشرين يوما وكان ذارأى وفطنة كثير الدهاء والفسق قمع الامراء وآذى المعاندين

الاسكندرية واننا رسل الملك كيماويل صاحب أرض برقة وانه أرسلنا الى ملك القبط يسأله ان يرسل له أسرى من عرب المسلمين حتى يراهم و يسمع كلامهم فاجاب انه يرسل منهم جماعة وانا ماضون نعلم صاحب برقة بذلك فقال لخالد لعلكم من المسلمين الذين فتحوا بلاد الشام قال خالد نحن هم فقال الراهب ان أخباركم عندى فى كل وقت وأعلمك انى رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم وهو فى قافلة قريش وأنا عند بحيرا فلما مات بحيرا انتقلنا الى هذا الدير واعلموا انه ما بقى من أرض الكنائس ولا بارض العقبة ولا بارض الرمادة احد ولا ديار من راهب ولا قس الا وقدم لزيارتى و يسألنى عنكم وعن نبيكم و يقولون لى انت كنت على طريقهم و رايت نبيهم وشرحت لهم دينكم وأوصلتهم الى ما ظهر من معجزات نبيكم صلى الله عليه وسلم ولقد جرى بينى و بين راهب منهم بالقرب مناظرة وقال لى ان النبى الذى بشر به عيسى المسيح بن مريم ليس هذا فقلت له بلى هو والله النبى العربى فقال لى اننا عهدنا فى العلم ان الرسول الذى يظهر من أرض الحجاز يعرج به الى السماء وما سمعنا أن هذا عرج به فقلت بلى والله انا سمعت بانه عرج به الى السماء وخاطب العلى الاعلى وأصبح فاعلم بذلك قريشا ثم قال لخالد اعلم ان فى وسط هذا الجبل ديرا يقال له دير المسيح وقد استولى عليه بطريق ومعه جماعة وهو يقطع الطريق على قوافل العرب وانه منذ زمان قطع الطريق على قافلة وفيها شخص من بلادكم وهو مسلم فأخذ القافلة وعرى أهلها وأطلقهم وقبض على ذلك المسلم وأخذ ماله ووضعه عنده فى العذاب الشديد والرجل يستجير فلا يجار و يقول له ما أطلقك حتى تكفر بالرحمن وتسجد للصلبان ثم انه يأتيه بصورة من نحاس وعلى رأسه عمامة سوداء و يقول له هذه صفة نبيكم و ينصبه قباله و يصب فضلة كأسه على رأس هذه الصورة وذلك الرجل يستجير من فعاله قال فلما سمع خالد ذلك أخذ معه شرحبيل بن حسنة وعامر بن ربيعة ويزيد بن أبى سفيان وهاشم ابن سعيد والقعقاع ورفاعة وترك بقية العسكر محيطة بالدير ومضوا الى وسط الجبل فوجدوا الدير فوصلوا اليه واذا بالبطريق قد أقبل ومعه وحش مذبوح وقد قصد الى شجرة بالقرب من الدير وتحتها عين فنزل على العين وصاح بغلمانه فأتوا اليه واضرموا النار وجعلوا يشوون له وهو يأكل ويشرب الخمر وقال لهم هاتوا المحمدى فاتوه برجل قد اركبه الذل وغلبه القهر فلما رآه قال له أنت قد غلبتنى بتجلدك على العذاب وحق دينى لا أرفع عنك العقوبة حتى ترجع عن دينك الى دينى فقال له اصنع ما بدا لك فانى أعلم ان الكل بمشيئة الله و بارادته وانى صابر على مر البلاء وما أرجع عن دين محمد المصطفى قال فهم ان يقوم اليه يضربه فصاح به خالد بن الوليد وحمل عليه وطعنه فاخرج السنان من ظهره وقتلوا غلمانه وخلصوا المسلم ونزلوا على العين ولم يكن لاهل الدير شرب الا من تلك العين فاشرف عليهم الرهبان من أهل الدير وقالوا ما نحن أهل سيف حتى نقاتلكم وقد نهاكم نبيكم عن قتل الرهبان فقال خالد سلموا الينا مال هذا البطريق وعياله واطفاله ونحن نتركم فى ديركم ففتحوا لهم وسلموا لهم جميع موجوداته وأخذوا الأسير وساروا وسأله خالد من أين أنت فقال انا أمية بن حاتم اخو عدى وقد أخذنى هذا فى اواخر أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه فانى كنت طالب برقة مع قافلة ومعى بضاعة فاخذها واخذنى وكان أمر الله قدرا مقدورا قال فرجعوا عند أصحابهم ولم يأتوا القبط فالحقوا آن ينزلوا عن خيولهم الا والراهب صاح وقال لهم استعدوا للقاء عدوكم فانهم قربوا منكم فتجهز وا للقاء العدو واذا بهم قد أقبلوا وضجيج الاطفال و بكاء النساء وانين الرجال وصراخ المأسورات وصياح القبط عليهم يسوقونهم من ورائهم و زئير الفرسان وهفيف الصلبان والعربيات تنادى بالويل والهوان وخولة بنت الازور على مقدمة الاسارى وهى تقول

جل المصاب وزاد الويل والحرب * وكل دمع من الاجفان ينسكب
ومادت الارض عما قد بليت به * حتى توهمت ان الارض تنقلب
جالت يد القبط فينا عند غفلتنا * واستحكم القبط لما زالت العرب

حتى اشتد ملكه وهيبته فهابته ملوك الروم والمشرق والافرنج وفك الاسرى منهم وكان له المواكب الهائلة ومهد طريق الحج بحيث كان يسافر اليه من مصر النفر القليل وكان فيه خصال حميدة وميل الى الخير وكان يصرف فى شهر رمضان الى مطبخ الجامع الازهر كل

لهفى على بطل قد كان عدتنا * فيه العفاف وفيه الدين والأدب
قد كان ناصرنا فى وقت شدتنا * اعنى ضرار الذى للحرب ينتدب
فيه الحمية والاحسان عادته * فيه التعصب والانصاف والحسب
لو كان يقدر ان يرقى مراكبه * كان العدو فنى والحرب تلتهب
أو كان خالد فينا حاضرا وطنا * لزال عنا الذى نشكو وننتحب
لو كان يسمع صوتى صاح بى عجلا * مهلا فقد زال عنك البؤس والعطب

قال فلما سمع خالد نداءها قال لبيك يا بنت الازور قد جاءك الفرج وذهب عنك الحرب فاطبقوا على القبط فما كان ببعيد حتى قتلوا منهم سبعمائة واسروا ألفا وثلثمائة وخلصوا الاسرى وسلموا على ضرار وهنئوه بالسلامة وودعوا الراهب بعدما كتب له خالد كتابا بان له من طعام الاسكندرية صاعا ولكل من سكن الدير من اهله وقبيلته ثم انهم ساروا طالبين الاسكندرية وهم سائقون الاسرى من القبط بين ايديهم قال وكان الملك أرسطوليس لما سمع بان العرب قد أتوه اخرج عسكره وضرب خيامه خارج باب السدرة قال فلما قدم المسلمون وقع الصائح بقدومهم ووقع الخوف فى قلب الملك وعسكره وقال له أيها الملك ما الذى تدبر فى أمر هؤلاء العرب قال وما عسى أن ادبر والخوف قد ملأ قلوبكم وهم طمعوا فيكم ورأوا أنكم تنهزمون ولا تخافون العار واذا قاتلتم وهم كانت قلوبكم متفرقة واهواؤكم غير متفقة وقد أسروا رجالكم ولم يرهبوا قتالكم ولا مانع يمنعهم ولوان اصحابهم الذين ارسلتهم الى دير الزجاج عندى لكنت صالحتهم باطلاقهم ودفعناهم عنا وقد فرطنا ايضا فى الالفين الذين أرسلتهم معهم فلو كانوا فينا لقاتلوا معنا فقال له وزيره أيها الملك هل لك ان ترسل اليهم وتحدثهم فى أمر الصلح ونحن نسلم اليهم اصحابهم فقال انهم لن يقبلوا منكم رسولا منذ صبأنا عليهم ببحر الحصا فبينما هم فى ذلك واذا بصاحب البحر قد أتى اليه وهو الموكل بالمنار وأخبره أنه راى مركبا قد ظهر من قبل الغرب ولا اعلم من أين اتى فقال لا شك انه من صاحب برقة الملك كيماويل وقد انجدنا فاقبل المركب ورمى مراسيه ونزل منه شيخ مهيب مليح الشيبة ظاهر الهيبة وعليه ثياب من الصوف الاسود ونزل معه عشرون شيخا من القسوس والرهبان فلما نزلوا الى البر جاءتهم الخيول بالمراكب المذهبة والغلمان والحجاب وعظموا شأنهم واركبوهم وساروا بين ايديهم الى أن اوصلوهم الى الملك وادخلوهم عليه فقام لهم وعظم شأنهم واجلس ذلك الشيخ معه على السرير (قال الراوى) وكان ارسطوليس قد أرسل هدية الى الملك صاحب برقة وارسل اليه يعلمه بما فعله العرب فى مدة قيصر وانهم قد أتونا ومن جملة ما أرسل له يقول أيها الملك اعلم ان الدنيا دار زوال وانتقال فما وهبت الا واستردت ولا فرحت الا واحزنت فالمغرور من تشبث بذيلها واطمان اليها والسعيد من لبس ثياب الحذر منها وعمل لدار المقر اما ترى ايها الملك الى هرقل ملك الشام كيف هرب وزال ملكه وذلك عندما رمته الدنيا بمصائبها وشتتته بسهام نكائبها بعدما كانت فى وجهه مشرقة ولا يخطر لهم الأعداء على بال وما ضربت لك هذه المثال الا لتعلم ان الدنيا لا تبقى على حال وهؤلاء العرب قد استولوا على البلاد واذلوا بسيوفهم العباد وقد أقاموا لهم شرعا بالسيوف الحداد وقد ملكوا القياصرة وقد جاءت طائفة الينا وأخذوا مصرمنا وأخذوا املاكنا وحكموا على بلادنا وبعدنا ولا بد لهم منك ولا غنى لهم عنك والصواب ان تشمر لهم عن ساق الهمم وتنجدنا على من بغى واجرم ونحن جيرانك وكلنا جندك واعوانك والسلام (قال الراوى) فلما وصلت الهدية والكتاب عرضه على أرباب دولته وقال لهم ما ترون فيما كاتبكم به صاحب مصر والاسكندرية فقالوا له أيها الملك ما زالت الملوك يستنصر بعضها ببعض والذى اشار اليه هو الحق وان العرب اذا ملكت ملك القبط فلا بد لهم من العبور الى بلادنا فابعث اليه بنجدة ونكون نحن وهو يدا واحدة فالمسيح يعطى النصر لمن يشاء فاجابه الى ذلك وامر ابن أخيه أسطفانوس أن يمضى فى أربعة آلاف وأمره ان يسير لمعاونة صاحب اسكندرية

سنة ستمائة وسبعين دينارا ومائة قنطار من العسل وخمسمائة أردب قمح وبنى معامر للخير كثيرة الا انه كان شديد الطمع كثير الظلم والعسف يصادر الناس فى أموالهم واذا مات أحد أخذ جميع ماله واتخذ مماليك فصاروا يظلمون الناس ظلما كثيرا فتوجه الناس

ثم انه أرسل خادمه الى عالم أرضهم والمشار اليه فى علم النصرانية وهو البترك واسمه سطيس وكان عمره مائة وعشرين سنة وكان تلميذ زير وساوزير وساتلميذ مرقس ومرقس تلميذ يوحنا ويوحنا أحد حوارى عيسى المسيح وكان هذا البترك سطيس مؤمنا بالله ووحده وسمع باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم و معجزاته وهو مؤمن من قبل مبعثه وظهوره حتى بلغته أخباره صلى الله عليه وسلم وانه مات فبكى لموته ولزم زاوية الحزن ولم يظهر خبره لاحد مدة من الزمان وقد بنى له صومعة وانفرد بها وجعلها على قارعة الطريق فما مرت به قافلة الا واستخبرها عنه و يسأل عمن جلس بعده للمسلمين خليفة فقالوا ابو بكر و بلغه موته وولاية عمر ثم بلغه فتوح الشام وقدوم الصحابة الى مصر وفتحها فلما أرسل صاحب مصر يستنجد صاحب برقة وأرسل أخاه أرسل هذا البترك فى مركب يبشره بقدوم اسطفانوس الى نصرته فلما وصل اليه و بشره فرح بذلك وقال يا أبانا أريد من انعامك أن تسير الى هؤلاء العرب وتختبر دينهم ونبيهم وتدعوهم الى الصلح وتعلمهم أن فى أيدينا جماعة منهم أخذناهم من ساحل الرملة وقد أنفذتهم الى دير الزجاج فان أرادوا أصحابهم أطلقناهم لهم ونعطيهم شيأ من مالنا و اعقد لنا ولهم الصلح بانهم لا يرجعون الينا ولا يتعرضون لنا فقال البترك سأفعل ذلك وانى قد قرأت فى الكتب السالفة فوجدت فيها ان الله يبعث نبيا من أرض تهامة تعرض عليه مفاتيح الارض وكنوزها فلا يلتفت اليها ولا يعيرها نظره ولا يختار الا الفقر على الغنى وان أصحابه يتبعون سنته وأنا أستخبر حالهم قبل سيرى اليهم فقال الملك وكيف تستخبر حالهم يا أبانا قال أيها الملك ارسل بغلة من مراكبك وعليها سامركب من ذهب وهو مرصع بالمعادن وتأمر غلمانك أن يسير وابها و يرسلوها نحو عسكر المسلمين فان أخذوها فنعلم أنهم يحبون الدنيا ولا يريدون الآخرة وان ردوها فنعلم انهم يطلبون ما عند الله قال ففعلوا ذلك وارسلوها وكان فى حكم الليل وكان فى الحرس شرحبيل بن حسنة فلما رأى البغلة وما عليها من الزينة ضحك وقال ان أعداء الله يريدون اختبارنا ومعرفة أحوالنا ان كنا نطلب الدنيا أو الآخرة فوالله ما منا من عمل الى ما يفنى وانما بغيتنا فيما يبقى ثم قرأ انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ثم أمسك بعنان البغلة وأطلقها نحو عسكر القبط قال فلما رأوها صلبوا على وجوههم وقال الملك والله بهذا نصروا وخذلنا والله ان أبى كان على بصيرة من أمرهم ثم أمر البترك سطيس أن يتوجه اليهم فمضى فلما قرب منهم رأى أقواما قد هجروا الدنيا فنهم القارئ ومنهم الذاكر لباسهم الصوف صغيرهم يوقر كبيرهم وكبيرهم يرحم صغيرهم وصوت أحدهم لا يعلو على الآخر الذكر كلامهم والقرآن شعارهم والتقوى لباسهم والخوف من الله أنيسهم فلما دخل على عسكرهم سأل عن أميرهم وصاحبهم فدلوه على موضع خالد فقصده فلما وصل اليه وجده فى ذكر الدين والقيامة فنزل عن بغلته و وقف أمامه وأومأ اليه بالسجود فمنعه خالد فقال له أنت أمير هؤلاء القوم قال كذا يزعمون انى أميرهم ما دمت على الحق واتباع العدل والانصاف والخوف من الله محسنا للمحسنين منهم ومشددا على المسيئين منهم فتى حدث عن هذه الاشياء فلا امارة لى عليهم فقال البترك أنتم والله القوم الذين بشر بكم عيسى بن البتول وان الحق معكم لا يفارقكم قال فامره خالد بالجلوس فجلس وقال يا معاشر العرب أخبرونى عن نبيكم فقال خالد ان الله اختار من ولد آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر كنانة واختار من كنانة قريشا واختار من قريش بنى هاشم واختار من بنى هاشم عبد المطلب واختار من عبد المطلب عبد الله واختار من عبد الله محمدا صلى الله عليه وسلم وقال كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وقال لما خلق الله العرش كتب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فلما وقع آدم فى الزلة رأى على ساق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله فقال يارب من هذا قال ولدك يا آدم الذى لولاه ما خلقتك قال يارب فبحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد فقال يا آدم لو تشفعت الينا بمحمد فى أهل السموات

فيهم وفى سيدهم الى الله تعالى فازال الله ملكه بسبب فتنة بينه وبين السلطان سليم خان ملك القسطنطينية فقصد كل منهما الآخر واجتمعا بعسكرين عظيمين فى موضع يقال له مرج دابق شمالى حلب بمرحلة فى شهر رجب سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة فانهزم عسكر

والارضين لشفعنا لك ثم ان الله جعل اسمه مقرونا باسمه وذكره مع ذكره وسماه بما وسم به نفسه فقال ان الله بالناس لرؤف رحيم وقال فى حقه بالمؤمنين رؤف رحيم وقال من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وقال يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان الله عز وجل رفع ذكره وعظم فخره وأعز قدره فقال تعالى ورفعنا لك ذكرك وهذه غاية الشرف والتعظيم والتبجيل والتكريم وقال يا محمد لا أذكر حتى تذكر فمن أحبك فقد أحبنى ومن سبك فقد سبنى ومن جحدك فقد جحدنى ومن أنكر نبوتك فما عرفنى وها أنا أشهد على نبوتك فقال عز من قائل ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم وقال فى موضع آخر وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله قال فلما سمع البترك ذلك من خالد فرح وقال لقد نجا من اتبعه وخسر من فارقه ثم جدد اسلامه على يد خالد وحدثهم بأمره من أوله الى آخره ثم حذرهم من أخى صاحب برقة وانه واصل ومعه أربعة آلاف فارس وأنى قد سبقته فى البحر وهذا الملك القبطى يريد صلحكم ويقرر لكم على أنكم تصالحونه ان يعطيكم شيأ من المال ويسلم اليكم قوما من أصحابكم قد أخذوهم من ساحل الرملة فقال خالد ان أصحابنا قد فك الله أسرهم وجمع بنا شملهم وقد نصرنا الله على القبط الالفين الذين كانوا مع الاسارى فاننا أخذنا ألفا وثلثمائة أسير وقتلنا سبعمائة ثم انه عرضهم عليه وعرض الاسلام عليهم فأبى أكثرهم وأسلم بعضهم فأمر خالد بضرب رقابهم بين العسكرين ثم ان البترك عاد الى صاحب اسكندرية وقال له هؤلاء لا غلك غرتهم لانهم حذرون من أعدائهم وعرفه بقصة أصحابه وانهم هؤلاء الذين ضربوا رقابهم قبالك فقال له يا آبانا ومن أين لهم هؤلاء فقال قد وقعوا بهم وخلصوا أصحابهم وأسروا من أصحابك ألفا وثلثمائة وقتلوا سبعمائة قال فلما سمع ابن المقوقس ذلك سقط فى يده وأيقن بتلاف ملكه وقال لارباب دولته وعسكره خذوا أهبتكم للقتال وكانكم بعسكر الملك كيماويل صاحب برقة وقد أقبل عليكم ونقاتل هؤلاء العرب بقلوب قوية وأسمر ارنقية ويعطى الله النصر لمن يشاء وباتوا وهم معولون على القتال (قال ابن اسحق) ولقد بلغنى ان الملك نام بقية ليلته فرأى فى منامه كأن شخصا أشقر عريض الصدر قد خرج من حمام ومعه شخص آخر مليح الوجه حسن الخلق وسيم قسيم فى عينيه دعج وله نور يسطع كانه قمر فقال ابن المقوقس للاشقر من أنت قال ابن العذراء البتول أنا المسيح بن مريم وهذا الذى بشرت به من قبل مبعثه هذا محمد رسول الله العربى الامى من آمن به فقد اهتدى ومن جحد نبوته فقد اعتدى وقد جئنا لنصرة أصحابه ومقامنا على القبة (قال ابن اسحق) رحمه الله ولقد بلغنى ان برج القبة مما يلى باب البحر وذلك ان الاسكندر لما بنى الاسكندرية وسماها باسمه كان الخضر وزيره وهو الذى بنى الباب الاخضر وصنع تلك القبة باسمه ورسمه وكان يأوى اليها فصار ذلك الباب مشتهرا به الى يومنا هذا قال ثم ان عيسى عليه السلام قال للملك فى نومه ان كنت من أمتى فاتبع شريعة هذا النبى وذهب عنه فلما أصبح حدث أرباب دولته بما رأى فى نومه فقالوا أيها الملك هذه أضغاث أحلام وما كان عيسى المسيح يماشى العربى وهو عدوه وانما الشيطان قد خيل لك ذلك فلا تلتفت اليه قال فاصغى الملك الى كلامهم ثم انه أمر عسكره بالقتال فركبوا وصافوا المسلمين وأما الملك فانه نظر الى برج القبة واذا بالقبة يسطع منها نور فدخل الوهم فى قلبه مما رأى فى منامه وقال والله ما هذا النور الانور المسيح ومحمد وان هذا هو الحق لا شك فيه (حدثنا ابن اسحق) حدثنا عامر بن بشر عن الاحوص قال كنت فى خيل خالد بن الوليد يوم قتالنا على اسكندرية قال لما وقفنا فى ميدان الحرب وقف يقاتلنا فارس وهو بطريق عظيم الخلقة وعليه لبس يلمع وتحته جواد عربى فنادانا بالعربية بلسان فصيح وقال يا عرب انصرفوا عنا فانا لا نريد حربكم وقد ملكتم منا مصر والصعيد وأكثر الريف وقد بقى فى أيدينا هذه الجهة وما نحن منازعوكم فيما أخذتموه منا ونحن لا نقاد لكم البغى ونصالحكم صلحا نعود منه عن ظلم أنفسنا ونعدل فى رعيتنا وان أبيتم صلحنا القيتنا لكم باسمر ارنقية وقلوب للجهاد قوية فنردكم على أعقابكم منهزمين وفى أذيال الذل متعثرين

الغورى ولم يعلم حال الغورى فاقام السلطان سليم بالشام شهرا ثم رحل الى مصر فوجد عسكر مصر ولواء ليهم الملك الاشرف طومان باى ابن اخى الغورى ووقع بينهم حروب كثيرة فرأى طومان باى فى نومه النبى صلى الله عليه وسلم وقال له يا طومان انت

لانه ماعد أحد على أهل هذا الدين الاذل وانهزم لاننا قوم لنا الكنائس الأربع والصوامع والبيع
والقسوس والرهبان والمذبح والقربان والانجيل والصلبان ثم سكت عن كلامه (قال الراوى) وكان
هو الملك ابن المقوقس فكان اول من بادر الى رد جوابه شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال له لقد افتخرت بما يؤدى صاحبه الى البوار ويعقبه سوء الدار ياويلكم أتفتخرون
علينا بالشرك والطغيان وعبادة الصلبان والكفر بالرحمن ونحن أولوا التقى والايمان والفوز
والرضوان والقبلة والقرآن والحج والاحرام والصلاة والصيام والاجتهاد والاحترام ديننا أفضل
الاديان ونبينا المبعوث بالمعجزات والبيان وبالآيات والبرهان والمنزل عليه القرآن ومن اتبعه
نال من ربه الغفران ومن جحد محبته باء بغضب الملك الديان الذى كان ولا مكان ولا دهر ولا زمان
ولا وقت ولا أوان شهد لنفسه بالربوبية واصفاته بالازلية ولذاته بالاحدية ولملكه بالابدية
سلطانه قاهر وكرمه ظاهر وتدبيره محكم وقضاؤه مبرم وعرشه رفيع وصنعه بديع ليس بوالد
ولا مولود ولا لذاته حد محدود ولا لبقائه أجل معدود خضعت الاعناق لعظمته وخشعت
الاصوات لهيبته وعنت الوجوه لعزته وذلت الاقوياء لقوته لايحصى نواله ولا يفنى كماله ولا
تبيد نعمه وافضاله ياويلكم كيف طاب لكم الكفر بالهيته والاشراك بربوبيته وان تجعلوا له
ولدا من خلقه وبريته وتسجدون للصلبان فى دار مملكته ولا تفزعون من عظمته ثم انه قرأ ويوم يحشر
أعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا
يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة واليه
ترجعون ثم قال شرحبيل ان لله عبادا لو أقسموا على الله أن يدك لهم هذا السور لفعل وكانت اشارته
الى سور المدينة فغار السور فى الارض وبانت المنازل والدور قال فارتعدت فرائص الملك لما عاين ذلك
من عظيم القدرة فلوى عنان جواده الى عسكره وافئدتهم قد طارت وأفكار القبط قد حارت فلما
جن الليل أخذ الملك خزائنه وأمواله وحريمه وعياله وركب فى المراكب وسار يريد جزيرة أقريطش
فلما أصبح الصباح وقع الصائح بالمدينة بان الملك قد انهزم فاجتمع الاكابر وقالوا ان الملك قد انهزم ومالنا
من يدفع هؤلاء العرب قال فخرجوا باجمعهم الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقفوا بين يدى
خالد وقالوا ان الله قد نصركم بحق وايدكم بصدق وانا نريد منكم ان تعاملونا بالنصفة وتنظروا الينا
بعين الرحمة والعدل سنة من كان قبلنا معكم من الروم فقال خالد ما فعل ملككم قالوا انهزم باهله وماله
فى البحر فقال نحن قوم قد أسكن الله الرحمة فى قلوبنا وبصرنا بمعالم ديننا وأظهرنا على أعدائنا وفضلنا
على سائر من كان قبلنا من الاجناس فقال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس ونحن نجريكم على
أحسن عوائدنا مع سائر من فتحنا بلادهم وقد أمسكنا عنكم ولو أردنا أن نملك البلد بالسيف لهان علينا
ولكن خير الناس من قدر وعفا ونريد منكم مائة ألف مثقال ذهبا صلحا عن انفسكم واهاليكم وندعوكم
بعد ذلك الى الاسلام فمن اجاب منكم كان له مالنا وعليه ما علينا ومن عدل عن ذلك اخذنا منه الجزية
عن السنة الآتية من كل رجل وغلام بلغ الحلم اربعة دنانير ونشرط عليكم شروطا ان لاتركبوا دابة ولا
تعلوا دوركم على دور المسلمين ولا ترفعوا أصواتكم عليهم ولا تبنوا كنيسة ولا صومعة ولا ديرا ولا تجددوا
ما دثر وتلقوا المسلمين بالذل والانكسار وتسارعوا فى قضاء حوائجهم وما يريدون فى اصلاح شأنهم ولا
تعدلوا عن تعظيم أهله ومن أذنب منكم ذنبا حددناه ومن ارتد عن قولنا قتلناه وان تشدوا الزنانير
على خصوركم اظهار الدينكم وان لاتظهروا ناقوسا ولا صليبا ولو آمنتم بالله ورسوله لكان خيرا لكم
فقالوا أيها الامير ما نترك ديننا فقرأ واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا
أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى
والى الله عاقبة الامور ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات

ضيفنا بعد ثلاثة ايام فخلع
آلة القتال وذهب الى
السلطان سليم طائعا
مختارا فقتله وشنقه وأبقاه
فى باب زويلة مشنوقا ثلاثة
ايام ثم دفن بعد فن الغورى
المشهور وبموت طومان
باى انقطعت دولة الجراكسة
وارتفعت السلطنة من
مصر وعادت الى النيابة

الصدور غنمهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ فقالوا أيها الامير نريد ان تولى علينا رجلا منا حتى يجمع
المال الذى تقرر علينا فيلمه بالعدل وليكن معه رجل منكم من أصحابك فقال خالد انى لا أعرف أحدا من
أجاويدكم فاختاروا لأنفسكم برضاكم من أولية عليكم فاشاروا الى رجل منهم اسمه شيعا ابن شامس
وكان مقدما فى القبط فولاه خالد على جمع المال ورياسة البلد وندب معه قيس بن سعد وأوصاهم وقال
خذوا من كل واحد ما يحتمل حاله ومن كان معسرا ضعيفا فدعوه واحسنوا ان الله يحب المحسنين ولا
تظلموا يتيما ولا فقيرا ولا أرملة فتعجب القبط من حسن وصيته وكلامه فدخل القوم واجتمعوا فى دار
الامارة وبعث شيعا غلمانه يجمعون الناس (قال حدثنا) جرير بن عاصم عن نعيم بن موسى الدارانى عن
سليمان بن عوف عن جده مازن بن سعيد قال وقع القسط على أهل اسكندرية فكان أكبرهم فى الحشمة
وأغزرهم فى المال يزن عشرة قراريط وأوسطهم حالا يزن قراطين ولقد أتى برجل من أغنيائهم اسمه
برامس لا يدرى ما يملك من المال والدبش والغنم وكان ابخل أهل زمانه فقال له شيعا قد وجب عليك فى هذا
المال دينار قال وحق المسيح ما أنا بالذى يؤديه ولو مت وان تصدقت به كان أفضل من عطيتى للعرب فقال
له قيس بن سعد ان فى الذى نأخذه منكم صونا لأنفسكم وحفظا لدمائكم ونحن ما نأخذه على وجه
الصدقة منكم بل نأخذه حلالا لا حراما يا ويلك لو دخلنا مدينتكم بالسيف ألست كنت أنت أول من قتل
ومالك أول ما نهب وقال له شيعا خذلك الله ولعنك كل من فى اسكندرية يعلم انك كنت أولا فقيرا لا تقدر
على شئ من امور الدنيا وقد آتاك الله من فضله ووسع عليك رزقه فقال ألست ورثته عن آباء كرام
وأجداد عظام وما لله على من فضل قال فغضب قيس وقام اليه وقمعه بمقرعة كانت معه وقال له كذبت
يا عدو الله ورسوله الفضل والحمد والمنة لله لانه رزقنا من فضله وأسبغ علينا من نعمه وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها ثم قال قيس اللهم انه جحد نعمتك فازلها عنه قال فوالله ما مضى يومه حتى جاء الخبر بان أغنامه
قد هلكت جميعا وبساتينه يبست وداره قد تهدمت وأمواله ذهبت قال قيس الله أكبر هذا والله حديث
سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو هريرة بجانبى قال ان ثلاثة من بنى اسرائيل كان أحدهم
أبرص والآخر أقرع والآخر أعمى فبعث الله اليهم ملكا فأتى الابرص فقال له أى شئ أحب اليك فقال
الجلد الحسن والابل فأتى الاقرع فقال له أى شئ أحب اليك قال الشعر الحسن والغنم وأتى الثالث فقال
له أى شئ أحب اليك فقال النظر والبقر قال ثم ان الملك مسح بيده على جلد الابرص فعاد أحسن جلد
وأعطاه ناقة عشراء فبارك الله له فيها حتى ضاقت بابله الديار وأما الاقرع فأتاه ومسح بيده على رأسه
فانبت الله له شعرا حسنا وأعطاه نعجة عشراء فتوالدت الى أن ضاقت بها تلك الديار ثم أتى الاعمى ومسح
بيده على عينيه فعادتا أحسن عينين وأعطاه بقرة عشراء فتوالدت الى أن ضاقت بها تلك الديار قال ثم
أتاهم ليمتحنهم فأتى الابرص فقال له كنت ابرص فقيرا لا تملك شيئا فاعطنى مما آتاك الله من هذه الابل
ناقة أتسبب عليها فقال ما كنت فقيرا ولا ابرص وانما ورثت هذا المال من آبائى قال فذهب الى الاقرع
وقال له مثل ما قال للابرص فقال مثل ما قال الابرص فذهب الى الثالث وقال له مثل ما قال لصاحبيه
فاجاب بأن قال بسم الله والله لقد صدقت فاذهب الى هذه البقر فاقسمها بينى وبينك فقال له بارك الله
لك فى مالك وقد رد الله صاحبيك كما كانا فانهما كفرا نعمة الله (قال الراوى) وجمعوا المال ومضوا به
الى خالد وبنى فيها المساجد واخذ كنيستهم العظمى فجعلها جامعا وترك لهم اربع كنائس وكتب الى عمرو
ابن العاص يعلمه بفتح اسكندرية ففرح وركب وترك موضعه اباذر الغفارى وذهب الى الاسكندرية
وبنى فيها جامعا فى الربض وهو معروف بجامع عمرو الى يومنا هذا

﴿ذكر فتح مدينة دمياط وما والاها﴾

(قال الراوى) واتت اليه اهل رشيد وفوة والمحلة ودميرة وسمنود وجرجة ودمنهور وابيار والبحيرة وصالحوه
على بلادهم ثم انه بعث المقداد ومعه اربعون فارسا وهم ضرار ورافع وشاكر ونوفل ورابح وعاصم

وعادت الى النيابة كما كانت
وكانت مدة الغورى ست
عشر سنة وثلاثة اشهر
تقريبا ومدة تصرف
الجراكسة مائة واحدى
وعشرون سنة وجملة ملوكهم
اثنان وعشرون ملكا اولهم
برقوق وآخرهم طومان باى
ثم جاءت الدولة العثمانية
والصولة الباهرة البهية

وفارس وعروة وسهل وعمير وكعب وسعيد ويزيد وصعصعة وغيرهم وأمرهم بالمسير الى دمياط وأمر عليهم المقداد بن الاسود الكندى فسار والى البراس ودمياط كان بها خال الملك المقوقس وكان عسكره اثنى عشر ألفا وكان قد حصن البلد وجمع فيها من آلة الحصار من الزاد وغيره قال فلما أشرف عليه الصحابة ونظر الى قلتهم ضحك وقال ان قوما ينفذون الينا منهم اربعين ليملكوا بلادنا انهم لفى عجز وقلة عقل قال وكان ولده الاكبر فارسا مشهورا فى جميع بلاد النيل وكان اسمه هريرا وكان يثق به وبشجاعته وبراعته وليس فى عينيه الفرسان شيئا فلما رأى الصحابة وهم اربعون قفز اليهم وهو لابس لامة حربه وطلب البراز فخرج اليه ضرار بن الازور وحمل عليه فطعنه فقتله وحمل على عسكر دمياط فالجاهم الى حيطان البلد وهو كأنه النار فى الحطب فاستعاذ منه الجيش ثم ان خال الملك وكان اسمه البامرك اجتمع بارباب دولته وقد صعب عليه قتل ولده وكان عندهم حكيم يثقون به وبرأيه ويعتمدون على عقله فاحضروه وقالوا له ايها الحكيم العالم ما الذى تشير به علينا فى امر هؤلاء العرب فقال ايها الملك ان جوهر العقل لا قيمة وما استضاء به أحد الاهداه الى سبيل نجاته وقاده الى معالم مصالحه وهؤلاء القوم لا تذل لهم راية ولا تلحق لهم غاية قد فتحوا البلاد واذلوا العباد واشتهر أمرهم وعلا ذكرهم وفشا خبرهم وعلت كلمتهم وطافت الارض دعوتهم فما أحد يقدر عليهم ولا يصل اليهم وما نحن بأشد من جيوش الشام ولا أمنع بلادا وهؤلاء القوم قد أيدوا بالنصر وغلبوا بالقهر وان الرحمة فى قلوبهم فما عاهدهم فما عاهدوا وعهدا وخانوا وما حلفوا يمينا فكذبوا وقد بلغك ماهم عليه من الدين والصيانة والصدق والامانة والرأى عندى أن تصالحهم لتنال بذلك الامن وحقن الدماء وصون الحريم ودفع الامر العظيم ونكون قد صالحناهم ودفعناهم بشىء من مالنا قال فلما سمع البامرك ذلك من الحكيم أمر بضرب عنقه فلما عرف الحكيم أن المنية قد غشيته قال اللهم انى برىء مما يشركون بك لا شريك لك ولا ولد لك ولا صاحبة لك وانا اشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قال فلما سمع البامرك كلامه ضربه فقتله وأمرهم بان يأخذوا على أنفسهم للحرب فلما كان الغد خرجوا الى ظاهر دمياط ونصبوا خيامهم قال وكان للحكيم ولد ورث فضائل ابيه وكان فيه فطنة وعقل وتدبير فلما اقتل أبوه أظهر الفرح والدعة للملك البامرك وقال لقد أراحنى الملك منه ومن شره فبلغ البامرك ماقاله ابن الحكيم فارسل اليه وخلع عليه وطيب قلبه فلما كان الليل قال والله لآخذن بثارابى من هذا اللعين ومن أولاده وكانت داره ملاصقة للسور فنقب نقبا واسعا وخرج منه وقصد الصحابة فلما رأوه قالوا له من أنت قال ان أبى قد قتل من اجلكم وقد نقبت نقبا وخرجت منه فقوموا على بركة الله وعونه حتى تملكوا المدينة منه فقال له ضرار يا ويلك ان الذى بعثك بهذه الحيلة أراد قتلك أما علمت ان الحذر شعارنا واليقظة دثارنا وهم بقتله فقال له المقداد أمهل ياضرار وفقك الله الى الخير ووقاك الالم والضير ثم قال المقداد انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وهو يشير الى شخص بين يديه وكانما يقول على زى هذا الغلام وكانما أتأمل الى هذا الغلام فرأيته على ماهو عليه الآن وكان على وسطه منطقة من الاديم وفيها حلق فضة وهى تحت أثوابه ثم ان المقداد قال ياغلام اكشف عن اثوابك فكشف عن اثوابه واذا المنطقة بعينها فقال أشهد ان لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام المسلمون فصافحوه ومضى الغلام أمامهم الى أن دخل بهم النقب وسعوه بايديهم حتى دخلت خيولهم ثم ردوا الحجارة والطين والبناء على حاله وعمى الله ابصار القوم عنهم فلما كان الغد نظر أعداء الله فلم يروا للصحابة اثرا ولا خبرا فافتخروا بكلمة كفرهم وماجوا وقالوا هربت العرب ووقع الصائح فى العسكر فظهر أهل البلد ليقفوا على صحة الخبر ولم يبق فى البلد سوى النساء والاطفال قال ابن اسحق وكان للحكيم بنو عم ثمانون رجلا وان ولده طاف عليهم بالليل واعلمهم بما فعل فاقبلوا معه واسلموا عن آخرهم فلما كان الغد وخرج كل من فى البلد بادر بنو عم الحكيم واخوته الى الابواب فاغلقوها واعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فوقعت الخمدة على النساء والصبيان

التى هى غرر جباه الايام ألبسها الله تعالى حلة الدوام (فاولهم فى ولاية مصر السلطان سليم خان فاتح مصر) وقد ملكها مستهل سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وتوفى سنة ست وعشرين وتسعمائة وكان سلطانا مهابا قهارا كثير السفك للدماء قوى البطش

واستوثق القوم من المدينة بالثمانين رجلا فامسكوهم الابواب وخرج الصحابة رضى الله عنهم ورفعوا
أصواتهم يكبرون ويدعون الله عز وجل فلما نظر لهم أهل البلد علموا أنهم قد ملكوها وان الذى فعل
ذلك بنو عم الديرجان الحكيم وقد أغلقوا الابواب واقفلوها وملكوا السور فوقف الملك ينظر الى مافعله
الصحابة وعلم ان المدينة أخذت منهم وكان فى أولاده ولد عاقل لبيب كامل الذات والصفات وافر العقل
وكان منذ نشأ يتبع العلماء ويجالسهم ويطلب العلم ومنذ ملك عقله ما أكل لحم خنزير ولا كشف ذيله
على محرم ولا سجد لصورة ولا الصليب وكان همه أن يبنى صومعة وينفرد فيها فلم يمكنه أبوه من فرط محبته له
وكان لا يستطيع فراقه وكان هذا الغلام اسمه شطا وكان يحب أن يسمع أخبار رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويبحث عنها فلما نظر الى الصحابة وقد ملكوا منه البلد وشطا عن يمين أبيه نظر شطا الى الصحابة والى
زيهم والى نور الايمان وهو ساطع منهم قال فشخص شطا نحو السماء ببصره وصاح وسقط عن قربوس
فرسه بوجهه قال فارتاع أبوه وجميع عسكره من تلك الصيحة فلما أفاق قال له أبوه يابنى ماوراءك قال
ظهر والله الحق وبان وقد تبينت لى حقيقة الايمان وقد نظرت الى عسكر هؤلاء العرب وعليهم نور عظيم
ومعهم رجال عليهم ثياب خضر وهم على خيول شهب وبينهم قبتان معلقتان فى الجو بلا علاقة من فوقها
ولا دعامة من تحتها وفيها رجال مارأيت أحسن من وجوههم ولا شك أنهم الشهداء ورأيت فى احدى
القبتين حورا لو برزن لاهل الدنيا لماتوا شوقا اليهن وان الله تعالى ما كشف عن بصرى وأرانى ذلك الا
وقد أرادنى الخير وما كنت بالذى بعد هذه الرؤيا أبقى على الضلال ولا أتبع المحال وانا أشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله وحرك جواده وقال من أحبنى من رجالى وغلمانى فليتبعنى قال فتبعه من القوم ألف
رجل ولحقوا بالصحابة والقوا سلاحهم وأعلنوا بكلمة التوحيد قال فلما نظر البامرك الى مافعل ولده شطا
قال والله مافعل ولدى شطا ذلك الا وقد رأى الحق ولست أشك فى عقله ودينه ثم انه أسلم ولحق بولده
فلما نظر أرباب دولته ذلك قالوا اذا كان الملك وولده قد أسلما فما وقوفنا نحن فأسلموا جميعا على يد أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا المدينة فمن أسلم تركوه ومن أبى أخرجوه الى بلاد الارياف قال وفتح
المقداد النقب الذى دخلوا منه وأمر ببنائه بابا فسماه باب اليتيم وهو ابن الحكيم وترك عندهم المقداد
رجلا من الصحابة يعلمهم شرائع الاسلام وهو يزيد بن عامر رضى الله عنه ورجع المقداد وأصحابه الى
اسكندرية وحدثوا عمرا بما فتح الله عليهم من دمياط ففرح بذلك وكتب كتابا الى عمر بن الخطاب رضى الله
عنه بفتح مريوط والاسكندرية ودمياط ورشيد وفوة والمحلة ودميرة وسمنود وجرجة ودمنهور وابيار
والبحيرة وبعث الكتاب مع عامر بن لؤى

(ذكر فتح جزيرة تنيس)

قال حدثنى زياد عن حميد الطويل عن يونس بن الصامت عن نصر بن مسروق قال لما فتحت دمياط وكان
من أمرها ما كان قال البامرك لولده يابنى ان الله قد انقذنا من نار الجحيم وقد هدانا الى الصراط المستقيم
وذلك السابقة سبقت لنا فى القدم وهذه تنيس بالقرب منا وهى جزيرة ولا يمكن التوصل اليها الا فى
المراكب والصواب اننا نكاتب صاحبها بالتوب وندعوه الى الله والى دين نبيه فان أجاب والا قصدناه والله
ينصرنا فقال شطا هذا هو الرأى وأنا أكون الرسول اليه بنفسى فقال يابنى اعزم على بركة الله وعونه قال
فركب شطا فى مركب واحد مع عشرة من غلمانه الخواص فلما نظر يزيد بن عامر الى ذلك قال وانا اسير
معك الى صاحب تنيس فانه لو سألك عن ديننا ومعالمه لم يكن عندك به علم بان تكلمه ونحن بحمد الله مافينا
من يتكبر ولا من يتجبر وما طلبتنا الا الآخرة والعمل بما يقربنا الى الله ثم سار معه يزيد بن عامر صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وصلوا الى جزيرة تنيس وفيها رجال يحفظونها فلما نظروا الى شطا
وغلمانه وبينهم رجل بدوى قالوا ومن انتم قال لهم شطا انا ابن الملك البامرك صاحب دمياط ومعنا هذا

والفحص عن اخبار الناس
عظيم الكشف عن أحوال
الملوك وكان يغير زيه
ولباسه ويتجسس بالليل
والنهار ويطلع على الاخبار
وتوجه لقتال العجم ونصره
الله عليهم لكنه لم يتمكن
من بلادهم لشدة التمكن
للغلاء والقحط الذى وقع
هناك بسبب انقطاع

الرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جئناكم رسلا قال فارسلوا منهم واحدا يستأذن لهم
فاذن لهم أبو ثوب قال فنزلوا في الزورق واذا به قد أرسل لهم دواب ليركبوها فامتنع يزيد من الركوب
ووافقه شطا على ذلك وساروا كلهم رجالا الى أبي ثوب فاستأذنوا عليه فاذن لهم فلما دخلوا قصر أبي ثوب
واذا به في حشمه وخدمه وزينته والحجاب والغلمان بين يديه وهو في مرتبة امارته وكان قد تكبر وتجبر
منذ نزل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصر ومنع المال والخراج أن يؤديه للمقوقس وولده وقد
اجتمع عنده مال عظيم فلما دخل عليه يزيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشطا وغلمانه ونظروا
الى أبي ثوب وغلمانه وتجبره بدأ يزيد بالسلام فقال السلام على من اتبع الهدى انا قد أوحي الينا أن العذاب
على من كذب وتولى (قال الواقدي) حدثنا ابن سالم عن جرير بن أحمد عن ابن عيينة عن ابن جرير وكان
أعلم الناس بقصة فتوح مصر والمغرب قال كان أبو ثوب هذا من أرض العريش من متنصرة العرب من
آل غسان وهو قريب جبلة وكان صاحب مال ورجال وانه لما وقعت العزيمة على الروم وفتح الشام وانهزم
الملك هرقل وهرب معه جبلة هرب معهم أبو ثوب هذا بماله وأهله واخوته الى أرض الجفار ونزل في البرية
ما بين العريش ورفح وان المقوقس خرج في بعض الايام يريد الصيد في عسكره فانتهى في سرحته
الى أرض العريش فنظر قدامه وحش كبير فطلبه الملك وتبعه ولم يتبعه أحد من عسكره وهو وراءه
وحده الى ان رماه في حلل العرب في حلة أبي ثوب فقام اليه وعظمه وبجله وعلم انه الملك فاستنزل ركابه
وانزله في بيته وذبح له الاغنام ووضع له الطعام وتلاحق الجيش قال فاضافهم أبو ثوب ثلاثة أيام فلما كان
في اليوم الرابع ركب في خدمة الملك وشيعه وعاد فلما دخل المقوقس الى مصر أمر وزيره بان يكتب الى
أبي ثوب بولاية تنيس واعمالها وارسل له الخلع والاموال والمماليك والغلمان فلما وصل اليه منشور الملك
وخلعه فرح أبو ثوب وركب وسار الى العزمة وركب منها في المراكب الى تنيس فلما مكث في ولايته بعث
الى أهله واخوته فاتوا اليه فولى أخاه أبا سيف على جزيرة الصدف وولى أخاه الثاني أبا شق على جزيرة
الطير وولى ولده على دينو رفلما طال عليه الامر طغى وتجبر ومرت الايام والليالي حتى قدم أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أرض مصر فمنع دفع الخراج الى مصر والى المقوقس وولده ورأى نفسه في
تلك الجزيرة فتحصن بها وقال ما أحد يقدر أن يصل الي فلما قدم شطا ويزيد بن عامر ونظر اليهم أبو ثوب
اظهر الاعجاب والتكبر ولم يلتفت اليهم ولم يجسر أحد من جماعته أن يأذن لهم بالجلوس فلما نظر الى ذلك
يزيد بن عامر قرأ ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وجلس الى جانبه شطا ونظر
يزيد الى سرير أبي ثوب فاذا هو من الذهب وفيه صورة النخلة ومن تحتها صورة مريم والمسيح في حجرها فقرأ
فناداها من تحتها أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا
فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا الى
قوله اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة
ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا قال فلما
سمع أبو ثوب كلام يزيد التفت اليه بغضب وحنق وقال ما هذا الكلام الذي نطقت به قال يزيد هذا كلام
الله جل جلاله الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا تفنى عجائبه ولا تنفد غرائبه ولا تبدل
كلماته ولا تمل آياته فقال ما معنى الذي ذكرت ونطقت به وما تفسيره فقال يزيد أما قول الله اخبارا عن
عيسى حين قال اني عبد الله فانه يعلم الخلق انه عبد الله وليس بولد جل الواحد الاحد الفرد الصمد وأما
قوله آتاني الكتاب معناه اعلمني الاحكام واعرفني الحلال والحرام وأما قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة
معناه اني مأمور بالطاعة والخدمة والزكاة مثلكم ان في مالي حق الله وأما قوله والسلام علي يوم ولدت
ويوم أموت فيعلمهم أنه يموت ومن يموت لا يكون له العزة والجبروت وأما قوله ويوم أبعث حيا فيعلمهم
انه واياهم مبعوثون في يوم القيامة ووقوف يوم الحشر والندامة ولو كانا الهين لكان لهما ارادتان ووقع

القوافل التي كان أعدها لتتبعه بالمؤن ففحص عن انقطاع ذلك فأخبر ان سببه سلطان مصر قانصوه الغوري لانه كان بينه وبين اسمعيل شاه كبير العجم مودة ومراسلات فلما استقر في تخت السلطنة استعد لاخذ مصر فكان منه ما كان وكان مستقره في مدة

الخلف بينهما وان الحكمة غير ذلك وهي على وحدانيته شاهدة قال فلما سمع أبو ثوب من يزيد بن عامر هذا
المقال قال لقد مثلتم بالاباطيل وغرقتم في بحر الاضاليل فقال يزيد الله اعلم من هو تائه في تيه المحال
مشرك بالملك المتعال الذي لا سماء تظله ولا ارض تقله ولا ليل يؤويه ولا نهار يأتيه ولا ضياء
يظهره ولا ظلام يستره ولا يقهره سلطان ولا يغيره زمان كل يوم هو في شان أما لكم بصائر أما منكم
من ينظر ويعتبر في قدرة الله القادر أما منكم من يعظ نفسه بذهاب النهار واقبال الليل أما آن لكم أن
تنزهوه أما آن لكم أن توحدوه أما سمعتم ممن تعبدونه وتبرؤن اليه وتعظمونه قال المسيح قد أقرله
له بالعبودية وتبرأ من دعوى الربوبية وقال اني عبد الله ولقد بشر بنبينا قبل مبعثه وعرف بني اسرائيل
بقربه من الحق وكرامته أما سمعتم بمعجزاته وما ظهر من دلالاته أما انشق له القمر أما كلمه الضب
والحجر أما خاطبه البعير والشجر أما هو من أطيب بيت من مضر قال فعجز أبو ثوب عن رد الجواب ولم
يكن له ما يزيل حجته الان قال ليزيد بن عامر لقد علمنا ما فعل ولكنه كان ساحرا وان كان قولك هذا حقا
فادع الله وتوسل اليه بمحمد أن يسقينا الغيث فان جاء الغيث علمنا ان قولك ليس فيه شك ونؤمن بالله
ونصدق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم قال يزيد بن عامر ان الله يقدر على ما ذكرت فان الله على كل شئ
قدير ان العبد المخلص اذا دعاه أجاب دعوته ولكنه يفعل ما يشاء وانا أتوسل الى الله بخير خلقه وصفيه
وهو الفعال لما يريد ثم ان يزيد قام وخرج من مجلس أبي ثوب فقال له الى أين قال ادعو الذي لو شاء انزل
عليكم رجزا من السماء ثم قرأ بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من
ناصرين قال حدثنا عاصم عن رويم عن ابن جبير قال انما طلب أبو ثوب الغيث واقتصر عليه لانه كانت
له مزرعة بالبعد من النيل ولا يقدر أن يسقيها ولا يصل اليها ماء وكانت قد اشرفت على الهلاك واليبس
وكانت منه ببال وكان قد غرس فيها من جميع الثمار والاشجار وصنع لها مصانع تمتلئ بماء المطر فيسقيها
وقت الحاجة اليها وكان المطر قد امسك عنها والمصانع نشفت فلما خرج يزيد الى البحر توضأ وصلى ركعتين
ثم رفع رأسه نحو السماء وقال اللهم انك قد امرتنا بالدعاء ووعدتنا بالاجابة فقلت وانت أصدق القائلين
واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان وقد دعوت كما أمرت فاستجب كما
وعدت يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبدا ولا يحصيه غيرك قال ابن جبير لقد بلغني ممن اثق به ان يزيد بن
عامر ما برح يدعو حتى ارتفع السحاب من الجو ووقف وقفة الخاضع ورفع جناح السائل المتواضع
وارتفعت سحابة وتألفت والرعد يصول حولها صولة الغاضب وهو لها بصوت البرق يزجر بصلصلة وقعقعة
وهرير وهو على ذلك يسيره ويسيره وقد احاطت بالسحابة ملائكة الرحمة متمنطقة بنطاق الخدمة
يسوقونها من خزائن رحمته ويجذبونها بأزمة القهر الى ملك ابديته وهو واضع أجنحة عبوديته موسوم بوسم
يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته والركام يسري ويسرع اسراع الوجل يسبح من يسجد لجلاله
فترى الودق يخرج من خلاله فاذا هي أشرفت وتكاملت بالماء وسقت والبروق من اركانها قد انشقت
وهبت عليها رياح قدرته من مواضع خزائن رحمته وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته فعندها
تفتح مغاليق ابوابها وترفع ستر حجابها فهمت بدموع أشجانها على أيدي خزانها فتستبشر الارض
عند ورودها وتنتظم عقود الزهر عند ورودها في جيد وجودها وتخرج كنوز ذخائرها فانظر الى
آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها قال ونزل المطر يسكب بقية يومهم وليلتهم فلما كان من الغد
حضر يزيد بن عامر مجلس أبي ثوب وقال له كيف رأيت صنع الله الصانع المتكفل بارزاق العبيد فقال
فضحك أبو ثوب وقال ان سحركم لعظيم وان مكركم لجسيم وان سحركم يفعل أكثر من هذا فقال انما ذلك
رحمة من الله قد أبر من أقسم باسمه عليه فلما رأى نزول المطر وظهرت بركات صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال على سبيل المكر الآن تحققت ان دينكم الحق وقولكم الصدق وانا مؤمن بالله ومصدق
برسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوف أعرض دين الاسلام على أهل جزيرتي وأصحابي وأهل

اقامته بمصر الروضة وبنى له
كوشك عند قاعة المقياس
وهو مشرف على بحر النيل
والروضة ولما أراد التوجه
الى الروم تقدم اليه خيربك
بمفاتيح البلاد فردها عليه
وولاه عليها الى ان يموت
فشاوره على ان ابقاه
الجراكسة يريدون الدخول
في جملة الاجناد فأجازه

وأبنى المساجد وآمر بالمعروف وأنهى عن المنكر فقال يزيد ان أنت فعلت ذلك رشدت وان نافقت فان ربك لبالمرصاد ثم خرج من عنده هو ومن كان معه شطا وغلمانه ومضوا الى دمياط الى البامرك وحدثوه بما كان من أبى ثوب فقال والله لقد خدعكم بخديعته ورماكم بسهم مكيدته فقال يزيد بن عامر ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين فالبثوا أياما قلائل حتى وصل الخبر أن أبا ثوب جمع من سائر الجزائر وهو قادم عليهم فلما سمع البامرك بذلك قال ليزيد بن عامر ما الذى ترى من الرأى فى أمر هذا العدو فقال يزيد نستعين بالله ونتوكل على الله ومن قاتلنا قاتلناه (قال ابن اسحق) وان البامرك أرسل ولده شطا الى البراس ودميرة وطناح ومن تحت يده يطلبهم فجاؤا من كل جهة وكتب يزيد الى عمرو بن العاص يعلمه أن أبا ثوب قد جمع الجموع فلما وصل اليه الكتاب أرسل اليهم هلال بن أوس بن صفوان بن ربيعة أحد بنى لؤى ومعه ألف فارس وأمره بالمسير الى دمياط وذلك فى العشر الاول من شعبان سنة عشرين من الهجرة وكان لعمر بن الخطاب فى الخلافة أربع سنين ونصف أما ما كان من أبى ثوب فانه لما نفر اليه العسكر أخرجهم بظاهر تنيس فكانوا عشرين ألفا من الرجال ومن الخيل خمسمائة فارس من القبط ومتنصرة العرب وعداهم فى المراكب وأتوا نحو دمياط فخرج اليهم شطا ابن البامرك فقتل منهم رجالا و جندل أبطالا وانه اشترى الجنة من الله بنفسه ولم يزل يقاتلهم بقية يومه ثم انه عاد من قتال اللئام الى الصلاة والصيام ولم يزل على قدم الخوف والوجل وهو منكس الرأس من الخجل من الله تعالى عز وجل فلما مضى أكثر الليل وطلع نجم سهيل اضطجع فلما كان وقت الغلس وقرب الصبح وتنفس استيقظ شطا وهو باكى العين فقال له أبوه يا بنى ما الذى أبكاك فقال رأيت شيأ فى منامى أبصرته وسمعت منه كلاما وعاينته وحفظته وحررته والدنيا هى طالق وانى بعون ربى واثق ولا شك أنى لك مفارق فقال أبوه أعوذ بالله يا بنى ما هذا الكلام ولعل ذلك أضغاث أحلام فقال لا والله ما هى أضغاث أحلام لكنه أمر من الملك العلام الذى أجرى الاقلام وخلق الضيا والظلام وبعث سيد الانام بشرائع الاسلام وانى رأيت فى منامى كأن أبواب السماء قد فتحت وأنوار الهداية قد سطعت ولمعت ثم تفتحت أبواب السماء الثانية ثم رأيت ملائكتها سجودا على جباههم لا يقومون وركعا لا ينتصبون وقياما من هيبة ربهم لا يقعدون وباكين لا تجف لهم دموع ثم رأيت كذلك سماء بعد سماء الى السماء السابعة ثم رأيت قبة من زمرد أخضر وفيها قناديل من الجوهر وهى تسرج من الانوار وتوقد من غير نار وفيها أربعون حوراء عليهن حلل ما رأيت قط مثلها ولا أبصرت شكلها بوجوه تفتن الانس وفى أرجلهن نعال الياقوت الاحمر يطأن بها على النمارق والزرابى فصاحت بى احداهن وهى كبيرتهن وقالت يا مفتونا بدار الدنيا أما آن لك أن تذكرنا فقد خلقنا الله لك منذ خلقك وجعل مهرنا منك الجهاد فى مرضاة رب العباد وقد ألفت الجفاء وما هكذا صنع أهل الوفاء انظر ما أعد لك وللشهداء قال فنظرت واذا بقباب معلقة حيث لا يدرك لها نهاية بعدد النجوم وقطرات الغيوم وقد نفد الميقات وانقضت الساعات والاوقات فتيقظ من المنام وارحل الى دار السلام وقالت فى كل قبة مثل ما رأيت فقلت ما هذه القباب فقالت هذه قباب قوام الليل والشهداء يأوون اليها فى جنة المأوى ثم انها جعلت تقول

أنت يا مفتون دوما * فى الدنا ثم المنام * فدع النوم وبادر * مثل فعل المستهام
وابك بالوجد دواما * بدموع وانسجام * ثم نح يا ذا كثيرا * فى نهار وظلام
أيها اللائم دعنى * لست أصغى لملام * فى عروس قد تبدت * فاقت البدر التمام
طرفها يرشق باللحظ مصيبا كالسهام * ولها صدغ منير * مثل نون تحت لام
أحسن الاتراب قدا * فى اعتدال وقوام * مهرها ان قام ليلا * وهو باك فى الظلام
يا عمادى ورجائى * ومناى والمرام * فاستمع منى قولى * ثم فكر فى النظام

بذلك وشاوره على ابقاء أوقاف الجراكسة وهى نحو عشرة قراريط من أرض مصر فأجازه بابقائها على ما كانت عليه فتشوش وزيره وقال فنى مالنا وعساكرنا وتبقى لهم أوقافهم يستعينون علينا بها فقال السلطان سليم أين الجلاد وكانت احدى رجليه

وغدا بادر الحرب * والى ضرب السهام * مسرعا تأتي الينا * بعد ترحال الظلام

فقال أبوه اعلم ياولدي أن من المنام مايصدق ومايكذب فلا تشغل نفسك بما رأيت فقال لا والله ياأباه مابقي لي في الدنيا طمع ولم يزل باقي ليلته يبكي ويتضرع ويقوم على أقدام الخشوع ويخضع وأجفانه بالدوام تدمع الى أن أصبح الصباح وأشرق بضيائه ولاح فودع شطا أباه وأهله وخرج الى الحرب فتعلق به أبوه وقال له يابني بحق عليك لا تبلني بفراقك فقال شطا دع عنك العتاب فقد قرب لقاء الاحباب فعندها اقامت على أبيه المواسم وانهل الدمع الساجم ودنا الفراق وقامت الاشواق وجرى دمع كل عين وأقبل البامرك يودع ولده ويقول يابني ان صح منامك وضربت في دار السلام خيامك فاذكرنا بحسن طريقة الوفا واقرئ سلامي على النبي المصطفى فبرز شطا الى مقام الحرب ودعا للبراز فخرج اليه واحد فقتله وثان وثالث حتى قتل اثني عشر فارسا (قال ابن اسحق) فلما رأى أبو ثوب مافعل شطا بفرسانه لم يطق الصبر دون ان خرج اليه بنفسه وكان من الفرسان المذكورة فلما ساوى شطا في الميدان قال له ياشطا كيف تركت الدين المستقيم وعدلت عنه وأصغيت الى هؤلاء اللئام واتبعت دين الاسلام لقد عمل فيك القوم واستوجبت العتب واللوم يافتى عد الى الدين الصحيح والقول الرجيح وهو دين المسيح فأي شيء رأيت من هؤلاء المساكين حتى اتبعت دينهم فلما سمع شطا كلام أبي ثوب أقبل عليه مغضبا وقال له ياشيخ أتأمرني أن أدع الدين المستقيم الذي كان عليه الخليل والكليم واني لي بذلك وقد رأيت الليلة مالي من الكرامة عند الله وقد طلقت الدنيا ثلاثا فلما سمع ابو ثوب كلامه حمل عليه ومد سنانه اليه فتلقاه بقلب قوي وجنان جري وعزم مضي وحسام سري وتقاتلا نصف نهار فعطش شطا فأراد الله أن يطيب قلبه فكشف عن بصره فرأى القبة التي رآها في المنام والحوراء التي أنشدته الابيات وفي يدها كأس من شرب بها لا يفنى ولا يسقم وفيه من الرحيق المختوم وهي تقول ياشطا هذا شراب من شرب منه لا يسقم ولا يفنى والساعة تصل الينا وتقدم علينا قال فلما نظر شطا الى ذلك وسمع منها ماقالت صاح الله أكبر هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون وأخذه الدمع والبكاء خوفا من الله فقال له أبو ثوب مم بكاؤك قال رأيت كذا وكذا فضحك أبو ثوب من كلامه وحمل عليه فتقاتلا شديدا أعظم من الاول الا أن أباثوب سبق شطا بطعنة في صدره فأطلع السنان من ظهره فخر صريعا فلما نظر البامرك الى ولده مطروحا وهم بأخذه صبر دون أن حمل عليه هو واصحابه قال وأظلمت آفاق تلك الارض من الغبار وترادف القتار فوقعت الهزيمة على البامرك وأصحابه فألجأهم الى أبواب دمياط وطمع فيهم عدو الله أبو ثوب واذ قد أتاهم هلال بن أوس بن صفوان بن ربيعة فوضعوا أيديهم في أبي ثوب وأصحابه وهم ينادون بالتهليل والتكبير وتحامى أصحاب البامرك وحملوا من قبلهم قال وأما أبو ثوب وأصحابه فانهم أيسوا من أنفسهم قال فهم في ذلك اذ التقى يزيد بن عامر بأبي ثوب فقال له ياعدو الله أما تعظت بآيات الله أما ظهر لك الحق من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واطبق عليه فأخذه أسيرا وصاح الصائح ان أباثوب أسر فاستسلم قومه للقضاء فأخذوهم عن آخرهم بعد ماقتل منهم خلق كثير ثم انهم عزوا البامرك في ولده شطا فقال احتسبته عند الله فقال له يزيد بن عامر ان في الجنة درجات لا ينالها الا الصابرون قال الله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون (قال ابن اسحق) ودفنوا شطا في ثيابه بعد ماصلوا عليه ودفنوه في موضع قتله قال فلما كان الغد أقبل البامرك الى يزيد بن عامر وقال رأيت الليلة ولدي في النوم وهو في القبة والحور بين يديه فقلت مافعل الله بك قال قبلني بأحسن قبول وجاد علي وأنزلني بجوار الرسول (حدثنا) ابن اسحق حدثنا عمر بن الاسقع عن جده عامر بن خويلد قال قتل شطا في ليلة نصف شعبان فجعل له تلك الليلة موسما في كل سنة وذلك انه لما قتل لم يبق أحد الازار قبره تلك

في الركاب فضرب عنق
الوزير ووضع رجله الثانية
في الركاب ولما نزل الخانقاه
لاطفوه فقال عاهدناهم
على انهم ان مكنونا من
بلادهم أبقيناهم عليها
وجعلناهم أمراءها فهل
يجوز لنا أن نخون العهد
ونغدر واذا أدخلنا أبناءهم
في جندنا فهم أولاد

الليلة وان هلال بن أوس نزل وأحضر أبانوب وعرض عليه الاسلام فاسلم وأسلم من الامرى اناس وأبى منهم اناس وبقوا على دينهم وقرروا عليهم الجزية ودخل المسلمون فى المراكب الى تنيس وبنوا موضع الكنيسة جامعا وبنوا فى جميع الجزائر جوامع وأخرج أبونوب الخمس من ماله وأموال قومه وبعثوه الى عمرو بن العاص مع أموال من قتل وان هلال بن أوس نزل على التل الاحمر بظاهر تنيس وأقر أهل الجزائر فى أماكنهم فقالوا أيها الامير قد أمنتنا من جانبك وبقى علينا الخوف من جانب آخر قال هلال من أين قالوا من أصحاب القلعة المسماة الفرماء قال وأين هى قالوا على جانب بحيرة تنيس عما يلى شرقها وفيهم أقوام وعليهم الصامت بن مرة من آل مرداس فلما سمع هلال بن أوس ذلك مضى اليها بجميع من معه فلما وصلوا اليها أشرف عليهم الصامت بن مرة وأمر أصحابه أن يرموهم وكان بها ألف رجل وغالبهم رماة النبل فرموا عن قوس واحد ألف سهم فمنعتها العرب من الفرماء فاقام عليها هلال بن أوس عشرين يوما فلم يقدر عليها فبعث الى عمرو يعلمه بما وقع ويستنجده فأرسل اليه المقداد بن الاسود الكندى فى خمسمائة من عسكر الاسلام وأرسل معه ثلاثة آلاف ممن أسلم من القبط

﴿ذكر فتوح الفرماء والبقارة والقصر المشيد﴾

قال فلما نزل المقداد على الفرماء تأهب أهلها للقتال فنزل بالصامت بن مرة ما نزل به فعلم انه يبيد القوم لانه ليس له ناصر ولا معين فصالح المقداد على أن يؤدى لهم أربعة آلاف مثقال من الذهب وأربعمائة ناقة وألف رأس من الغنم وان يمهلوه الى تمام السنة فان شاء دان الى الاسلام والا ارتحل بأمانه فاجابه المقداد الى ذلك وارتحل المقداد وهلال بن أوس ونزلوا على البقارة وكان عليها الباقر بن الاشرف فاسلم ومن معه ومضوا الى القصر المشيد ففتحوه صلحا ثم ارتحلوا ونزلوا على الواردة وكان اسمها الواردة فسلمها اهلها وارتحلوا الى العريش فصالحهم أهلها وكذلك أهل رفح وبيدا وميماس ونخلة وعسقلان (قال ابن اسحق) حدثنى يوسف بن عبد الاعلى قراءة عليه بجامع الرملة سنة مائتين وعشرين من الهجرة قال حدثنى موسى بن عامر عن رفاعة عن جده عبد العزيز بن سالم عن أبى يعلى العبدى عن طاهر المطوعى عن أبى طالب القشارى عن وهبان بن بشر بن هزان قال سمعت الشرح كله من محمد بن عمر الواقدى وهو يومئذ قاضى بغداد فى الجانب الغربى

﴿ذكر فتوح ديار بكر وأرض ربيعة﴾

حدثنا عدنان بن يحيى الحرثى عن معمر الجونى ومن طريق آخر عن ابن عمير التميمى والابتدا عن المهلب وطلحة ومحمد قالوا جميعا أو من قال منهم انه لما فتح الله الشام على يد أبى عبيدة عامر بن الجراح وعلى يد خالد بن الوليد وفتح أرض مصر على يد عمرو بن العاص بن وائل السهمى كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الى أبى عبيدة يقول له بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عامر بن الجراح سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد فقد أجهدت نفسك فى قتل الكفار وسارعت الى رضا الجبار وقدمت لك ما تجده يوم عرضك ولم تزمنك يوما معرضا عن اداء فرضك وقمت بسنة نبيك وجاهدت فى الله حق جهاده تقبل الله منا ومنك وغفر لنا ولك فاذا قرأت كتابى هذا فاعقد عقدا لعياض بن غنم الاشعرى وجهز معه جيشا الى أرض ربيعة وديار بكر وانى أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يفتحها على يديه وأوصيه بتقوى الله والجهاد والاجتهاد فى طاعته ولا يلحقه التوانى فى الجهاد ويتبع سنن المؤمنين المجاهدين وما أمر به سيد المرسلين مما انزل عليه رب العالمين يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته ثم كتب كتابا آخر الى عياض بن غنم بالولاية والمسير الى أرض ربيعة الفرس وديار بكر قال وبعث بالكتاب مع ساعدة بن قيس المرادى وزوده من بيت مال المسلمين وأمره بالمسير فسار الى

مسلمين ويفارون على دارهم وأما أراضيهم فأصلها ملك الغانمين ومنهم من وقف ومنهم من قامت ذريته من بعده فهل يجوز ان نزع الملك فى املاكهم وانا أزات الوزر كراهة ان يغير على اعتقادى بتكرار كلامه فرحم الله هذا الملك العظيم وهذا

أن ورد على أبي عبيدة في طبرية فسلم اليه كتاب عمر وسلم الكتاب الثاني الى عياض بن غنم الاشعري فلما قرأه أبو عبيدة قال السمع والطاعة لله ولأمير المؤمنين وهيأ عياضا عسكره الى الجهاد وعقد له عقدا على ثمانية آلاف منهم ألف صحابي من جملتهم خالد بن الوليد والنعمان بن المنذر وضرار بن الازور بن سابق وضمرة وعمرو بن ربيعة وذو الاذعار بن قيس والحكم بن هشام واليسع بن خلف وطلحة وعامر بن بهرام والمقداد بن الاسود وعمار بن ياسر وعبد الله بن يوقنا وكانوا قد قدموا على أبي عبيدة بعد فتوح مصر وكان قدومهم في شهر شوال سنة ست وعشرين من الهجرة وسار عياض بن غنم من طبرية في ثمانية آلاف يريد الجزيرة وعلى مقدمته خيل سهل بن عدي فلم يزالوا سائرين حتى نزل على بالس وكان خالد قد فتحها وصالحها فاقام عليها وسرح سهيل بن عدي الى الرقة فنزل على حصارها وكان عليها بطريق اسمه يوحنا وكان من قبل صاحب رأس العين وكان قد استعد للحرب وعبى آلة الحصار فلما رأى أهل الرقة أن صاحبهم معول على الحصار اجتمع بعضهم ببعض وقالوا أي شيء أنتم بين أهل الشام وأهل العراق ولا مقام لكم بين يدي هؤلاء القوم قال فمشوا الى عياض بن غنم بالصلح فرأى أن يقبل منهم فبعث الى سهيل بن عدي أن يصالحهم على ماوقع عليه الاتفاق وارتحل عياض بن غنم عن بالس ونزل على الرقة البيضاء وفي ذلك قال سهيل بن عدي

وصادفنا الغزاة غداة سرنا	* بجود الخيل والاسل الطوال
أخذنا الرقة البيضاء لما	* رأتنا الشهب تلعب بالتلال
وأزعجت الجزيرة بعد خفض	* وقد كانت تخوف بالزوال
سنقصد رأس عين بعد حين	* أجد بحماتي جيش الضلال
وقصدك ياسهيل تبيد جيشا	* وتقتل في البطارق لاتبالي
فنحن أولو التقية والمعالي	* ونحن الصابرون لكل حال
صحابة أحمد خير الموالي	* رقى العلياء والرتب العوالي
الحرب السماء دناء اقوا	* وخاطبه شفاها بالمقال

﴿ذكر فتح القلعتين زباوزلوبيا﴾

﴿قال الواقدي﴾ رحمه الله ورضي عنه لما فتحت الرقة صلحا عول عياض بن غنم على المسير الى رأس العين وكان علك يومئذ الجزيرة ملك من ملوك الروم يقال له شهرياض بن فرون وكان جيشه مائة ألف وتحت يده وفي عماله من العرب المتنصرة السلطان بن سارية الثعلبي وهبيرة وهم ثلاثون ألفا من الابطال وانهم لما اتصلت بهم الاخبار بفتح الرقة وان المسلمين قاصدون اليهم مع عياض بن غنم وخالد والمقداد أتوا الى الملك شهرياض برأس العين وقالوا له اعلم أيها الملك أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قد أتوا ديارنا وقصدوا نحونا ونحن علينا الطلب أكثر منكم ومطلب القوم أننا ندخل في دينهم فاضرب خيامك بظاهر البلد واظهر بجيشك حتى نلقاهم فلما نادوا ما علينا فاجابهم الى ذلك وقال غير أني أخاف أن تنهزموا عني فاعطوا رهائن واستوثق منهم ورتب آلة الحصار وأخرج الخزائن والاموال ورتب الحرس على الاسوار وزاد في عمق الخندق وعرضه وأرسل الى جملين وكفرتوثا ودارا وماردين وحران والرها وتل مرزة والسن والموزر وأقام ينتظر عياض بن غنم (قال) حدثنا عبد الله بن اسلم عن عاصم بن عبد الله عن ابن اسحق الاموي عن يزيد بن أبي حبيب عن راشد مولاه قال لما عول عياض بن غنم الاشعري على المسير الى رأس العين الى قتال الملك شهرياض بعث قبل مسيره أشعث بن عويلم وعبد الله بن غسان الى القلعتين المعروفتين بزباوزلوبيا فقال عبد الله يوقنا لعياض بن غنم اعلم أيها الامير ان هاتين القلعتين اللتين ذكرتهما حصينتان منيعتان احدهما من الجانب الشرقي والاخرى من الجانب الغربي وهما كانتا تحت ولايتي وان صاحبهما كان من قبلي هو احد بني عمي واسمه اشفكياص بن مارية كني باسم أمه

شأن الملوك وكانت مدة ملكه تسع سنين وثمانية أشهر وتوفي ﴿وولي بعده ولده السلطان سليمان خان﴾ ابن السلطان سليم خان سنة ست وعشرين وتسعمائة فاقام تسعا وأربعين سنة وتوفي سنة خمس وسبعين وتسعمائة وكان سلطانا سعيد الجد

وكنت قد زوجته ابنتي فأخذت في صداقها الحصن الشرقي من الفرات وقد رأيت ان تأمرني بالتقدم
على هذين الحصنين حتى أحل في القلعة الغربية فان فتحتها كانت الاخرى في قبضتنا فقال له لله درك
يا عبد الله لقد نصحت الاسلام وأهله فجزاك الله خيرا أحسن ما جازى به اولياءه سر على بركة الله وعونه
فاذا استقر بك المكان ثلاثة أيام انفذت اليك شعيبا وعبد الله ومن معهم من المسلمين وبعد الفتح
ان شاء الله تنزلون الينا فقال يوقنا استعنا بالله وتوكلنا عليه ثم انه أخذ معه من صناديد جماعته مائة
ولم يأخذوا معهم ثقلا سوى جنيب من الخيل واحد وسار من أول الليل وترك عياض بن غنم على الباسل
فجدوا السير بقية ليلتهم فلما كان قبل الفجر أشرفوا على الحانوقة فوجدوا فيها الفا من الارمن وهم
بالعدة الكاملة فلما أشرف عليهم يوقنا ومن معه وهم يتحدثون بلغة الروم انسوا بهم وسألوهم عن
خبرهم فقالوا هذا البطريق المعظم يوقنا صاحب حلب قد هرب من العرب وأقبل لنصرة صاحب هذه
القلعة فلما سمعوا بذلك فرحوا وصقعوا بين يدي يوقنا وأرسل المقدم عليهم خيالا وأمره بالسرعة ليبشر
اشفكياص بقدوم يوقنا اليه وهروبه من العرب وانه يستأذن عليه فمضى الرجل وأخبر اشفكياص
فاطرق الى الارض ثم قال لوزيره وحق المسيح والانجيل ما جاء الا لينصب علينا ويملك هاتين القلعتين
منا كما فعل بطرابلس وصور وما أنا بالذي يأمن له فما ترى ايها الوزير (قال ابن اسحق) ولقد بلغني
أن هذا الوزير كان من أهل القراءة وكان أديبا عاقلا لبيبا ممن قرأ الكتب السالفة والاخبار الماضية
وقرأ ملاحم دانيال وكان منذ بعث النبي صلى الله عليه وسلم يسكن في دير مترهبا وهو ما بين السر
٢ وحلب فتعبد فيه زمانا طويلا حتى شاع ذكره بين أهل دين النصرانية ثم بعد ذلك أخبر الروم
بانه قد وقع بحافر من حوافر حمار المسيح فكانت الروم ينذرون له النذور والصدقات وشاع خبره وسما
ذكره فسمي ذلك الدير بدير حافر وانه في بعض الايام خرج من ديره الى مزرعة له هناك واذا برجل من البدو
قد عبر وهو راكب على ناقة وكان الحر قد اشتد فأوى الى ظل حائط الدير وأناخ ناقته وعقلها ونام والراهب
ينظر اليه فلما استغرق في نومه أتت حية من مزرعة الراهب وفي فمها باقة نرجس فجعلت تروح عليه حتى
استفاق وذلك الراهب ينظر اليه فلما أفاق أتى اليه وسلم عليه وقال له من أي الناس أنت قال من العرب
قال الراهب قد علمت ذلك وانما أسألك عن دينك قال ديني الاسلام الذي كان عليه أنبياء الله كلهم
عليهم أفضل الصلاة والسلام فقال لعلك على دين هذا الرجل الذي في أرض الحجاز قال نعم (قال ابن
اسحق) وكان البدوي ورقة بن الصامت الهذلي ابن أخت ابن رواحة الانصاري صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان حضر غزوة تبوك وحضر يوم السلاسل وكان أديبا لبيبا شاعرا لا يتكلم
الا بسجع وكان أبو عبيدة قد وجهه لما كانوا في حصار قلعة حلب الى صاحب الرقة يدعوه الى الاسلام
فقال الراهب وكان اسمه شوجوان بن كربان قد بلغني انكم تقولون ما خلق الله خلقا أعظم ولا أكرم
ولا أرحم من محمد وتركتم آدم ونوحا وابراهيم واسحق ويعقوب والاسباط وموسى وداود وسليمان
وعيسى فاريد ان تبين لي حقيقة ذلك فقال ورقة بن الصامت اسمع ما أقول ولا تتبع الفضول أما علمت
ان عالم الملائكة اجتمعوا بالبيت المعمور ووقع بينهم الجدل في تصاريف الامور وافتخر الكروبيون
على الروحانيين والمسبحون على المقربين فزاحمهم ابليس بدقة عبادته ومشيد مباني زهادته فقال
أنا المخلوق من ضرام النار البارع في خدمة العزيز الجبار أين أنتم من وقوفي على اقدام الاهتمام
مائة ألف عام وتعبدي في السموات واكنافها وبروجها واعرافها وأوساطها وأطرافها وجبال
الارض واكنافها فعارضه جبريل بالامتحان والابتلاء وصرفه عن حجة الافتخار والادعاء وقال له
ما أنت في الافتخار الا في الحضيض المخصوص ان لله نبيا في عالم الملكوت محجوبا قد طال اشتياقنا اليه
ووددنا الخبر فيه يرد وجعل نهاية عبادتنا الصلاة عليه فاين من المفاخر بالنزول ومن اطلاق شمس
ادعائه بالافول وقال رب فهل الى لقائه من سبيل والى الوصول اليه من دليل فقال جبريل اقطع

مصر من بني عثمان مثله
وصلت سراياه الى اقصى
المشرق والمغرب وغزا بنفسه
ثلاث عشرة غزوة وبنى
مدرسة عظيمة مشهورة
بالسليمانية وله بيمارستان
للمرضى ومازال منذ ولي
قائما بنصر الدين وتأييد
الشريعة الى أن توفاه الله
تعالى وكانت أيامه من غرر

مسافة

مسافة الامنية وخض بحر الاعتراف بعز الربوبية وثق بحبال العز المكين فانك لخدمة من كون من نور التكوين عليه منقوش بقلم التمكين انك لمن المرسلين فخلع ابليس لباس العمل واستعمل أجنحة الامل وألقى قلادة الادعاء ونكس تاج الكبرياء واستعد لقوادم الطلب وداخله من قول جبريل غاية العجب وجعل همة عزمه تحصيل السبب وحذر من سوء المنقلب وقال يا للعجب أنا مع صدق طويتي في المعاملة والانابة وخلوص سريرتي في طلب الزيادة هل يكون أحد مثلي أو يبلغ درجة فعلي وكيف ذلك واذا رفعت رأسي بالتسبيح أعاين ماحول العرش واذا سجدت لعظمة الله أنظر ماتحت الفرش فنودي أتفتخر علينا بجواهر طاعتك وتوفر أسباب بضاعتك ونحن وفقناك لطاعتنا ومعاملتنا وأريناك أطراف أرضنا وسمواتنا من قوالك على خدمتي من جعلك معلما الملائكتي وعزتي وجلالي لولا أحمد ما خلقت ملكا ولا اجريت فلكا ولا انرت قمرا ولا أمضيت قدرا ولا أسرجت شمسا ولا أقررت عرشا ولا بسطت فرشا ولا خلقت جنة ولا نارا ولا فجرت أنهارا ولا بحارا ولا جعلت النجوم طوالع ولا غوارب ولا الدنيا مشارق ولا مغارب ولكن طر بأجنحة عجل في طلب الايثار حتى يعينك الله بين الجنة والنار قال فسار بفلك طلب النجوم على قدم مطايا التفريد حتى اخترق مابين العرش والكرسي واختبر كل جني وأنسي وكل سر بغنى من المغاني رأى معنى من المعاني وذلك انه لما رأى أصنافا من الملائكة على اختلاف الاحوال من الاجتهاد والطاعة والاعمال وجميع عباد الله الشاكرة موقوفة على خدمة سيد الدنيا والآخرة وعلم معنى عبادتهم وتحقق آثار ارادتهم زاد به الاعجاب فاستعظم وجود ذلك في عالم التراب وقال أي رب أين اجده وأناديه أم كيف التوصل الى سبيل ناديه فقال اطلب نهر السلسبيل فهناك تجد الى نظره سبيل فسار تحت مشيئة القدر الى أن وصل الى النهر فرأى ضوء أيلوح وأسراره بصفات ما فيه تبوح ودار به المقربون والروحانيون والمسبحون والصافون والراكعون والساجدون وقطب عبادتهم دائر على الاستغفار لانه صاحب الافتخار وكلما سبحوا وسجدوا يستغفرون للذين آمنوا به قال فانتظم في سلكهم وأسلك سبيل مسلكهم لتفوز بالنظر في جملة من حضر واذا بنو أحمد قد تعلى ومن سرادقات قصره تجلى فسجدت الملائكة له بغنى عظيم وقالوا انك لعلى خلق عظيم فزد لما غشيه النور الوارد ونطق لسان جسده بما في جسده من ذا الذي ملأ الاكوان بعبادته وافتخر على الملائكة بخالص مجاهدته واذا بالنداء معاشر الملائكة دعوا النظر الى المغاني وحققوا النظر الى الفضائل والمعاني فاحدقت الملائكة نحو القصر بالأعين واذا في جوانبه أربعة أعين فقالوا يارب العزة قد تركنا المغنى فما حقيقة هذا المعنى قال هذه العيون عيون أنهاره وسيوف أنصاره ومعالم سنته بحساب نسبته وأبواب علمه ومقر حكمه وزينة دينه واعلام يقينه وأول عين هي عين التصديق والعين الثانية هي عين التحقيق والعين الثالثة عين النور والحياء والتوفيق والعين الرابعة عين العلم والتشريق فعين التصديق لصديقه وعين العدل لفاروقه وعين الحياء لصهره ورفيقه وعين العلم لاخيه وشقيقه فانظروهم بعين التبجيل والوقار وأكثروا لهم الدعاء والاستغفار فانا الذي قلت فيهم الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار فلما علم شوجوان كلام ورقة بن الصامت لم يرد عليه جوابا ولا أبدى له خطابا غير انه عرف الحق فكتمه ولم يزل شوجوان في الدير حتى أخذ المسلمون حلب فانتقل الى اشفكياص فاستوزره قال فلما استشاره في أمر يوقنا قال له اعلم أيها الملك أن يوقنا من الملوك وابناء الملوك وقد قرأ الكتب وأخوه كان أفضل منه في الدين وقد صحب هؤلاء العرب واطلع على سرائرهم ونظر الى دينهم ورعا انه علم عند النظر ان دين المسيح أفضل من دين هؤلاء العرب وقد هرب من أيديهم اليك فان كان الرجل قد أتى بغير حمل ولا ثقل فاعلم أنه هارب من القوم اليك فيجب عليك أن تخرج الى لقائه وتعظم شأنه وترفع مكانه فلما سمع اشفكياس ذلك خرج بعسكره للقائه وبقي الوزير في القلعة قال فسمعت ابنة يوقنا أن أباها قد أتى فنزلت تسبح في سرب لها تحت

الزمان وجملة وزرائه بمصر خمسة عشر وزيرا (وولي بعده ولده السلطان سليم خان الثاني) فاقام في السلطنة ثمان سنين وشهرا واحدا وأربعة عشر يوما ومات في شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وكان حليما عظيما وسلطانا حكيما شهما طاها

الارض مع جواريها وخدمها وقصدت القلعة الثانية فوجدت اشفكياص قد خرج للقاء أبيها والوزير
شوحوان في مرتبة وزارته فقام اليها وصعد بين يديها وخدمها فجلست تتحدث معه فقال لها خذي على
نفسك الحذر فان الملك قد خرج وأخاف ان يبطش هذا اللعين بابيك واعلمي أنه ما تبع هؤلاء العرب
الا وقد تحقق عنده أن دينهم الحق وقولهم الصدق فقالت له الجارية فما تقول أنت في دين القوم قال هو
والله الحق والدين الصدق واني كنت كاتم هذا السر فلما سمعت ذلك تبسمت وقالت والله لقد رضيت
لنفسي ما رضيه أبي ولكن أنت اكتم هذا عني (قال الواقدي) رحمه الله وان اشفكياص لقي عبد الله
يوقنا وسلم بعضهما على بعض وترجل كل منهم الصاحبه وشكا كل واحد منهما ما يجده من الشوق ثم ركبا
وسارا الى القلعة فنزل يوقنا فيها ومن معه وأتت ابنته وسلمت عليه وبكت وبكى وأما اشفكياص فانه
معول على القبض على يوقنا فقال أيها الملك كيف رأيت هؤلاء العرب في دينهم وعدلهم وسياستهم في
ملكهم فقال يوقنا ان القوم يزعمون أنهم لا يريدون ملك الدنيا وانما يريدون ملك الآخرة ومع هذا قد
ملكوا الشام وأرض مصر وما تغيروا عن طباعهم وأنفسهم الدنيئة وأول الامر وآخره أنهم أظهروا
الناموس حتى ملكوا البلاد ولما كشفت أسرارهم وتحققت أخبارهم ورأيت بيان ما هم عليه هربت
منهم وبعدت عنهم بعد أن ظننت انهم على الحق ونصحت لهم وملكتهم طرابلس وصور وغيرهما
وانطاكية وقد علمت أن المسيح قد غضب على اذ تركت دينه وما أمر به من القربان وما وصى به المريحا
المعمدان واست اظن ان لي تطهيرا من درن الذنوب ومساوي العيوب ثم انه أظهر البكاء والتوجع
والشكوى فلما عاين اشفكياص ما فعله وسمع كلامه انطلى عليه وقال له أيها الملك اذا كنت قد ندمت
على قبيح فعالك ورجعت الى الدين الصحيح بقلبك فابشر بقبول التوبة وزوال الحوبة واعلم ان باب
التوبة مفتوح وعلم القبول لاهل الندامة يلوح وقد قرب عيد الصليب وبقي له عشرون يوما وهذا
مرقس الراهب بدير السكرة وهو من أعظم أهل دين النصرانية فسر اليه ليغمسك في ماء المعمودية
فتخرج نقيا من الذنوب فقال يوقنا أفعل ذلك ولكن من يضمن أن يعيش فعندها قامت ابنته وصفقت
وقالت والله يا أبت ما أدعك تمضي حتى أتملى منك بالنظر وقبلت يد اشفكياص وقالت ياسيدي أريد أن
تأذن لأبي أن يسير معي الى حصني فقال هو الليلة عندي وليلة غد يكون عندك فعلم يوقنا أنه لا بد من
الاكل معه ولا بد في سماطه من لحم خنزير ولا بد من الخمر فقال أيها السيد أينما كنت فانا في نعمتك
وخيرك فقال شرحون لاشفكياص اعلم أيها الملك أن الملك يوقنا كثير الشوق الى ابنته ولهم زمان ما رأيا
بعضهما وما يخفى عليك ذلك والصواب أن يكون الليلة عندها وليلة غد يكون عندك فقال افعلوا ذلك قال
فاخذت أباها ونزلت في السرب الى القلعة الشرقية وعبر أصحابه اليه في المركب فلما جن الليل قالت
الجارية لأبيها يا أبت كيف تركت العرب بعد محبتك لهم ونصحك لدينهم أرأيت أن القوم على باطل وأن
دينك الاول أفضل منه فرجعت اليه فقال يوقنا أي بنية والله ما أتيت اليك الا من شفقتي عليك وقد
افترقنا في الدنيا وأخاف أن يكون الفراق في الآخرة أيضا وقد علمت وتيقنت أن هذين الحصنين نصب
أعين المسلمين وأنت تعلمين ان قلعتي كانت أمنع من كل قلعة بالشام وقد ملكتها العرب ونزعت ملوكها
عن أرضهم وبلادهم فاتقي الله يا بنية في نفسك واعملي على خلاص نفسك من الزبانية والجحيم الحامية والخلود
في الهاوية وارجعي الى الله من قريب واكفري بدين الصليب فوالله ما ثم دين أفضل من دين الاسلام
وعليه كان المسيح والانبياء عليهم الصلاة والسلام وانما غرر بالنصارى وحيدهم عن طريق الحق رجل
يقال له بولص كان من اليهود أضلهم عن الطريق المستقيم وشرع لهم الضلال القديم حتى كفروا بما
جاء به الخليل ابراهيم وهؤلاء العرب قد اتبعوا ما أمر الله به وأمر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولديهم
القول الراجح والفضل الصالح وانهم طلقوا الدنيا ثلاثا وطلبوا بعدها الاجتماع شتاتا فارضي لنفسك
ما رضي أبوك لنفسه فقالت والله ما قلت شيئا الا وانا به عارفة وقد رضيت لنفسي ما رضيت لنفسك وانا اشهد

أحيي سنة الجهاد وحدق
فتح البلاد منها جزيرة قبرص
وكان أول من افتتحها أمير
المؤمنين معاوية بن أبي
سفيان ثم بعده الملك
الاشرف برسباي ثم صاروا
يعكرون ويقطعون
الطريق في البحر على
المسلمين فاستفتى
السلطان سليم فيهم المفتي

ان لا اله الا الله وأشهد ان سيدنا محمدا رسول الله قال ففرح باسلامها ثم قال أى بنية ما الذى نصنع فى أمر هذا الكافر اللعين الفاجر قالت والله لقد قال لى الوزير شرجون انه مصر على قبضك وقال انك ما أردت الا التنصب عليه فقال يوقنا اذا كان الامر كذلك فاصنعى لنا سماطا وسيرى اليه واستدعيه هو وخواصه فأنا آمر أصحابى ان يقبضوا عليهم وعليه اذا اشتغلوا بالطعام والشراب فاذا فعلنا ذلك كانت القلعتان فى قبضتنا ونسلمهم الى أصحاب نبينا ثم انى أريهم انناهر بنا منهم الى ان نحصل فى قرقيسيا فلعل الله ان يفتحها على أيدينا وهذا هو الرأى (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما ذهب الليل واتى النهار أمرت جماعتها بصنع الطعام والحلويات وغيرها فلما صنعوا ذلك وصفوا الموائد وعليها من كل حار وبارد نزلت فى السرب وقصدت اشفكياص فى قلعته ووقفت بين يديه وصقعت له فقام لها اعظاما وقال لها كيف الملك يوقنا وأحواله فقالت أيها الملك انه ما نام الليل وهو متفكر فى القيامة وأحوالها والجحيم وما لها ولقد أراد اليوم المسير الى مدينة قرقيسيا وان يقصد الراهب المعظم قرباقوس وقد اخرته الى ان تحضر وامره على السماط وتمضى انت وهو الى جرجيس حتى يرجع الى دينه وقد جئت اليك لتحضر سماطى وضيافتى أنت وأصحابك وخواصك وتأكلوا من طعامى وتشربوا من شرابى ومدامى والكل من فضلك وانعامك واحسانك وتجبر خاطرى قال فأبى اشفكياص لما دخل على قلبه من يوقنا اذلم يبت عنده وخاف أن يقبضه فقال له الوزير شرجون أيها الملك أليس هذا برأى واذا امتنعت نفر قلبه منك ومايدريك ايها الملك أنه ندم على ماسلف منه وقد أقر بالذنب واعترف وانك اذا أكلت على سماط ابنته ودعوتهم أنت الى سماطك فافعل بعد ذلك فيهم ماشئت قال وكان هذا الكلام من شرجون لاشفكياص سرا من ابنة يوقنا فقام عند ذلك وقال لوزيره احفظ مكانى حتى أعود اليك ولم يكن له ولد يرثه فى الملك قال فاخذ معه خواصه من قومه وحجابه وبنى عمه ونزل فى السرب والجارية أمامهم وجواريها بين يديه بالشمع وقد علم الوزير انه ما بقى يعود اليه بعدها فلما حصل اشفكياص فى قلعة زلوبيا وثب لملاقاته يوقنا واصحابه وكان قد أوصاهم بما يفعلونه فلما وقعت العين على العين أقبل يوقنا اليه ليعانقه وضمه الى صدره وقبض عليه قبضة الأسد على فريسته وفعل اصحابه كما فعل وضربوا فى الحال رقابهم ولم ينتطح فيها اشاتان ولم يعلم بما فعلوه احد ثم نزلوا من فورهم من السرب ومضوا الى زبا فوجدوا شرجون ينتظرهم فلما رآهم تبسم واعلن بكلمة التوحيد وقال لله درك يا عبد الله لقد شرح الله صدرك للايمان وارضيت الملك الديان فجزاه يوقنا خيرا وملك قلعة اشفكياص وجعل يدعو بالرجال ويعرض عليهم الاسلام فمن أسلم تركه وضمن بعضهم بعضا حتى لا ينهزم أحد منهم ويروح الى صاحب قرقيسيا ويخبره بما صنع يوقنا وبعد أيام اشرف عليهم عبد الله بن غسان وسهيل بن عدى فى الفى فارس فاراهم يوقنا القنع والاعراض وناشبهم القتال خمسة أيام وقد عرفوا ان ذلك منه حيلة وارسل يعلموم فى السر أن القلعتين فى يده والليلة اسلمهما اليكم وأظهر الهرب الى قرقيسيا فلعل الله ان يفتحها على يدى فلما كان من الليل أمر شرجون ان يسلمهما اليهم ثم ان المسلمين اعلنوا بالتهليل والتكبير ووقع الصائح من كل جانب وشهروا القواضب وكان فى يومه هذا قد وصل الرسول من صاحب قرقيسيا بالهدايا والتحف الى يوقنا يهنئه بالسلامة والخلاص من العرب والرجوع الى دينه فقبل يوقنا الهدية وانزل الرسول فى خيام أصحابه وكانوا قد ضربوا لهم وطاقا فى الجانب الشرقى فلما صار أصحابه المسلمون فى قلعة زبا أظهر يوقنا الفزع والهلع وقال وحق دينى ما هؤلاء العرب الا شياطين ثم انه أخذ بعض ثقل ابنته فى الليل وسار وايطلبون قرقيسيا وفى ذلك قال طريف أحد بنى ربيعة بن مالك وهو سائر صحبة المسلمين الصحابة رضى الله عنهم هذه الابيات

اتينا الى ارض الفرات مع الزبا * ونحن نروم الروم من كل فاجر
وقدامنا ليث الحروب وسهمها * همام شجاع قاتل كل كافر
واعنى بيوقنا عليه تحية * يناصب للاعدا بحيلة غادر

ابا السعود فافتاه بانهم ناقضون للعهد فجهز اليهم وظفره الله بهم وجملة وزرائه عشر أربعة منهم سنان باشا صاحب الخيرات والعمارات (ثم تولى بعده ولده السلطان مراد خان الاول ابن السلطان سليم الثانى) سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة فأقام فى

وقاتل ابناء الصليب وحزبهم * بحد حسام ماضى الصفح باتر
وصاح على الملعون قرم زلوبيا * فاورده فى الحال سكنى المقابر
وملكتنا فى القلعتين كلاهما * بسعد واقبال ونصرة قادر
سيحظى غداة البعث يوم معاده * بروح وريحان وحور قواصر

(حدثنا) سيف بن عمرو التميمى قال حدثنا الانصارى عن المهاب عن طلحة عن محمد بن ابى الدقيلى بن ميسور قال لما كان من امر يوقنا واشفكياص ماذكرناه وارى من نفسه الهرب سار مع ابنته واصحابه والرسول معهم يريدون قرقيسيا وهم منهزمون فوصلوها مساء ودخلوا معه على شهرياض واعلموه بأخذ القلعتين وكيف فعل معهم العرب فأيقن بهلاكه وأخذ بلاده فقال له يوقنا أيها السيد لاتخف فنحن نقاتل بين يديك حتى نموت وان نزلت العرب علينا يريدون حصارنا لا رينك العجب بقتالهم وان يصلوا اليك بسوء فوثق بقوله وخلع عليه وطيب قلبه وانزله بدار جواره وبعث شهرياض من ليلته الى خاله وهو يومئذ ملك أرض ربيعة برأس العين فارسل يستنصر به على العرب ويعلمه ان العرب قد أخذوا قلعتى زبا وزلوبيا وان الرجل المعظم يوقنا ملك حلب قد هرب منهم بعد خدمته لهم وهو عندى فسار الرجل الرسول الى دير مريم ومنه الى المجدل الى رأس العين فوجد رسول شهرياض الملك بأعظم تحصين قد أعد آلة الحصار وزاد فى عرض خندقها ونصب خيامه ومضاربه على مغاربها وعلى طريق النقب وهو معول على لقاء عياض بن غنم ومن معه وقد جمع عنده سائر عرب الجزيرة من بنى تغلب وغيرهم وقد صنع لهم سماطا واستدعى بامرائهم وهم نوفل بن مازن والفريد بن تغلب بن عاصم والاشجع بن وائل وميسرة بن وائل وميسرة بن عاصم وحزام بن عبد الله وقارب بن الاصم وقال لهم يافتيان العرب لم تزل نرعى صغيركم وكبيركم وحريمكم وعبيدكم وقد ابحنا كم أرضنا ترعون فى حزنها وسهلها ونرضى منكم بما تؤدون الينا من أوباركم فانتم آمنون وهؤلاء بنو عمكم قد ملكوا الشام ومعاقله وأرض مصر وما معها ولم يكفهم ذلك حتى اقبلوا الينا يريدون ان يزاحمونا على ملكنا ويخرجونا من أرضنا وقد علمتم ان القوم ان ظفروا بكم لا يبقون عليكم ولا يرضون منكم الا أن تدخلوا فى دينهم أو تقاتلوا عن دينكم واهلكم واموالكم فكونوا يدا واحدة لا ينفصل منكم شئ كما كان جبلة بن الايهم وآل غسان مع الملك هرقل فان نحن نصرنا على القوم فالارض لنا ولكم على السواء وان كانت الاخرى فنموت على دين واحد ويبقى ذكرنا الى الابد قال فاجابوه الى ذلك وتحالفوا وتعاقدوا ان يموتوا على سيف واحد فاعطاهم الاموال والعدد والسلاح وساروا معه قال ثم ان رسول صاحب قرقيسيا قدم عليه واعطاه كتاب ابن أخته شهرياض فلما قرأه وفهم ما فيه وانه يطلب منه النجدة أرسل اليه بوريك الارمنى وهو الذى بنى تل الموزر والسن وتل عرب وعابدين والسوائد فارسله ومعه أربعة آلاف فلما قدم الارمنى ومعه أربعة آلاف فارس الى قرقيسيا وكانوا قد قطعوا جسرهم الذى كان على الخابور وكان الجسر على اعمدة من حديد وعليها سلاسل وعلى السلاسل ارماح وكذلك ايضا من ناحية الفرات وحفروا حول مدائنهم خندقا عميقا عريضا وحصنوا مدائنهم غاية التحصين واقاموا ينتظرون عسكر الصحابة رضى الله عنهم

ذكر فتح قرقيسيا

ولما ملك عبد الله بن غسان القلعة الغربية حين سلمها اليه شرجون بأمر يوقنا وترك يوقنا العرب وهرب الى قرقيسيا دلهم الراهب شرجون على الطريق نحو السرب الى القلعة الشرقية فملكوها واحتووا على ما كان لاشفكياص فيها وبعثوا الى عياض بن غنم وأرسلوا يعلمونه فى السر بما صنع يوقنا فدعا له المسلمون وشكروه وأرسل يقول لعبد الله بن غسان ولسهل بن عدى احتفظا على ما فى القلعة الثانية ولا تأخذ منها قيمة الدرهم الواحد حتى يسلمه يوقنا لابنته واترككا فى القلعة من يحفظها واطلبا قرقيسيا وانزلا عليها والسلام قال فلما وصل الكتاب اليهما فعلا ما أمرهما به عياض وولياعلى القلعة الغربية

السلطنة اثنتين وعشرين سنة وتوفى سنة ثلاث وألف وكان ملكا مقداما وسلطانا ضرغاما وله مدرسة بخطبة باسلامبول وفى أيامه تحركت عساكر المجر فارسل لها جيوشا كثيرة وافتتح منها المدن الكبيرة وجملة وزرائه بعصر سنة أولهم مسيح باشا

الاخوص بن عامر ومعه مائة فارس وعلى الشرقية زياد بن الاسود فى مائة فارس ومضى عبد الله بن سهل الى قرقيسيا فحال بينهم وبينها الفرات فدلهم بعض سكان تلك الارض على المخاضة فعبروا فى الليل وأصبحوا على أرض واحدة مع أعداء الله وأرسلوا الى ماجن والمحولة والبديل والصور وبعثوا اليهم الامان وأقروهم فى منازلهم وقالوا ان كانت لنا فقد أحسنا فيكم الصنيع وان كانت علينا النصر فنحن عنكم مشكورين على عدلنا فيكم قال فاجاب القوم الى ذلك وباعوا عليهم الميرة (قال) حدثنا هلال بن عاصم عن يحيى بن جبير عن سوار بن يزيد قال لما بعث عبد الله بن غسان الى أهل تلك القرى وطيب قلوبهم بعث بعد أيام سهل بن أساف التميمى وكان من الصحابة الاول ومعه مائة من المسلمين ليأتوهم بالطعام والعلوفة من ناحية ماسكين فسار سهل ومن معه فلما وصلوا الى السمسانية شن عليها الغارة واستاق أموالها فخرج عليه نوفل بن مازن فى خمسمائة فارس واستخلصوا منهم ما أخذوه ووقع بينهم القتال فحملوا باسرار صافية ونيات سامية وأفعال نامية وقلوب تنزهت بالايمان وألسنة تنطق بذكر الرحمن ولم يزالوا فى قتال الى أن قتل من المسلمين ثلاثون وانهزم سبعة وأربعون وأسر سبعة وعشرون من جملتهم سهل بن اساف بن عدى وحدثوا اصحابهم بما كان من المنتصرة ومنهم فعظم ذلك عليهم (قال الراوى) حدثنى نوفل بن عامر عن سالف بن عاصم عن سالم عن الدوسى قال كنت مع سهل بن اساف حين قدمنا على السمسانية وخرج علينا نوفل بن مازن فقال والله لقد قاتلنا قتالا شديدا ما شهدنا مثله حتى كان من اهل الهزيمة ما كان قال سالم بن عبد الله لما أسرهم نوفل بن مازن شدهم فى الحبال وقرن بعضهم الى بعض ورجلهم عن خيولهم وسار بهم يطلب راس العين فاخبروه ان الملك شهرياض على مرج الطير من جانب النقب فقصد اليه ومعه من بنى عمار بعون رجلا وساقوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان أوقفوهم بين يديه وحدثوه بأمرهم فأمر بضرب رقابهم فضرب رقابهم وكان آخر من بقى اميرهم سهل بن اساف وكان أحسن الرجال وجها قال فشفع فيه بعض البطارقة فوهبه له وكان ذلك البطريق اسمه توتابن لورك وهو صاحب كفرتوتا فاخذه وأتى به الى قصره فى كفرتوتا قال فنظرت اليه ابنته فسألت أباها عنه فقال أى بنية ان المسيح قد طرح رحمته هذا الشاب فى قلبى فسألت الملك فيه فوهبه لى فخذيه اليك فاخذته وادخلته فى بستان قال فلما كان بعض الايام دخلت البستان فنظرت الى سهل بن اساف وهو يقرأ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود فلما سمعت قراءته اخذت بمجامع قلبها فقالت ما أفصح هذا الكلام وأطيبه وألينه للافهام فقال لها هذا كلام الملك العلام الذى أنزله على سيد الأنام فقالت الجارية أما محمد فهو نبيكم لا محالة فيه فمن هؤلاء الذين قال فيهم والذين معه قال هو صاحبه ووزيره أبو بكر الصديق رضى الله عنه أشداء على الكفار هو صاحب هذا الفتوح ومجهز هذه الجيوش عمر بن الخطاب رحماء بينهم هو كاتبه وصهره عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا هو أخوه وابن عمه وصاحب سيفه على بن أبى طالب فقالت له الجارية وكان اسمها ابريتما وكانت تكتب بقلم التوراة والانجيل وتتكلم بكلام العرب وكثيرا ما كانت تسأل علماء دينهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يعطيها أحد منهم خبرا حتى وقع بيدها سهل بن اساف فقالت من هؤلاء الذين ذكرت قال هم الذين قالوا وصدقوا وقاتلوا فحققوا وركبوا نجب السوابق فوفقوا وساروا فى بادية الطلب فلم يرفقوا وكلما لاح لهم علم الافاضل تشوقوا ونودوا فى سرائرهم رجال صدقوا ثم أنشد يقول

رجال من الاحباب تاهت نفوسهم * ينادونه خوفا ويدعونه قصدا
وقاموا بليل والظلام مغلس * الى منزل الاحباب فاستعملوا الكدا
يحثون حث الشوق نحو مليكهم * وقصدهم الفردوس كى يرزقوا الخلدا
أولئك قوم فى العبادة أخلصوا * فتاهوا به شوقا وماتوا به وجدا

صاحب المدرسة المسيحية بباب القرافة (ثم تولى بعده ولده السلطان محمد خان الاول) ابن السلطان مراد خان الأول سنة ثلاث بعد الالف فاقام فى السلطنة تسع سنين الاشهرا وتوفى فى سادس رجب عام اثنى عشر وألف وجملة وزرائه عصر أربعة منهم السيد محمد

فقالت له الجارية لقد سمعت من نيسا راهب ديرقنا أن الله ينشر دعوة نبيكم فى المشرق والمغرب ويملك المشرق والمغرب وانهم يفضلونه على الآباء والأمهات والاخوة والاخوات وأنهم بعد موته يسيرون اليه واذا ذكر يكثرون الصلاة عليه فقال لها سهل بن اساف أما علمت انه كان فى حياته يدعو لهم ويستغفر لهم ولمن دخل فى دينه وأقربه ولقد كانت زوجته عائشة رضى الله عنها تقول كانت ليلتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مضى الثلث الأول منها والفلك يدور بالنجوم والسماء تزهو بالكواكب والمردة تحرق بالشهب الثواقب وسرادق الله قد مد جناحه واحال الظلام بادلهامه فبينما انا فى وادى الوسن ساكنة وبجانبى افضل مرسل واكرم من ابتهل وتوسل واذا به قد قضنى وبكلامه الشريف ايقظنى وهو يقول ايتها العين المتكحلة بعين السبات الغافلة عن موارد الهبات هبى من منامك واعملى ليوم حمامك فقد قام اولوا الالباب ومرغوا خدودهم على الاعتاب وفى التراب قالت فقمت معه للخدمة ووقفنا نشفع للامة الى أن برق بارق الصباح وانفلق فلق الاصباح فقال هلمى للصلاة والاستغفار وطلب العفو من العزيز الغفار قالت فوافقته على ما أراد وبلغنا القصد والمراد فلما سكت من تسبيحه وفاح طيب ريحه رأيته وهو يتنفس ويقرع بسبابته جوهر سنه فقلت ياسيد الوجود وطيب الآباء والجدود ان العرب لاتقرع سنها الالأمر مهم أولشأن ملم قال تذكرت حال العصاة من أمتى والمخلصين فى محبتى وذكرت قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فقلت يارسول الله أما انزل عليك قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فوالله ليغفرن لك ولأمتك اقوله واسوف يعطيك ربك فترضى أنت الذى خلق السموات والأرضين والعرش والكرسى من أنوارك وأنت الذى ربطراق القرب ببابك أنت الذى اخترقت معالم الملكوت وحملت الى حضرة القرب والجبروت وأنت الذى أوتيت ليلة القدر وأنت صاحب البطحاء والحرم ولانت لك الاحجار وسلمت عليك الاشجار وانشق لك القمر ليلة الابدار وأنزل عليك ياأيها النبى جاهد الكفار أنت صاحب عرفات ومنى والمخصوص بالشكر والثنا وسوف يبلغك الله من أمتك المنى اما وعدك الله المقام المحمود واللواء المعقود والحوض المورود والكرم والجود وسرادق السعود على أمتك ممدود وسحاب التوفيق عليهم يجود ولواء أصحابك بجواهر قبولك منضود وعليه مرقوم عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا فكيف تخاف على أمتك نزول الباس وقد فضلوا على سائر الناس بقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس ياسيدى أنت تعلم ان أباك آدم تشفع بك فتاب الله عليه ونوح سال بك فنجاه الله من الغرق وابراهيم مع علو قدره بك أنجاه الله من النار والحرق وموسى مع تقربه ومكانته بك سأل ربه أن يشرح صدره وييسر أمره (قال الراوى) وماذكر سهل للجارية هذه المناقب الالأن ترجع الى دين الاسلام قال فلما سمعت كلامه قالت فما جزاء من يدخل فى دينه ويقول بقوله فقال يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وتمحى عنه سيآته ويكون جزاؤه الرضوان فى الجنان ثم قرأ قوله تعالى ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما قال فلما سمعت الجارية ما تكلم به سهل وقع بقلبها وصغت اليه بلبها وقالت أنا أشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله ففرح سهل باسلامها فقالت له اكتم أمرك الى الليل حتى أخلصك وأسير معك الى عسكر الاسلام (قال الراوى) حدثنا ماعد بن عدى النميرى عن أبيه انه سمعه وهو يحدث الناس بالمدينة وقد أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بأموال رأس العين وخزائن الملك شهر ياض قال وان الجارية مضت واستدعت بجواريها وأخذت من مال أبيها ألف دينار فلما جن الليل فتحت باب السر بعد ما تجسست فرأت كل من فى قصر أبيها نياما فأتت الى سهل وحلته من وثاقه وقالت له قم على اسم الله وبركة نبيه فقام سهل بن اساف الى الباب وأعطته لامة حرب ولبست هى مثلها وخرجا من الباب واذا هما بجوادين فركبا وخرجا وسارا مقدار فرسخين عن كفر توثا واذاهم بحس الخيل وراءهم فقالت ان كانوا من الروم فعلى مخاطبتهم وان كانوا من العرب

باشا الذى جدد عمارة الجامع الازهر ورتب له العدس يطبخ كل يوم وعمر المشهد الحسينى (ثم تولى بعده ولده السلطان احمد خان ابن السلطان محمد خان) فى رجب سنة موت والده فأقام فى السلطنة اربع عشرة سنة واربعة أشهر ومات سنة ست وعشرين

المتنصرة فعليك بمخاطبتهم قال فوقفوا غير كثير واذا بالقوم عدتهم ثلاثة وعشرون فارسا وعليهم ثياب خضر وهم على خيول شهب قال فتأملهم سهل واذاهم أصحابه الذين قتلوا بحضرة الملك قال فدنا منهم سهل وسلم عليهم وقال سبحان الله ألم أشاهد قتلكم قالوا نعم أما علمت ان الشهداء أحياء لا يموتون وانما هي نقلة من دار الى دار وان الله قد بعث بأرواح الشهداء في هذه الليلة لتزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم وكانت تلك الليلة ليلة النصف من شعبان فقال لهم انى أريد المسير معكم وفى صحبتكم قالوا انك لا تقدر على ذلك وقد بقى من عمرك احدى وأربعين ليلة وتلحق بنا وأما هذه الجارية فقد أعد الله لها فى الجنة ما أعد لأوليائه وقد بنى لها قصرا من الجوهر والياقوت الأحمر على شاطئ نهر الكوثر ستوره معلقة وبالأنوار مرونقة وقبابه مزوقة واسرته موضونة وفرشه مرفوعة وأباريقه مصفوفة وزواياه محفوفة وحلله منسوجة وحواشيه بحسن الوفاء مسروجة على أبوابه مكتوب بقلم السر المكنون ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فلما سمعت الجارية قولهم قالت فبم استوجبت هذا النعيم قالوا بتوحيدك الرب العظيم وتصديقك النبي الكريم قال فصاحت صيحة فاذا هي ميتة قال سهل فدفنتها وغاب الشهداء عنى وسرت الى المسلمين فحدثت عبد الله بن غسان وسهل بن عدى بذلك فازداد المسلمون يقينا بذلك وعاش سهل بعدها احدا وأربعين يوما ومات رحمه الله (حدثنا) صفوان بن عامر عن خويلد بن ماجد عن عبد الرحمن بن النعمان عمن حدثه عن فتوح الشام وأرض ربيعة الفرس قال لما نزل عسكر المسلمين على قرقيسيا مع عبد الله وسهل قال خندق المسلمون على أنفسهم خندقا وتركوا لهم موضعا يدخلون منه ويخرجون قال واتصلت الاخبار بعياض بن غنم وهو بجانب الرقة وهو يتروى فيمن يبدأ بحربه بشهرياض وجنوده أو بحران والرها فقال له خالد بن الوليد رضى الله عنه أترك حيشا قد تهيأ واحتفل لقتالك وتغزى سواه والرأى أن تلقى هذا العدو فاذا أنت هزمته وأوقعت الهيبة هناك فاقصد ماشئت من البلاد فانها تفتح ان شاء الله تعالى قال فعول عياض على ذلك واذ قد أتته جواسيسه وأخبروه انه قد تهيأ لحربكم الملك شهرياض ونوفل وطرباطس صاحب دارا والموزر وصاحب جلين وأرمانوس صاحب تل سماوى وأرجو وصاحب البارعية وشهرياض صاحب ماردين وردوس صاحب حران والرها وقد صارت جريدتهم مائتى ألف وقد ضمنوا للملك لقاءكم وقالوا لا نلقى العدو الا بأهالينا وأولادنا وأموالنا وحريمنا حتى لا ينهزم منا أحد وقد تقدم اليكم الارمن وبعدهم الروم وهم دون الفرات فلما سمع عياض ذلك بعث اليهم الوليد بن عقبة ووصاه بما أراد قال فقدم على بنى تغلب وجمع امراءهم وهم نوفل ابن مازن وعاصم والاشجع وميسرة وحزام وقارب وقال يا فتيان العرب اعلموا أن من نظر فى العواقب أمن من المعاطب وليس أنتم أحد سنانا ولا اقوى جنانا ولا أجرأ فى الجولان ولا أوسع ميدانا من بنى غسان وليس فيكم من يشبه جبلة بن الأيهم وكان فى ستين ألفا وقد نصرنا الله عليهم وقتلنا ساداتهم والصواب أن ترجعوا الينا وتكونوا من حزبنا قال فأجابوه باجمعهم الا طائفة أياذ الشمطاء فانهم ارتحلوا الى بلاد الروم ووصل عرب بنى تغلب الى جيش عياض بن غنم مسلمهم وكافرهم فرحب بهم وطيب قلوبهم وقال لهم يا معاشر العرب ان الله سبحانه وتعالى قد أراد بكم خيرا بوصولكم الينا ونزوعكم عن عبدة الصليب وقد أراكم الله اعزاز دينه وشرف نبيه وقد وعدنا ووعده الحق بملك كسرى وقيصر وأخذ كنوزهما وما كان ينطق عن الهوى وقال الله فى حقنا ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون قال فأسلم كافرهم وبقوا جميعهم مسلمين (قال الراوى) أخبرنا سيف عن خالد بن سعيد قال لما علم عياض بهرب اياذ الشمطاء الى بلاد الروم كتب الى عمر بن الخطاب بذلك فأرسل عمر رضى الله عنه الى هرقل وولده قسطنطين يقول لهم ان لم تصرفوهم عن أرضكم لأفنين كل نصرانى عندنا (قال الواقدى) فلما وصلت رسالة عمر الى هرقل وولده أنفذهم اليه قال وعزم عياض على لقاء الملك شهرياض وأما ما كان من شهرياض صاحب قرقيسيا فانه جمع بطارقته وقال لهم اعلموا أنه قد بلغنى عمن تقدم من

وألف وبلغ من العمر نحو ثمان وعشرين سنة وخلف أربعة ذكور عثمان ومحمد ومراد وأبا يزيد وله خيرات وعمارات بالحرمين وغيرهما وله جامع عظيم بالقسطنطينية أنفق عليه مالا كثيرا وجملة وزرائه عشر سنة (وتولى بعده أخوه السلطان مصطفى خان) ابن السلطان

الملوك انهم كانوا يجيشون الجيوش ولا يستغنون عن الحيل وانا اريد في غد اقعد ان اخرج الى لقاء العرب فاذا اصطفت الصفوف فرجلوني عن جوادي واشهروا على سلاحكم كأنكم تريدون قتلي فاقول اسمعوا انا معتذر انما اردت ان احرب غير حمية لدينكم وظننت انه قد اخذكم الخوف من هؤلاء فاذا سمعتم مني ذلك فارجعوني الى اجلالي واعظامي ثم ناوشوهم الحرب فاهرب انا اليهم واقول لهم اني اردت ان أسلمكم البلد فهاش القوم على كما رايتم وهموا بقتلي وقد جئت اليكم راغبا في صحبتكم فاذا أمنوني وغفلوا عني قتلت اميرهم في الليل وانا اعلم ان القوم بعده يهون على امرهم ثم اعول على انهزامهم فقال له وزيره الارمني وكيف تسمح بنفسك وتلقيها في اضيق المسالك وان انت فعلت ذلك لا نامن عليك من العرب ويعتينا خالك ويقول لنا كيف تركتموه يمضي الى العرب فقال عبد الله يوقنا لقد صدق السيد في قوله وكيف نتركك تمضي اليهم وانا ادبر لك مع هؤلاء القوم تدبيرا يكون أقرب من هذا وأهون فقال شهرياض والوزير الارمني وما هذا التدبير ايها الملك قال أن نخرج غدا باجمعنا ونلقاهم ونريهم الجد من انفسنا ونقاتل بحسب الطاقة ثم ننهزم الى المدينة ونستوثق من ابوابها ونصعد على السور فرعاقر بوا منا فلا نقاتل فاذا فعلنا ذلك طمعت العرب فينا ودنوا منا واعلموا ان في عسكرهم جماعة من الروم صبوا الى دينهم فر عاقربوا منا فاذا ارادوا ذلك كتبنا اليهم نطيب قلوبهم ونرسل رسولا في طلب الصلح ونقول ارسلوا الينا عشرة من عقلائكم حتى نرى ما تريدون منا واعلمنا نعقد معكم صلحا فاذا فعلوا ذلك وحصلوا عندنا قبضنا عليهم ونشهر سيوفنا عليهم ونقول لهم اما ان ترحلوا عنا والاضربنا رقابهم فان القوم اذا رأوا الجد منا طلبوا لحنا باصحابهم ورحلوا عنا والعرب اذا قالوا قولا وفوا به فان هزموا الملك شهرياض واحتووا على بلاده دخلنا بعدها تحت طاعتهم وارتحلنا عنهم الى بلاد الروم قال وانما أراد يوقنا بهذا الكلام أمرين احدهما ان يبرأ عندهم من التهمة حتى يطمئنوا اليه والثاني ان يحصل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة في المدينة فيحتال أن يكونوا تحت يده ليثور بهم فيملك بهم المدينة فقال له وزيره الارمني وان كان العرب يبعثون الينا صعاليكهم ارموا اليهم فنقبض عليهم ونعدهم بالقتل فلا يلتفتون الى ذلك ويقع الجد منهم في قتالنا ولا يرحلون عنا فكيف نصنع قال فراهم يوقنا أنه غضب وحول وجهه وقال وحق المسيح لقد دخل رعب القوم في قلوبكم وان تفلحوا بعدها أبدا وحق ما أعتقده لقد قاتلتهم في قلعتي بحلب قتالا سارت به الركبان الى سائر البلدان مدة سنة كاملة لما قدروا عليها ابدا وكانوا قد نزلوا على بجميع عسكرهم وأبطالهم فكيف بكم وما نزل عليكم الا شرذمة يسيرة وبلد كم حصين ليس عليه قتال الامن موضعين من صوب الجبل ومن الغرب وما لكم عذر ومن أراد رضا المسيح والاجر قاتل عن دينه وصان أهله وحريمه من هؤلاء العرب وان خفتم أن القوم يرسلون الينا موالیهم أو من لا له عندهم قدر ولا شأن فانا اعرف الناس بهم وبفرسانهم وابطالهم وموالیهم وخاصة أصحابهم فانفذوا مع رسولكم كتابا باسماء القوم الذين أريد منهم المقداد والنعمان وشرحبيل بن كعب ونوفل وعبد الرحمن بن مالك والاسود بن قيس وخالد بن جعفر وابن قيس وهمام بن الحرث ومالك بن نوبة وسلامة بن عامر قال فضحك الوزير الارمني وقال وحق ديني ان العرب لا يسمحون بهؤلاء قط الا ان يطلبوا رهائن منكم فقال يوقنا ما أفشل رأيكم وأضعف قلوبكم انفذوا الى القوم فان اجابوا كان ببركة السيد المسيح وان طلبوا رهائن أرسلنا ضعفنا من أهل المدينة ومن اولادهم والبسناهم افخر الثياب وقلنا هؤلاء أكبرنا من أهل المدينة قال شهرياض وحق القربان ما نفعل الا ما أمرتنا ثم انه أمر بطارقته وأرباب دولته أن يأمروا الناس بالتأهب للحرب ففعلوا ولبسوا سلاحهم واعتدوا للقتال وأمر سهل بن عدي وأصحابه بالركوب فركبت العرب وخرجت من باب الخندق واستقبلوا العدو بهمم عالية وقالوا اللهم انصرنا عليهم كنصر نبيك يوم الاحزاب وعبوا صفوفهم ثم وعظهم وقال في آخر وعظه انا حامل نحو

محمد خان سنة سبع وعشرين وألف وخلع سنة ثمان وعشرين وألف ولم يخلع قبله أحد من سلاطين آل عثمان (وتولى يوم خلعه ابن أخيه السلطان عثمان خان) ابن أحمد خان وهو مراهق فأمر باكرام عمه السلطان مصطفى المخلوع وخرج السلطان

طاغية الروم وصليبه فاتبعونى فان فتح الله بقتله أو أخذ صليبه فالقوم لا ثبات لهم فقالوا أيها الأمير لقد دعوتنا الى شئ هو احب الينا فاحمل حتى نحمل قال محمد بن عبد الله فحمل هو ومن معه على عسكر قرقيسيا وكان أمير المسلمين عبد الله بن غسان وسهل بن عدى فلقد قاتلوا قتالا شديدا وجاهدوا فى الله حق جهاده و بذلوا رماحهم وسيوفهم فى اعداء الله والتقى عبد الله بن مالك الاشتر بيورنيك الارمنى فلما عاين زيه علم انه من ملوكهم فطعنه فى صدره فاخرج السنان من ظهره والتقى النعمان بن المنذر بشهرياض وقد طحطح الجموع ولم يعلم النعمان بانه صاحب البلد بل عرف انه من الملوك فحمل عليه النعمان وهو يقول هذه الأبيات

وانا القوم فى الحروب ليوثها * وتنفر منا عند ذاك أسودها
نحامى عن الدين القويم نصونه * ونرغم آناف العدا ونذودها
لنا الفخر فى كل المواطن دائما * باحمدنا الهادى فذاك سعيدها
ملكنا بلاد الشام ثم ملوكها * الى أن تبدى بالنكال عديدها
وسوف نقود الخيل جردا سوابقا * الى شهرياض الكلب ذاك شديدها
ونملك دارا ثم جلين بعدها * كذا رأس عين والجيوش نقودها
ونمضى الى حران ثم سروجهم * كذاك الرها للمسلمين نعيدها
وانى أنا النعمان ذاك ابن منذر * أبيد ليوث الحرب ثم أسودها

ثم اطبق عليه وفاجأه بطعنة فالقاه صريعا فلما نظر جيش قرقيسيا الى هلاك ملكهم انحرفوا الى مدينتهم وتحصنوا فى بلدتهم وخافت ارمانوسة ودخل الرعب فى قلبها ثم انها قالت للعبد الصالح يوقنا يا عبد المسيح مابقى لى أحد سواك يسوس ملكنا ويدبر حالنا فقال ايتها الملكة انا لك و بين يديك ثم انها اخلعت عليه وعلى اصحابه وقالت اعلموا ان هذه المدينة والمملكة لكم فقال يوقنا يجب علينا أن نقوم بحقها ونقاتل بين يديها ثم انه رتبهم على الاسوار فدنا المسلمون ورجالهم وهم يرمون بالمقاليع فكانت حجارتهم لا تخطئ أبدا وكان المقدم على الرجال والموالى المنذر بن عاصم ولم يكن بالحجاز ولا باليمن قاطبة أرمى منه بالمقاليع وكان من قوة ساعده اذا اخرج حجره يجاوز البرج الأعظم فلم يزل يرمى فيه كل يوم فيصيب الرجل والرجلين فسمته العرب برج المنذر وكانوا قد ضايقوا أهل قرقيسيا مضايقة شديدة فقالت أرمانوسة أين ما وعدت به الملك شهرياض من تدبيرك فى هؤلاء العرب فقال أنا فى هذا الأمر متفكر ثم انه صعد على السور ونادى يا معاشر العرب قد طال الامر بيننا وبينكم ولا نسلم لكم الا ان تهزموا الملك وتملكوا رأس العين ونحن لكم بعد ذلك واطلبوا منا من المال ما تريدون فقد علمنا أنكم اذا قلتم فعلتم ووفيتم قال فلما رآه عبد الله بن غسان وسهل بن عدى والصحابة ونظروا اليه علموا أنه يريد ان ينصب حيلة على اهل قرقيسيا فقال سهل بن عدى يا عدو نفسه مكرت بنا وعمت منصوبك علينا بدخولك فى ديننا حتى اطمأننا اليك ثم غدرت ورجعت الى دينك الاول فاين تهرب منا أو تولى عنا ونحن لك فى الطلب وسوف نملك هذه المدينة بالسيوف ونضرب عنقك وهذا أيضا من تمام الحيلة فقال يا معاشر العرب لقد نصحتكم وخدمتكم وما رأيت منكم الا خيرا ولكن طالبتنى نفسى بدينى فرجعت اليه والآن فقد مضى ما مضى وهذه المدينة ما لكم اليها وصول ولا تقدرون عليها الا انها حصينة وفيها رجال الحرب والقوت عندنا كثير ولكن أنفذوا الينا منكم عشرة من أعز أصحابكم ممن نثق بهم يحلفون لنا ونحلف لهم اذا فتحتم رأس العين سلمنا هذه المدينة اليكم ويكون الصلح بيننا بقية هذه السنة فقد بقى منها أربعة أشهر أولها شهر رمضان فقال له عبد الله بن غسان قد أجبناك الى ذلك فمن هم العشرة الذين تريدهم حتى نرسلهم اليك فقال أريد المقداد بن الاسود والاسود مولى قيس وخالد بن جعفرور واحة بن قيس وهمام بن الحرث وسلامة بن عامر وابن نعيم فهؤلاء نريدهم فانه لا يقع الصلح الا بهم قال فوجه عبد الله هؤلاء الذين ذكرهم له يوقنا

عثمان المذكور الى جهاد الكفار بنفسه وغاب نحو سبعة أشهر ثم عاد منصورا مؤيدا ثم عزم على الحج وأفضى الحال الى مثل فتنة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه وكانت مدته اربع سنوات واربعة اشهر وعشرة ايام وجملة وزرائه ستة (ثم تولى بعده عمه

قال وفتح لهم الباب فقال له عبد الله نحن ما نسمح بأصحابنا بلا رهائن فمضى يوقنا الى الملكة ارمانوسة
واخبرها ان القوم يريدون رهائن فقالت ارسل لهم من أولاد السوقة قال يوقنا ايتها الملكة ان الحيل فى
الحرب من عند العرب خرجت والملوك من شأنها اذا قالت قولا وفت به واعلمى انه قد قال حكيم الفرس
اذا كان الغدر طباع قوم فالثقة بكل أحد عجز واعلمى أن اهل بلدك فيهم رؤساء وملوك وهم يعظمون
شأنك بعد بعلك الملك ولكن ينظرون اليك بعين التأنيث وينظرون الى بعين الغربة ولا هيبة لى
عندهم وربما سمعوا بمطامع العرب فلا يملكونا من ذلك ولا يتم لنا ما نريده وربما يرسلون يستنجدون
علينا بعقيل ملك الموصل وصاحب الخنكارية ويعظم الامر قالت فما الذى تراه من الرأى قال الرأى أن
نبعث الرؤساء رهائن عند العرب وانما فعل ذلك يوقنا حتى لا يتعرض له متعرض فى المدينة واذا اسلمهم
لا يكون فيها رئيس من رؤسائهم فاجابته الى ذلك وأنفذت الرؤساء منهم رهائن الى عبد الله بن غسان فلما
وصلوا اليه دخل العشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما حصلوا فى المدينة أمرهم الى
البرج الكبير وهو المعروف ببرج المنذر وانما فعل ذلك حتى لا يعصى من فى البرج لان فيه مال أهل
البلد فلما حصلوا هناك رجع الى الملكة ارمانوسة وقال قد حصلتهم فى البرج وغدا نوقفهم بأعلى البرج
ونقول لهم اما أن ترحلوا عنا أو نقتلهم قالت وكيف نصنع برهائننا وان نحن فعلنا بأصحابهم ما ذكرت
يفعلوا بأصحابنا كذلك قال لها يوقنا اذا كنت تفزعين على أهل البلد فصالحى القوم قالت دبرنا بحسن
رأيك فقال السمع والطاعة وأنا أمضى الى هؤلاء العشرة فمع ما وصاهم به أمرهم وننظر ما الذى يطلبونه
منا ثم انه مضى الى الصحابة وحدثهم بما عزم عليهم من تسليم البلد وقال لهم اذا سمعتم الضجة فدونكم ومن
فى البرج ثم رجع الى أصحابه ورتبهم على السور ولم يترك معهم أحدا من أهل البلد فلما أظلم الليل سار عبد
الله يوقنا مع أصحابه المائتين وأعلنوا بالتهليل والتكبير وبادروا الى الباب ففتحوه وأرسل الى عبد
الله بأن يأتى اليهم بعسكره فأتوا ووضعوا السيف فى أهل البلد فما أفاق أهل قرقيسيا الا والمسلمون قد
مكنوا منهم القواضب فقصدوا البرج الاعظم فثار عليهم العشرة الصحابة فعلمت الملكة أرمانوسة ان
الحيلة قد تمت عليها من قبل يوقنا وسمعت أهل البلد ينادون الغوث الغوث فأمنهم عبد الله بن غسان وسهل
ابن عدى واحتووا على ما فى المدينة وأخذوا جميع ما كان فيها من الاموال وما فى البرج الاعظم من
الذخائر فاخرجوا منه الخمس وقسموا الباقى على المسلمين وعرضوا عليهم الاسلام فمن أسلم منهم وهبوا له
أهله وماله ومن أبى ضربت عليه الجزية ثم اجتمع الذين أسلموا وأتوا الى الامراء وقالوا نحن قد دخلنا
فى دينكم فسلموا الينا كرومنا وبساتيننا فقال لهم عبد الله بن غسان وسهل بن عدى هى بحكم الامام يعنى
عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو الذى يسكن فيها من أراد ويأخذ خراجها ممن هى فى يده فان حكم الخراج
والخمس والجزية بامر الامام يأخذ حاجته منه ويصرف الباقى فى مصالح المسلمين (قال الواقدى)
واسلمت أرمانوسة ومن كان يلوذ بها فاقرهم عبد الله فى أماكنهم وأحسن اليهم غاية الاحسان وجدد لهم
الامان كل ذلك ليتصل الخبر بأهل البلاد فيدخلوا فى الاسلام قال عطية بن الحرث وكان ممن أدرك
ذلك كان فتح قرقيسيا أول ليلة من شهر رمضان سنة اثنتين وعشرين من الهجرة وبنوا الكنيسة
العظمى وهى بيعة جرجيس جامعا ولم يبرحوا حتى صلوا فيه وأطلقوا الرهائن وتسلم ولايتها شرحبيل بن
كعب فى مائة وخمسين رجلا وعولوا على المسير الى ماكسين والتفت الامير الى عبد الله يوقنا وقال مر ابنتك
أن ترجع الى قلعتها فقد جاءت الوصية الينا من قبل الامير عياض قال فرجعت والحمد لله وحده والصلاة
والسلام على من لا نبى بعده

﴿ذكر فتح ماكسين والشمسانية﴾

قال حدثنى زهمان بن رقيم عن الصلت بن مجالد عن القيل بن ميسور قال لما ارتحل عبد الله عن قرقيسيا
ونزل على ماكسين فتحها صلحا على أربعة آلاف درهم من نقد بلادهم وألف حمل طعام حنطة وشعير

السلطان مصطفى خان) الذى كان مخلوعا فاقام فى السلطنة سنة ثم خلع ومات بعد خلعه بايام وتولى بعده ابن اخيه السلطان مراد خان السلطان احمد خان سنة اثنين وثلاثين والف فاقام فى السلطنة ست عشرة سنة واحدى

فقلقوا من ذلك فترك لهم النصف وكذلك أهل الشمسانية ثم نزل على عربان فجاؤا اليه وصالحوه بما صالح به أهل ماكسين ثم ارتحل الى الجدل فملكها وأقام بها ينتظر مايرد عليه من أخبار أميره عياض بن غنم وهو نازل على نهر البلخ فكتب اليه يعلمه بما فتح الله على يديه فلما وصل الكتاب اليه كتب اليه ان الزم مكانك حتى يأتيك أمرى والسلام قال سهل بن مجاهد بن سعيد لما فتح الله على يد عبد الله بن غسان أرض الخابور صلحا وأقام بالجدل أنشد قيس بن أبي حازم البجلى هذه الابيات

أقمنا منار الدين فى كل جانب * وصلنا على أعدائنا بالقواضب

ودان لنا الخابور مع كل أهله * بفتيان صدق من كرام العرائب

هزمناهم لما التقينا بعاسح * وثار عجاج النقع مثل السحائب

وكل همام فى الحروب نخاله * يكر بحمل فى صدور الكتائب

وجندل وفد الروم فى كل جانب * تركناهم فى القاع نهب النواهب

ومازال نصر الله يكنف جمعنا * ويحفظنا من طارقات النوائب

فلله حمد فى المساء وبكرة * وما لاح نجم فى سدول الغياهب

﴿ذكر فتوح قلعة ماردين﴾

قال حدثنى سوار بن كثير عن يوسف بن عبد الرزاق عن الكامل عن المثنى بن عامر عن جده قال لما فتحت مدائن الخابور صلحا بلغ قتل الملك شهرياض صاحب أرض ربيعة وعين وردة ورأس العين فعظم عليه وكبر لديه فجمع أرباب دولته وهو نازل على أرض الطير وقال لهم هذه ثلاث مدائن من بلادنا قد ملكت وقلعتان والعرب المتنصرة قد مضت عنا فقال له البطريق توتا أيها الملك انه لابد للعرب منا ولابد لنا منهم ويعطى الله النصر لمن يشاء غير أنه كان من الرأى انك لو زوجت ابنك عمودا الملكة مارية بنت أرسوس بن جارس صاحب ماردين ومرين لاعانتنا قلعة المرأة (قال الراوى) وكان السبب فى بناء القلعتين المذكورتين ان هذا الرجل أرسوس بن جارس كان من أهل طبرزند وكان شجاعا بطلا مناعا وكان أوّل من بنى المملكة بارمينية وكان منفردا بطبرزند وكان يغير فى بلاد الروم حيث شاء حتى كتب أهل تلك البلاد الى الملك الاعظم يستغيثون به من يده فارسله الملك هرقل من انطاكية الى ديار ربيعة وقال له ابن لك حصنا تسكن فيه فلما توسط أرض جبل ماردين نزل تحته ونظر واذا على قلة الجبل موضع نار وكان فيه عابد من عباد الفرس وكان مشهورا عندهم بالعبادة وكانت الهدايا تقبل اليه من أقصى بلاد خراسان والعراق وكان اسمه دين فلم يزل به أرسوس حتى صادقه وكان يحمل اليه الهدايا والتحف وكان العابد لا يحتجب عنه ولم يزل معه حتى انه وقع به منفردا فقتله وغيبه فلما عدمه أهل تلك الارض قالوا مات دين ثم ان أرسوس بنى بيت النار وجعله حصنا وكانت له ابنة يقال لها مارية فلما رأت أباها بنى له مكانا وتحصن فيه بنت هى ايضا قلعة بازائه وحصنتها وجعلت فيها أموالها وذخائرها ورجالها وكانت كلما خطبها أحد تراه دونها لانها من بيت المملكة وكان بالقرب من قلعتها دير بسفح الجبل وفى الدير راهب قد انقطع فيه وكان من اجمل الناس وجها وكان اسمه فرما قال فاتت اليه زائرة فلما رأته وقعت محبته فى قلبها فلم تزل تتردد اليه وتتجاسر عليه الى أن صارت بينهما صحبة فسلمت نفسها اليه فحملت منه فلما تكامل حملها ولدت فى خفية ولدا ذكرا فسلمته الى دايتها وقالت لها انظرى كيف تفعلين بهذا الغلام فانى أحبه ولا أريد قتله لانه ان علم أبى بقصتى قتلنى ثم أخرجت له ذخائر نفيسة وجعلتها فى قماطه وخيطت عليها وقالت من وقع به ينفقها على تربيته ثم انها افتقدت بدنه واذا على خده الايمن شامة سوداء بقدر الظفر ورأت أذنه اليمنى وفيها اذيادة قال فاخذته الداية ونزلت به ليلا ومعها خادم وكان مطلعا على أسرار الملكة فاتت به الى أسفل القلعة فى الطريق الاعظم وهناك عمود من رخام وغالبه غائص فى الارض وهو قائم وعلى رأس ذلك العمود قاعدة من الرخام فوضعت ذلك المولود على القاعدة خوفا عليه

عشر شهرا وخمسة أيام ثم مات تاسع شوّال سنة تسع وأربعين وألف وجملة وزرائه بمصر ستة أيضا (ثم تولى بعده أخوه السلطان ابراهيم خان) ابن السلطان أحمد خان ووافق تاريخ توليته (استعنت بالله) فاقام فى السلطنة ثمان سنين وتسعة أشهر ثم خلع

من الوحش أن يقرب به فيما كان ثم رجعت هي والخادم الى القلعة (قال الراوى) رضى الله عنه وكان من قضاء الله وقدره ان صاحب الموصل الملك الانطاق قد بعث رسولا الى الملك شهرياض ثم الى أرسوس بن جارس صاحب ماردين فجاز سحرا فى الطريق الذى فيه العمود فسمع بكاء الطفل فدنا منه وهو على جواده فنظر عصابة الذهب فاخذه وسلمه الى جارية كانت معه فى السفر وقال لها احتفظى على هذا المولود فلا شك ان له شأنا ثم أوصل الرسالة الى صاحب ماردين وارتحل الى رأس العين وأعاد الجواب على الملك شهرياض وأجرى الله على لسانه بأن حدث الملك شهرياض بقصة الطفل الذى وجده على العمود فقال اعطنى اياه فانه ليس لى ولد يرثنى ويخلفنى فى ملكى فدفعه اليه فاخذه الملك ودفعه للحواضن والدايات فربوه الى أن ركب الخيل ونشأ وترعرع فسماه الملك عمود وسماه الناس ولد الملك وتربى فى النعمة وتعلم طريقة الملوك من ركوب الخيل والرماية والقتال والمعالجة والصراع الى أن سما ذكره وانتشر فى الناس فخره وكان لا يأوى الى عين وردة بل أكثر زمانه فى الصيد والقنص وبنى له قصرا على رأس المغارة يأوى اليه وسمى القصر باسمه عمود وليس عند أمه مارية خبر بما فعل الزمان به وانقضت الايام واندرجت الاعوام حتى قدم عسكر المسلمين يريد فتح أرض الجزيرة فلما شاور الملك أرباب دولته فى أمر العرب أشار عليه توتا ان يزوج ولده عمود من الملكة فانه لا تصلح الا له وهى بكر ولها من العمر ثلاثون سنة وقد خطبها الملوك وأبناؤهم فلم ترض بهم لانها تراهم دونها وانت اذا طلبتها لولدك لم يمتنع من ذلك أبوها ويفرح بصاهرتك فاجابه الى ذلك وبعث الى أرسوس بن جارس هدية عظيمة وقال لتوتا كن أنت الواسطة فى ذلك فسار توتا الى أرسوس وسلم عليه ودفع اليه الهدية فقبلها وتحدث معه فيما ذكرناه فاجابه الى ذلك وطلب منه الصداق مائة ألف دينار والبارعية وجملين وعشرين أميرا من العرب ليقتلهم قربانا للمسيح ليلة زفافها فاجابه توتا الى ذلك فركب أرسوس الى قلعة ابنته ودخل عليها وأعلمها بالخبر فرضيت فخرج من عندها وجمع القسوس والشمامسة وزوج ابنته لعمود وليس عندهم خبر من أحكام القدر (قال الراوى) ورجع توتا الى الملك شهرياض وأعلمه ان الامر قد انبرم وأعلمه بما اشترط عليه أرسوس من القلعتين البارعية وجملين ومائة ألف دينار وعشرين أميرا من العرب ليقربهم ليلة زفافها ففرح بذلك وأنفذ الاموال وقال اذا زفت اليه سلمت الى أبيها القلعتين ثم انه طلب عمودا وأخبره انه قد زوجه ابنة أرسوس ابن جارس وقال له اعلم يا بنى ان من جملة الصداق عشرين من فرسان العرب فتجهز وخذ العسكر واقصد العرب وأمر أن يخرج معه توتا الوزير وروودس صاحب حران وقال لهم ان قدرتم أن تكبسوا العرب فافعلوا ومضوا فى عشرين ألفا (قال الراوى) وأتت عياضا عيونه وأخبرته بما جرى وانهم قد أقبلوا اليك وهم روودس صاحب حران وصاحب كفرتوتا وعمود بن الملك فى عشرين ألفا وهم يريدون كبسكم فى الليل فاستيقظوا لانفسكم قال فجمع عياض وجوه الصحابة واستشارهم فقال خالد بن الوليد اكتب من وقتك الى عبد الله بن غسان وسهل بن عدى أن يسيرا واليناا من وقتهم ونعلمهم بما قصد العدو فيكونون منهم على حذر فاذا قربوا منهم يكمنون لهم حتى يعبروهم ويصير أصحابنا من ورائهم ونكن نحن عن يمينهم وشمالهم ثم نطبق عليهم فقالوا كلهم هذا هو الرأى المصيب وخرج خالد فى ألفين وكتب فى الحال الى عبد الله وسهل يأمرهما باللحوق بعسكر خالد ويوصيهما بما يفعلون وبعث الكتاب مع سراقة بن دارم فوصل اليهما فى يومه على ناقة له فلما وصل وقرأ الكتاب ارتحلوا من ساعتهم وأطلع الصحابة على الخبر فركبوا وأنفذ عبد الله عيونه يتجسسون له خبر العدو (قال الراوى) وأما خالد فانه انفصل من عياض فى ألفين ولم يأخذ بهم على الجادة بل أرسل ألفا عن يمين الطريق وأمر عليهم ابن سعد وألفا عن يسار الطريق مع خالد وأمر سعدا أن لا يبعد عن الطريق وأرسل عيونه (قال الواقدى) انه لما سار عمود وتوتا وروودس فى العشرين ألف فارس لم يزالوا سائرين الى أن بقى بينهم وبين عسكر عياض بن غنم عشرة فراسخ فنزلوا فى مكان يستريحون ويعلقون على خيولهم ويلبسون لامة حربهم (قال الواقدى) رحمه الله ورضى عنه

وفى اليوم الثالث قتل (وفى ذلك اليوم تولى ابنه السلطان محمد خان) وكان عمره تسع سنين فأقام فى السلطنة احدى وأربعين سنة ثم خلع سنة تسع وتسعين وألف (وتولى ذلك اليوم السلطان سليمان خان) ابن السلطان ابراهيم خان فأقام ثلاث سنوات وشهرا

وسار جيش عبد الله بن غسان من ورائهم وسار خالد بن الوليد عن يمينهم ونجيبة بن سعد عن يسارهم وليس عند الروم خبر من ذلك فلما علم خالد أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أحدقوا بالقوم أرسل يعلم المسلمين أن يتأهبوا الى وقوع الصوت قال فتأهبوا ثم ان خالدا أخذ خمسمائة من أبطال المسلمين وترك خمسمائة مع عدى بن سالم الهلالى وقال له اذا رأيت الحرب قد اشتعل نارها وتطاير شرارها فاخرج من كمينك ثم ان خالد المساقصد جيش العدو بمن معه وتظاهر لهم رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير قال فسمعت الروم أصواتهم فلبسوا سلاحهم ولم يركب منهم سوى رودس وأصحابه وهم خمسة آلاف ولم يكن فيهم مستيقظ سواه وتوتا مشغول مع عمود قال وان صاحب حران استقبل خالدا واستصغر شأنه لما رآه فى شرذمة قليلة فطمع فيه واشتغلت الروم بالنظر اليهم وقالوا رودس يكفينا أمرهم قال فبينما هم ينظرون اذ صاح خالد بعدو الله رودس وانحط عليه انحطاط السحاب وهو يقول هذه الابيات

وانا القوم لا تكل سيوفنا * من الضرب فى أعناق سوق الكتائب
سيوف ذخرناها لقتل عدونا * واعزاز دين الله من كل خائب
فتلنا بها كل البطارق عنوة * جلاء لاهل الكفر من كل جانب
الى أن ملكنا الشام قهرا وغلظة * وصلنا على أعدائنا بالقواضب
أنا خالد المقدام ليث عشيرتى * اذا همهمت أسد الوغى فى المغالب

وفاجأ رودس بطعنة فالقاه على وجه الارض فأوثقه غلامه همام وحمل فى أصحابه هو ومن معه قال فهم فى ذلك اذ خرج عليهم نجيبة بن سعد وعدى بن سالم وأشرف من بعدهم عبد الله بن غسان فامتلأت الارض بالزعقات وارتجت سائر الجهات وصدموهم على الخيل العربيات ونادوا باسم جبار الارض والسموات وأطبقوا عليهم من كل جانب وكان التوفيق للصحابة مصاحب فما لحقت الروم ان تركب على خيلها الا والسيف يعمل فيهم فحطموهم وفرقوا مواكبهم واستوثقوا منهم أسرى واخذوا عمودا وتوتا فكانت الاسارى أربعة آلاف والقتلى ألفا وسبعمائة وستة وستين وولى الباقى الادبار فوصلوا الى الملك شهرياض فاعلموه بما وقع فضاقت عليه الارض بما رحبت وعلم ان دولته قد انقرضت وان ايامه قد اضمحلت ومضت فاحضر من بقى من أرباب دولته فاستشارهم فيما يفعل فقالوا ايها الملك ان مقامنا على رأس العين سفه فان بينه وبين حران والرها ومروج بعيدا فطمع العرب فى بلادنا بل الرأى ان نرحل ونتوسط البلاد وتكون قلاعنا اقرب منا والميرة تصل الينا من كل جانب فان كانت لنا وانهزمت العرب اخذنا عليهم سائر الطرقات وان كانت علينا انهزمنا الى ماردين وقلعة مازن وكفرتوتا وقصدنا جملين وتل توتا والبارعية وتل سماوى وتل القرع والصور ودجلة الجبل ونأمن على انفسنا قال فأجابهم الى ذلك وارتحل من برج الطير وقصد رأس العين ورتب آلة الحصار وترك فى المدينة عشرة آلاف فارس مع مرتودس وكان من الفرسان المشهورة وهو متزوج بابنة الملك شهرياض فلما رتب امره رحل الى مرج رعبان (حدثنا) أبو يعلى عن طاهر المطوعى عن ابى طالب بن مليحة عن وهبان بن بشر بن هزار قال قرأت الفتوح من أوله الى آخره بجامع الرصافة على احمد بن عامر الحوفى واحمد قرأ على سعدان بن حاصب وابن حاصب قرأ على يحيى بن سعيد المروزى ويحيى قرأ على ابى عبد الله بن محمد الواقدى وهو يومئذ قاضى الجانب الغربى قال لما نزل الملك شهرياض على مرج رغبان بجيوشه ارتحل عياض فى أثره بعد ما كتب بخبر الوقعة وفتح زباوزلوبيا والخابور الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وسأله الدعاء وبعث الكتاب والخمس وما اخذه من القلاع وأرسله مع حبيب بن صهبان وضم اليه مائة فارس فسار الى المدينة وأما عياض بن غنم ومن معه من عساكر المسلمين فانهم تبعوا شهرياض الى أن نزلوا مع العدو بمرج رغبان قال فنزلوا فى مقابلتهم قال واتصلت الاخبار بارسوس بن جارس صاحب ماردين بأسر عمود فأحضر ابنته اليه وقال لها اى بنية اعلمى ان بعلك قد أسر وهو ابن الملك ونحن نخاف العار بان يقال

ومات سنة اثنتين ومائة وألف (وتولى بعده أخوه السلطان أحمد خان) ابن السلطان ابراهيم خان فاقام فى السلطنة ثلاث سنين وتسعة أشهر ومات سنة ست ومائة وألف (وفى هذه السنة) لم يطلع النيل بمصر ولم يجر كعادته فارتفعت الاسعار واشتد

مارية بنت أرسوس ما كانت موافقة على ابن الملك وانه لما تزوّج بها أسر وقد حرت فى أمرى فقالت له مارية
يا أبت وحق المسيح لقد قلت الحق وتكلمت بالصدق فما عندك من الرأى قال لها وما عندك أنت قالت
أريد أن أتنكر وأدخل الى عسكر المسلمين وآتى أميرهم وأقول له انى قد أتيت أسلم على يديك لرؤيا رأيتها
وهو أنى رأيت المسيح فى النوم ومعه الحواريون وكأنى أشكو للمسيح ما نزل بنا منكم وكأنه يقول لى اسلمى
فان القوم على الحق وقد جئتم لاسلم وأملككم قلعة أبى وتتركونى أنا فى قلعتى فاذا قال أميرهم فكيف
تملكينا قلعة أبيك وهى أمنع الحصون وأحصن القلاع فأقول له يرسل معى من فرسانهم مائة فارس من
صناديدهم وادخلهم فى قلعتى وأجعلهم فى صناديق وأرسلهم الى قلعة أبى وأسير معهم الى والى قلعة أبى
وأقول هذه الصناديق فيها أموالى وأريد أن أجعلها فى خزانة أبى فاذا حصل القوم عندى رميتهم فى
المطامير وأقول لهم لست أدعكم حتى ترسلوا الى أميركم يرسل الى بعلى فقال لها أبوها انك تريدين أن تلقى
نفسك فى الهلاك وان العرب لا تتم عليهم الحيل لانهم هم أربابها فاقات وان طلبوا منى رهائن فاذا رقع
الفداء باصحابهم طلبت الرهائن مع بعلى فقال لها دبرى ما تريدين فلعل أن يكون فيه المصلحة قال فنزلت
فى الليل وقصدت مرج رغبان ومعها خادم وأربعة غلمان يسوقون بغلتها وعليها من الهدايا والتحف
والطرف قال فلما وصلت الى تنيس التقت بغلمان أبيها وحاجبه ومعهم أربعون أسيرا من العرب منهم
عبد الله بن غسان وامثاله قال وكان السبب فى ذلك ان عياض بن غنم لما ارتحل يطلب رأس العين مع
هؤلاء السادة الذين مع عبد الله بن غسان بحسب العادة فى سيرهم الى حران ومرج والرها ليأتوا بالطعام
والميرة للعسكر فساروا فلما توسطوا البلاد لقيهم السائس ابن نقولا وجرجيس بن شمعون وقد اقبلا بعيرة
عظيمة لعسكر الملك شهرياض ومعهم ثلاثة آلاف غائصون فى الحديد فلما رأوا قلة المسلمين طمعوا فيهم
فأقبلوا وأطبقوا عليهم من كل جانب فاخذوهم قبضا بالكف واحضروهم بين يدى الملك شهرياض فهم
بقتلهم فقال له وزيره أيها الملك ليس هذا برأى لان ولدك عمودا فى يد العدوّ وروديس صاحب حران وتوتا
صاحب الحجاب فان أنت قتلتهم قتلوا أصحابك وولدك والصواب انك ترسلهم الى قلعة ماردين يعنى قلعة
المرأة وتسلمهم الى الملكة مارية يكونون عندها فاذا طلبتهم العرب تقول لهم انهم بقلعة ماردين وليس هم
فى أسرنا ونحن لا نبالى بمن هم عندهم فيكون أعظم لحرمتك وهيبتك فاستصوب رأيه وأرسلهم الى مارية
مع حاجب أبيها فالتقت بهم على تنيس كما ذكرنا فامرت الحاجب أن يوصلهم الى قلعتها ففعل ثم انها سارت
حتى أتت الى عسكر المسلمين فى حكم الليل فكان يطوف فى العسكر سهل بن عدى ونجيبة بن سعد فى
جماعة فلما رأوها أتوا اليها وسألوها عن حالها فقالت أريد أميركم فاتوا بها الى عياض بن غنم فلما وقفت
بين يديه قدمت له الهدايا وهمت أن تسجد له فنهاها وقال ان الله قد أعزنا بالاسلام وأنقذنا من الضلال
بمحمد صلى الله عليه وسلم فأزال عن قلوبنا الغل والحسد واتباع الهوى وشرفنا بالتحية ونزهنا أن يسجد
بعضنا لبعض وما يرغب فى ذلك الا الجبابرة من ملوك الارض وان الله يقول العظمة ردائى والكبرياء
ازارى فمن نازعنى فيهما قصمته ولا أبالى ومارية تفهم ما يقوله فلما انتهى قالت أيها الملك ان الله بهذا
نصركم علينا قال لها فمن أنت قالت أنا مارية بنت ارسوس بن جارس صاحب ماردين وان الذى بايديكم
أسيرا هو بعلى ولا صبر لى عليه وهو عمود فلما كثرت فكرتى فيه واشتد شوقى اليه رأيت المسيح فى نومى
والحواريين وقد امرنى باتباعكم وقد اتيت اليكم بهذه النية بان أتبع دينكم واسلم لكم القلعتين قلعتى
وقلعة ابى على شرط أن تبقونى فى قلعتى ولا تغيروا من أمرى شيأ واقيم أنا وبعلى فيها وأكون الحاكمة
على اهل بلادى قال فتبسم عياض من قولها وقال يا مارية أما انك ما أتيت الينا الا لتنصبين علينا بسبب
بعلك وكيف يكون هذا بعلك وهو ولدك وحديثه كذا وكذا قال فلما سمعت الجارية الحديث من عياض بن
غنم انتقع لونها وتغير كونها وقالت له يا سيدى ومن أين لك هذا وان عمودا ولدى وهو ولد الملك شهرياض
قال لها رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة وحدثنى بذلك كله فقالت انى أريد أن أراه فان كان ولدى

الكرب على الناس من
الغلاء وخصوصا الفقراء
حتى أكلوا الميتة ثم كثر
الموت من الطاعون حتى
صار الناس المشيعون للجنائز
يسقط منهم الكثير فيموتون
وهم سائرون فكانت
لا تخلو طريق من طرق
مصر من أموات مطروحين
فيها لا يعرف لهم أهل

فان لى فيه علامة فامر عياض بن غنم بحضوره فأتى به سعيد بن زيد فلما نظرت اليه ووقعت عينها عليه
ورأت الشامة التى على خده وزيادة اذنه ورأت عصابتها ومافيها من الجواهر صاحت صيحة عظيمة اذهلت
من حضر وترامت عليه والتزمته وقالت ولدى لا شك فيه وقد صدق محمد صلى الله عليه وسلم فى قوله قال
ونظر الغلام الى امه فتحرك الدم فى بدنه فغشى عليه من البكاء فلما افاق بكى بكاء شديدا هو وامه فلما
سكتا قال لهما عياض قد وجب عليكما ان توحدا الله شكرا على ما أنعم عليكما فانه يزيد الشاكرين ورحمته
قريب من المحسنين ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين ليس له حد ولا قبل ولا بعد هو الاول وعليه المعول
وهو الآخر وله المفاخر قال فلما سمع عمود ماقاله عياض قال والله مافى قولك زور ولا محال وأنا اشهد ان
لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال فلما نظرت مارية أمه اليه وقد أسلم وافقته فى
الحال وعرجت عن طريق المحال وشهدت لله بالوحدانية ولنبيه بالرسالة فقال عياض بن غنم ومن حضر
من المسلمين تقبل الله منكما اسلامكما ووفقكما واعلما ان الله قد طهر قلوبكما وغفر ذنوبكما فاستأنفا العمل
ولكن كيف السبيل الى هذه القلعة المنيعة فقالت أبشر فان أصحابكم أسرى واعند حران وقد وجههم
شهرياض الى لأفدى بهم منكم هذا الغلام عمودا وقد سيرتهم الى قلعتى وها أنا أسير اليهم وأحصلهم فى
قلعة أبى وأفك أسرهم وأملكهم القلعة ان شاء الله تعالى فقال لها عياض لقد وفقك الله فى كل حال
وصرف وجهك عن المحال ولقد صعب على أسر أصحابنا ولكن قد طاب قلبى بما قلت من الصواب فدعى
ولدك عندنا وارجعى الى أبيك فاذا رأيته فقولى له قد تمت حيلتك علينا فاذا حصلت عند أصحابنا فافعلى
مافيه الصلاح فقالت السمع والطاعة ثم ودعت زوجها أى ولدها والمسلمين وسارت من ليلتها الى ماردين
فوجدت أباها قد نزل الى خدمة الملك الى مرج رغبان ووجدت الحاجب الذى كانت معه الاسرى قد
أوصلهم الى قلعة أبيها وتركهم تحت قبضته وكان هذا الحاجب من عقلاء الناس ممن قرأ التوراة والانجيل
والزبور وكان راهبا فى مبدأ أمره وكانت له صومعة على عمود رخام قائم طويل وصنع على رأس العمود قائمة
عظيمة وعقد عليها قبة وكان يصعد اليها بسلم ابريسم معلق بأعلى القبة وله سكان فى الارض فاذا حصل
فى القبة انتزع السكتين وأخذ السلم اليه فشاع خبره وغاذ كره بالعبادة والرهبانية فلما توجه الى بلادهم
وفتحت الخابور صلحا اجتمع حول ذلك العمود أمم وقالوا يا أبانا ما الذى تشير به علينا فان العرب قد توجهت
الينا وقد فتحوا الشام وأكثر العراق وحصلوا فى أرضنا فا الذى نصنع قال فاطلع عليهم من القبة وقال
يامعشر النصرانية مازالت النعم عليكم ظاهرة وباطنة مطمئنين فى البلاد وقد ذلت لكم رقاب العباد
ونصركم المسيح على سائر الامم وردعنكم سائر الغمم ومهد لكم الارض فى الطول والعرض اذ كنتم
تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتردون المظالم الى اهلها وتحكمون بالحق وتتبعون شريعتكم
وتزجرون أنفسكم عن أكل الحرام واتباع الزنا فلما غيرتم غير بكم وفى انجيل يحيى وانجيل مرقس مكتوب
من اتبع سنن الحق وعود لسانه طريق الصدق وفعل بأوامر ربه والزم نفسه بما يعنيه ولم يبخس الناس
أشياءهم ودوام على صلاته وعمل بأوامر شريعته ولم يتبع هواه بلغه زهده ما تمناه ومن جار وبغى وظلم
وتجبر وحاد عن طريق الحق كان فناؤه عاجلا والنفسه بيده قاتلا وخربت داره ونفد ادخاره وكان الخوف
شعاره والجحيم دثاره وفى التوراة مكتوب لا تظلموا انه لا يحب الظالمين وقد بلغنى ان فى القرآن
مكتوبا ان الله لا يصلح عمل المفسدين فاصلحوا ذات بينكم واجعلوا تقوى الله نصب عيونكم وقاتلوا عن
أهاليكم وحريمكم واتبعوا شريعة نبيكم واخرجوا الى اجهاد عدوكم فان الجهاد اليوم أفضل من جميع
العبادات المأمور بها فانه من جاهد أعداه كانت الجنة مأواه الا وانى نازل الى صومعتى هذه فلا
يتخلف أحد منكم ثم انه أرسل سلمه ونزل فلما رأوه وقد نزل اقبلوا عليه بالسلام وقبلوا يديه ورجليه فاتى
بهم الى كنيسة دماثر وكنيسة باذا فصلى بهم ودعا ثم أمرهم بالجهاد وقصد دير ملوخ هو وقبله من دار
عبديان الروم وكان فيه راهب فناداه باسمه وقال له ليس هذا وقت العبادة فأنزله من صومعته وسار الى

ولا مسكن ووفق الله تعالى بعض الاغنياء لحمل الاموات الذين فى الطرقات والحارات ويرسلونها مع خدمهم الى المغسل السلطانى فيجمعونهم حتى يصيروا مائتين فى آخر النهار فيغسلونهم ويكفنونهم ويضعون كل ثلاثة أو أربعة فى نعش

نصيبين نخرج الى لقائه الملك قرقياقس فترجل اليه وصافحه وسار بين يديه الى البيعة وزار دير يعقوب
وهرع اليه أهل نصيبين فوعظهم وأمرهم بالجهاد وقصد رأس العين وبلغ خبره لأرسوس بن جارس فلما
أسر عبد الله بن غسان ومن معه بعثهم مع الراهب ميتا بن عبد المسيح ولقيته مارية فى الطريق كما ذكرنا
وامرته بأن يسير بهم الى قلعتها فلما أبعد عنها لقى أباها فى عسكره فسأله عما هو فيه فاخبره ان الملك
شهرياض أرسله بهؤلاء الاسرى فقال له من أنت قال أنا ميتا بن عبد المسيح فلما سمع أرسوس قوله فرح
به وقال وحق دينى لى زمان أرقبك ولست أستغنى عن رأيك ولكن انطلق بهؤلاء الى قلعتى وتول أنت
حفظهم حتى يأتيك أمرى وخذ خاتمى هذا فانطلق بهم وأوصلهم الى القلعة ووضعهم فى الاعتقال وتولى
حفظهم بنفسه وجعل ينظر الى حسن عباداتهم وجودة تلاوتهم فاقبل عليهم وقال لهم أخبرونى كم فرض
عليكم فى اليوم والليلة فقال عبد الله بن غسان خمس صلوات فمن أتى بها بركوعها وسجودها على الكمال
لا يرد على النار قال الله تعالى فى كتابه حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين وقال
نبينا صلى الله عليه وسلم الصلاة صلة ما بين العبد وربه فيها اجابة الدعاء وقبول الاعمال وبركة الرزق
و راحة الابدان وستر بينه و بين النار وثقل فى الميزان وجواز على الصراط ومفتاح الجنة وهذه الصلاة
فرضت على جميع الامم فلم يؤدوها وقصروا فيها حتى فرضها الله علينا فأديناها والصلاة جامعة لجميع
الطاعات فمن جملتها الجهاد وان المصلى مجاهد عدوين نفسه والشيطان وفى الصلاة الصوم فان المصلى
لا يأكل ولا يشرب وزادت على الصيام التمسك بمناجاة ربه وفى الصلاة الحج وهو القصد الى بيت الله الحرام
والمصلى قصد رب البيت وزاد على الحج بقربه من ملكوت ربه قال الله تعالى واسجد واقترب وقال نبينا صلى
الله عليه وسلم جميع المفترضات افترضها الله تعالى فى الارض الا الصلاة فان الله افترضها فى السماء وأنا
بين يديه وقال يا محمد هذه الصلاة افترضتها على جميع الانبياء وأما أمتك فقد سلمتها اليهم وجعلت جميع
الطاعات كلها فيها وقال صلى الله عليه وسلم أتانى جبريل وقال لى يا محمد قم فاصنع مثل ما صنع فتقدم وصلى
ركعتين وقال لى يا محمد هذه صلاة الصبح وهى أول صلاة صلاها ولذلك سماها الاولى ثم صلى به مرة أخرى
اذ صار ظل كل شئ مثله وقال له هذه صلاة الظهر ثم صلى العصر فى أول وقتها وقال هذه صلاة العصر ثم
صلى به مرة أخرى اذ صارت الشمس مصفرة ثم صلى والشمس قد غربت وقال هذه المغرب ثم صلى به عند
مغيب الشفق وقال هذه العشاء الاخرى ثم صلى المرة الخامسة والفجر قد طلع وقال هذه صلاة الصبح وقال
نبينا فرضت الصلاة مثنى مثنى فزيدت فى الحضر وتركت صلاة السفر على حالها فقال ميتا لعبد الله بن
غسان يا أخا العرب فما معنى رفع أيديكم فى الصلاة للتكبير فقال ألا ترى ان الغريق لما يجد شيأ يتعلق
به لينجو من الغرق وكذلك العبد فى الصلاة فهو غريق فى بحار الخطايا والمعصية يرفع يديه و يقول يا رباه
خذ بيدى فانى غريق فى بحار الخطايا والمعصية هارب منك اليك وأما معنى القراءة فى الصلاة فهو عتاب
بين العبد و ربه وأما الركوع فمعناه أنا عبدك وقد مددت عنقى اليك وأما الرفع من الركوع وقول العبد
ربنا لك الحمد يعنى على عتق رقبتى من الذنوب يقول الله تعالى يقول العبد أنا عبدك قد أعتقتك من
الذنوب وأما معنى السجدة الاولى و وضع الجبهة على الارض كأنه يقول منها خلقتنى والرفع منها أخرجتنى
والسجدة الثانية وفيها تعيدنى والرفعة الاخرى ومنها تخرجنى تارة أخرى وأما معنى السلام على اليمين
اللهم اعطنى كتابى بيمينى ولا تعطنى كتابى بشمالى ولما حضرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته
قال من حافظ على الصلوات الخمس كانت كمثل نهر عذب يغتسل فيه أحدكم كل يوم خمس مرات فهل
يبقى من درنه شئ فكذلك الصلوات الخمس لا تبقى على العبد خطيئة فلما سمع الراهب ميتا كلام عبد الله
قال أشهد أنكم على الحق وان دينكم حق وقولكم صدق ثم أسلم و بعد بالقليل وصلت مارية لما علمت ان
الصحابة فى قلعة أبيها فلما صارت فى أعلى القلعة ونزلت فى دار أبيها باتت على قلق بسبب الصحابة فلما كان
الغد دخل عليها ميتا وسلم عليها فقالت له يا ميتا ما الذى صنعت بالعرب قال استوثقت منهم حتى يرى الملك

واحد و يرسلونهم الى المقبرة
ووفق الله تعالى وزير مصر
اسماعيل باشا كفن الوفا
من الاموات (و بعد موت
السلطان أحمد خان) ابن
السلطان ابراهيم خان سنة
ست المذكورة (تولى ابن
أخيه السلطان مصطفى
خان) ابن السلطان محمد
خان فأقام فى السلطنة

فيهم رايه فقالت والله ماقصرت ولكن أجعلهم معنا فى البيعة حتى ير واحسن عبادتنا وقراءتنا الانجيل فلعلهم أن يدخلوا فى ديننا فقال السمع والطاعة ثم انه نقلهم الى البيعة فلما كان الليل اتت البيعة فرأت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم فى القيود ولم يكن هناك سوى ميتا فقالت له ياميتا أنت من علماء ديننا ومايخفى عليك الحق وقد اطلعت على دين هؤلاء القوم فالحق معنا أومعهم فقال أيتها الملكة ليس على الحق من غطى الحق الحق مع هؤلاء العرب والذى قد جئت فيه فانجزيه من قبل أن تطلبيه فلا تقدرى عليه وقد رأيت بيان صدق القوم وصدق دينهم حتى جمع الله بينك و بين ولدك عمود قال فلما سمعت كلام ميتا بقيت باهتة فيه فقالت له ومن أين لك هذا قال رأيته فى نومى وحدثها بما كان كانه كان حاضرا فسجدت شكرا لله فلما رفعت رأسها وثبت قائمة وحلتهم من وثاقهم ودفعت اليهم السلاح وأمرت ميتا أن يكرمهم وقالت له أنا أدبر كيف نقبض على الوالى وغلمان القلعة ثم انها سارت الى قلعتها وولت عليها من هى به مطمئنة الفكرة وأخرجت منها من تخشى جانبه واستوثقت منها وأما ميتا فانه جعل الصحابة فى البيعة فى بيت المذبح وقال لهم اذا كانت غداة غد وأتى الوالى وأصحابه الى الصلاة فاخرجوا عليهم فان الله ينصركم عليهم (قال الراوى) فلما كان الصبح أقبل الوالى وخواصه ليصلوا وضربت النواقيس وأتى القس ليفتح باب المذبح ويقرب القربان فلما فتح الباب خرج عبد الله بن غسان وأصحابه الاربعون وكبروا تكبيرة واحدة ارتعدت لها القلعة ومافيها وبذلوا السيف فيهم فقتلوهم عن آخرهم واحتووا على القلعة ومافيها وسمع أهل الربض التكبير فعلموا انهم قد ملكوا القلعة فولوا على وجوههم هاربين قال فلما سمعت مارية التكبير والصياح علمت ان قلعة أبيها قد ملكت فغلقت أبواب قلعتها وأرسلت من تثق به الى عياض بن غنم وأخبرته بما جرى فشكر الله على ذلك ووصل أكثر المنهزمين الى الملك شهرياض واعلموه ان قلعة ماردين ملكها العرب فصعب عليه وأيقن بتلاف ملكه ووقع الرعب فى قلبه وقلوب عسكره و بلغ أرسوس الخبر أن قلعته ملكت وخزائنه أخذت فكتم أمره الى الليل وأخذ من يثق به وسار يطلب حوران فوصل اليها فى الليلة الثانية فلما قرب من الباب قام اليهم الحرس فصاح بهم أصحابه وقالوا افتحوا هذا البطريق رودس يعنون بطريقهم الاول وقد تخلص من العرب ففتحوا لهم فدخل ارسوس وملك المدينة وفشا الخبر فى تلك البلاد ان أرسوس صاحب ماردين قد ملك حران بالحيلة فقصد اليه جميع من يطلب الديوان فصار عنده جيش عظيم

(ذكر فتوح الرها وحران)

(قال الراوى) وكان لرودس هذا صاحب حران المقبوض عليه ولد وكان قد قبض أبوه عليه لانه خاف منه وكان شجاعا اسمه أرجوك فقبض عليه وحبسه فى العمق وكان له أم اسمها ست العسكر وهى صاحبة سميساط وكانت قد مضت الى زيارة أهلها وهى غضبانة لاجل قبض ولدها فلما بلغها ان أرسوس ملك حران صعب عليها وركبت من سميساط وجاءت العمق وخلت بولدها وأخبرته أن حران ملكها ارسوس فاخرجته وسلمت اليه الاموال وقالت أنفق على الفرسان وأجمع لك جيشا وامض الى هذا الرجل الذى فعل مافعل قال فانفق المال وأتت اليه الرجال وبقى فى جيش عظيم وعبر الفرات وقصد حران وبلغ أرسوس الخبر فخرج الى لقائه والتقى الجمعان وكان قد قدم امام جيشه بطلا من الارمن اسمه ارجوك فى ثلاثة آلاف فوقعت الهزيمة على الارمنى (حدثنا) عبد الله بن أسيد قال حدثنا سالم بن ربيعة عن عدلان التميمى عن محمد بن عمر الواقدى قال لما بلغت الاخبار الى عياض بن غنم عسير أرجوك الارمنى الى أرسوس أحضر عياض رودس صاحب حران وأخبره بما انتهى اليه من خبر ارسوس وكيف ملك حران وان ولده يريد أن يلقى أرسوس وانى قد عولت على قتلك الان تدخل فى ديننا فقال ان أنت أطلقتنى سلمت اليك ماتحت يدى من القلاع وعلى اخلاص حران لان أهلها يحبونى لانى كنت محسنا فى حقهم وأنا أقول انهم اذا رأونى سلموا الى البلد وأنا أسلمها اليكم على انك تعطينى السويداء ونصيبين

ثمان سنين وشهرا وخلع سنة خمس عشرة ومائة وألف (وتولى بعده اخوه السلطان احمد خان) ابن السلطان محمد خان سابع عشر ربيع الاول من السنة المذكورة وله مسجد عظيم باسلامبول يفعل فيه مولد النبى صلى الله عليه وسلم وأول وزرائه الوزير محمد باشا رامى رئيس

الصغرى وانا اعطيكم الجزية كل عام قال فاجابه الى ذلك وأمر عبد الله يوقنا ان يستحلفه لخالف وأجاب
الى ذلك فاطلقه وبعث معه يوقنا فى جماعة وورد على رودس خيامه وثقله وجماعته وانسلوا من الليل من
مرج رغبان طالبين حران فلما قربوا منها أرسلوا عيونهم فوجدوا العسكر نازلا خارجا منها وعسكر ولده
بازائه غير انه قد أسر أرجوك وأخذه ارسوس وان عسكره باق على حاله وقد بعث اليهم أرسوس رسولا
يدعوهم أن يكونوا من حزبه وينعم عليهم وان ينزل بهم وبعسكره على الرها ليأخذها وتصير من تحت يده
قالوا حتى نرى لانفسنا فى ذلك (قال الراوى) فلما قدم رودس ويوقنا ونظرا الى العسكرين والنيران تتقد
قال رودس ليوقنا هذه النار القريبة لاشك انه العسكر ولدى فارسل اليهم من يخبرهم فسار الرجل وعلم
من هم وعاد فاخبره ان القوم معولون على أن يحلف لهم ارسوس وان يكونوا من جنده وقد تقرر الحال على
انه فى غد انه يخرج فى مائة فارس من أصحابه الى دير فرها بين الرها وحران ومن عسكر ولدك خمسون
من أكابرهم ويتعاهدون هناك قال فلما سمع يوقنا ذلك تهلل وجهه فرحا وقال لرودس ابشر فقد صار
القوم فى قبضتنا انهم مضوا يطلبون الدير وكنوا بالقرب منه ثم ان يوقنا أرسل غلاما له وكان نجيبا قد رباه
وكان اسمه شامس وكان لبيبا فقال ياشامس انطلق الى صاحب الرها وهو كيلوك وقل له ان مقدمى
صاحب أرجوك قد بعثنى اليك لكى يكونوا من رجالك فانك منهم واليهم وارسوس من الروم وان رجالا
منا يأتون الى دير فرها وأرسوس معهم حتى يحلف لهم ويحلفون له ويريد منك أن تخرج فى مائتين وتكمن
لنا بالقرب من الدير فاذا قدمنا فاخرج علينا قال فانطلق شامس الى ان قدم على صاحب الرها وحدثه بما
ألقى اليه صاحبه يوقنا وكان من قضاء الله وقدره أن الحيلة التى دبرها يوقنا وبعث بها الى صاحب الرها قد
بعث بها أكابر جيش أرجوك فلما قدم شامس عليه من قبل يوقنا وحدثه بالحديث الذى ذكرناه أكد
عنده ذلك وخرج فى أربعمائة من قومه فى أكمل سلاح وسار طالبين دير فرها قال وكان يوقنا قد كمن
بالقرب منهم واختلس شامس واتى الى يوقنا واخبره بانهم كامنون فى المكان الفلانى وهم منكم قريب
قال وأما ما كان من أمر أرسوس فانه لما أرسل رسوله الى الارمن من عسكر أرجوك أتى رودس وقال
لهم انه يحلف لهم ويحلفون انهم لايخامرون عليه ووقع الاتفاق على أن يكون الحلف فى دير فرها فلما
كان آخر الليل مضوا وهم متباعدون من بعضهم خوفا من الغدر وكان خاطرهم طيبا بصاحب الرها بما
قرروا عنده ثم انه قبل خروجهم أعلموا ألفا من شجعانهم بان ينسلوا من العسكر فى خفية وأن يلحقوهم
ليكونوا عونا لصاحب الرها وقالوا لهم لاتتكلموا دون أن تروا صاحب الرها قد خرج عليه بكمينه فاذا
خرجتم فازعقوا بشارة كانكم من أصحابه حتى يطمئن اليكم فلعل أن تقبضوا عليه حتى يخلص أميرنا
أرجوك قال فانسلوا من أول الليل ولم يعلم بهم أحد (قال الراوى) ولما أشرف أرسوس على الدير اذا به قد
خرج عليه مائتا فارس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المقدم عليهم عمرو بن معدى كرب
الزبيدى وكان السبب فى ذلك أن عياض بن غنم لما بعث رودس ويوقنا معه وأصحابه ساء ظنه من جانب
رودس وقال لقد فرطت وأذهبنا ولى الله مع عدو الله قال خالد أيها الامير لاتشغل سرك من قبل رودس
فان ملوك الروم اذا قالت وفت ويرون العار فى أن يقول أحدهم قولا ولا يفى به فقال يا أبا سليمان انه
لاينبغى لنا أن نغفل عن صاحبنا ومن معه ثم انه أرسل عمرو بن معدى كرب الزبيدى فى مائتى فارس
وسار طالبين حران فلقوا فى طريقهم أرسوس وهو خارج الى الدير فقبضوا عليه وعلى من كان معه
وأما يوقنا فانه قبض على كيلوك صاحب الرها وكمل الى الليل وتوجه الى الرها فلما قربوا منها وقد لبسوا
الثياب التى كانت على صاحب الرها والبس جماعته ثياب جماعة صاحب الرها فلما قربوا منها وكانوا قد
أوقدوا لهم مشاعل وفتحوا لهم الباب فدخلوا فلما حصلوا داخلها رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والثناء
على رب العالمين فما جسر أحد من العوام أن يتكلم واحتوى يوقنا على ما كان فيها من ذخائر وتحف
وخزائن كيلوك وامواله وترك عليها من يثق به بعد ما قبض على من يخافه من رؤسائها وأكابرها وكان قد

الكتاب حضر الى مصر
أول سنة سبعة ومائة وألف
ثم عزل وحضر بعده لوزارة
مصر الوزير حسن باشا
السلحدار سنة تسع عشرة
ومائة وألف ثم عزل سنة
أحدى وعشرين ومائة
وألف وحضر بعده لوزارة
مصر ابراهيم باشا القبودان
ثم عزل سنة اثنتين

استأمنه ابن عم كيلوك فأمنه فدله على جميع ما كان لكيلوك ثم أخذه أمامه وسار واطالب بن حران
فوجدوا رودس قد فتحها وذلك انه لما قبض عمرو بن معدي كرب على أرسوس سار رودس ومعه بقية
عسكر المسلمين حتى وصل الى حران ونادى الناس الذين على السور فلما عرفوه فتحوا له الباب وصعقوا له
وساروا معه الى دار امارته فملكها وأتى له عظماء البلد وهنؤه بالسلامة فقام فيهم خطيبا وقال لهم اعلموا ان
الله أنقذني وأنجاني وقد جرى من حديثي كذا وكذا واني عاهدت أمير القوم ان أسلم اليهم هذه المدينة
ويوليني على نصيبين الصغرى والسويداء وحلفت له على ذلك واني سوف أوفي بعهدي واشهد كم ان كل
دين يخالف دين الاسلام فهو باطل وأنا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله قال فلما سمع
أهل حران ذلك قالوا لقد اراد الله بك خيرا ونحن نوافقك على اسلامك فاسلموا الا قليلا منهم

(ذكر فتوح قلعة راس العين)

(قال الراوي) حدثنا ربيعة بن هيثم عن عبد الله التنوخي عن عبدان بن عطية قال ما أسلم اهل الجزيرة
الا اهل حران فلما رآهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخلوا في الاسلام قالوا اللهم ثبتهم على
دينك ولا تمكن من بلادهم عدوا وأعادوا الكنائس مساجد وجوامع وسلموا الصحابة ما حول حران والرها
تسليما وأتى يوقنا من الرها الى حران واجتمع بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشاورهم في أمر
الرها وكيف يكون حكمها فقال سعيد بن زيد انك قد أخذت هذا البلد بحيلتك وقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحرب خدعة وقد صار كل من فيها عبيدا للمسلمين هم وأموالهم فقال يوقنا أنتم تعلمون ان أكثر
الجزيرة ما ملكته وهو الى الآن حصون موانع والصواب أن تصنعوا جميلا وخيرا يعلو به ذكركم ويرتفع
به فخركم فقال له سعيد اذا كان الأمر على ما ذكرته فاتركوهم على حالهم حتى نرى ما يرى فيهم
الامير عياض بن غنم قال ففعلوا ذلك ثم ان الاخبار اتصلت بالملك شهرياض أن حران والرها وسروج
والسخن وأكساس والعمق قد صارت كلها للعرب فايقن بزوال ملكه فدخل الى رأس العين هو ومن
يثق به وصلوا في بيعة نسطوريا وهي الجامع اليوم فلما فرغوا من صلاتهم قال يا معاشر الروم اعلموا أن
العرب قد شاركونا في بلادنا وقد صار لهم معاقل يجتمعون فيها وتقوم بأودهم ويصل اليهم منها الميرة
والعلوفة وتجيئهم منها الاموال والذخائر وفيها كلها احكمهم وما بقي بيننا وبينهم الا هذا المصف فان كان
لنا فلا مقام للعرب بيننا وان كان للعرب فالبلاد لهم من دوننا وقد رأيت رأيا فيه السداد فقالوا وما هو
قال أرى ان أماطلهم بالمصف ونكتب للملكين المعظمين سقروز عفرة فلعلهما ينجدانا بعسكرهما
ونكاتب الملك حرفتاس بن فارس ونكاتب الملك الانطاق صاحب نينوى وبلادها والى الحبر ابن
صاحب الهكارية فاذا أرسلوا الينا عسكرهم نستعين بالمسيح ونلتقي المسلمين والله يعطي نصره لمن يشاء
فقالوا هذا رأي جيد فكتب الكتب وأرسل الرسل الى الملوك المذكورة وعاد الى عسكره (قال الواقدي
رحمه الله تعالى ورضي عنه) وما منع عياض بن غنم عن حرب القوم الا انه رأى ان البلاد تفتح لأصحابه
بدون قتال فلم يستعجل لانه قوي ظهره بالبلاد التي فتحت وأيضا انه كتب الى أبي عبيدة بن الجراح يطلب
منه خبرا يأتيه قال ووصلت كتب الملك شهرياض الى أصحاب الأقاليم فامنهم الامين عن عسكر النصرانية
قال ووصل مكتوبه الى صاحب أخلاط وكان له بنت ذات جمال فائق وكانت من الشجاعة على جانب عظيم
وكان اسمها طاريون وكان مستقرها بجبل سموه باسمها وكان كل من خطبها لا ترضى به الا أن تلقاه في
الميدان فان قهرها كانت له زوجة قال وانها غلبت جميع خطابها وكان من جملة من خطبها غلام اسمه
سوسي بن سلنطور صاحب جبل السناسنة وكان قد قدم الى أخلاط بهدية من أبيه الى أبيها فقالت هي على
شرط معروف فبارزته في الميدان فقهرته وجزت ناصيته ومرت الأيام والليالي فلما بعث الملك شهرياض
يستنجد الملوك وأرسل الى صاحب اخلاط أرسل اليه أربعة آلاف فارس وأمر عليهم ابنته طاريون
وقال لها أي بنية قد قدمتك على الجيش وأريد منك ان تظهري على العرب ما كنت تظهرين به على

وعشرين ومائة وألف
وحضر بعده لوزارة مصر
الوزير خليل باشا ووقع في
زمنه فتنة عظيمة سنة
ثلاث وعشرين ومائة
وألف بين العسكر وقفلت
حارات مصر وأسواقها
اثنين وسبعين يوما والمدافع
تضرب ليلا ونهارا وتعطلت
سائر الاسباب وآل الامر

الفرسان حتى نشكرى عند امة المسيح قال وأرسل معها ملك السناسنة فجده وهم ألف رجل وكان
المقدم عليهم ولده فسار في صحبتها وكان الغلام قد كمل شأنه وحسن كماله وابتدر هلاله ولم يكن أحد في
زمانه يوصف بجماله فلما نظرت طاريون الى حسنه وجماله نظرته بعين المحبة فوقع قلبها في شبكة عشقه
فسيرت رجالها مع رجاله (قال الواقدي رحمه الله تعالى ورضي عنه) وأحسن ما رأيت في هذه الفتوح أنه
كان لهذه الجارية ابن عم اسمه برغون وكان يحبها ولا يستطيع أن يسمع بذكرها وكان من أهل الشجاعة
والشدة وكان تحت يده من المعاقل حيران والمعدن وأبرون وقف وأنطرونيدليس وأرزن وانه سار يجد
شهرياض في ثلاثة آلاف فلما عبر جيش ابنة عمه طاريون بيدليس اهتم لها وأكرمها وأهدى لها الهدايا
والتحف وسار معها الى أن عبروا حصن كيفا وأخذوا طريقهم على الموزر ونزلوا على حصن يعرف
بالمتاج على طريق النهر وكان لابن عمها عيون يطلعونه على أخبارها قال فلما نزلت على النهر أرسلت الى
الغلام سوسى الذي تحبه وهي تقول له اعلم أن المحبة الصادقة لا تكون الا بعد العداوة المفرطة وقد
ندمت على ما فات وما كان مني اليك وقد رأيت انك بعد رجوعنا من قتال العدو ترسل الى أبي وتطلبني
منه ولكن أريد منك أن تصل الى ليلا في خفية من ابن عمي برغون حتى تحلف لي أنك ترسل الى أبي
وتطلبني منه وأحلف لك انى لا أريد سواك وبعثت له بهدايا مع بعض خدمها وأرسلت معه شيئا من
الحلوى وأرسلت مثل ذلك لابن عمها ولكل أمير صحبها حتى لا ينكر عليها قال وان ذلك الخادم قد علم ما
جرى وكان هذا الخادم قد ربى ابن عمها على كتفه وكان يحبه محبة شديدة فاعلمه بما وقع من حديثها مع
الغلام سوسى بن سلنطور وهي تريد أن تجتمع به الليلة حتى تحلف له انها ما تريد غيره قال فكتم برغون
أمره فلما جن الليل طلب عظماء جيشه وقال لهم اعلموا انى ما وليت عليكم الا وقد علم المسيح أن عقلي أوفر
من عقلكم قالوا أيها الصاحب أعلمنا بما تريد حتى نقبل قولك ونطيع أمرك قال يا قوم اعلموا اننا
سائرون على غرة وعن قليل ترون الخيل تنوشنا والرماح تحوشنا قالوا وكيف ذلك قال لأن العرب لا تنام
ولا ترام وقد عاد النصر اليهم واعلموا أن الملك شهرياض ليس بأعظم همة ولا أكثر جنودا من هرقل ولا
من ملوك الارض وقد ملكت العرب دولتهم وأخذوا معاقلهم وأذلوا ملوكهم وأنا أعلم ان شهرياض
لا ثبات له مع العرب يوم المصف وقد ملكت بلاده وهي حران والرها وسروج والبيرة والخابور وقد
أخذوا ماردين وقلعة ماردين يعني قلعة المرأة وأخذوا أرسوس وابنته ماريه وكأنكم بالعرب قد ملكت
ديار شهرياض وعادت اليكم وملكت دياركم وسبت حريمكم واعلموا أن الحق مع العرب وانهم اذا قالوا
قولا وفوا به ومن أسلم اليهم أمن على نفسه وأهله وماله سواء رجع الى دينهم أو أقام على دينه واعلموا أن
بقلبي النار من هذه الجارية طاريون وقد أرسلت اليها لتكون لي أهلا وأكون لها بعلا فأبت ذلك وهي
تحب ابن ملك السناسنة فان تزوجت به وصاروا يدا واحدة اخذوا معاقلنا وملكوا حصوننا ولا يكون لنا
معهم مقام وقد رأيت انني في هذه الليلة أقبض عليها ثم انه أخبرهم بما حدثه به الخادم قالوا أيها الملك اذا
أخذتها فأي أرض تؤويك وأي حصن يحميك قال نقصد الى عسكر العرب ونأخذ لنا منهم امانا قالوا اذا
كنت عولت على ذلك فاعزم قال فخذوا على أنفسكم وتأهبوا للرحيل ففعلوا (قال الواقدي رحمه الله
تعالى ورضي عنه) فلما جن الليل تزيا برغون ابن عمها بزي الغلام سوسى وسار الى سرادق الجارية
فلما رأته ظنت انه سوسى فوثبت اليه قائمة وسلمت عليه وصفقت له وكانت قد أبعدت الحرس عنها
والغلمان والحجاب حتى لا يطلع أحد على سرها قال ثم انها تحققت انه ابن عمها فاستحيت منه ووجلت فلم
يمكنها الا أن تخدمه بأعظم خدمة فقال لها يا طاريون أظننت انى لا أقف على سرك ولا أبحث عن أمرك
يا ويحك أي مناسبة بين الروم والارمن حتى انك ملت الى ابن ملك السناسنة وتركت مثلي ثم انه مال
عليها بشدته وقبض عليها وألقمها أكرة وكتفها وخرج بها الى عسكره فوجد أصحابه قد لبسوا وركبوا ورموا
المضارب وشالوا الاثقال فلما وصل اليهم حملها على بغل وساروا ونظر أصحاب سوسى الى رحيل برغون فقال

لهم

الى قتل امراء لا يحصون
منهم أحمد باش أوطه باش
مستحفظان الشهير
بافرنج وبه اشتهرت تلك
الوقعة وهرب من مصر
امراء لا يحصون منهم
رئيس القوم أيوب بك أمير
الحاج الشريف ونهبت
أموال كثيرة وسبيت
ذرارى كثيرة وعزل خليل

لهم امهلوا أنتم بالرحيل الى أن يطلع الفجر فان هذا طريق ضيق تزدحم فيه الخيل والبغال قال ففعلوا ذلك وجد يرغون فى السير فما أصبح الا وهو على مرج السور فنزل هناك وأما الغلام سوسى فانه لم يمض الى الجارية ولا سأل عنها ولا سار اليها الا انه خاف أن يكون ذلك منها مكرا به فتقبض عليه فلما أصبح أمر غلمانه بالرحيل وركب وأتى الى سرادق الجارية طاربون فوجدوهم ينتظرون خروجها من سرادقها فدخل عليها فافادها وخرج وقال لهم ان الملكة ما كان من أمرها ولا سبب لغيبتها قال فماج أصحابه وارادوا الرجوع فقال لهم صاحبها أن عدنا الى الملك فلا نأمن ان يرمى رقابنا ويقول كيف غفلتم حتى أخذت ابنتى من بينكم وما عندكم خبر وما أخذ الملكة الا يرغون ابن عمها الان فى قلبه منها شيئا ثم انهم ركبوا وجدوا فى طلبه قال وان يرغون لما نزل فى مرج السور واستراح وهم بالمسير اذا بالقوم قد أشرفوا عليه وهم يزعقون ياويلك أترك الملكة من يدك قبل حلول منيتك فاستقبلهم هو ومن معه من بنى عمه وأقاربه فعندها قال ابن عمها اعلموا أن العرب ما نصروا على أعدائهم الا بالصدق فى دينهم وقتالهم عن دين الله واعلموا أن هؤلاء القوم الذين طلبناهم لا يخذلون لاسيما اذا علموا انتقاصدناهم واردناهم من غير قهر لكن من طريق العقل أن دينهم أفضل من ديننا لانهم يشيرون الى الله بالوحدانية ونحن نسجد للصلبان والصور ونقول ان للخالق زوجة وولدا وهو واحد أحد فرد صمد وقد بلغنى أنهم يقولون انه من قتل منهم صار الى الجنة ومن قتل منا صار الى النار لانا عندهم من الكفار فان كنتم تريدون النصر على اعدائكم فأقروا لله بالوحدانية وقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله قال فاعلنوا بكلمة التوحيد فدوت من أصواتهم الجبال والتلال والرمال والشجر والحجر فلما سمع أعداء الله ماذ نطقوا به علموا أنهم دخلوا فى دين الاسلام فتقدم سوسى وقد داروا بيرغون وأصحابه وقال له ياويلك يا يرغون أما كفاك أن تكون غادرا حتى تكون بدين النصرانية كافرا أتظن انك برجوعك الى دينهم ينصرونك علينا واين العرب وما يصل صاحبك اليهم الا ونحن فرغنا منك وقتلنا كم أشر قتلة عن آخركم فقولوا لمحمد ينصركم ثم انهم حملوا على يرغون ومن معه فاستقبلوهم بنية صادقة وهمم متوافقة وأعلنوا بكلمة الحق والصلاة على سيد الخلق وبذلوا اصوارمهم فى العدا واوردوهم شراب الردى وقصدوا نحو أعدائهم وطلبوا بجهادهم منازل الجنة وطلقوا الدنيا ثلاثا وكانوا يعيشون فى ظلمات ثلاث فانقدحت نار شوقهم بزناد صدقهم فأحرق زرع الكفر فأصبح هشيما تذروه الرياح فلما أضاءت لهم الافكار ولاحت لهم لوائح الانوار لم يجدوا من يشار اليه بالوحدانية ويوصف بالالهية وينعت بالازلية الا الواحد القهار فركضوا فى ميدان الاعتذار ونادوا بلسان الاقرار آمنا بالله الواحد القهار فلما سرحوا خواطر الافتكار فى أسرار الاعتبار قالوا كيف عبدنا سواه وما تم لنا معبود الا اياه فواخجلتنا اذا وقفنا بين يديه يوم العرض عليه فبأى عمل نلقاه وبأى بضاعة نقصد رضاه فأشار اليهم منادى الايمان من القرآن وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم فلما رحلوا فى عسكر الطاعة وخافوا من هول يوم الساعة وجعلوا رواحل رجائهم فى ركب اقبالهم وساروا فى موكب عزهم وجلالهم أشرقت شموس اسلامهم فى فلك استسلامهم وانقضت بازات أفراحهم من جو اتراحهم ومنادى جهادهم يناديهم يا أخيار سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار (قال الراوى) ودارت بهم الاوغادوشرعوا نحوهم الصعاد وأشرف يرغون وأصحابه على الهلاك واذا باب السور قد فتح وخرج منه مائة فارس كالليوث العوابس وقد رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير ونادوا يامن تعلقوا بكلمة التوحيد أبشروا بالنصر والتأييد ها نحن قد لبينا دعوتكم وخرجنا لنصرتكم وسوف نخلصكم من الامر المهول فنحن أصحاب الرسول (قال الواقدى) رحمه الله تعالى ورضى عنه وكان هذا السور حصنا من الحصون وكان قد سلمه ميتا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد أرسل عياض بن غنم عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق فى مائة فارس ليأتوه بالميرة وكان فيهم المقداد ابن الاسود وضرار بن الازور وسعد بن غنيم الاسدى ومعمر بن ماجد السلمى وبارى بن مرة الغنوى

باشا صاحب الفتنة وحضر بعده لوزارة مصر الوزير ولى باشا الشريف فمكث الى سنة سبع وعشرين ومائة وألف ثم عزل وحضر بعده لوزارة مصر الوزير عابدين باشا وهو الذى قتل أمير اللواء قيطاس بك يوم الاربعاء ثامن شهر رجب الاصب من السنة المذكورة وضعفت

وهلال بن عامر الانصارى وعيينة بن رافع الجهنى وخضر بن يعشور الفزارى ومثل هؤلاء السادات رضى الله عنهم أجمعين فلما وصلوا الى السور تلقاهم طالوت صاحب الحصن وأنزلهم وأكرمهم وأمر لهم بالطعام وأقاموا عنده ثلاثة أيام حتى جاء يرغون وكان من أمره ما كان فلما سمعوهم يكبرون قالوا هؤلاء قد دخلوا فى ديننا وقد وجب علينا نصرتهم فخرجوا كما ذكرنا وحملوا على أعداء الله ونصروا ايرشون ومن معه وانهزموا فى الليل الى مرج رغبان الى الملك شهرياض فأخبروه بما جرى عليهم قال فأيقن بذهاب ملكه قال فلما أصبح يرغون أتى الى الصحابة وشكر الله اذ نجاه ومن معه على أيديهم وقد ازدادوا ايمانا وحدث الصحابة بما كان من أمرهم وسار معهم الى عياض بن غنم فلما جازوا على ماردين نزل اليهم ميتا وكان قد بلغه ما جرى فسلم عليهم وهناهم بالسلامة وقال ليرغون وأصحابه ان كنتم تريدون الثواب الجزيل من الملك الجليل فتمموا اسلامكم بما ألقيه عليكم فقال يرغون وكيف العمل قال ميتا انزل ههنا أنت ومن معك فاذا غربت الشمس فسيروا على بركة الله وعونه واقصدوا كفرتوتا فاذا جئتم اليهم ليلا فقولوا لاهلها نحن قد وجهنا الملك اليكم لحفظ المدينة فاذا صرتم داخلها فثوروا على اسم الله وبركة نبيه قال ففعل ذلك يرغون وجلس الى ان جن الليل وارتحل بجيشه وثقله وودعوا الصحابة وساروا بالميرة وسار يرغون الى أن وصل الى كفرتوتا وكان آخر الليل والفجر بدر فلما وصل اليها أمر أصحابه أن يرفعوا أصواتهم بذكر شعارهم حتى لا ينكر عليهم القوم وجاءت الاثقال والبغال وسمع أهل كفرتوتا ضجة العسكر فأشرفوا عليهم من أعلى السور وسألوهم من انتم قالوا نحن من عسكر الملك شهرياض وقد بعثنا لنكون عونا لكم (قال الواقدى) رحمه الله تعالى ورضى عنه وأعجب ما فى هذه القصة ان الملك شهرياض قد بعث اليهم يعرفهم انى مرسل اليكم جيشا مع الحاجب فاذا وصلوا اليكم فافتحوا لهم الباب فان العرب فى آثارهم قال فلما وصل اليهم يرغون ومن معه وقالوا لهم نحن من عسكر الملك فتحوا لهم ودخلوا ولم يتكلم حتى انه نزل فى دار الامارة فلما استقر به الجلوس وثق من الابواب وصعد الى السور وقال لاهل البلد استريحوا الان الملك قد وصانى بالحرس على البلد فقالوا له أيها السيد ان كتاب الملك قد جاءنا بغير ما قلته بان لا يتولى حفظ البلد الا الحاجب قال فلما سمع يرغون قولهم علم ان الملك يريد أن يرسل لهم جيشا فقال لهم انصرفوا الى منازلكم واياكم أن يظهر منكم أحد فى الليل فانى ان وقعت بأحد منكم قتلته قال فانصرفوا ولم يبق عنده سوى الوالى الذى كان من قبل توتاهو وغلمانه فقبض عليهم يرغون وضرب رقابهم وتركهم فى بعض الابراج المهجورة وقال لاصحابه كونوا على حذر فان شهرياض يريد أن يرسل جيشا الى هذه المدينة فاذا رأيتموهم قد وصلوا فانزلوا وافتحوا لهم درقة الباب الواحدة وكلما دخل فارس فابعدوا به عن الباب وأنزلوه عن فرسه وخذوا عدته وكتفوه وألقوه فى البرج قال فبينما هو يوصيهم اذ وصل الجيش وهم ألف فارس والمقدم عليهم صاحب الملك الكبير فصاحوا عليهم افتحوا لجيش الملك فتبادرت أصحاب يرغون ففتحوا درقة الباب الواحدة وقالوا لا نمكن أحدا يدخل الا واحدا واحدا مخافة من يوقنا وأصحابه فانا نخاف أن يدخلوا فى جملتكم فبقى كلما دخل فارس رجلوه بعد ان يبعدوا به عن الباب ويأخذوا سلاحه وجواده ويكتفوه الى ان أدخلوا الالف والحاجب بعدهم فلما اجتمعوا نادوا بأعلى أصواتهم الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وجاءنا بالظفر قال فارتج كفرتوتا ووقع الرعب فى قلوب أهلها وعلموا انهم ملكوا بلدهم فلم يجسر أحد منهم أن يظهر فى المدينة ومن ظهر قتل فلما أصبح طلب يرغون أكابر البلد ومشايخها وبطارقتها فلما حضروا قبض عليهم وأنفذ الى عياض بن غنم يعلمه بما صنع فلما وصلت اليه الرسالة سجد لله شكرا وكان عبد الرحمن بن أبى بكر وأصحابه لما وصلوا بالميرة أخبروا المسلمين والامير بما وقع وان يرغون مضى الى كفرتوتا فكان منتظر الما يأتى اليه من خبره فلما جاءه الخبر بالفتح حمد الله تعالى وتفاءل بالنصر (قال الواقدى رحمه الله تعالى) قال عياض بن غنم للصحابة اركبوا ودونكم والقوم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وأمر خالد بن الوليد أن يكون بأصحابه فى الميمنة من القوم وأمر عمر بن سالم

ان

بمقتله شوكة الفقارية بارض مصر وقويت شوكة القاسمية ثم عزل عابدين باشا (وتولى بعده وزارة مصر على باشا الازميرى ومكث والياً بمصر الى سنة ثلاث وثلاثين ومائة والف ثم عزل وجاء بعده لوزارة مصر فى السنة المذكورة رجب باشا فسجن على باشا المعزول ثم خنقه فى قصر

أن يكونوا على يسار القوم وقال لهم لا تخرجوا حتى تشب نار الحرب وتشتعل بالطعن والضرب فاحملوا
واعتمدوا على السيوف فانها اقرب للحتوف وليكن شعاركم التهليل والتكبير واقطعوا أجل أمنيتكم
من الحياة الفانية وارغبوا في العيشة الراضية واياكم والميل الى دار الغرور فانها محل النوائب والشرور
فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ووقفوا بهم وقوف قوم غذوا بحلاوة وصاله فصانوا
أمرهم بالوقوف على طاعته فهاموا وتجردوا في الليل لخدمته وقاموا فأثنى عليهم اذ بحبه هاموا ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال فسار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو الجهات التي ذكرنا
وزحف الموحدون ونشرت الرايات والبنود وتواعدوا على اللقاء في اليوم الموعود وقالوا الهنا ما لنا
سواك من نصير فانت نعم المولى ونعم النصير قال ووقع الصائح في عسكر الروم أن المسلمين قد زحفوا
وأشرفوا قال فتبادروا الى القتال وتمسكوا بقول المحال ولبسوا وتدرعوا وعن الآخرة نزعوا والى
الصليب تضرعوا ورفعوا رايات الطغيان وتلت عليهم الانجيل القساوسة والرهبان وفتحت لهم
أبواب النيران عندما أشركوا بالرحمن وصار على جيشهم من الكفر شبه الدخان وصار أمامهم الشيطان
وعلا منهم الضجيج ووقعوا في أمر مريج فلما نظر المسلمون الى كثرة من اجتمع من قومهم استقبلوا
لحكم القضا وقالوا نرضى بما قدر وقضى فنودوا من سرائرهم قد اشترينا منكم النفوس فاصبروا
لحكم الملك القدوس ولا تولوا الادبار فقد سبق الحكم وانبرى وخط القلم في اللوح وجرى
وكتب بامر الله ان الله اشترى قالوا اما الذي اشتراه من له المنة قال أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة
فقالوا ونحن نريد التسليم لنصل الى جنان النعيم فقيل لهم انهضوا الى سوق المبيع فقد هبت بشائر
الربيع وتجلى لقبض أرواحكم البصير السميع فسجدوا وتجددوا ورفعوا أصواتهم بتوحيده
وتجردوا فلما ايقنوا بالوصال طلع لهم سهيل الحال وازهرت شجرة الاحوال واستدار لهم رقيبه
في فلك التيسير وناداهم اني بما تعملون خبير فلما سمعوا منادى الافكار يناديهم بالعشي
والابكار بذلوا نفوسهم وارصوا قدوسهم وجاهدوا واجتهدوا وحملوا واقتصدوا ونهلوا من نهر
الشهادة ووردوا ولم يزالوا في حرب الاعادي وموارد الاجتهاد في مغاني ميادين الجهاد حتى خرجت
الكناه وهبت عواصف رياح الفناء فدمروا ما كان شيده الكفار من البناء وانتشرت أستار
ما أملوه من الاماني والمنى فقتلت بينهم الصناديد وأصبحوا صرعى على وجه الصعيد وناداهم منادى
التهديد ان عذابي لشديد وما هي من الظالمين ببعيد ولم يزالوا في قتال الكفار الى أن مضى النهار
وأقبل الليل بالاستتار والمسلمون يقولون يا ليتنا دام لنا النهار ولا غلبتنا جيوش الاعتكار واذور
ظهرهم على أطناب سرادق القتار ولا الليل سابق النهار قال فلما مضى الليل بغياهبه وأقبل
الصباح بجانبه بادروا الى الحرب والطعن والضرب ولم يمهل بعضهم بعضا دون أن وقعت الحملة على
المسلمين فانهزم الجناح الايمن وكان فيه أخلاط العرب قال وانهزمت ميسرة العدو ووقع فيهم أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل القتال فيهم الى أن غلبهم الليل فانفصلوا فلما كان اليوم الثالث
تولى الحرب خالد بن الوليد ورتب الناس ترتيبا جيدا وجعل في الميمنة باهلة وطيا وجعل في الميسرة عديا
وغيرا وفزارة وفي الجناحين كندة وعاملة ومرة وفي القلب ابطال الانصار من ذوي الشدة والانتصار
وجعل راية الميمنة بيد عامر بن سراقة وراية الميسرة بيد ضرار بن الازور وراية الجناح الايمن بيد عبد
الرحمن الاشتر وراية القلب بيد عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فلما رتبهم قال لهم اتقوا الله الذي اليه
مصيركم واعلموا انه متكفل بتأييدكم ونصركم واياكم ان تؤتى المسلمون من قبلكم واتبعوا سنن الذين
فتحوا الشام من قبلكم فمن ولى الادبار كان مأواه النار وغضب عليه الجبار واعلموا أن الله فرض
عليكم الجهاد وقتل الاعداء واعلموا أن الاحب الى الله تعالى جل جلاله قطرتان قطرة دم جرت في سبيل
الله وقطرة دمع جرت من خشية الله وهذا اليوم له من الاجر ما لا يعد فاتقوا الله عباد الله واثبتوا في هذه

يوسف وأظهر محمد بك
جركس الذي كان مختفيا
ثلاث سنين وبطش باعدائه
فقتل اسمعيل كتخدا
جاويشان وقتل اسمعيل
بك دفتردار حالا وأرسل
تجريدة الى أمير الحاج
اسمعيل بك ابن أيواز بك
فهرب من بندر بحر ودخل
مصر مختفيا ثم أعمل الحيلة

المواطن كما ثبتم فى المواطن الكبار وايا كم والفشل فتذهب ريحكم وفوموا شريعة نبيكم واعلموا ان الله مع الصابرين ولا يضيع أجر المحسنين وها أنا أنفرد بجماعة من اخوانكم الى صليب القوم ولست براجع الا بحطم من حوله من الكفرة والمشركين قال جل ذكره وكان حقا علينا نصر المؤمنين فاذا رأيتم صليب القوم قد هوى الى الارض فاحملوا ولا تمهلوا قال فلما وعظهم خالد رتب كل صاحب راية فى موضعه وانتخب من انتخب من أبطال المسلمين وقال للناس اذا رأيتم الصليب قد وقع فاحملوا والله ينصركم وحمل هو ومن معه وقصد والى شهرياض وصليبه الاعظم فاردهم عن حملتهم كثرة العساكر (قال الواقدى) رحمه الله تعالى ورضى عنه ولقد بلغنى عمن أثق به أنهم لما حملوا خطموا العساكر وزعزعوا الدساكر وازالوا الابطال عن مراكزها والبطارقة عن مراتبها وما اعتمدوا الا على السيوف واستقبلوا بها الصفوف فلما رأى شهرياض فعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى التاج عن رأسه وزعق بالبطارقة والاراجنة والقياصرة وقال يا معشر الروم من بنى الاصفر اعلموا انه ما بين ذهاب دولتكم الا هذا اليوم فاما ان تقاتلوا عن دينكم وحريمكم واهلكم وذراريكم وأولادكم والا أخذت منكم فاياكم ان تولوا الادبار فمن تولى غضب عليه المسيح وأدخله النار (قال الراوى) وبلغنى أنه فى ذلك اليوم وصل اليهم بتركهم الكبير المشار اليه فى دينهم ومعه كل قس وشماس ورهبان بارض الجزيرة جاء ليحرض الروم على القتال وكان هذا البترك اسمه دين الديروم وكان يسكن بدير يقال له دير قرقوت وانهم وصلوا قبل أن تحمل المسلمون فوعظهم بين الصفوف وقال من انهزم منكم حرمته فلا يقبله المسيح ابدا ثم انفصل من القوم هو ومن معه وعلوا على رابية تشرف على القوم ورفعوا الصلبان وفتحوا الاناجيل واشركوا بالملك الجليل (قال الواقدى) حدثنا عبد الله بن مالك عن موسى بن ابى العام عن الاشعب عن يحيى قال حدثنا بشر بن عامر وكان ممن حضر وقعة مرج رغبان وكانت الوقعة يوم الثلاثاء ثالث شهر صفر سنة سبع عشرة وكان شهرياض قد أرسل الى رأس العين وسائر بلاده فاتوا بحريمه وحريم سائر الاجناد والبطارقة واولادهم وأقامهن يوم المصف على أبواب الخيام وقال لهن ما من امرأة الا ترفع ولدها وتصيح باسم بعلها واخيها واغا فعل ذلك ليثبتوا فى القتال فاوقعوا الصياح من كل جانب وعملت القواضب وثبت الروم ثباتا عظيما لاجل حريمهم واولادهم ولاجل البترك ووقف فى مقابلتهم رجال من اليمن يرمونهم بالنبل واما خالد بن الوليد فلما حمل باصحابه وهو يريد صليب القوم سمع عياض بن غنم وهو يقول هذه الابيات

سنحمل فى جميع الشام الكواذب * ونفرى رؤسا منهم بالقواضب
ونهزم جيش الكفر منا بهمة * تطول على أعلى الجبال الرواسب
وننصر دين الله فى كل مشهد * بفتيان صدق من كرام الاعارب
فيا معشر الاصحاب جدوا وجندلوا * وكروا على خيل كرام المناسب
فدونكم وقصد الصليب وبادروا * لترضى اله الخلق معطى المواهب

قال ثم قصدوا الصليب وكان اللعين شهرياض لما صف الصفوف أقام حول الصليب الاعظم اثنى عشر الف فارس كلهم لبس الزرد وترك امامهم حسكا من حديد حتى لا يصل اليهم احد فلما حمل خالد واصحابه وقربوا من الصليب داست خيولهم على ذلك الحسك فانكبت على وجوهها فوقعوا على ظهورها فانكبت عليهم الروم بغيظهم وحنقهم فاخذوهم بالاكف لانهم وقعوا عن ظهور خيولهم من الحسك فاخذوهم عن آخرهم وارتفعت العطاعط من كل جانب وعملت المرهفات القواضب فلما نظر الامير عياض بن غنم ما نزل بخالد ومن معه صعب عليه واشتد لديه وقال فى نفسه يا ابن غنم ما يكون عذرك بين يدى الله وقد مضت هذه السادة تحت رايتك فصاح بأعلى صوت يا معاشر المسلمين احملوا ولا تمهلوا أيقظوا هممكم وعجلوا واستخلصوا السادة من الاسر واطلبوا من الله النصر قال فلما صاح عياض أوقفوا

فاصطلح أمير الحاج اسمعيل بك أبو ازمع عدوه محمد بك جركس ووقع الاتفاق على عزل رجب باشا فأنزل من القلعة محتقرا وكانت مدته عصر مائة يوم وحضر بعده لوزارة مصر محمد باشا النشنجى فمكث الى سنة احدى وأربعين ومائة والف وحضر بعده لوزارة مصر

خالدا ومن معه أمام الصفوف فتأسف ابن وضاح بن مجيد بن نافور بن عمر بن سالم بن النابغة الذبيانى وكان من افصح الناس لسانا وأجرئهم جنانا وأحدهم لسانا واعلمهم بيانا وكان حليف خالد بن الوليد رضى الله عنه فبرز يومه عبرج رغبان وقال أيها الناس ان الصبر والثبات جندان فلا يغلبان وهذا يوم بالله من يوم وماترون من نخوتكم ومروآتكم ودينكم أن تدعوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يد العدا فاستنقذوهم من الردى واتقوا الله الذى اليه مصيركم واعلموا ان ترك الاشياء النفيسة لا يليق الا بالنفس الخسيسة أما تحققتم ان الدنيا تؤول الى الزوال والفناء والآخرة هى دار النعيم والبقاء اما علمتم ان الهمم العلية الروحانية والاشباح الجسمانية عولت على الانتقال من الدنيا الساحرة الى دار الآخرة وقالت لا بد من الرحيل لان البقاء فى الدنيا قليل فتزودوا معاشر الارواح فقد قرب الرواح والقصد منكم قد عرفناه ومرادكم قد فهمناه وان سفركم سفر شاق يحتاج الى زاد ورفاق قالوا فما الزاد الذى نكثر منه ولا نعدل عنه قيل لهم الزاد الاقوى فى وتزودوا فان خير الزاد التقوى قالوا أما هذا الزاد فمنا من يقدر عليه ومنا من لم يقدر عليه قيل اياكم والتعرض لهذا السفر بغير اعمال واعلموا اليوم لا بيع فيه ولا خلال فلما تزودوا وأخلصوا ومن جيفة الدنيا تخلصوا خلع عليهم خلع الانعام وتوجهم بتاج العز والاكرام وجعل لهم الفردوس منزلا وقال فى حقهم كانت لهم جنات الفردوس نزلا واسمعوا ما قال فيهم الملك المقتدر فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر قال فعندها حملوا باسرار صافية وهمم وافية وطعنوا فى صدور الرجال ورفرفت على رؤسهم طيور الآجال ووضعوا السيف فى الروم وجعلوه عليهم يوما مشوم وقال ولم يزل القتال بينهم بقية يومهم الى الليل وانفصلوا عن القتال ورجع المسلمون وهم متأسفون على أمر خالد ومن معه فانهم لما وقعوا فى الاسر وانفصل الناس من القتال وجن الليل أرسلهم الملك شهرياض الى رأس العين مع حاجبه نقيطا بن عبدوس ومعه ألف فارس وأمره ان يسير بهم فى الليل ويجد بهم فى السير وأن يسلمهم الى والى رأس العين قال فسار بهم ولم يطلع الفجر الا وقد وصل بهم الى رأس العين وأرسل من يعلم الوالى بالقصة فخرج فى موكبه للقائهم ووضع الصائح فى رأس العين بقدومهم فما تخلف أحد وكان لهم يوم مشهود فالقاهم الوالى فى الكنيسة العظمى التى هى جامع اليوم واوثقوهم فى الحديد (قال حدثنا) فاهم اليشكرى عن بشار بن عدى عن سراقة بن زهير عن خزيمة بن عازم عن جده عبد الله بن عامر قال انه لما فتح الرها وحران وسروج صلحا اجتمع يوقنا بردوس ومعه أصحابه فقال اعلموا أن الله سبحانه وتعالى قد فتح علينا هذه البلاد وان راس العين مدينة عظيمة وأهلها قد استعدوا للقتال وآلة الحصار ور بما صعب امرها وعسر فتحها على المسلمين وانى معول ان أهب نفسى لله وأسير مع اصحابى فلعلى أن أحصل فى داخل المدينة ولعل الله أن يفتحها على يدى فقال له سعيد بن زيد قوى الله عزمك وسدد أمرك قال وعول على المسير فى تلك الليلة واذا بعيون المسلمين قد أقبلت الى حران يخبرون انه قد أتى عاصم بن رواحة المتنصر فى خمسمائة فارس من قومه من أياز الشمطا وكان قد وصل مع قومه الى قسطنطينية وقد ورد على الملك هرقل كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه بان يبعدهم عن دياره فأبعدهم عن أرضه فتفرقوا فى كل موضع وأتى منهم عاصم بن رواحة الى هذا الملك شهرياض فى خمسمائة فارس وكان الملك يحبه ولما وصل الى البرية كتب الى الملك يعرفه أنه خرج من بلاد القسطنطينية وأتى قاصدا الى بلاده وخدمته وبعث الكتاب مع رجل من بنى عمه اسمه رفاعة بن ماجد فوصل الى الملك وأعطاه الكتاب ففرح الملك بقدومه وأمره أن يعجل فى الحضور وأرسل الى والى رأس العين بان يخلى له دارا ينزل فيها اذا قدم مع أصحابه فلما سمع يوقنا ذلك الخبر من عيونه فرح وقال من أى طريق يأتون قال من طريق سروج وبقى بينكم وبينه ليلة واحدة فخرج يوقنا ومن معه وصحبهم عمرو بن معديكرب وسعيد بن زيد ومن معهم وكمنوا لهم فى موضع قد علموا انهم لا بد لهم من العبور فيه فلما ضرب الليل سرادقات ظلامه ونصب على الخافقين اعلامه اذا اقبلت

الوزير بكر باشا فكث شهرا وعزله العسكر وحضر بعده لوزارة مصر عبد الله باشا التكفورلى سنة ثلاث واربعين ومائة وألف ومدحه شعراء مصر لفضله وميله الى الادب وله ديوان شعر جيد على حروف المعجم وقال بعض شعراء مصر فى بعض قصائده ولما جاء

خيول القوم وسمعوا حسهم فصبروا حتى توسطوهم من كل جانب وقصد كل واحد واحدا فاخذوهم عن بكرة أبيهم ولم ينفلت منهم أحد واحتووا على أثقالهم ورحالهم ورجعوا الى مكمنهم ونزلوا عن خيولهم فقال لهم سعيد بن زيد من أميركم حتى أخاطبه فاشاروا الى عاصم بن رواحة فقال له سعيد بن زيد يا ابن رواحة اى مناسبة بينكم وبين الروم حتى لذتم بهم وملت الى جانبهم وتركت العرب العرباء فانت منا والينا وحسبك حسبنا ونسبك نسبنا الان اغمارا واياد او ربيعة ومضر كلها ترجع الى نزار بن معد بن عدنان وان الله قد اختارهم اسكنى حرمه وجوار بيته وقد كنا نعبد الاصنام ونستقسم بالازلام ونتبع طرق الحرام حتى بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وانزل عليه وانذر عشيرتك الاقربين وأمره بالمقام فى دار الخيزران ثم دعاهم الى عبادة الملك الديان وقال لهم انتم من ولد اسمعيل بن ابراهيم الخليل وقد فضلكم بارئ النسم بسكناكم البلد الحرام والبيت المعظم وزمزم والمقام فالى أراكم على الاصنام عاكفين وبالازلام حالفين وفى ثياب الكفر رافلين أمالكم عقول تردكم امالكم بصائر تصدكم اما أنتم من ذوى الاحلام الراجحة اما أنتم من ذوى الآراء الشامخة الهذا خلقتم أم به امرتم نحتم الاصنام من الاحجار وسلكتم طريق الفجار وكفرتم بالواحد الجبار الذى سير البحار وأجرى الفلك الدوار وخلق الليل والنهار اماتشكرون الصانع الذى جعل النجوم طوالع وكل اليه راجع قالوا يا محمد من أمرك ان تسب آلهتنا وتسفه أحلامنا قال يا قوم العلم أمرنى والعقل بصرنى اما علمتم أنه من نظر فى المصنوعات وتدبر علم ان لها صانعا لا يتغير فالنظر فى المخلوقات حكمة والتفكر فى صنعه والاقرار بواحدانيته نعمة والايمان به رحمة قالوا فمن تعبد قال اعبد الذى فطرنى وصورنى وشرح خاطرى ونور بصائرى وخلق المخلوقات وقدر وصنع المصنوعات وأنزل الارزاق بقضاء وقدر ليس فى مشيئته كيف ولا فى اقضيته حيف يقول ولا يتلفظ ويريد ولا يظهر ويسمع ويبصر تعالى عن المكان والاين والشبيه والبين وقال لا تتخذوا الهين اثنين أما علمت يا ابن رواحة ان ديننا هو الحق وقولنا هو الصدق وما بعث الله نبيا الا وامر أمته باتباع دين الاسلام قال الله تعالى فى القرآن ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وقال تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا وقال وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وأنت تعلم الآن انكم فى قبضتنا واسرنا فان آمنتم بالله وصدقتم برسالة نبيه صلى الله عليه وسلم كان لكم مالنا وعليكم ما علينا وان أبيتم ضربنا أعناقكم قال فلما سمع عاصم بن رواحة ذلك من كلام سعيد بن زيد قال وان نحن رجعنا الى قولكم واتبعنا دينكم يغفر لنا ربنا ما سلف من الاشراك فى ربوبيته والسجود لغيره قال سعيد نعم لان الاسلام يهدم ما كان قبله وجميع ما كنتم فيه لا يطالبكم الله به وتخرجون من الذنوب كما خرجتم من بطون أمهاتكم الى الدنيا ثم تلا قوله تعالى قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم فلما سمع عاصم كلام سعيد قال أنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فلما نظر أصحاب عاصم اليه وقد أسلم أسلموا عن آخرهم ففرح المسلمون بذلك وقالوا لقد وجب علينا ان نطيب قلوب هؤلاء القوم ثم سار والى حران وأنزلوهم وخلعوا عليهم فقال يوقنا الآن فتحنا رأس العين ورب الكعبة فقال سعيد فكيف ذلك يا عبد الله قال سوف أريك بيان ذلك ثم انه قال لعاصم بن رواحة فى السر بينه وبينه أريد منك أن تشد فى كتافا أنا وأربعين من أصحابى وتجعلنا على ظهور الجمال التى تحمل أثقالكم وتركب مع هؤلاء السادة يعنى الاربعين الذين هم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسير وامن ليلتكم هذه الى رأس العين وتقولوا لهم الماء بربنا الفرات خرج هؤلاء علينا فنصرنا المسيح عليهم فقتلنا من قتلنا واسرنا هؤلاء وأتيناهم اليكم واياك أن تمكنه أن يقتل واحدا منا واذا أراد ذلك تقول له ان المصف بين يدى الملك وبين العرب ولا ندرى من يؤخذ من أصحابنا فيكون عندنا الفداء

مصر أرخوه لقد سعدت بعبد الله مصر وفى مدته جاء الخبر بخلع السلطان احمد من السلطنة فكانت مدة سلطنته ثمانية وعشرين سنة ومكث مدة مخلوعا ومات وتولى بعده ابن اخيه السلطان محمود خان ابن السلطان مصطفى خان سنة ثلاث واربعين ومائة والف ولله

وتترك أصحابك بحران قال عاصم ولم لا نسير بأجمعنا وبأصحابي كلهم فقال يوقنا ان الاسلام لم يتمكن بعد من قلوب القوم ونخاف أن أحدا منهم يغمز علينا فيفسد حالنا والثقة بكل أحد عجز فقال والله لقد صدقت في قولك فنزل ببني عمه الخمسمائة في حران واغا قال يوقنا ذلك ودبره ليكونوا على سبيل الرهائن قال فكتفوا يوقنا والاربعين من بني عمه وتزيا الصحابة بزي ايا ذا الشمطاء وخرجوا من حران في الليل وطلبوا رأس العين فلما وصلوا الى مكان يعرف بعلوا اذا بقرع حوافر الخيل فاخفوا أمرهم حتى وصلوا اليهم واذاهم بار بعمائة عبد أسود وخمسين وهم يقرؤن القرآن وبعضهم يسبح فاستقبلهم سعيد بن زيد ومن معه وكبر وامثل تكبيرهم وقربوا منهم فاذاهم موالي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقدم عليهم دامس أبو الهول رحمه الله تعالى وكان السبب في قدومهم انه لما بعث عياض بن غنم كتابا الى أبي عبيدة يستنجده على القوم ويعلمه بمن قد اجتمع من الكفار بعرج رغبان فلما قرأ الكتاب أرسل دامسا ومن معه لنصرة الاسلام وكانوا بسميساط وبلادها ومنذ فتحوها استقروا بها حتى جاءهم كتاب أبي عبيدة فترك دامس على سميساط وبلادها من يثق به وجاء في العدة التي ذكرناها فلما لقيهم سعيد بن زيد سلم بعضهم على بعض وفرحوا باجتماع الشمل ونظر دامس الى الجمال وعليها يوقنا وأصحابه فقال أظفرتم بهؤلاء في طريقكم فقال سعيد هذا يوقنا عبد الله وأصحابه قد باعوا نفوسهم لله قال فلما سمع أبو الهول كلام سعيد حمد الله على قربوس فرسه وأتى الى عبد الله يوقنا وسلم عليه فقال له مرحبا بقوم قد طلقوا الدنيا بتا زهدا وطلبوا مرضاة الله ثم انه قال لسعيد بن زيد يا صاحب رسول الله أشركونا معكم في هذه الحيلة قال نعم ولكن اصحبوا هذه الجمال واخفوا الدروع والعدد واحتزموا وافوقها وسوقوا الجمال أمامكم كأنكم عبيدنا فانه لا ينكر عليكم من رآكم قال ففعلوا كما أمرهم سعيد وأخفوا سلاحهم في وسط الجمال وأقبلوا على سوقها فلما وصلوا الى الزابخة نزلوا هناك ولبسوا وتدرعوا ونشرت الاعلام والصلبان التي كانت مع ايا ذا الشمطاء ودار وا بيوقنا وأصحابه وجعلوهم بينهم وساروا حتى قربوا من رأس العين فبعث سعيد رجلا من حلفائهم الى والي رأس العين يبشره بقدوم عاصم بن رواحة وايا ذا الشمطاء فلما وصل اليه الرسول خرج بالموكب الى لقائهم وقد أعلمه الرسول بقدوم يوقنا أسيرا ومعه أربعون من أصحابه فصاح الصائح بذلك فما بقي أحد الا وخرج أمام الوالي والتقوا بالصحابة وهم بزي أصحاب ايا ذا الشمطاء وقد داروا بعاصم بن رواحة وكان الوالي يحبه ويعرفه فترجل اليه وترجل عاصم وتعانقوا وأقبلت المواكب يسلم بعضها على بعض فقال الوالي كيف أخذت هؤلاء وهذا المارق يعني يوقنا فقال له انا لما وصلنا الى الفرات وعدينا خرج علينا برجاله فقاتلناه وقاتلنا فنصرنا المسيح عليهم بعدما قتلنا منهم خمسين رجلا وأخذناه هؤلاء وانهزم الباقي قال ففرح الوالي وأقبل على يوقنا يوبخه بكلام وهو لا يرد عليه والروم تشتمه وتسبه وهو لا ينظر اليهم ولا يكلمهم الى أن دخلوا رأس العين وأمرهم أن يجعلوهم عند الاسارى في بيعة نسطوريا وقال لهم احتفظوا بهم حتى نكاتب الملك ويرى فيهم رأيه قال فجعلوهم عند خالد وأصحابه ثم ان عاصما قال للوالي انت تعلم ما بيننا وبين هؤلاء القوم من العداوة وان كانوا عربا مثلنا ونخاف انك تجعل على حفظهم أحدا من الروم أو من الارمن وأن يتحدثوا معهم باطلاقهم وتدخل المضرة على الملك وعليكم والصواب أن نجعل بعضنا في البيعة وبعضنا خارجها فانه من أتى الى الجهاد لا يركن الى الراحة فانه من تعب في الدنيا قليلا استراح في الآخرة طويلا قال فاستصوب الوالي رأيه وأنزله في البيعة هو وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأضاف يوقنا الى خالد (قال الواقدي) رحمه الله تعالى ورضي عنه فحصل ستمائة فارس من المسلمين (قال الراوي) فلما استقروا في البيعة وجن الليل قام سعيد بن زيد الى خالد وسلم عليه وبشره بالفرج فقال يا ابن زيد لقد علمت بذلك منذ قيل ان يوقنا قد أتى به ومعه أربعون فنظرت بنور الايمان فعلمت صحة ذلك قال وان الوالي بعث الى الملك يبشره بأخذ يوقنا ومعه أربعون من أصحابه وقدوم عاصم بن رواحة ومعه خمسمائة من أصحابه فلما بلغه الخبر أمر بالبوقات فضربت فسمعت

مسجد مشهور بالمحمودية ثم عزل عبد الله باشا عن وزارة مصر وتولى بعده محمد باشا السلحدار على وزارة مصر قدم من البصرة وأقام واليا بها الى سنة ست وأربعين ومائة وألف *(وتولى بعده وزارة مصر الوزير عثمان باشا) الحلبي قدم من طرابلس وأقام

المسلمون بذلك فقالوا ماضربت البوقات الالأمر مهم اذ أقبل عباد بن بشير وهو متنكر وأتى الى عياض بن غنم فلما رآه قام اليه وسلم عليه وقال يا ابن بشير بم تبشرني أقر الله عينيك فلم يرد عليه شيأ حتى خلا به وحدثه بجميع ماجرى فلما سمع عياض بشارة عباد بن بشير مجد شكر الله فقال عباد أيها الامير ان سعيد بن زيد ومن معه يسلمون عليك وعلى من معك ويقولون لك أنجز المصف فلعل أن يفتح على يديك ما بينك وبين فتح رأس العين الا أن تهزم القوم وقد فتحت فقال عياض توكلنا على الله فلما جن الليل جمع أصحاب الرايات وحدثهم وقال لهم لا تعلموا أحدا مخافة من جواسيس الروم ولا يصبح الصباح الا وأنتم على أهبة الحرب قال فما أصبح الصباح الا والمسلمون قد أخذوا أهبة الحرب فلما طلعت الشمس وانبسطت على الارض علت على الخيل ركابها وجالت بأصحابها وشبت من الحرب نارها وطار شرارها وقطعت الجماجم واستعرت الملاحم وصالت أسودها وتعفرت خدودها وصبرت على شدة حالها وحانت منها أحوالها وتدانت آجالها فهم في الحرب مترافون وفي العدد والعديد متقاربون وفي الزحف الى الفزع مختلفون والعجاج ثائر والدم فائر والاسلاب مطروحة للضباع ولحوم القتلى رزق للطير والسباع ولقوة العمائم تشتكي منها الاسماع والشمس تفجر منها الجسوم والنفوس والحرب قد أخذت أمرا بقطع الآجال وقد شمرت عن ساق وسمروالوطيس قد حميت جوانبها واستحيت عين مجانبها والصفوف تدانت الى الهياج وقد غيبهم غيم العجاج وكل مقدم قد شذ منه جيشه وتكدر بعد الصفو عيشه والخيل تكر كرات وتجتمع مرات والسيوف تقطع البيض والنفوس تكاد تميز من الغيظ والغبار قد سحب ذيل أزمجها وانسبل وأسبل على الوهاد رداء سحبها والطبول قد حامت وكأن القيامة قد قامت واستقبل المسلمون هذا الحرب الخطير والضرام المستطير فحل بالروم العقاب وسمحوا بنفوسهم ولقوا أليم العذاب ونال المسلمون مارغبوا فيه من حسن المآب (قال الواقدى) رحمه الله تعالى ورضى عنه والتقى عبد الله بن عياض بن وائل وعبد الله بن قرط بالملك شهرياض وقد عول على الهرب وكل من في جيشه قد اشتغل بنفسه عن نصرته وليس عنده سوى عشرة من غلمانه فاطبق عليه عبد الله بن قرط وعبد الله بن عياض (قال الواقدى) رحمه الله تعالى ورضى عنه ولم ادر أيهما كان أسبق بالطعنة فطعنه في صدره فاخرج السنان من ظهره فلما نظر غلمانه الى ملكهم مجندلا ولوا على أدبارهم ونزل عبد الله فاحتز رأسه وجعله على رمحه وركب وصاح ألا وان الملك قد قتلته فمن كان منكم يثبت للحرب فليثبت وصالت المسلمون على أعداء الله ووضعوا فيهم السيوف فقتل من قتل وانهزم الباقون بعدما أسر وامنهم من أسروه وقد تركوا الأثقال على حالها والاموال والسرادقات فاحتوى عليها المسلمون (قال) حميد بن ناشب الضمرى كنت مولعا اذ سكنت الحرب بعدد من قتل من الروم فاخذت مخلاة على عاتقي وملأت حجرى حصى فكنت لا أمر بقتيل الا طرحت عليه حصاة ثم عددت الحصى فاذا هى ثمانون ألفا وسبعمائة وخمسون وأما الاسرى فلا يحصيهم عدد فلما وضعت الحرب أوزارها أمر عياض بالاثقال والاسرى الى كفرتوثا وبعثها مع الصلت بن مازن ومعه ألف فارس وأمره أن لا يبرح منها حتى تفتح رأس العين قال ثم ارتحل عياض في أثر الوقعة الى رأس عين وردة وبات ليلته يتلو القرآن قال ووصل المنهزمون الى رأس العين وهم بأسوا حال ووقع الصائح بجوانب المدينة بهزيمة الجيش وقتل الملك شهرياض فعظم عليهم وكبر لديهم واستوثق الوالى مرسيوس من المدينة والاسوار وعول على انه في غداة غد يضرب رقاب المأسورين وكان من عادة الروم اذا قتل منهم ملك يقتلون عليه مائة أسير من أعدائهم فلما كان الغد ركب عدو الله مرسيوس الوالى وسط المدينة وأمر أن يؤتى بالاسرى وهم خالد ومن معه ليضرب رقابهم فارادوا أن يأتوا بهم واذا بعياض قد صبحهم صباحا فاشغلهم عن ذلك ونزل على باب اسطاحون وهو الباب الشرقى وكان قد ضرب على الباب المذكور قبة من الديباج المدثر برسم عدو الله مرسيوس والى جانب القبة منجنيق عظيم يتعلق في حباله مائة رجل وكان صاحبه ابن عم الملك وكان

والباعمر الى سنة ثمان وأربعين ومائة وألف (وتولى بعده وزارة مصر الوزير بكر باشا) وهى تولية الثانية فقدم من جدة الى السويس في البحر لانه كان واليا بجدة واقام بمصر واليا الى سنة تسع واربعين ومائة والف ثم وقعت فتنة بمصر وقتل فيها محمد بك غيطا ؟

اسمه مترقيس بن اشفكياص وكان أبوه هو الملك قبل شهرياض وهو صاحب الدنانير الاشفكياصية قال واغاثه تقدم عياض بالمسلمين للقتال حتى يشغل اعداء الله عن خالد ومن معه بالمدينة فصار وايرمون بجانيقهم وسهامهم وكان قد وصل مع عياض غلام من أهل المدينة اسمه جميل بن سعد الدارى وكان ارمى خلق الله بالنبل وكان قد وصلت له أم عجوز فلما كان ذلك قال يا أماه اريد أن أجاهد هذا اليوم فى الله حق جهاده فلعلى أن الحق باخوانى وجدى الذين قتلوا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعها وسار فقالت يا بنى سر والله ينصرك ويؤيدك قال ثم انه تقدم ووقف وهو يتستر وكان قد شاع ذكره بين العرب وانه كان ينظر الى الطائر فى الجو فيقول اننى قد عولت أن أضرب هذا الطائر فى موضع كذا فيضربه فيقع الطائر والضربة فى المكان الذى ذكره فلما كان يوم قتال عين وردة تقدم وجعل يضرب البطارقة من أعلى السور فلا يقع سهمه الا فى فؤاد أو فى حدقة حتى قتل ثلاثين بطريقا منهم من وقع الى المدينة ومنهم من وقع الى الخندق قال وكشف برج الباب قال وكان عدو الله مترقيس المتقدم ذكره صاحب المنجنيق أرمى خلق الله فجعل يعبر ويرمى فقال الناس لجميل بن سعد أيها الغلام أبعد لئلا يصل اليك حجر المنجنيق فانا نخاف عليك منه فقال يا قوم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى كتاب الله العزيز أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة ولا بد أن أثبت لهم ثم انه رمى رجلا من الذين يجرون الحبال فقتله وثانيا وثالثا فقتلهما قال فهربت البطارقة عن الحبال وقالوا لا طاقة لنا بالوقوف فى هذا المكان من هذا الغلام فقال مرسيوس البسوا الدروع واستتروا وافعلوا وقعدوا فى الحبال ورمى بحجر فوقع فى رجل من بجيلة فقتله ولم يزل حتى قتل ستة رجال قال وان جميل بن سعد يرمى فلا تخطئ نباله وهو يقول واشوقاه الى الشهادة وان أصل الى دار العلم والشهادة فنودى من سره ان أردت ذلك فبادر الى ذلك ولا تخف ولا تحاذر وأطلق عنان كليتك فى ميدان طلبتك واياك والتخلف عن بابنا فمن أرادنا أردناه ومن أحبنا أحببناه فقال ها أنا أتقدم وجنانى فى الحقيقة لا يتألم قد بعت منك نفسى فاقبل شراها فعسى آتى الجنة وأراها فقيل له قد قبلناك فافرح واطلق لسانك بشكرنا وافرح فمن باع نفسه منا لم يكن يغبون واسمع ما سطرناه فى الكتاب المكنون ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون قال فبينما هو كذلك اذ عبر عليه عدو الله ورماه وكذلك جميل قصده بنبلة فوقعت فى صدره ومرقت من ظهره ونظر جميل الى الحجر وقد قصده فعلم انه ميت فالتفت الى ابن عم له اسمه رافع بن خالد وقال له بلغ العجوز سلامى وانشدها هذه الابيات وجعل يقول

أيا رافعا الا حملت رسالتى * تخبر أنى قد لقيت حمامى
وان جئت أمى رافعا وعشيرتى * فخصهم منى بكل سلام
وان سألت عنى العجوز فقل لها * قتيل حجار لا قتيل سهام
طريحا بباب الحصن لما تطايرت * من الحجر الصلد الاصم عظامى
ولست أبالى ان قتلت لاننى * أرجى بقتلى فى الجنان مقامى

وقال وعلم عياض بقصته فبكى رحمة لامه وأمر به فدفن بعد ما صلى عليه و بلغ خبره الى أمه فصبرت صبر الكرام وقالت يا بنى عشت سعيدا ومت شهيدا وسلكت سبيل آبائك فرحمك الله وآنس غربتك ونفعنى بك يوم القيامة ثم قرأت الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون (قال) حدثنا معمر بن الجون النبهانى وكان ممن حضر مع جده سراقة فتح رأس العين قال لما قتل جميل بن سعد فرحت الروم وان عدو الله مرسيوس صاحب الامر بعد شهرياض لما رأى أن المسلمين معولون على حصاره مضى فى الليل الى بيعة نسطوريا وصلى بها وقرب القربان وكان من بغضه للمسلمين قد صور على باب البيعة صورة رجل من العرب وكتب عليه هذا نبى العرب فكل من دخل البيعة يبصق عليه وكان فى داخل

وعلى بك وصالح بك وعثمان كتخدا مستحفظان ويوسف كتخدا عزبان وامراء كثيرون وقامت الجند على بكر باشا فعزلوه وحضر الامير مصطفى أغا أمير اخور كبير بخط شريف من الدولة العلية بضبط تركات المقتولين فحكث بمصر * ثم حضر خط

البيعة صورة القيامة والميزان والصراط والجنة والنار وصورة عيسى وبيده صليب وصورة أمه تحت لوائه على باب الجنة قال فلما صلى قال لعاصم بن رواحة لقد أردت الليلة أن أقرب عشرة من هؤلاء العرب الاسرى فى بيت المذبح فقال له عاصم ليس هذا برأى أيها الملك حتى ترى ما يكون من أمر العرب وهذا بين يديك قال فسكت وخرج وان عاصما لم يترك فى البيعة أحدا من الروم واستوثق من أبواب البيعة ودخلت الصحابة الى بيت المذبح فوجدوا فيه سلاحا كثيرا مما كان يجتمع من النذور فأخذوه وعولوا على انه فى صبيحة غد اذا اشتغل أهل المدينة بالقتال يثورون فى المدينة قال ولما دخل الليل قاموا يذكرون الله وينظرون الى تلك الصور المصورة وصفة القيامة والصراط والجنة والنار فقال عاصم بن رواحة لسعيد بن زيد الهرب الى دين رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد فى الايمان قال نعم ويقرب الى مقام ابراهيم اذا كان يوم القيامة يوم الحسرة والندامة وعصفت رياح الطامة وحشر الخلق والورى وبرزت الجحيم لمن يرى وصفت صفوف العالمين وجيئت جوانب المتقين الموقنين ونشرت رايات الصادقين ورفعت أعلام المحققين ونصبت منابر الانبياء والمرسلين وتصدرت مراتب الصديقين وفرحت أرواح الموحدين وضاقت أرواح الكافرين وزهقت نفوس المشركين وقيل بعدا للقوم الظالمين وذلت الملوك والجبابرة وطاطأت رؤس الاكاسرة والقياصرة واستبشرت الابرار ويئست الفجار ونادى منادى الملك الجبار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ألم نحذركم دار البوار ألم يأتكم الانذار ألم تسمعوا ما أنزل على السيد المختار قل تمتعوا فان مصيركم الى النار هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين هذا يوم العرض هذا يوم الوفاء هذا يوم الجزاء هذا يوم الراجفة هذا يوم الآزفة هذا يوم الفصل هذا يوم العدل فاذا غص الموقف باهله وقدم كل ذى جهل بجهله وعضت الانامل أسفا وطارت القلوب لهفا ونادى المنادى يامعاشر المجرمين أمتازوا فان المتقين قد فازوا أما سمعتم فى الكتاب المكنون وامتازوا اليوم أيها المجرمون فبينما هم قد كظمهم العطش ولحقهم الدهش وعظم الارق واشتد القلق وسال العرق ونادى المنادى وهم يسمعون وقفوهم انهم مسؤلون قفوهم حتى يروا هيبتى وعظمتى قفوهم حتى يشاهدوا سلطانى وعظمتى قفوهم حتى يعرضوا على قفوهم حتى أناقشهم الحساب أين من عصى وأجرم أين من طغى وظلم أنا الجبار الاعظم لا أرحم من لا يرحم أين أمة نوح أين من كان يغدو فى البطالة ويروح أين أمة هود أين آل ثمود اين أمة التظليل أين أمة شعيب أين أهل الشرك والشك والريب أين أمة التوحيد أين أهل الصلاة والتمجيد أين أمة القرآن أين أمة راكب البراق أين أمة طاهر الاخلاق هلموا للعرض والحساب فقد تجلى رب الارباب لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب والمصطفى صلى الله عليه وسلم فى كبكبة حشمته وموكب زينته على رأسه تاج الرضا مكتوب عليه بقلم الامضا ولسوف يعطيك ربك فترضى وبيده لواء الحمد وبين يديه جنائب السعد وعن يمينه الانبياء وعن يساره الاولياء والملائكة وقوف بين يديه وأهل الموقف ينظرون اليه وأمته يصلون عليه وقد تهللت وجوههم فرحا وقد أسبل عليهم الاسلام سرباله وأوصل بهم حباله وقد نادوا ربهم بالتمجيد وأزعجوا الموقف بالتوحيد وقد أضاء نور ايمانهم وعرضوا على ديانهم واستشهدهم على الامم فشهدوا فقبلت شهاداتهم وغيبت عنهم نجوم الافلاس وامنوا من الهول والباس ونادى مناديهم كنتم خير أمة أخرجت للناس وأهل الموقف ينظرون الى جاههم ويتعجبون من هيبة جلالهم ويقولون لقد فاز من اتبع ملتهم وصدق شريعتهم قال مالك يوم الدين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين فاذا ورد مقامه أطال فيه هناك قيامه وبسط كف ابتهاله وبالغ فى طلبه وسؤاله ويقول أسألك قبول شفاعتى فى العصاة من أمتى واذا بالنداء وعزتى لا أخلف لك وعدا ولا أنقض لك عهدا ولأزين أهل الموقف بوشانك ورفيع مكانك ولأعطينك حتى ترضى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال

شريف بتولية مصطفى أغا وان يكون وزيرا بمصر فاقام واليا بمصر الى سنة اثنتين وخمسين ومائة وألف (وولى بعده وزارة مصر سليمان باشا) الشامى الشهير بابن العظم فاقام واليا على مصر الى شهر جمادى الاولى سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف (وتولى بعده وزارة مصر

فازداد عاصم ايمانا فلما كان وقت السحر وثبت الصحابة على اقدام الحزم والعزم وخرجوا على أهل
المدينة فاستعانوا بالله وقالوا اللهم انصرنا كنصر نبيك يوم الاحزاب وقال خالد اياكم أن تفترقوا فتذهب
ريحكم واتقوا الله الذى اليه مصيركم واعلموا ان الاعداء يجتمعون عليكم والنساء يرجمنكم والشباب
يقاتلونكم واياكم أن تطمعوا أحدا فى بحار الحرب بل اصبروا على مر الكرب والضرب واغايتين
صبر الرجال عند ملاقات الاهوال ومانحن ممن يفزع بهجوم الآجال لانا قد تحققنا ان لكل منا
أجلا لايتعداه ومن خاطر بعظيم نال عظيما وهذه المدينة اسمها عظيم والجمع فيها أعظم وهى قصور
ديار بكر ور بيعة وقد حصلنا فى وسط مدينة القوم فان كنتم طالبين الظفر فاصبروا ولا تعجلوا فالصبر
مقرون بالظفر والعجلة مقرونة بالزلل والصبر عاقبة النصر واعلموا ان هذه البيعة هى بيعتهم
المعظمة ولا بد لهم من القدوم الى الصلاة فاذا حصلوا اليهم ههنا ومقدم عساكرهم أطبقنا عليهم من
كل جانب وقصمناهم بالقواضب فانه اذا قتلت الملوك وعظماء البطارقة فلا يجسر بعدهم أحد أن
يرفع يده وأما العوام فلا اعتبار بهم فقال عاصم بن رواحة لله درك أيها الامير ما أخبرك بالامور والحرب
ولقد تكلمت بالصواب وأحسنت فى الخطاب فليقر كل واحد منكم فى مكانه واخفوا سلاحكم فى
أعبائكم فاذا اشتغل القوم فى صلاتهم ثرنا عليهم ومددنا أيدينا اليهم فاستصوبوا رأيه قال وكانت
الصحابة فى بيت كبير فى البيعة كان برسم النذور وفيه شىء من الامتعة لايثمن لكثرته (قال الراوى)
حدثنا عبد الله بن يانس عن جده فياض بن زيد وكان من جملة من ذكرناهم من الصحابة وحضر فتوح
رأس العين قال هكذا كانت قصتنا وكنا قد دبرنا هذا التدبير ثم رجعنا عنه وكان من الامر المقدر أن ذلك
اليوم الذى رجعنا فيه لم يقاتل فيه أحد من جند رأس العين وكان له سبب نذكره (قال الراوى) رحمه الله
كان من قضاء الله السابق فى خلقه انه كان للوالى أخ عاقل لبيب له رأى وتدبير وكان يعرف من الحكمة
التى وصاه بها فهرايس أحد حكماء اليونانيين وقد عرف من علم الملاحم وكان صاحب مرشهر رياض فما كان
يفعل شيأ الا بمشورته وكان قد نهاه عن قتال العرب وقال له ما أرى لك فى قتالهم خيرا والامر عليك لا لك
فلما كان من الملك ما كان وقتل جيشه ورجع الامر الى مرسيوس قال له أخوه الحكيم وكان اسمه
ارسالوس معناه حكيم زمانه اعلم يا أخى انه ليس ينبغى للعاقل اللبيب الفاضل الاديب أن يرمى نفسه
فى غير مراميها ولا ينقاد بزمام شهوة النفس فانه من أطاع نفسه هوى فى مهاوى الذل ونسب الى
الجهل فان الشهوة عرض واتباع الهوى مرض والاستمتاع باللذات سبب الهلكات ولا خير فى لذة
تؤدى الى الفناء وتورث صاحبها العناء الشهوة حين والامل شين والاستمتاع بين والتقتير دين
وحب الدنيا مين ومانَدم عاقل ولا ساد جاهل ولا وفق عجول ولا رأى لملول ولا سعد خائن ولا
صدق مائن ولا عظم بخيل ولا قدم ذليل ولا فخم نبيل ولا حقر جليل ولا نال العبادة من زهد فى
الافادة ولا أمن فى الآخرة من سر بالدنيا الساحرة ولا سدد من ظلم ولا حرم من حلم ولا حزم من ندم ولا
خاف من تاب ولا رد من أناب ولا هجر من لزم الباب ولا ذل من اتبع الصواب واعلم ان بالسياسة
تدوم الرياسة وبالعدل تدوم الدول وبالجور هلك الاول وبقلة التدبير يحصل التبذير ومن بذل
جهده كملت أوصافه ومن أفشى السلام فضله الانام واصلاح السريرة نعم السيرة وجمالة الانسان
فصاحة اللسان وزينة الرجال كرم الخلال وخير الاصحاب التقوى وشر الاخوان اتباع الهوى
ولا خاب من قصد طوره ولا ارتفع من جهل قدره والتعلق بالآمال ضياع الاعمال ومعالى الاخلاق
نعمت الرفاق وممارسة الحلال نجاة من الاهوال وحب العاجل يبيد الآجل وارتكاب
العصيان علامة الخذلان وعلامة التوفيق تيسير الطريق والنظر فى العواقب أمن من
المعاطب ومن نظر الى الدنيا بعين الفنا أدرك فى الآخرة ماتمنى واعلم يا أخى انك قد أصبحت مقيدا
بحب الدنيا ساجحا فى بحار أهوالها متعلقا باذيال محال آمالها وقد تزينت لك بر باشها ووقفت لك على

على باشا حكيم أوغلى وهى توليته الاولى بمصر فدخلها فى جمادى سنة أربع وخمسين ومائة وألف (وتولى بعده محمد باشا اليدكشى) فاقام واليا بمصر الى سنة ثمان وخمسين ومائة والف (وتولى بعده الوزير محمد باشا راغب رئيس الكتاب) فاقام

قدم احتيالها وزوقت عنك حل مصائبها ونصبت لك شبكة مصائدها ووضعت لك تاج شهواتها على
مفرق رأس آفاتها حتى اذا أشرت اليها بالوصال منحتك لذيذ الاتصال وأحسنت لك صحبتها شهرا
ورمتك بسهام الهجر دهرا وطالبتك بما كتبت عليك مهرا حتى اذا علمت أنك غريم الانغماص
غير منقاد للقصاص ألقتك فى بحر الآفات وحبستك فى سجن الغفلات وصغرت أمرك عند الناس
ووكلت بك سحائب الوسواس فلا تبرح تذكر الانسان بما كان فيه حتى تخرج روحه من فيه واعلم أن
من جملة ماذكر لنا عن عيسى بن مريم عليه السلام انه رأى طائرا مليح الشكل حسن الريش كامل الزينة
فقال من أنت قال أنا الدنيا ظاهرى مليح وباطنى قبيح قال عيسى عجبت لغافل ليس بمغفول عنه ومؤمل
اتمام شئ والموت يطلبه واغا ضربت لك هذه الامثال لتتعظ بها وبما نزل بالملك شهرياض كان بالامس
على السماط واليوم نزل على الصراط بالامس كان فى سلطانه وملكه يباهى واليوم صار فى الحفر واهى
ما أفاده الغنى أذهبه الفنا وذهب الفرح بالترح والنوم على السرير بالنوم على العفير ومعانقة الاتراب
بالتعفر فى التراب وبدل عن كل خل ودود بمجاورة الدود جار وما أجار واشتغل بالدار عن الجار
وبالرماد عن المهاد وانظر بأى سنان بترو بأى آلة كيف هجر وصار قصره مهجورا وعمارته خرابا
بورا وتبدل السرور بالثبور ما نفعه الجيش وكثرته ولا الخزائن وعدته أصبح والله ذليلا وبعد
الكثرة قليلا فلا عمل صالح ولا عز راجح ولا ثواب ينفع ولا جميل يدفع وقد بقى مرتهنا باعماله موثقا
بأفعاله وأنت تريد أن تسلك مسالكه وتتبع سبيل ما أهلكه فما أحد ينفعك ولا عمل يتبعك
اتق الله فى نفسك وفى أهل مملكتك وبلدتك واعقد لك مع هؤلاء العرب صلحا واقبل ما قلت لك نصحا
واحقن الدماء وارحم النساء والاماء وسلم تسلم وهؤلاء القوم ما قالوا قولا الا وفوا به لان الصدق دليلهم
والايمان يقينهم ماهم ممن يطلبون الملك فينازعوا عليه ولا يميلون اليه بل طلبهم الآخرة وما عند الله
وبالامس وفوا الرودس صاحب حران ورجع عن دينه ودخل فى دينهم وكذلك الملكة مارية بنت أرسوس
وقد دخل فى دينهم جبابرة ملوك الروم مثل يوقنا ويرغون وعمود وميتا الذى هو أعلم منا بدينناوقد ملكوا
الارض فى الطول والعرض وانما يحاصر عن نفسه من له ميرة وعدد وجيش وسلاح وعدد يقدر على
محاصرة البلد وهذا بلد عظيم وما فيه ما يقوم بأهله سنة أو أقل فان لم تسلم أنت سلم أهله وسلموك اليهم
برقبتك وهذه حران لهم وكفرتوثا والرها ومروج وسجستان وماردين والصور والخابور وما عدا الفرات
الى الشام الى أرض مصر وجيوشهم قد طبقت العراق وملأت الآفاق وقد بلغنى ان الملك كسرى
قد عاد الى المحاق فابعث الى أمير هؤلاء العرب واطلب منه الصلح فانه يعطيك وتربح نفسك ومالك وأهلك
وولدك وعش فى ظل القوم ان شئت على دينهم وان شئت على دينك فانهم لا يغصبونك قال فلما سمع
مرسيوس كلام أخيه الحكيم أرسالوس غضب عليه وضربه بمقرعة كانت فى يده وقال انت ما خلقك
المسيح الا ذليلا وكيف تأمرنى أن أسلم ملكى للعرب وتعرضنى للعطب اخرج يا ويلك عنى فان وقعت
عينى عليك بعدها قتلتك قال فخرج من عنده وهو غضبان وأما اللعين مرسيوس فانه أمر أرباب دولته
أن يجتمعوا فى كنيسة بيعة نسطوريا حتى يحلفهم فمضى شاويشه فجمعهم وجمع مشايخ البلد وكبراءها
ورؤساءها وأحضر القسوس والرهبان والشمامسة وبترك ديرمقرب حتى يستحلف أهل المدينة فلما
حصلوا فى البيعة أغلقوا أبوابها حتى لا يدخل اليهم أحد من العوام وحصلوا كلهم فجلس الملك والبترك
وشرعوا يحلفونهم وهم آمنون مطمئنون اذ خرجت عليهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل
سيف مسلول وعزم غير محلول وصاحوا بالتهليل والتكبير ونادوا نحن امة التنزيل وأصحاب
النبى الجليل نحن حملة القرآن وصوام رمضان قد أخذ الله منكم بذنوبكم وهتك ستوركم وصفت
عليكم المحن أين الصلبان وعبادتها أين الصور وحشمتها أين تقريب القربان أين تدبير الرهبان
ادعوا أربابكم ينصرونكم هيهات والله ذهب باطلكم وهلك بالشرك جاهلكم واضمحلت أيامكم

والياعصر الى سنة احدى
وستين ومائة والف وعزله
العسكر لفتنة وقعت قتل
فيها خليل بك امير الحاج
وعلى بك الدمياطى وهرب
فيها ابراهيم بك غيطاس
الى أرض الصعيد مع طائفة
من صناجق مصر وهرب
أيضا عمر بك بن على بك
مع طائفة من الصناجق

وذهبت

وذهبت دولتهم ووضعوا فيهم السيوف وعجلوا بهم الحتوف وقتلوا البطارقة بالنية الصادقة فاتوا عن آخرهم فلما رأت الروم ما نزل بهم ضجوا وبأصواتهم عجوا فقال خالد أولياء الله جودوا الضرب فى أعداء الله وأهريقوا دماء من أشرك بالله قال فقتلت الطراخنة وذووا الحشمة الشامخة فلما بلغ الخبر العوام انهزموا عن الاسوار لما حل بقومهم البوار ودهمتهم الاقدار فذهب دامس الى الابواب ففتحها فدخل المسلمون بالتهليل والتكبير ولم يزل القتل يعمل فى رأس العين وقد وردوا موارد الحين وناح عليهم غراب البين وأيدت شريعة سيد الكونين (قال الواقدى) وكان فتح رأس العين فى ربيع الاول سنة سبع عشرة فجمعوا الاموال والرجال وكانت عدتهم عشرين ألفا منها عشرة آلاف محاربة فاسلم كثير من القوم وأسلم الحكيم ارسالوس وجميع من يلوذ به (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه) ولم يؤخذ من ديار بكر بالسيف الا رأس العين قال وأخرج الخمس من المال وأرسله الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وكتب له كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عياض بن غنم الاشعرى الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه أما بعد فان الله قد فتح علينا يسيرا ما كان عسيرا وكان لعدة الفتيان شعاع يخطف العيان فلما تضايقوا امامى وازدحموا قدامى عاينت جيشا كثيفا وسوادا منيفا قد أقبلوا من الافواج وتتابعوا كالامواج وتناصروا من كل صوب واشتهروا فى كل ثوب والحديد يتألق كالحريق وقد تطايرت السيوف فلالا والارماح كعوبا وانقضت المدة وقد وضعت الحرب أوزارها واطفأت نارها بعد ما قتل المسلمون أهل الطغيان الفاسقين ونصر الله الكفاة وخذلت العتاة وولت الاعداء الادبار وأراحنا الله من مضرتهم وطهرت البلاد من كفرهم وكان زعيمهم الخائن ومالكهم أول مخذول وأهون مقتول وبعد ذلك فتحنا رأس العين ونحن بعد ذلك معولون على ديار بكر والله المعين وبه نستعين والسلام عليك وعلى جميع المسلمين وأقرأ سلامنا على قبر سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ثم طوى الكتاب وختمه وسلمه مع الخمس لعبد الله بن جعفر الطيار وضم اليه مائة فارس من المهاجرين والانصار فسار عبد الله ومن معه وأقام المسلمون على رأس العين شهرا وعمل بيعة نسطوريا جامعا وصلوا فيه وبنوا الكنائس مساجد وترك عرفجة بن مازن العامرى عليها واليا ومعه مائة فارس وأخذ مال الرها وكفرتوثا فاخرج منه الخمس وأرسله بعد عبد الله بن جعفر مع سلامة بن الاحوص ومعه خمسون فارسا

﴿ذكر فتح دارا وبيرحا وباعماه﴾

قال ورحل عياض بن غنم من رأس العين ونزل على كفرتوثا وأقبل اليه الغلام يرغون فرحب به وولاه على المدينة وعرض الاسلام على الجارية طاريون فاسلمت وزوجها بابن عمها وبنى البيعة جامعا وارتحل منها الى دارا فنزل عليها وخرج اليه أهلها واعتقدوا لهم منه صلحا وكان جملة ما صالح عليه أهل دارا عشرين ألف مثقال ذهب وثلاثين ألف مثقال فضة وان لا يبقوا سلاحا فاجابوا الى ذلك وبنى كنيستهم جامعا وما أسلم منهم الا القليل وأقرهم على اداء الجزية وارتحل عن دارا وقصد بيرحا فصالح اهلها على ربع ما صالح عليه اهل دارا ورحل عنها وكانت بنو اسرائيل تعظمها وتقصد اليها بالنذور وكان بانيها اخرقيا بن تورخ بن بازيا أحد أنبياء بنى اسرائيل فخرجوا الى عياض وصالحهم على قدر ما صالح به أهل دارا غير أن مقدمهم قال انى لم ازل املك البلد حتى يأتينى الموت ومن أراد ان يدخل فى دينكم من أهل بلدنا فلا مانع عنه فقال له عياض ما اسمك قال اسمى طرياطس فقال يا طرياطس انا نحكم على العدل فما فتح الله علينا الا باتباع الحق وسلوك طريق الصدق والعدل فى الرعية وانا نتجنب البغى والظلم وما قصدنا قاصد الا وجدناه وانتم منذ خرجتم الينا وردتم علينا فنحن نجيبكم الى سؤالكم ونصالحكم على ما صالحنا عليه أهل دارا فقال طرياطس وتصالحون أهل معرين على ما صالحتم

الى أرض الحجاز (وتولى بعده واليا بمصر الوزير احمد باشا) فدخل مصر أول يوم من شهر محرم افتتاح سنة اثنتين وستين ومائة وألف وأقام واليا بها الى عاشر شوال سنة ثلاث وستين ومائة وألف (وتولى بعده وزارة مصر) الوزير شريف عبد الله باشا

عليه أهل بيرخا فاجابهم عياض الى ذلك ونزل على باعماودير قال وانما أجابه عياض الى ذلك والان له العريكة حتى يبلغ الخبر أهل ديار بكر فيجيبون طائعين ويسلمون له من غير منازعة وكان قد بلغه تحصن بلادهم وامتناع قلاعهم قال فدخل طرياطس وأخرج المال من خزائنه ولم يأخذ من أهل بلده شيأ ودفعه لعياض فقبله منه وكتب له كتاب الصلح وشرط عليهم الجزية كما فعل أهل دارا من العام القابل فلما تم ذلك دخل المسلمون اليه وبنوا جامعا فلما بلغ أهل نصيبين حسن سيرتهم وعدلهم وجودة أحكامهم أسلم أكثرهم وكان فى جملة من أسلم اصحاب دير النذور وأخربوه وبنوه جامعا وأقام عياض على نصيبين شهرا فلما أراد الرحيل جاءه طرياطس وقال قد زدتم فى أعيننا عار أينا من صلاتكم وعبادتكم فاسلم وحسن اسلامه ولم يزل ملكا حتى مات فى خلافة عثمان ونزل فى مسجد كندة اسامة بن عامر الكندى وعشرة من بنى عمه وارتحل عياض ونزل تحت قلعة المرأة وفيها امارية وولدها عمود فانزلوا له الاقامة والضيافة وسار الى أن نزل على آمد لسبع خلون من شهر جمادى الأولى

﴿ذكر فتوح ميافارقين وآمد﴾

وكان بآمد أخوان شديدا البأس اسم أحدهما بطرس والآخر يوحنا وكان بطرس فى شرقى البلد ويوحنا فى غربيها وكان ليوحنا بنت اسمها غورة ولبطرس بنت اسمها صفورا وكل واحد مشغول بما هو فيه ويوحنا أراد أن يتزوّج فارسل الى صاحب دارا وهو مرطاوس فزوّجه ابنته مريم وحملت من بلد أبيها اليه وكانت صاحبة حيلة ومكر فلما حصلت بآمد نظرت الى المدينة وكثرة مالها ونعمها وتحصن أهلها وسورها وغزارة بساتينها فقالت لدايتها فى السريانية يا دايتى ما رأيت أحسن من هذه المدينة ولا أحصن منها ولا أمنع الا ترين الى الاعين المخترقة فى وسطها والى الجبال التى قد دارت بها تغنى سورها الاسود فن بناها على الحقيقة قالت لها اعلمى انه قد ملك بلاد الروم اجمع من أوّل بلاد اليونان الى بلاد عمورية ملك يقال له طيماوس بن ارساوس بن ميهاط بن مكلاوكن بن الاصفر بن العيص بن اسحق وكان أوّل من بنى بيت الحكمة فى بلده رومية الكبرى وكان قد فتحت له المطالب ونشر فى الارض العجائب وانه حدثته نفسه بملك الارض لكثرة المال فانتهى الى سويقة وكان له ولد اسمه اصطنبول فقال لابيه طيماوس أريد ان ابنى لى ههنا مدينة اذكر بها فقال يا بنى افعل وأمده بالمال والرجال فادار سورا على ستة فراسخ وسماها باسمه وعاش أربع سنين ومات وخلف ولدا اسمه قسطنطين فاتم بناءها فسميت باسمين اصطنبول باسم أبيه والقسطنطينية باسم ابنه وأما أبوه فانه صار يفتح البلاد حتى وصل الى ههنا فراى هذه الاعين والدجلة فاستحسن المكان فطلب أرباب دولته وكانوا اثنين وسبعين ملكا وقال قد اخترت ان ابنى ههنا مدينة لا يكون على وجه الارض مثلها ولا أحصن منها ولا أمنع وأريد أن كل واحد منكم يبنى لنفسه مدينة وبرجا فقالوا جميعا نفعل أيها الملك فركبوا واختطوا المدينة وشرعوا فى بنائها واتوا بالصناع من اقصى البلاد واختص كل ملك بمدينة وبرج وحمام وكنيسة فلما تم وابناءها مات الملك فسميت آمد لانقضاء امده بها ومازال الملوك يتوارثونها الى ان انتهت الى هذين الاخوين بطرس ويوحنا قال فتعجبت مريم من قول دايتها وكتمت الامر وكان لبطرس ولد اسمه لاون فطلب من أخيه ابنته صفورا لولده وقال له زوّج ابنتك لولدى حتى أزوّج ابنتى لولدك فامتنع ووقع الشر بينهما حتى كان فى وسط البلد سور وأبواب فاغلقت وصار كل واحد منهم مشغولا بناحيته فلما رأت مريم ذلك دخلت بينهم بالصلح وقالت هذا لا يجوز وأنتما أخوان ويطمع فيكما ملوك ديار بكر وركبت بنفسها وأصلحت بينهما وفتحت الابواب التى داخل المدينة وصنعت وليمة عظيمة ودعت اليها بطرس وولده لاون وابنته صفورا فأكلوا وليمتها وقدمت لهم الخمر ممزوجا بالسم فلما تمكن منهم قتلوا عن آخرهم وكذلك فعلت بزوجها وولده وصارت ملكة وبنت بيعة لم ير ببلاد الروم مثلها وفرشت أرضها بالفصوص والرخام الملون وزخرفت الحيطان بالذهب والفضة وعلقت فيها ستور الديباج المذهب وطلبت كل عالم مشهور وأزالت عن أهل

فدخل مصر فى شهر رمضان سنة اربع وستين ومائة وألف ومكث الى سنة ست وستين ومائة وألف ثم عزل (وتولى بعده وزارة مصر محمد باشا أمين) فصار مستمرا على ولاية مصر من خامس شهر شعبان المكرم سنة ست وستين ومائة وألف وتوفى خامس شهر

البلد جميع ما كان عليهم من الحيف وعدلت فيهم فاحبها أهل البلد وشكروا سيرتها واستخدمت الرجال وزادت فى اكرامهم وقصدها الناس من كل مكان لاجل عدلها واقامت فى ملك آمدا ثنتى عشرة سنة وبعدها نزل عليها عياض بن غنم ومن معه وأحاطوا بالمدينة ﴿قال الواقدى رحمه الله ورضى عنه﴾ بلغنى أن عياضا نزل على التل ونزل سعيد بن زيد على باب الروم ونزل معاذ على باب الجبل ونزل خالد على باب الماء فلما نظرت الملكة مريم الى ذلك ورأت أن الصحابة قد عولوا على حصارها ركبت الى كنيستها وجمعت أرباب دولتها وقالت اعلموا أن هؤلاء العرب قد حلوا بساحتكم ونزلوا على مدينتكم وقد طمعت أنفسهم فى أخذها وأنتم تعلمون أن هذه قفل ديار بكر ومتى فتحوها فقد أخذوا ديار بكر عن بكرة أبيها واضمحل دين المسيح ولا يبقى له ذكر فى هذه البلاد وأنا أعلم ان الملوك ومن يشار اليهم من أهل دين النصرانية وبنى ماء المعمودية كلهم ينتظرون ما يكون منا وتعلمون ان مدينتكم لو أقاموا عليها مائة سنة ما قدروا عليها فقاتلوا عن حريمكم وأموالكم واصعدوا فوق الاسوار وقاتلوا هؤلاء العرب وطلبت القسوس والشمامسة والرهبان وأمرتهم أن يحلفوهم على أن يكونوا يدا واحدة ولا يخامروا عليها ففعلوا ذلك وصعدوا على الاسوار وشهروا السلاح وآلة الحرب وأقاموا الصلبان والرايات والاعلام وتولت كل طائفة بحفظ برج من الابراج قال فلما نظر عياض الى ذلك وأنهم قد عولوا على القتال من أعلى الاسوار جمع أمراء جيشه اليه وقال لهم ان هذه المدينة حصينة وهى عين ديار بكر ومتى فتحها الله علينا ملكنا ديار بكر فما الذى ترون من الرأى وكيف يكون قتالها وأعداء الله قد تحصنوا بهذا الحصن المنيع فقال خالد أيها الامير اعلم اننا ما ملكنا الله البلاد بقوة ولا بكثرة عدد ولا بعدد بل بتيسير الله لنا ونرجو الله أن يفتحها ببركة نبينا صلى الله عليه وسلم وبذلك وعد الله نبيه وان هؤلاء القوم ان باطشونا على ظاهر مدينتهم بالقتال رجونا تسهيل الامر وان أقاموا على ما هم عليه فالصبر فان عاقبة الصبر النصر ولعل أن يأتى فى العرضيات ما لم يكن فى الحساب وا كتب الى هذه المرأة كتابا وخوفها منها بكل جميل فلعل الله تعالى أن يلين قلبها للايمان أو تسلم لنا صلحا فدعا عياض بدواة وبياض وكتب اليها يقول بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على سيدنا محمد وآله من عياض بن غنم أمير جيوش المسلمين بارض ربيعة وديار بكر الى مريم الدارية أما بعد فان الله سبحانه وتعالى قد نصرنا وبجميع الكفار قد ظفرنا وعلى قبض ملوكها أيدنا وما نزلنا على بلد الا ملكناه ولا قابلنا جيشا الا هزمناه والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين وليس حصنك بأمنع من تدمر ولا أحصن وهو الحصن المنيع الذى بناه سليمان بن داود وما هو الا ان نزل عليه المسلمون حتى ملكوه وكذلك بعلبك وحلب وانطاكية دار الملك هرقل ولم يبق بين ايدينا صعب الا سهله الله علينا وبذلك وعدنا الله فى كتابه العزيز فقال وكان حقا علينا نصر المؤمنين فاذا وصل اليك كتابى هذا فسلمى تسلمى واياك ان تخالفى تندمى ومهما اردت بلغناك ولسنا نكرهك على فراق دينك ولا احدا من أهل بلدتك قال الله تعالى لا اكراه فى الدين وان تمسكت بالهوى فستعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا وسلام على عباده الذين اصطفى ثم طوى الكتاب وختمه وسلمه الى رجل من المعاهدين وقال له ادن من الحصن وناولهم الكتاب وقف حتى يردوا عليك الجواب قال فذهب ودنا من السور وناداهم بلغتهم وأشار اليهم بالكتاب فأدلوا له حبلا فربطه لهم ووقف ينتظر الجواب قال فأوصلوا الكتاب الى الملكة مريم فقرئ عليها فلما فهمت ما فيه قالت لأرباب دولتها ما تقولون فيما كتب الينا أمير العرب قالوا أيتها الملكة الرأى لك فهما أمرتنا به امتثلناه فقالت يا قوم أنتم تعلمون ان النار ولا العار ومتى سلمناها لهؤلاء العرب عيرتنا الروم ويقولون كيف سلمتم مدينتكم وما حاصرتم سنة ولا عشرة أيام ومدينتكم أحصن بلاد الروم واذا شئتم كان لكم موضع تزرعون فيه والمياه عندكم وكل ما تحتاجون اليه وقد وصلت الىّ الكتب من جميع ديار بكر ووعدونى أن يرسلوا عساكرهم لنصرتنا فقالوا أيتها الملكة هذا هو الرأى الرشيد فاكتبى للقوم كتابا أن يقطعوا طمعهم منا

شوال من السنة المذكورة فكانت مدة توليته شهرين مريضا ودفن بجانب قبة الامام الشافعى رضى الله عنه وتولى بعده الوزير مصطفى باشا) فطلع القلعة ثالث شهر ربيع الاول سنة سبع وستين ومائة وألف ✵وفى مدته توفى السلطان محمود خان✵ ابن السلطان

فكتبت تقول أما بعد فقد وصلنى كتابك وفهمت خطابك فأما ماذكرت من نصر الله لكم أما علمت أن المسيح يمهلكم ولا يهملكم وانما ذلك استدراج لكم ثم يأخذكم بعد ذلك وكأنكم بالملوك وأبناء الملوك وقد أقبلت عليكم بسواعد شداد وسيوف حداد وجيوش وأمداد فيأخذون منكم بالثار ويكشفون من عباد المسيح العار وما كنا بالذى نسلم حصننا اليكم أبدا فان شئتم المقام وان شئتم الرحيل والسلام وربطوه بالحبل وأعطوه للمعاهد فأخذه وأتى به الى عياض فلما قرأه وفهم مافيه قال توكلنا على الله وفوضنا أمرنا اليه ثم قرأ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا قال وعول عياض أن يقيم على آمد وخيله تغير على الهتاج وميافارقين وسائر تلك البلاد قال وسمعوا ضرب الناقوس فقال عياض أتدرون مايقول هذا الناقوس قالوا ومايقول قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عمه عليا ومعه جماعة من المسلمين ليغيروا على أطراف تبوك فاجتاز واب دير لراهب وذلك الراهب يضرب بناقوسه فقال على لمن معه أتدرون مايقول هذا الناقوس قالوا الله ورسوله أعلم وأنت ياعلى فقال يقول مهلا مهلا يابنى الدنيا مهلا مهلا ان الدنيا قد أغوتنا واستوغتنا وشغلتنا غدا نرى ما نرى مامن يوم يمضى عنا الا اثنا أوعلينا يابنى الدنيا جمعا جمعا يابنى الدنيا شرطا شرطا مامن يوم يمضى عنا الا أثقل ظهر امنا مامن يوم يمضى عنا الا صار منا جهلا لقد ضيعنا دارا تبقى واستوطنا دارا تفنى قال عياض فقالوا يا ابن عم رسول الله أويعلم النصرانى ذلك قال لايعلم ذلك الا نبى أو صديق (قال) حدثنا الربيع أبو سليمان عن موسى بن عامر عن جده قراءة بالخضراء من عسقلان قال فأقام عياض على آمد أربعة أشهر قال فخرج من جيشه الحكم بن هشام واستأذن عياضا أن يشن الغارات على ميافارقين فأذن له فأخذ معه من الصحابة مائة من المهاجرين والانصار فخرجوا بعد ماصلوا الظهر وعبروا الدجلة وساروا والارض تطوى لهم فما مضى قليل من الليل الا وهم على ميافارقين فداروا بها الى أن وصلوا الى برج يعرف ببرج الشاة فقال الحكم بن هشام وددت من الله لو فتح لنا هذه المدينة بلاقتال قال فما استتم كلامه حتى انفتح لهم باب من حائط البرج فدخلوا وهم يخترقون الطرق الى وسط المدينة الى كنيستهم العظمى وتعرف ببيعة ماريا وكانت تلك الليلة عيدا عند النصارى فلما أقبلوا الى الصلاة وجدوا أصحاب رسول الله وهم نزول على باب البيعة فصاحوا وتسامع الناس فأتى صاحب البلد وكان اسمه اسلاغورس فلما رآهم قال من أنتم قال له الحكم نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ومن أين جئتم قالوا من عسكرنا قال ومتى جئتم قالوا بعد ماصلينا الظهر قال ومن فتح لكم مدينتنا قال له الحكم فتح لنا من بيده مقاليد الامور قال أوماتفزعون منا فقال الحكم وكيف نفزع من مخلوق لايضر ولا ينفع وهو تحت أحكام القهر وقد قال ربنا فى كتابه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين فقال اسلاغورس ان دينكم دين محدث وديننا دين قديم والقديم أفضل من المحدث فقال له الحكم اذا كان ماقلته حقا ففضل ابليس على آدم لانه أقدم منه أما علمت ان طينة آدم مشكاة وقد قال الله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه أشرق نور قلبه فى وقت تجليه واشتعل بالاتقاد فيه فنظر اليه ابليس وظن قميص عبوديته أبيض بالتوحيد واذا هو أسود بالشرك فأبان نعته القديم عن نعت وقته بقوله وكان من الكافرين كان سائرا فى أرض الشرك تحت ظل الجهل بالعواقب فما زال يقطع منازل العبادات بالعبادات وهو فى عماية عن ابصار جمال المشاهدات فلما ظهرت أنوار مصباح الالهية من مشكاة الابدية استنار وجه صورة طاله فاذا هو قد فهم من جوابه وان عليك لعنتى وأصل آدم لما طار من وكر بشريته بأجنحة همته فى جو الطلب تعالى عن حطيطة انسانيته حتى دنا من نيران المحن فافترقت أنوار القسم بأجنحة اصطفائه وحصن قوادم ارتقائه فوقع فى حبال وعصى آدم ربه فلما تاه فى أودية محبته هطلت عليه سحائب محنته ورمى بصواعق اهبطا فلما خرج الى بيداء كرباته اشغلته مواكب آلائه مبشرة اياه باجتبائه ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال وان

مصطفى خان ثامن عشر صفر الخير سنة ثمان وستين ومائة وألف (وتولى السلطنة بعد موته بيومين أخوه السلطان عثمان خان) ابن السلطان مصطفى خان وله عمارة عظيمة قريبة من آباصوفيه واستمر الوزير مصطفى باشا واليا عصر حتى ورد الخبر فى اول شهر

اسلاغورس أمرهم أن يدخلوا البيعة فقال الحكم بن هشام وما الذى نصنع فى بيعتكم قال تذكرون
فيها ربكم قال ما كان دعى الى ذكر ربنا فتتأخر عنه قال فربطوا خيلهم ودخلوا وما اراد اسلاغورس
بذلك الا أنه قد زخرفها وصور فيها بيت المقدس والصخرة وقبة السلسلة ومحراب داود ومهد عيسى وصورته
وأمه مريم فلما توسطها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ الحكم بن هشام واذ قال الله ياعيسى
ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله ورفع بها صوته فقال لا والله وانما أقول
لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال فوالله لقد ماجت بيعة القوم وتزلزلت
وصفقت القناديل بعضها ببعض قال وكان للبيعة شيخ عالم بالأديان والشرائع وكان اسمه عبد المسيح
فلما نظر ما حل بالبيعة والقناديل صاب على وجهه وكذلك كل من كان فيها وقالوا للحكم أنت ما أردت
الا هلاكنا اذا دخلت هؤلاء العرب الينا أما ترى كيف غضب المسيح علينا فقال البطريق لا وحق
المسيح ما هو الا توحيدهم الله وذكر نبيهم أظهر لكم من معجزة نبيهم ما رأيتموه ويلكم اذا كان قد فتح لهم
باب فى السور ودخلوا منه علينا فكيف لا تهتز البيعة وتصفق القناديل لما دخلوها وأنا كنت فى شك
مما ذكرت والآن فياطوبى لمن كان على دينهم ﴿قال الواقدى رحمه الله تعالى﴾ وكان هذا خادم بترك
بيت المقدس وكان فى المقدس يوم فتحت على يد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وسمع من البترك فى بيت
المقدس وهو يقول هذا الذى يفتح الارض فى طولها والعرض ومحمد هو الذى بشر به المسيح بن مريم ولقد
سأله رجل لما رأى المسلمين يعظمون الصخرة ويقبلون القدم التى فيها فقال البترك ترى المسلمين يقبلون
قدم المسيح فقال له يا بنى نحن نقول انه قدم المسيح وانما هو قدم نبيهم محمد بن عبد الله لما عرج به الى السماء
قالوا أو عرج به فقال نعم أسرى به من مكة الى بيت المقدس وصلى بالنبيين وأسرى به (قال الحكم
رحمه الله) وذلك لما استبشرت به النفوس وبلغ خبر رسالته وانه زيد فى كماله وأشرقت أنوار جماله
وأراد الحق أن يشرفه على أهل الكونين باقترابه من قاب قوسين فنودى فى عالم الملكوت تأهبوا ثم
تأدبوا فهذه ليلة الدنو والاقتراب هذه ليلة عتق الرقاب هذه ليلة الحبور هذه ليلة السرور هذه
ليلة الابتهاج هذه ليلة المعراج انصبوا سلم الارسال وافرشوا فرش الاظلال وقوموا على أقدام
الاسترسال ياجبريل زخرف الجنان وزين الحور والولدان ياجبريل انزل بالتهانى الى بيت أم هانى
أيقظ حبيب مملكتنا واركبه على براق قدرتنا لنريه من آياتنا فأخذ جبريل مطية خلقها عجيب
وزمامها غريب فألجمها بلجام القرب وأسرجها بكوكب الحب وسار بها فى ميدان الجلال وهو
ينادى سبحان الذى أسرى فلما وقف ببابه ورفع حجابه ونظر واذا هو مدثر بعباءة تذلله متوسد
بوسادة عمله قد أنحله الشوق وأذابه التوق فنشر عليه أنوار السعد وبشره بانجاز الوعد فقال له
يا أيها المدثر قم على قدم همتك وقم بوارد عزيمتك واركب الى السماء وارق واصعد معراج الدنو والارتقاء
فقام السيد وانشرح وجهه من الحياء قد رشح وقد باح باستسلامه وركب مركب تحيته وسلامه ورفع على
رأسه سحابة الاحترام واسرى به من البيت الحرام ذكره جليسه وفكره أنيسه وشوقه دليله وجبريل
خليله فلما ولج دائرة المقدس وحصل فى فناء المسجد الاقصى دخل فجليت عليه أرواح الانبياء
فى حلل الانوار والبهاء فبادروا الى سلامه وتحيته واكرامه وجليت بين يديه وأثنوا بالصلاة عليه وأراد
كل منهم ان يصف منزلته ويذكر فضيلته فقال آدم الحمد لله الذى خلقنى بيده ونفخ فى من روحه وأسجد
لى ملائكته وأسكننى دار كرامته وقال ادريس الحمد لله الذى رفعنى مكانا عليا وبوأنى مجلسا سنيا وقال
نوح الحمد لله الذى نجانى من القوم الظالمين وجعلنى أبا للمؤمنين وقال ابراهيم الحمد لله الذى اتخذنى خليلا
وجعل النار بردا على وسلاما وأصلح لى زوجى بعد ما كانت عقيما وقال موسى الحمد لله الذى أعطانى تسع
آيات بينات وكتب لى فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ وأهلك عدوى فرعون ونجى
قومى وفلق لى البحر وكلمنى تكليما وقال لى انى أنا الله وقال سليمان بن داود الحمد لله الذى سخر لى الانس

ربيع سنة تسع وستين ومائة وألف بعزله وتوليته على باشا حكيم اوغلى وهى التولية الثانية له فحضر وطلع قلعة الجبل يوم الاثنين غرة جمادى الاولى من السنة المذكورة ونشر لواء الاحسان وعم فضله كل انسان وسار فى مصر بسيرته المعهودة وسلك

والجن والطير والريح وعلمني منطق الطير وآتاني ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي وقال عيسى الحمد لله
الذي لم يخلقني من نطفة قذرة وأحيا لي الموتى وأبرأ لي الاكمه والابرص فلما افتخر وا بجميع كراماتهم قال
النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي خلقني من أنوار البهاء ورفع قدري في الارض والسماء وكتب
اسمي على ساق عرشه وقرن اسمي باسمه ونزه ذكري في معالم قدسه وشرح لي صدري ويسر لي أمري
ورفع قدري وغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر وأيدني على من كفر وبعثني بالرعب وأرسلني بالحنيفية
ونصرني وجعل أمتي خير الامم وفرض طاعتي على العرب والعجم وجعل لي الارض مسجدا وترابها
طهورا وشفعني يوم القيامة في أمتي ونسخ سائر الشرائع بشريعتي وادخل سائر الامم في شفاعتي وجعل
الكعبة قبلتي واسمعني صلاة أمتي من بعدي لاشهد لهم يوم القيامة وجعلني شاهدا وأمتي شهودا على من
جحد وظلم وكتب اسمي على الافلاك وقال جل وعلا انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (قال الواقدي)
رحمه الله تعالى فلما سمع بطريق ميافارقين هذا الكلام من الحكم بن هشام قال والله ما في دينكم
مراء وأنتم على الحق ولقد كنت أسلمت على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ببيت المقدس ثم جئت الى
هذه المدينة وكان عليها والي فمات ووليت الامر من بعده فرجعت الى ديني الاول فان أنا تبت اليه
ورجعت الى دينكم أيقبلني على ما ارتكبت من المعاصي فقال له الحكم سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول يوما لاصحابه باي شيء يكون ابن آدم أشد فرحا فقالوا بالاهل فسكت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وسكت الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون ابن آدم أشد فرحا منه اذا كان في مفازة
ومعه راحلته عليها زاده وماؤه ومنافعه فاذا كان في بعض المفازة اشتد عليه الحر فأوى الى ظل فنزل عن
راحلته وتوسد ذراعه فنام ثم انتبه وقد ذهبت راحلته وعليها طعامه وشرابه وغذاؤه ومنافعه فانطلق في
طلبها يمينا وشمالا فلم يجدها فرجع الى موضعه ليموت فيه وقد أيقن بالهلاك فنام ثم انتبه فوجد راحلته كما
هي فاخذ بخطامها ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من ذلك الرجل
بتلك الراحلة قال فلما سمع اسلاغورس كلام الحكم بن هشام دمعت عيناه وأخذهم الى دار ولايته
وقال والله لقد بان الحق وظهر الصدق فأسلم وحسن اسلامه وطلب جماعته فاسلموا بأجمعهم ثم انه طلب
أكابر البلد واخبرهم باسلامه وقال لهم اني أريد منكم ما أريده لنفسي وان دين هؤلاء يعلو ولا يعلى عليه
فمن أسلم منكم أمن في الدنيا والآخرة وهم قد نزلوا على آمد ولا بد لهم من ديار بكر جميعها فمن خالفهم وعصى
نهبوا بلده واستعبدوا أهله وولده فان أسلمتم لهؤلاء القوم أمنتم على أنفسكم وبلادكم فقالوا أيها
الصاحب أمهلنا ثلاثة أيام حتى نرى ما فيه الصلاح فتركهم وانصرفوا من عنده فلما كان الليل
اجتمعوا وتحالفوا أن لا يسلموا للعرب أبدا ولو هلكوا عن آخرهم وأصروا على القتال فبعد ثلاثة أيام
طلبهم فلم يأته الا القليل وأتت اليه العين الصافية وأخبرته بما عزم عليه أهل البلد فلبس سلاحهم
وأتوا اليه يقاتلونه فخرج اليهم بجماعة ومعه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا قتالا
شديدا فلما جن الليل قال لهم ارسلوا الى أميركم ينجدنا فأرسل واحدا منهم فما بعد عن البلد حتى سمع قرع
حوافر الخيل فلما تبينهم اذا هم من عسكر الموحدين واذا هم خمسمائة فارس وعليهم ضببة بن عدي وكان
السبب في ذلك أن عياض بن غنم رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وأخبره بقصة ميافارقين وما
جرى لصاحبها مع أهل بلده وأمره أن يرسل اليهم جيشا فاستيقظ من نومه وأرسل اليهم ضببة بن عدي
ومعه خمسمائة فارس وأذن الله للارض أن تطوى لهم فوصلوا اليهم في تلك الليلة فأتى بهم الى باب السر
وكانوا اقد وكلوا به من يحفظه فنادى بهم ففتحوا لهم واذا بصاحب البلد قابلهم فأدخلهم فقالوا له من أعلمك
بقدومنا فقال صاحب البلد أعلمني بكم النبي صلى الله عليه وسلم رأيته وقد غت من ضيق صدري بقتال
هؤلاء القوم أهل البلد فنمت فرأيت شخصه الشريف فبشرني بقدومكم فلما حصلوا باجمعهم خرج
للقتال أهل البلد فصاح بهم المسلمون يا أعداء الله قد حل بكم البوار وأحاطت بكم الاقدار من أصحاب

طريقته المشكورة المحمودة (ثم تولى السلطنة) السلطان مصطفى خان ابن السلطان احمد خان سنة ألف ومائة واحدى وسبعين وله محل عظيم في اسلامبول وحضر لوزارة مصر في تلك السنة الوزير محمد باشا سعيد فأقام سنة ثم حضر بعده الوزير مصطفى باشا الصدر فأقام

محمد المختار و وضعوا فيهم السيف فولوا الى منازلهم ودورهم ليتحصنوا بها وقد علموا أنه قد نزل بهم مالا
طاقة لهم به فنادوا الغوث فقال لهم من أتى الينا فهو آمن فخرجوا فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد أمناكم على جميع مالكم الا السلاح قال فاتوا بجميع ما عندهم من السلاح وسلموه للصحابة فلما
رأوا منهم صدق القول أسلموا الا قليلا منهم وعملوا البيعة الكبيرة جامعا وأقاموا ثلاثة أيام وتركوا
عندهم الحكم بن هشام ومعه عشرة من أصحابه ليعلموهم شرائع الدين وأتى ضبة ومن معه الى عياض
وأخبره بما جرى ففرح بذلك قال وان أهل آمد لم يفتحوا بابا ولا باشروا قتالا وضاق صدر عياض ومن
معه من ذلك (قال الواقدي رحمه الله) ومكثوا خمسة اشهر وكان خالد بن الوليد كما ذكرنا على باب الماء وكان
في كل يوم يركب بجيش الزحف ويدور حول المدينة فاذا أتى الليل نزل في منزله وكان غلامه همام يخبز له
في كل ليلة أقراص شعير ويتركها له في قبته فاذا صلى المغرب أكل تلك الاقراص الشعير عند الافطار
وانه استمر ثلاث ليال لم يجد شيأ يفطر عليه فقال لغلامه همام أنت يا ولدي ما عندك ما تفطرني عليه ولك
بهذه الليلة ثلاث ليال لم تصنع لي شيأ فقال والله يا مولاي انني في كل ليلة أصنعها واضعها لك ولم يكن
عندي منها علم وما ظننت الا انك تأكلها فلما كانت الليلة الرابعة وضع همام الاقراص على عادته وأخفى
نفسه وجلس لينظر من يأخذها فاذا هو بكلب قد أقبل من نحو المدينة ودخل القبة وأخذ الزاد وخرج
فتبعه همام واذا به قد دخل من مسرب الماء في جانب السور قال فتركه همام وعاد فلما أتى خالد من صلاته
أقبل وطلب الفطور فقال له همام يا مولاي كان من الامر ما هو كذا وكذا قال خالد يا همام أرني الموضع
فمضى همام أمام خالد وأراه الموضع الذي دخل منه الكلب فلما رآه قال الله أكبر فتح الله ونصر وعاد
وطلب أصحابه وأعلمهم بالقصة وقال لهم قد عولت أن أدخل المدينة من مسرب الماء وأريد منكم
مائة رجل يبيعون نفوسهم لله تعالى وتعلمون ان الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار وفاء لمن أخذ منها بحقها
ودار رجاء لمن تزود منها ودار نجاة لمن فهم عنها الدنيا مهبط وحي الله ومصلى ملائكته ومسجد أحبابه
وأوليائه اتخذوها مزرعة فرحمنا الله واياكم وكان لنا ولكم فمن أراد الزاد من هذه الدنيا الفانية الى يوم
حشره فليبادر الى التجارة الرابحة ولا يغره طول الاجل فيطمئن الى التقصير في العمل ألا واني قد وهبت
نفسي لله وقد اشترى ثم قرأ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة فمن باع فليبادر
ولا يجزع مما يحاذر فالموعد بيننا في عرصات القيامة وموقف الحسرة والندامة فاتبعوا اسلافكم الطاهر
والدين الباهر فقولوا على بركة الله وعونه واختار من أصحابه مائة وأمرهم بلبس السلاح
وركب الى عياض وأعلمه بما عزم عليه من دخوله المدينة من المسرب وقال له كن على أهبة اذا سمعت
التكبير والتهليل فقال علمت ذلك وأنا على أهبة بحمد الله امض أعانك الله ونصرك وسر على
بركة الله وعونه قال فودعه خالد ورجع الى أصحابه فوجدهم قد استعدوا فسار أمامهم وهم رجالة الى أن
أتى الى باب المسرب وكان نصف الليل وأمر الله سلطان النوم فاستولى على من كان على السور والحرس
لانه جل شأنه اذا أراد أمرا بلغه وهيأ أسبابه قال فاول من دخل من المسرب خالد رضي الله عنه وتبعه
عامر بن الاخوص وحذيفة بن ثابت وعمران بن بشر وتمام المائة رضي الله عنهم وما منهم الا من تسرب
ودخل ومن كان جسيما لا يقدر على الدخول رجع وهو متأسف على الشهادة فحصل في المدينة ثمانون
رجلا ولم يصحبهم الا من دخل من المسرب ثم ان واحدا من الذين تأخروا عالج في حجر فقلعه فاتسع المكان
ودخلوا بأجمعهم وأدركوا أصحابهم وقد توسطوا المدينة وارتجت بها الاصوات واستيقظ الراقد وارتعد
القاعد وقصد خالد مطالع السور ومنع الناس من النزول وأخذتهم الاحجار وأرسل خالد عشرة من
أصحابه الى الباب فكسروا الاقفال وفتحوا الباب وكان عياض قد ركب وأيقظ الناس وقد تهيأ للحرب
فلما كبر خالد ومن معه بادر عياض ومن معه الى الباب فوجده مفتوحا فدخلوا وأقبل أهل المدينة يهربون
الى السور والليل قد غسق والقتام قد اطبق والظلام اتسق فما بقي احد يقوم من مرقده الا

سنتين ثم حضر بعده الوزير
أحمد باشا كامل سنة أربع
وسبعين ومائة وألف ثم عاد
الوزير مصطفى باشا سنة
ست وسبعين ومائة وألف
ثم حضر بعده الوزير حمزة
باشا سنة تسع وسبعين
ومائة وألف وعزل ثاني
شوال سنة ثمانين وحبس
بالكسوة في قصر يوسف

والسيف قد رمى رأسه عن جسده وهذا خرج من عند أولاده والسيف قد قطع فى فؤاده وخالد ومن معه يكبرون وقد تقطعت باهل آمد الاسباب وأحاط بهم العذاب قال ولم تزل الابطال تبطح وتطرح وصدور المسلمين تشرح ونحور الكفرة تذبح والعواتق تقطع والشجعان للرؤس تقرع والصوارم تقطع والانوف تجدع وقلب الذليل يفزع والجبان يجزع والعيون تدمع والصائح لا يسمع ولا شافع يشفع ولا مانع يمنع ولا دافع يدفع ولا قلب يخشع حتى اذا ولى الليل ونزع والصباح عول على أن يطلع وخالد يصيح صياح السميدع حتى انطوى الليل بطارف الدجا عند انتشار رايات الضيا فنظر أهل البلد الى ما حل بهم ونزل عليهم فاقبلوا الى دار الامارة يطلبون الملكة مريم فلم يجدوها قال وكان السبب فى ذلك انها سمعت بان الصحابة قد حصلوا فى المدينة فعلمت انها لا تخرج من أيديهم فاخذت نفسها ومن معها ونزلت فى سرب فى دار الامارة وأخذت ما تقدر على حمله وخرجت من ذيل الجبل وطلبت بلاد الروم (قال الواقدى رحمه الله) فلما علم أهل المدينة ان ملكتهم هربت نادوا الغوث الغوث فرفعوا عنهم السيف وجمعهم الامير اليه فاجتمعوا فى ميدان المدينة فقال لهم عياض أما بعد فان الله تعالى قد نصرنا عليكم وصبرنا وظفرنا بكم ولولا ان الله جعل نبينا نبي الرحمة وأسكنها قلوب المؤمنين لأبدناكم بالسيف عن آخركم ولكن قد أمرنا ربنا فى كتابه بكظم الغيظ والعفو فقال الله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ثم نظر فيهم فمن أسلم قبله ومن لم يسلم ضرب الجزية عليه من عامه (قال الواقدى) رحمه الله وكان شاهد الجمع فى فتح آمد زيد بن حالوك اليهودى وكان عالما بدين اليهودية والنصرانية وكان يزعم انه من أولاد داود عليه السلام وكان بنو اسرائيل يعظمون شأنه ويأتونه بالهدايا والتحف وانه لما دخل عياض بن غنم رضى الله عنه الى آمد وجمع أهلها فى الميدان وتكلم المشايخ عما تكلموا به قام هو من وسط قومه وكان اسمه مليا بن حفيتام وعرف المسلمين بمكانه وانه مقدم على بنى اسرائيل وانه من ذرية داود وقال أنتم أصحاب نبى الرحمة وان الله خلق الرحمة وأسكنها فى قلوبكم وان الله فضلكم على سائر الامم وقد أنزل فى صحف ابراهيم وموسى يقول انى أبعث فى آخر الزمان نبيا أميا واجعل أمته أفضل الامم وأسكن الرحمة فى قلوبهم وبهم أباهى ملائكتى وأبعثهم غرا محجلين من آثار الوضوء وان داود عليه السلام لما أصاب الذنب ونفر عنه الوحش خرج الى فلاة من الارض وقال الهى بحق النبى العربى الذى تبعثه فى آخر الزمان الا غفرت لى فاجاب دعوته فقال عياض ان الله يحب العفو وقد عفونا عنكم فقال أهل المدينة فاذا عفوتم عنا نرجع الى دينكم فاسلم أكثرهم وضربت الجزية على من لم يسلم فى العام القابل على كل بالغ أربعة مثاقيل ذهبا وأخذوا سلاحهم وحملوا لهم شطر أموالهم فحملها وبنى البيعة المعروفة جامعا وأقام فى آمد اثنى عشر يوما وولى عليه صعصعة العبدى ومعه خمسمائة من بنى عمه ومن العرب

﴿ذكر فتوح اليمانية وجبل الجودى﴾

قال وارتحل عياض الى الحصون وهى حصون الجبابرة وانفذ الى أهلها فاسلموا وأرسل النعمان بن معرف الى أهل انكل فاسلموا وسميت باليمانية لانها فتحت على يد حذيفة بن اليمان ومضى عياض الى الجابية ففتحها صلحا ونزل الى أهل جبل الجودى والسيوان وذى الفرض فاخذوا من المسلمين صلحا وعهدا على تقرير بينهم وارتحل المسلمون حتى نزلوا على الهتاج فابى أهله أن يسلموا وعولوا على القتال ونصبوا الرعادات والمجانيق فنظر عياض الى ذلك فعظم عليه وقال هذا حصن منيع ومتى تركناه ومضينا عنه اغاروا على أهل هذه البلاد واذاقوهم الشر وقد لزمنا من أسلم ومن صالحنا الزم لنا فلا نحيد عنه حتى نفتحه ان شاء الله تعالى فقال خالد انزلوا بنا عليه ولعل ان يأتى من عرضيات الامور ما لم يكن فى حساب (قال الواقدى) رحمه الله وكان صاحب الهتاج شيطانا مريدا وجبارا عنيدا وكان اسمه يانس بن كليوس وكان قد تزوج بمرونة ابنة يرونة ابنة قيريول بن كالوص صاحب قلب والحصن الحديد وكانت

ثم حضر بعده الوزير محمد باشا راقم سنة احدى وثمانين ومائة وألف ثم حضر بعده الوزير محمد باشا الارفلى أتى من البر سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف ثم حضر بعده الوزير أحمد باشا أتى من الحجاز وسكن بدرب الحجر ومات ولم يطلع القلعة سنة ثلاث وثمانين

قد زفت اليه وأقامت عنده سنة ثم انها مضت الى زيارة أبيها وأمها وأقامت عندهما شهرا فلما خرجت من
عندهما ومضت الى الهتاج عند زوجها فبينما هى فى نصف الطريق اذ بلغها ان المسلمين قد نزلوا على
الهتاج فجلست فى مكانها ولم تبرح وكان عدو الله يحبها ولا يجد له عنها صبرا فلما رأى المسلمين وقد نزلوا عليه
علم انه لا يقدر ان يجتمع بالجارية فاتفق رايه ان يصالح المسلمين حيلة منه ومكرا وخديعة حتى تحصل
زوجته عنده ويغدر ولا يعطى احدا طاعة فارسل الى عياض يقول له انك لو أقمت علينا بقية عمرك لما
قدرت علينا ولكن صالحناسنة كاملة شمسية فان انت فتحت مابقى من ديار بكر فنحن نرجع الى طاعتك
وان لم تقدر على فتح البلاد فلا طاعة لك علينا والسلام وارسل الى عياض رجلا من متنصرة العرب من
ربيعة الفرس وكان ذلك الرجل مدبر بلاد الهتاج هو وبنو عمه وكان اسمه مرهف بن واقد وكان ميله الى
العرب أكثر من الروم فلما أدى الرسالة الى عياض أجابه الى الصلح انه لا يطول مقامهم فلما هم مرهف
بالرجوع قال لعياض أما والله أيها الامير ما كنت بالذى أدع النصيحة للعرب واستعملها للعلوج وهذا
العلج قد اتفق رأيه على كذا وكذا فان كنت ترحل وتمكن لزوجته وتأخذها ومن معها وتطلب منه
البلد فانه يسلم لوقته فافعل فقال عياض ما كنا نقول قولا ولا نفى به ولعل الله ينظر الى صدق نياتنا فيفتحه
علينا (حدثنى) مالك بن بشر بن عامر وكان ممن حضر فتوح الشام وديار بكر وديار ربيعة قال بينما
مرهف يحدث عياضا اذا بغبرة قد أقبلت فقال عياض لميسرة بن مسروق اركب وانظر ما هذه الغبرة
فركب ومضى هو وجماعة من الصحابة وعاد ميسرة وهو يقول أبشر أيها الامير بالفتح قال وما الخبر يا ابن
مسروق قال هذا جيش ابن هبيرة المازنى قد أغار على البلاد وأتى بالاموال والرجال قال فظهر البشر
فى وجه عياض وجعل يتطاول الى قدوم ابن هبيرة المازنى حتى وصل وسلم على عياض وعلى المسلمين
وعرض عليه الغنائم ومرهف بن واقد يتأملها الى أن عرضت عليه جارية رومية تخجل الشمس منها
وعليها زى الملوك فاطرق المسلمون الى الارض يستعملون الادب مع الله فى قوله قل للمؤمنين يغضوا من
أبصارهم فلما نظر اليها مرهف قال أشهد أن لا اله الا الله واشهد أن محمدا رسول الله وأن دينكم الحق
وقولكم الصدق فقال له عياض ما بالك أيها الرجل قال هذه زوجة يانس صاحب الهتاج وقد طرحها الله
فى أيديكم فسجد عياض شكرا لله فلما رفع رأسه قال ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث
لا يحتسب (قال الواقدى) رحمه الله تعالى وكانت ميرونة قد خرجت من عند أهلها ومعها جماعة
من بنات البطارقة فوافق طريق قيس بن هبيرة تلك الارض فاخذها ومن معها وأتى بها الى عياض
فقال عياض لمرهف ارجع الى يانس واكتم اسلامك وأخبره بما رأيت واستعمل النصح للمسلمين
وقل له ان أراد أهله فليسلم لنا هذه القلعة ومهما أردنا منه قال فرجع مرهف الى يانس وحدثه بما جرى
فعظم ذلك عليه وكبر لديه وقال لمرهف ما الذى ترى من الرأى قال اعلم ان هؤلاء القوم ما قالوا قولا
الا وفوا به وبذلك نصروا علينا ومن الرأى ان تسلم لهم القلعة ويعطوك زوجتك وجميع مالك وأنا الضامن
لك منهم ذلك فقال يانس انزل اليهم وائتنى بعشرة رجال يحلفون لى على ما أريد فان أجابونى الى
ذلك سلمت اليهم القلعة ولا تأتنى الا بمن يقبل قوله ويشكر فعله حتى استوثق منهم لنفسى ولعله يكون
الرجل الذى شاع ذكره بالشجاعة وفتح البلاد والشام يعنى خالد بن الوليد وانما أراد الملعون ذلك حتى
يقبض عليهم ويخلص بهم زوجته قال فنزل الى عياض واخبره بذلك وبما قاله يانس فقال عياض
يا مرهف يريد الملعون ان يخدعنا ونحن ثمرة الخداع ونرجوا من الله ان يرجع مكره عليه ولديه ثم قرأ
ان الله لا يصلح عمل المفسدين قال خالد دعنا أيها الامير نصعد اليه والله الموفق للصواب فقال عياض
اعزموا على بركة الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فنهض خالد والمقداد وعمار وسعيد بن زيد
وعمرو بن معديكرب والمسيب بن نجيبة وقيس بن هبيرة وميسرة وضرار بن الازور وعبد الرحمن بن
ابى بكر الصديق رضى الله عنهم أجمعين وساروا ومرهف أمامهم الى أن وصلوا باب القلعة وكان رقب

وماثة وألف (ثم تولى السلطنة
السلطان عبد الحميد خان)
ابن السلطان أحمد خان
سنة سبع وثمانين ومائة
وألف وله مدرسة
باسلامبول تسمى المدرسة
الجديدة ومسجد فى براسكو
دار وحضر لوزارة مصر فى
تلك السنة الوزير قراخليل
باشا خامس عشر ربيع

عدو الله غلمانه فى دركات القلعة وامرهم أن يأخذوا منهم سلاحهم ففعلوا ذلك الا خالدا وعبد الرحمن
وضرارا فقالوا ما كنا نسلم عدتنا لغيرنا فان أراد ان ندخل عليه بسلاحنا والا رجعنا من حيث أتينا فدخل
مرهف عليه وقال ان هؤلاء الثلاثة امتنعوا من اعطاء السلاح وما الذى يقدرون على أن يفعلوه
دعهم يدخلوا كيف شاؤا فلو كانوا نارا ما احرقوا ولا ترهم الجزع فيطمعوا فقال وحق المسيح لقد
صدقت دعهم كلهم يدخلوا بعددهم حتى يعلموا اننا لا نخافهم ولا نرهبهم وأيضا الثلاثة نفر قلوبهم منا
فرجع مرهف وأمر الغلمان أن يردوا اليهم اسلحتهم ودخلوا فلما توسطوا القلعة اذا بيانس واقف فلما
وقعت عينه عليهم دخل الرعب فى قلبه لان من خاف الله خاف منه كل شئ فجعل يتروى ويقع وكان قد قال
لجماعته اذا رأيتمونى قد قربت منهم وصافحتهم فدونكم واياهم فنظر خالد اليهم فعلم ما فى قلوبهم فقال له أيها
البطريق قف مكانك فانا قوم لا نؤتى بحيلة ولا مكر لانا قهرنا الملوك وأخذنا بلادهم بهذه الاشياء ثم انه
انتضى سيفه وزعق بيانس فادهشه وخيل له أن كل من فى القلعة منهم وتقدم اليه وضربه على حبل
عاتقه فاطلع السيف من علائقه فهجمت الصحابة على أهل القلعة ووضعوا السيف فيهم وتكاثر عليهم
العدد وتزايد المدد قال وكان فى داخل المدينة خلق من الرستاق من قرى الهتاج من فسطاس وفرساط
وكان يانس قد جمعهم لقتال المسلمين قال فلما قتل خالد يانس ونظروا الى صبر الصحابة على قتال أهل
القلعة قالوا لبعضهم أنتم تعلمون أن العرب ما يسكتون عن أصحابهم وقد فتحوا آمد والبلاد فلا يمتنع
منهم الهتاج وغيرها فخذوا لكم عند المسلمين يدا وقاتلوا معهم أهل القلعة قال ففعلوا ذلك وجردوا سيوفهم
وضربوا معهم من كان فى القلعة وسمع عياض الصياح فقال أما والله ان خالدا ومن معه غدر بهم
فبادروا اليهم أيها المجاهدون قال فبادر أبو الهول وأصحابه الا ار بعمائة وهم رجالة فتفرقوا فى الجبل
وقصدوا القلعة فمن انهزم من الكفار وضعوا فيهم السيوف فما نجا منهم أحد وما وصل أبو الهول الى القلعة
الا وقد ملكها خالد واحتوى عليها وصعد عياض والمسلمون وأخذوا كل ما كان فيها وولى عليها مولاه
سالما وجعل عنده مائة رجل وكتب الى أهل فسطاس وفرساط ومن فى القلعة أن لا يزنوا بامرأة أبدا
وأشهد عليهم خالدا والمقداد وعمارا ومعاذا وشرحبيل وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وضرار
وأطلق عياض الاسارى الذين أتى بهم قيس بن هبيرة وارتحل يطلب ميافارقين فلقيه فى طريقه أهل تلك
الجبال وأهل الجزيرة وقلب ومتنان وحزب الكلاب فأعطاهم الامان وضربت عليهم الجزية وردهم الى
بلادهم وأتى اليهم أهل ميافارقين للقائهم وشكروهم على حسن سيرتهم وعدلهم وأخرجوا لهم الضيافات
والعلوفات ونزل من جهة الميدان فى سفح الجبل وأقام بها عشرة أيام ثم جمع أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم واستشارهم وقال انى عولت على المسير الى ديار أرمينية والى أرزن الروم فاشيروا على
يرحمكم الله اى طريق نسلك فقال رجل من المعاهدين ممن هو أعرف للناس بتلك البلاد أيها الامير أتأذن
لى أن اتكلم فقال من كان له رأى فليتكلم فقال اعلم انك اذا قصدت بلاد أرمينية يطول مكثك فيها
واعلم أن بالقرب منك حصنا منيعا يقال له حصن لغوب وغلب عليه اسم صاحب وهو بطالقون بن كنعان
ابن عبديوس له جيش عرمرم يزيد على ثلاثة آلاف فارس

﴿ذكر فتح حصن لغوب﴾

ثم قال اعلم أيها الامير ان تحت يده معاقل كثيرة ورعاياه رجل ركابه من هنا فوقع بهذه البلاد وشن
الغارات على أهلها ومن الرأى انك لو وجهت اليه جيشا لعل الله أن يفتح عليك فان أنت فتحت هذا
الحصن مضيت حيث تريد وتكون طيب القلب على من تستخلفه من أصحابك فقال عياض لاصحابه
ما تقولون فيما تكلم به هذا الرجل فقال خالد لقد تكلم بالحق ونطق بالصدق فاعزم وتوكل على الله ثم
انصرفوا من عنده وبات ليلته متفكرا فيمن ينفذه الى الحصن فوقع اختياره على يوقنا فدعاه اليه وقال له
يا يوقنا يا عبد الله قد اتفق الرأى عليك أن تمضى الى الحصن فما الذى تراه فقال يوقنا أصلح الله الامير قد

الاول من تلك السنة وعزل
فى محرم سنة ثمان وثمانين
ومائة وألف وتوجه لجدة
ومات بها *(ثم تولى الوزير
مصطفى باشا)* النابلسى
من بركة الفيل يوم الاثنين
فى آخر جمادى الثانية
من تلك السنة وعزل فى
آخر جمادى الثانية سنة
تسع وثمانين وتوجه الى

بلغنى

بلغنى أن الحصن منيع وربما اذا نزلنا عليه طال الامر وتنفذ المدة وينقضى هذا الوقت ولا ندرى ما يكون
والكن أهب نفسى لله ولرسوله وآخذ مائة من بنى عمى ونتزيا بزى الفلاحين ونأخذ نساءنا وأولادنا
نتركهم على البقر وندخل فى جملة أهل البلاد الفلاحين فان حصلنا فى الحصن فنحن نملكه ان شاء الله
تعالى فقال عياض يا عبد الله قد اشتهر أمرك عند جميع أهل النصرانية ونخاف أن تسير فتغرر بنفسك
ومن معك فيقبض عليكم والله تعالى قال ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة قال فاذا أبيت فأذن لى أن أشن
الغارات على بلاد القوم قال قد أذنت لك فخرج يوقنا ومن معه وهم ألف من قومه وساروا على أرزن وسعرد
وأسعردو باباسا وحيزان والمعدن (قال الواقدى) رحمه الله وكان من قضاء الله وقدره ان صاحب اسعرد
وحيزان والمعدن وباتحلاسا وعهردو طرلجر وسلواس كان بينه وبين بطالقون حرب وكان يغير بعضهم
على بعض وأخربوا المملكتين فلما انتشرت الاخبار بقدوم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهم
على ميافارقين جفل أهل تلك البلاد وعلم بذلك حرسلو صاحب اسعرد وانه لا طاقة له بالعرب فأخذ هدية
سنية وذهب بنفسه لبطالقون بن كنعان حتى يصطلح معه ويكونوا يدا واحدة على قتال المسلمين فبينما
هو سائر والهدية معه وقد نزل على قرية اسمها أرغين وعلق على خيله وهو معول على المسير وهو ينتظر الخيل
تقطع عليقها واذ قد كبسهم يوقنا وقد أحاط بالقرية وأخذ كل من فيها وأسر البطريق ومن معه
وبات ليلته فلما أصبح عرض الاسرى وقال لهم ان الله قد ظفرنا بكم ونصرنا عليكم واعلموا انى ملك من
ملوك الروم ملكت البلاد وقدت الجيوش وأمرت ونهيت وعبدت الصليب وقربت القربان فلما أتى
الله بهؤلاء القوم اختبرتهم ونظرت ما هم عليه وعلمت ان الحق معهم فتبعتهم وقلت بقولهم وقد كنا بالشام
تفزع منا ملوك العجم وكسرى بن هرمز والديلم والترك وكان لنا كرة الارض وكنا لا نلتفت الى العرب
حتى خرجوا علينا فاذا قونا مرا وذهبت شجاعتنا وملكوا معاقلنا وحصوننا واحتووا على ملكنا
ونصرهم رب الارض والسماء علينا لانهم يشيرون اليه بالوحدانية فان آمنتم بالله وحده كان لكم
الربح فى الدنيا والآخرة واطلق سراحكم وان أبيتم قتلتكم عن آخركم فقالوا اتركنا يومنا هذا الى
الليل ندبر أمرنا فتركهم واختلى بحرسلو البطريق وحدثه فى السر وقال له اعمل فى خلاص نفسك
ووقيتك من النار وأسلم وفاد نفسك حتى تنال ما تريد فقد بلغنى من الوقائع بينك وبين صاحب الحصن
فقال البطريق لقد صدقت فى أعلمك فقال له ما السبب فى العداوة بينك وبينه فقال انه طلب أن يتزوج
ابنتى وبعث الى هدية فرددتها عليه فصار عدوى واغار على بلادى واغرت على بلاده والآن قدمت اليه
بهدية حتى أكون انا واياه يدا واحدة فأتيت أنت الى وأخذتنى فقال يوقنا انى أريد لك من الخير ما أريد
لنفسى ولست أجبرك على أن تترك دينك والكن تعاهدنى على أن لا تغدر وأنا أخلى سبيلك وتمضى الى
صاحب الحصن وتدنى نفسك بين يديه وتقول ايها الصاحب قد ندمت على ما كان منى اذ رددتك عن تزويج
ابنتى وانى كنت أخذتها وزينتها وسقت معها اموالها على انى أهديها الك فلما كنت فى قرية كذا وكذا
خرج على قوم من العرب فأخذوا المال والرجال وقد نجوت اليك بنفسى لتأخذ بيدى وتستنقذ ابنتى
من العرب فانه اذا سمع دعاه الطمع واستجره الامل حتى يخرج الينا ولعل الله تعالى أن يظفرنا به فاذا
ملكنا الحصن ان شاء الله تعالى كنت أنت تبقى على بلادك وكنت آمنا مطمئنا واعلم ان ذمامى
هو ذمام العرب ومهما فعلته امتثلوه وامضوا فلما سمع البطريق كلام يوقنا رحمه الله قال افعل ذلك
والكنى أخاف من المسيح أن يغضب على اذا غامرت على أهل دينى فقال يوقنا أنا أحمل هذه الاوزار عنك
ودع عيسى بن مريم يطالبنى يوم القيامة فقال البطريق ان كان هذا الذى قلته فانا أفعل وليس يصعب
على والكنى أخاف ان فعلت ذلك الذى أمرتنى به ان لا ينزل من الحصن وربما بعث معى بعض أصحابه
فلا يحصل طائل من عدوكم فقال يوقنا وما يكون التدبير فقال البطريق والرأى عندى غير هذا قال وما
هو قال تذهب مع اصحابك جريدة بالخيل وأنا أكون معك فما نصبح الا ونحن على الحصن فاذا أشرفنا عليه

جدة ومات بالمدينة المنورة
*(ثم تولى الوزير ابراهيم
عرب كيرلى)* رابع
شعبان سنة تسع وثمانين
ومائة والف ومات قبل
طلوع القلعة بأنبابة ودفن
عند الامام الشافعى رضى
الله تعالى عنه *(ثم تولى
الوزير محمد باشا العزقلى
الكبير)* يوم الخميس

تعطيني جوادي وسلاحي واركض على فرسي في حال العجلة فاني أجده في الميدان مع ارباب دولته فاذا وقعت عيني عليه ترجلت وحثوت التراب على رأسي وأصيح أيها الملك العرب قد أخذوا اصحابي وغلماني وماجاء معي برسلك فاذا قال وأين هم أقول على فرسخ من بلدك فانه اذا سمع قولي لا يمكنه التأخر عن نصرتي ولا له الا السرعة اليكم واعلم ان أكثر جنده قد فرقهم على الحصون وما عنده الا الف فارس او أقل قال فلما سمع يوقنا ذلك من قوله وثق به وبعث الاسرى الى عياض فلما وصلوا اليه قال لهم ان اطلقتكم أتعرفون لنا ذلك قالوا نعم وكيف لا نعرفه فاطلقهم حتى تسمع أهل البلاد فينزلوا الى طاعته وأما يوقنا رحمه الله فانه سار جريدة بقية ليلته فما برق ضياء الفجر الا وقد أشرفوا على الحصن فعندها اطلق البطريق ووثق منه بالعهود واعطاه جواده وسلاحه وسار كانه قد أفلت نفسه وساق على شوط واحد الى الحصن وكان بالقضاء المقدر انه وجد البطريق بطالقون قد عبر الى جانب اسعردومعه ألف فارس وألف راجل وكان السبب في ذلك ان قوما من اصحاب البطريق حرسلو كانوا في كبسة يوقنا فاتوه وحدثوه بما تم عليهم من القوم فعبر لعله يستخلصهم من يد يوقنا فلما وصل اليه البطريق ترجل وصقع له وحدثه فرق له وقال كيف تخلصت قال خلصت يدي من الكتاف وركبت هذا الفرس فلما أحسوا بي ركبوا ورائي وهاهم في أثري بالقرب من بابا عاقال فلما سمع ذلك بطالقون بن كنعان أمر بالركوب وسار من وقته طالبا يوقنا وقال هذا الذي أردناه من أمر الجهاد قد قربه الله الينا فدونكم والقوم ولم يمهل بعضهم بعضا وتطاعنوا بالرماح وصبر يوقنا صبر الكرام ووقع الصائح من كل جانب ونشرت أجنحتها النوائب واستعان أصحاب يوقنا برب المشارق والمغارب فبينما هم قد أشرفوا على المعاطب اذ أشرفت عليهم غر الخيل وهم يتسابقون فنظر اليهم يوقنا واذاهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ثلاثة آلاف فارس يقدمهم خالد بن الوليد وكان السبب في قدومهم أن عياضا خاف على يوقنا وبني عمه فارسل اليهم في أثرهم خالدا فوجدهم في القتال فاطلق عنانه وقال يا أهل الايمان وحملة القرآن دونكم وعبدة الصلبان ارفعوا أصواتكم بذكر ربكم قال ونظر يوقنا النصرة وقد أقبلت فعظم شأنه والتقى بصاحب الحصن وقد عرفه بزيه فتطاعنا طعنا كافيا وتضاربا ضربا شافيا الأن يوقنا طعن صاحب الحصن فرماه الى الارض قتيلا وصاح فيهم خالد رضي الله عنه والصحابة رضي الله عنهم كما تصنع النار في الحطب ولما قتل يوقنا صاحب الحصن قطع رأسه وجعله على سنانه ونادى عمن تقاتلون وقد قتلنا صاحبكم فلما رأوا الرأس ولوا الادبار ومات أكثرهم وولى الباقون نحو الجبل ووقع الصائح في الحصون بان بطالقون قد قتل فولوا الادبار (قال الواقدي رحمه الله تعالى ورضي عنه) وكان لبطالقون زوجة عاقلة لبيبة صاحبة رأي وتدبير فلما رأت ماحل بزوجها وان أهل الحصن قد قتل أكثرهم وتفرقوا بالهزيمة أيقنت بزوال ملكها وخراب بيتها فجمعت المشايخ من أرباب دولتها وقالت لهم اعلموا ان الملك قد قتل وقد تفرق شمل من كان معه وقد وصلكم ماصنع هؤلاء العرب مع ملوك دين النصرانية وبني ماء المعمودية وكيف ملكوا الشام وأرض ربيعة وديار بكر وديار مصر وقد دانت لهم الامور وانتشر شرعهم وعلا ذكرهم ودخل في دينهم الملوك والبطارقة وما نزلوا على حصن الا ملكوه ولا وافوا جيشا الا هزموه وقد دخلوا أرضكم وحلوا ساحتكم فماترون من الرأي الرشيد قالوا أيتها الملكة ماتكلمت بشيء الا فهمناه وعرفناه والامر اليك فقالت الصواب انكم تحقنون دماءكم وتصونون حريمكم وأموالكم وتدخلون فيما دخل فيه أهل البلاد وتصالحون العرب فتأمنون على أنفسكم وتعيشون في ظلهم فقالوا هذا هو الصواب قالت فلينطلق منكم رجال الى هؤلاء العرب ويعقدوا لنا منهم صلحا قال فخرجوا من عندها وسار منهم ثلاثون رجلا من خيارهم وعبروا الشط الى عسكر خالد فلما رآهم خالد والمسلمون علموا أنهم من أهل الحصن فاستقبلوهم وسلموا عليهم ورحبوا بهم ومشوا معهم الى قبة خالد واذا هو جالس على التراب ووجوه أصحابه حوله وهم يكثرون من ذكر الله وليس لهم حاجب ولا بواب

سابع عشر ربيع الاول سنة تسعين ومائة وألف وعزل خامس عشر جمادى الثانية ومات رابع ذي القعدة سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف (ثم تولى الوزير اسمعيل باشا) يوم الاثنين سادس ذي القعدة وعزل ثانيا يوم الخميس رابع رجب سنة أربع وتسعين

فسلموا عليهم فقرأ خالد واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها فتقدم كبراؤهم وعلماؤهم فى دينهم وقالوا أيكم الامير حتى نخاطبه فقالوا ليس فينا أمير ولا من يلحظ أخاه بعين الذل لان الاسلام شملنا والدين جمعنا ونحن عباد الله فلما سمع القوم ذلك قالوا باجمعهم والله مانصركم الله علينا الا باتباع نبيكم وقول الحق فى دينكم ونحن نريد منكم أن تحملونا على القول وتشركونا فيما دخل فيه أهل البلاد فقال خالد كم تبذلون لنا من المال فقالوا مهما أردتم امتثلناه فقالوا انا لا نريد الا ما ترضى به أهل الذمة الذين فى البلاد حتى تطيب قلوبهم ومن لا يرحم لا يرحم ولقد سمعت نبينا صلى الله عليه وسلم يقول لا تنزع الرحمة الا من قلب شقى قال فلما سمع القوم ذلك تهللت وجوههم فرحا وقالوا لقد نصركم الله بحق وما نرى دينكم الا حقا فاسلموا عن آخرهم وعادوا الى قومهم واجتمعوا فى كنيستهم وحدثوهم بما كان وبما رأوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن سيرتهم فقال أهل البلد ما كنا بالذين نرفع انفسنا عليكم لانكم أولوا الرأى والدين وقد رضينا بما رضيتم به لانفسكم فاسلموا الا قليلا منهم وأما الملكة سمعت ذلك طاب قلبها وبعثت بالاقامة والعلوفة الى خالد وأمرته ان يعبروا الى جانبهم ونصبت لهم الجسر فعبر خالد ومن معه نزلوا بالبيعة بحيث ان الملكة تشرف عليهم وتنظر اليهم فرأت اقواما قد طلقوا الدنيا وطلبوا الآخرة وليس فيهم من ينهر ولا يسفه ولا يخالف اخاه قد اشتغلوا بالذكر وتوشحوا بالصبر فلما رضى الله عنهم ورضى عنك فارمى نظرت الى حسن عبادتهم نزلت اليهم وأسلمت على ايديهم فقال خالد تقبل الله منك قلعتك فلا سبيل لاحد عليك ونظر يوقنا اليها فقال وددت لو كانت هذه اهلى فانفذ خالد يشاورها فاجابت الى ذلك وبعث خالد الى عياض يشاوره فبعث اليه الجواب بان زوجه ولا تترك من بلاد الحصن مكانا الا وتنزل فيه

ومائة وألف (ثم تولى الوزير الصدر ملك محمد باشا) يوم الاثنين ثالث رجب سنة خمس وتسعين ومائة وألف وعزل عاشر شعبان سنة ست وتسعين ومائة وألف (ثم تولى الوزير الشريف على باشا) القصاب يوم الخميس حادى عشر شوال من تلك السنة وعزل يوم

﴿ذكر فتح طنزو يعهردو اسعرد﴾

قال فعول على العبور الى جانب اسعردو يعهرد واذا قدم عليه أهل حصن طنز للصلح وأن يكونوا طوعا للمسلمين فقال خالد من أسلم منكم قبلناه وكان له ما لنا وعليه ما علينا ومن بقى على دينه كانت عليه الجزية من العام القابل فاجابوه الى ذلك فكتب لهم عهدا وعبر الى طنزو يعهردو اسعرد والمعدن وأرزن وقرروا صلحا ورضوا به قال وانقضت عدة صاحبة الحصن وهى جانوسة وتزوجها يوقنا رحمه الله تعالى ولحق خالد بعياض فوجده على سوقار يا وهى مدينة جالوت فلما وصل خالد اليه سلم الناس بعضهم على بعض وأقاموا هناك خمسة أيام وعولوا أن يسيروا الى بدليس وأخلاط واذا قد جاءهم الخبر أن طاريون ابنة الملك وهى زوجة الغلام برغون الذى فتح كفرتوتا وكان من أمرها ما ذكرناه قد هربت الى أبيها ورجعت الى دينها قال فصعب ذلك عليهم (قال الواقدى) حدثنى محمد بن يونس قال حدثنى اسمعيل عن قيس قال رحمه الله تعالى ان طاريون لم تتنصر ولا عادت عن الاسلام وانما مضت الى أبيها لتدبر عليه حيلة وتسلم البلاد للمسلمين لانها ارادت أن تصنع كما صنع زوجها برغون بكفرتوتا فاتفق رأيها ورأى زوجها على ذلك فقال برغون أما أنا فلا اتبعك لانى افزع من أبيك ان يقبض على فقالت له الزم مكانك ولبست ثيابها وعولت على المسير وجمعت غلمانها فى محل خلوة وقالت لهم اعلموا أنى قد عزمت على أمر أفعله وأنا أبوح به اليكم قالوا أيتها الملكة ما على العبد الا الطاعة لمولاه فاوقفينا على سرك قالت لهم اعلموا أنى كرهت المقام بين هؤلاء العرب وأيضا قد اشتقت الى وطنى وعولت على ان أخرج بكم الى الصيد فى الجبل فاذا جن الليل طلبنا أرضنا فلما سمعوا قولها فرحوا وقالوا نعم الرأى فقالت انى لست أكرهكم فمن كان له رغبة أن يلبث ههنا وهو مائل الى هذا الدين فليقم غير ملوم ومن أراد الرجوع الى وطنه فليعزم معى فانى امضى فى هذه الليلة وحق ما أسير اليه ان بلغنى ان أحدا منكم أفشى سرى الى برغون أو غيره من الناس لاضربن عنقه فمن كان عازما على صحبتى فليتبعنى فاجابوها الى ذلك فلما جن الليل ودعت برغون وخرجت ومعها اثنا عشر نفرا كانوا لا يريدون الاسلام وكان لها بكفرتوتا اثنا عشر غلاما قد رسخ الاسلام فى قلوبهم

واحبوا المسلمين قال وسارت نحو الجبل ومضت الى ان تركت أرزن خلف ظهرها واشرفت على بدليس فنزل صاحبها اليها وقدم لها اقامة وعلوفة وأقامت هناك بقية يومها

﴿ذكر فتوح بدليس وارزن وأعمالها﴾

وكان من قضاء الله السابق وقدره ان عياضا لما نزل على سوقاريا ولحق به خالد ومن معه ولحقهم يوقنا فرح المسلمون بسلامتهم وحدثه بما جرى فسجد لله شكرا ثم بعث يوقنا رسولا الى صاحب بدليس وكانت ارزن و بدليس وقف وانظر وغيرها من القلاع لبطريق اسمه مر وند بن بواص والجارية نطاريون نازلة هناك ومر وند عندها فلما علموا بقدوم يوقنا ركبوا الى لقياه واختلت به طاريون وقالت له يا عم لا تظن انى هاربة ولا الى الروم طالبة وانما اريد ان انصح لله ولرسوله وللمسلمين واريد ان اغدر بابى واقتله واسلم معاقله للمسلمين ولكن يا عم اشر على بما اصنع فانت تعلم ان هذا الدرب لبدليس وأخلاط وعليه قلعة وقف وانظر واذا ارادت العرب العبور فليس لهم قدرة فما الذى تراه وانا اخاف ان حصلت عند ابى ان لا اقدر على الرجوع الى بعلى والى المسلمين فقال لها يوقنا اعلمى انك اذا اضمرت بهذه النية فان الله جل وعلا يفتح عليك أبواب الخير وامضى على ما أنت عليه وانا لا بد لى ان امضى برسالة الامير عياض الى أبيك وها انا بالأثر فاذا احصلنا هناك كان لنا من التدبير ما يريده الله ونصل ان شاء الله الى ما نريد وعلمها ما تصنع وودعته وعادت فقالت ان هذا العديم العقل يلح على ويعذلنى لأجل ان أرجع وأعود عما عزمت عليه من الرجوع الى دين المسيح ولولا انى اخاف عمن معه ومن صاحب هذا الحصن ان يعينه علينا لكنت قبضت عليه ثم انها ركبت وسارت تجد السير وأرسلت بعض غلمانها يبشر اباها بقدومها فلما وصل البشير ارتجت المدينة وركب ابوها والبطارقة واهل البلد لملتقاها فلقوها عند خضريا فلما رأت اباها ترجلت وترجل ابوها والعسكر جميعه وصقعوا بين يديها وضمها ابوها الى صدره وقال لها يا بنتى كيف كان أمرك قالت ان يرغون نصب على ووصل بى الى عسكر المسلمين وأسلم فلم يمكنى الان أطاوعه خيفة منهم الى ان دخلوا ديار بكر فهربت اليك فصلب ابوها على وجهه وهنأها بالسلامة وركب وساروا والموا كب حولهم الى ان دخلت البلد ودخلت دار المملكة فتلقاها الجوارى والخدم وصقعوا لها وبكوا وبكت وأخرجت الصدقات والنذور للبيع والكنائس وباتت تحدثهم بما جرى لها وحديث شهرياض وكيف أخذت رأس العين فقال أبوها يا بنية كيف رأيتهم فى دينهم قالت أيها الملك القوم يتظاهرون بالدين وانهم يطلبون الدين والعدل حتى يرجع الناس اليهم وليس والله دين أفضل من دين المسيح وقد نذرت نذرا متى خلصت من يد العرب أن لا أقرب قربانا ولا أشرب خمرا ولا آكل لحم خنزير ولا أنغمس فى ماء المعمودية حتى أتعبد فى بيعة يوحنا شهرين كاملين فاذا أنا تطهرت من دينهم أقرب القربان وأقبل الصلبان ففرح ابوها بذلك فلما كان الغد مضت الى البيعة وأخلت لها موضعا وجعلت تتصدق على الفقراء وتظهر النسك والعبادة وأقامت تنتظر ما وعدها به يوقنا من القدوم بالرسالة الى أبيها (قال الواقدى) رحمه الله ورضى عنه (حدثنا) أبو محمد قال حدثنى من أثق به عن قيس بن هبيرة قال كنت من اصحاب يوقنا حين سار بالرسالة الى بدليس وتحدث مع طاريون وأنفذ صاحب بدليس اليه وكان لما بلغه قدوم يوقنا صعد الى حصنه فاستحضره وأنا معه فوجدناه على سرير مملكته فسلمنا عليه فقال يوقنا ان امير جيوش المسلمين بارض ربيعة وهو عياض بن غنم وقد أرسلنا اليك ندعوك الى توحيد الله ورسالة نبيه ولكم ما لنا وعليكم ما علينا واعتبر بمن تقدم من الملوك واصحاب الاقاليم والعزفقد أصبحوا الكن فما جوابك فقال أيها السيد انى قد كنت أردت ان أرسل رسولا الى أميركم فى طلب الصلح واعطيه شيأ وان ابقى على دينى ومن أراد من اهل بلدى ان يرجع الى دين القوم فلست امنعه فقال يوقنا بكم يطيب قلبك أن تدفع فى صلحك على بدليس وأرزن وما تحت يدك من البلاد فانى اذا أمضيت لك الصلح فقد رضيت به العرب فقال أيها السيد اعطيهم مائة ألف دينار وخمسمائة زردية وألف قوس وان لا يولى على مملكتى

الخميس رابع عشر شعبان سنة سبع وتسعين ومائة وألف (ثم تولى الوزير محمد باشا) الصنجى يوم الاربعاء خامس عشر المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة وألف وعزل يوم السبت خامس عشر ذى الحجة ختام السنة المذكورة (ثم تولى الوزير الشريف محمد باشا يكن)

غيرى حتى أموت وان لا يبقى عندى من قبلهم الا رجل أو رجلان حتى يعلموا من أسلم شرائع الاسلام وان
يكون أمرى نافذا فى مملكتى ومن أسلم يكون أمره لمن يكون عندنا من قبلكم وما يكون لى عليهم حكم فقال
يوقنا قد أمضينا صلحك وأعطيناك عهدك وانا أعطيناك عهد الله ورسوله على ماذكرته قال وأعطاه عهد الله
ورسوله وهادنه على الهيئة التى هادن رسول الله صلى الله عليه وسلم هرقل ملك الروم وحلف له عن المسلمين
كلهم قال وان قيسا ذهب الى عياض فاعلمه بما استقر بينهم فلما وصل كتاب يوقنا الى عياض رحل من مكانه
الى ان نزل على بدليس فوجد البطريق قد أخرج ما وقع عليه الصلح فلما قدم عياض نزل اليه البطريق
وتلقاهم وحياهم باحسن تحية وأنزلهم فى أحسن منزل وقدم لهم الاموال وكتبوا بذلك عهدا قال ونظر
المسلمون من اهل اليمن وبادية العرب الى البنات وحسنهن فمالت انفسهم اليهن وشرب أكثرهم الخمر فلما
رأى عياض ذلك صعب عليه فامر أن يؤتوه بمن فعل ذلك فأقام عليهم الحد وأخذ منهم حق الله وقال لهم
أ كفر بعد ايمان أبهذا أمرتم أم لهذا خلقتم أما سمعتم ما قال من امره بين الكاف والنون قال فتابوا
بأجمعهم فلما جن الليل اجتمع يوقنا بعياض وحدثه بأمر طاريون وما وافقته عليه وانها قد وهبت نفسها
لله تعالى ومضت تدبر كيف تعمل فى تسليم البلد للمسلمين وانى وعدتها ان أسير اليها وأعينها على ذلك
فقال عياض اذا كان الامر كذلك فيجب علينا ان نطلع عليه خالدا واصحابه فقال يوقنا افعل ما فيه
الصواب فارسل الى خالد ومعاذ وقيس والمسيب بن نجيبة وعمرو بن معد يكرب وعبد الرحمن بن ابى بكر
رضى الله عنهم وحدثهم بالحديث وقال لهم ماترون من الرأى

﴿ذكر فتح ارمينية واخلاط ووقف وانظر﴾

قال خالد أصلح الله الامير اذا كان الامر كذلك فابعث يوقنا رسولا ونحن معه فاذا حصلنا هناك يفعل الله
ما يريد والحاضر يرى ما لا يراه الغائب قال فسيروا على بركة الله تعالى فتأهبوا وساروا وسار مع يوقنا خمسة
وثلاثون من الصحابة وعشرون من اصحاب يوقنا فلما وصلوا أخلاط ونظرت اليهم الروم والارمن علموا انهم
رسل فاعلموا بذلك الملك وانهم رسل من العرب فامر باحضارهم فأتتهم الحجاب الى باب رومية وهو باب
بدليس فرأوهم على خيولهم فقالوا لهم ادخلوا فأخذوهم الى دار الامارة واعلموا الملك بوسطيوس بذلك
فامر باحضارهم فلما توسطوا الدهليز أراد الغلمان ان يأخذوا اسلحتهم فقال خالد انا قوم لا نسلم سيوفنا
لغيرنا وان الله بعث نبينا بالسيف وقد قلدنا اياه ولسنا نزيل ما خصنا الله ورسوله به فدخل الحجاب واعلموا
الملك بما قال خالد فقال الملك دعوهم يدخلوا كيف شاؤا لئلا يظنوا اننا نخافهم وانما ذلك ناموس الملك
فدخلوا بهم فلما رآهم وسلموا عليه جلسوا على الارض كأنهم السباع وكل منهم قد جعل يده على مقبض
سيفه وقد بلغ الملك ما هم عليه من الدين والزهد فى الدنيا فاوصى اصحابه أن لا يأمروهم بأن يصعدوا اليه
فانهم لا يجيبونهم لذلك قال فلما استقر بهم الجلوس قال لهم ترجمانه يا هؤلاء بم أتيتم الينا فقال يوقنا ان
امير جيوش المسلمين بأرض بدليس قد بعثنا اليكم رسلا ندعوكم الى شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له وان محمدا عبده ورسوله أو تدخلوا فيما دخل فيه الناس وتؤدوا الجزية عن يد وانتم صاغرون فأعلم
الترجمان الملك بما قاله يوقنا (حدثنا) قدامة انه لم يكن بينهم ترجمان وانما كان المتكلم يوقنا بالرومية
وهو لسان القوم (قال الراوى) رحمه الله تعالى حدثنى من أثق به قال كان الترجمان بينهم لان الملك
ارمنى لا يفهم الا بلسان الارمن ويوقنا كان روميا لا يفهم لسانا آخر فلما بلغه الترجمان غضب وقال
وحق المسيح والانجيل لا نعطيهم ولا ندخل فى دينهم أو نموت عن آخرنا ولا يحسبوا اننا مثل من لاقوا من
جيوش الروم ولنا الشدة والباس والقوة والمراس ونحن نرمى عن الاقواس بالنشاب والعرب تسميه
قاطع الشهوات والاسباب وأنا أبعث الى صاحب خوى وسلوس واستنصر عليهم بامراغوص ملك
المرج ونردهم على أعقابهم ونستخلص منهم البلاد وليس عندنا جواب غير هذا قال فبلغهم الترجمان
ماقاله فقال يوقنا ائذن لنا بالانصراف لنعلم صاحبنا بهذا الجواب فقال الملك بيتوا عندنا هذه الليلة وفى

يوم الاثنين رابع المحرم
سنة مائتين وألف وعزل
يوم الاربعاء سادس عشر
المحرم سنة احدى ومائتين
وألف (ثم تولى الوزير
الشريف عبدى باشا) ثانى
عشر رجب تلك السنة
وعزل ثالث رجب سنة
ثلاث ومائتين وألف (وفى
تلك السنة تولى السلطنة

غدا تنصرفون وأمرهم أن ينزلوا فى المكان الفلانى فخرجوا من عنده الى المكان الذى أمر به فنزلوا به ينتظرون ما يكون من الجارية قطاريون قال ولما خرج الصحابة من عنده ركب من وقته الى بيعة يوحنا واجتمع بابنته وقال لها ان العرب قد وجهوا الى رسولا ومعه جماعة وقالوا لى كذا وكذا وأجبتهم بكذا وكذا فما ترين من الرأى فقالت أيها الملك أين هم قال عوقتهم هذه الليلة حتى أشاورك فى امرهم فقالت اريد أن أنظر من هم فانه لا يخفى على أمرهم فان كانوا من وجوه العرب النافذ أمرهم فأمرى أن أتحدث معهم وأطيب قلبهم بأنك تصالحهم وأطمعهم بذلك فاذا اطمأنوا بذلك أمرتك بالقبض عليهم وأتركهم عندك حتى لا يكون لهم خلاص فاذا قبضت عليهم ترسل الى صاحبهم تقول له متى تقدمت الينا مرحلة واحدة بعثت اليك برؤسهم فاذا سمع ذلك لا يتقدم ويقع الصلح على ان نسلم اليه اصحابه وينصرك المسيح ويطول عمرك ويرفع قدرك وينصرفون عنك وما نرى رأى أوفق من هذا فقال لها يا بنية المسيح يطيل عمرك ويرفع قدرك فقومى اليهم ودعى هذه البيعة والزمى البيعة التى فى دارنا فانك كلما أقمت ههنا كان أخوف بنا وان كان مقصودك العبادة ففى أى مكان كنت فيه كان لك معبد فلما سمعت قوله قالت است أبرح من ههنا حتى يأمرنى بترك هذا المكان البترك فأرسل الملك وراء البترك فلما حضر قام الملك له وعظمه وأجلسه الى جانبه وحدثه بقصة ابنته فقال البترك قد أذنت لك ان تتعبدى حيث شئت وقد استوهبت ذنوبك من المسيح وغفر لك قال فصلبت وجهها ودعت له وقدموا لها بعض مراكب أبيها فركبت ومضت الى المكان الذى فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يدخل فيه سواها وأبيها الملك فلما رأت يوقنا فرحت واستبشرت وقالت له أيها السيد ان أبى جاهل بكم غير عارف بقولكم وسوف أكشف له عن امور كم وحق دينى ما رايت منكم الا خيرا وسوف اجازيكم على ذلك ولولا محبة الاهل والوطن ودين المسيح ما كنت فارقتكم وخرجت هى وابوها ومضت الى القصر وقالت له ابشر بما يسرك هؤلاء وجوه القوم وساداتهم والذى عليه زى الروم هذا يوقنا بطريق حلب الذى طرده المسيح عن بابه والرأى عندى أن نطلبهم عندنا الى هذا القصر ونقبض عليهم بحيث لا يقف أحد على سرنا قال ففرح أبوها بقولها وبعث حاجبه الى الصحابة فاتى بهم وانزلهم فى بعض حجر القصر (قال الواقدى) رحمه الله تعالى وكان عمال أبيها من البطارقة والمقدمين على القلاع قد أتوا يهنؤن أباها برجوعها الى دين المسيح فقالت طاريون من الصواب أن نمضى أنا وأنت الى هؤلاء العرب ونجلس عندهم ونأكل معهم حتى يطمئنوا الينا واقول لهم انى أريد أن أشاور أهل بلدى وأرباب دولتى فاما أن نصالحكم ونؤدى اليكم الجزية أو نقاتلكم ونبعث اليهم طعاما مبنجا فاذا أكلوه وحكم فيهم البنج قبضنا عليهم ونفعل بهم ما نريد وأشير به عليك قال فلما جن الليل أتت هى وأبوها عندهم وتحدثوا ساعة ومضوا فلما كان الغد جلس أبوها على سريره وعلمت ابنته أنه اشتغل بما هو فيه فأتت طاريون الى الصحابة وقالت لهم اذا جئت الليلة أنا وابى فدونكم واياه ولا تمهلوه فقد اتفق رأيه على كذا وكذا فشكروها على فعلها ومضت عنهم فلما كان الليل جاءت ومعها أبيها وتقدمت كانها تحجبه وأشارت اليهم بان لا تعجلوا وأمهلوه فامسكوا عنه وتحدثوا ساعة وخرجا من عندهم فلما خلا مع ابنته قال لها أما قولك نقبض على هؤلاء العرب فليس بصواب وانى أريد أن أجمع بطارقتى وولاة أمرى من الحصون والقلاع وآخذ لك عليهم عهدا أن لا يخامروا عليك أبدا وان يطيعوك وأرسل المال والذخائر وما نخاف عليه الى قلعة برقبوس فانها أمنع قلاع الارض (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وهذه القلعة التى ذكرت فى وسط بحيرة أرجيس لا سبيل لاحد عليها قال لها واذا وليتك عليها أطلق هؤلاء العرب فانه ما سبقنى أحد من الملوك الى قبض الرسل وايضا يتحدث عنى انى فزعت من العرب وقد عولت على لقائهم فان نصرت عليهم فذلك هو المراد وان نصروا على فلى أسوة بامثالى من الملوك وقد أرسلت الى الملك درفشيل صاحب ارزن الروم بأن يأتى الى بجنوده وعدته وعدده ووعدته أن ازوجه بأختك فارونة فما ترين من الرأى قالت له ايها الملك اذا

السلطان سليم الثالث) ابن السلطان مصطفى (وتولى وزارة مصر الوزير اسمعيل باشا) التونسى يوم السبت خامس عشر رجب وعزل يوم الاثنين عشرى شعبان سنة خمس ومائتين والف (ثم تولى الوزير محمد باشا عزت) فى شوال تلك السنة وعزل

عزمت على هذا الامر فلا تترك هؤلاء يمضون حتى يجتمع العسكر ويقدم الملك درفشيل بجيشه ولا يتخلف
عنك أحد وبعد ذلك أترك هؤلاء فاذا ساروا الى صاحبهم فسر أنت فى أثرهم بالجيوش واكبس عسكرهم
فقال يا بنية ليس من الرأى أن نطلقهم من ايدينا بل نبعث الى صاحبهم نقول لهم انهم مكرمون عندنا وقد
رأينا انا نتلاقى يوم عيدنا ندبر فيه امرنا فاما أن نصالحكم باداء الجزية واما أن نقاتلكم والله ينصر من يشاء
ونامرهم أن ينزلوا فى مرج بطان فانه مرج واسع يصلح لملتقى العساكر ونضرب معهم مصافا ونحن أخبر
منهم بالبلاد وغسلك عليهم الدروب فما ينجو منهم أحد ونسير الى ديار بكر فنملكها ونأخذ ارض ربيعة ولا
يبقى فى هذه البلاد ملك سوانا فقالت له طاريون افعل ما تشاء وتركته وانصرفت الى مكانها فلما عرفت
أن اباها قد أغلق أبوابه اتت الى الصحابة وعرفتهم بما قال أبوها فقال خالد اللهم يسر لنا الامر من غير
تعب واذا أراد الله أمرا هيأ اسبابه فقال يوقنا وكيف ذلك يا صاحب رسول الله فقال خالد نعم نحن أمورنا
بحمد الله منوطة بالنصر وقد كفانا كل أمر واعلموا أن هذا الرجل قد عول أن يبعث ليجمع ملوكه وجيوشهم
ويحرضهم على قتالنا والصواب أننا نصبر حتى يجتمعوا فقالت طاريون لقد نطقت بالصواب يا صاحب
رسول الله ووفقت ولعل أن يحصلوا كلهم فى ايديكم ان شاء الله فان أبى لا يقدر ان يولينى الا فى البيعة
بحضرة أصحاب القلاع والحصون ويأخذ لى عليهم العهد وبعد ما يفعلون ذلك تثورون عليهم ان شاء الله
ولعل أن يكون فى جملتهم صاحب ارزن وترسل العبد الصالح يوقنا بزى صاحب آرزن فلعله يملكها ان
شاء الله تعالى ونكون ظفرنا بالارب وخرجت من عندهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنا صالح
ابن عمران عن عبد الرحمن بن الحسن عمن حدثه قالوا جميعا أو من قال منهم انه لما اتفق الرأى من الملك
صاحب أخلاط على ما ذكرنا واصبح الصباح ارسل وراء اصحاب اعماله وولاة الحصون ان يحضروا عنده
فاتوا باجمعهم ولم يتخلف منهم أحد وأتى درفشيل من أرزن ومعه عسكره وكان اجتماعهم فى ليالى عيدهم
الكبير فزينوا البيعة وجاءت القسوس والرهبان من كل مكان ودخلوا البيعة وصلوا وقربوا القربان
فلما فرغوا من قربانهم وصلاتهم جلس الملك على سريره وابنته واقفة عن يمينه فقال للملوك والبطارقة
اعلموا انى ما جمعتكم الا لامر أعرضه عليكم وفيه سداد أمركم وملككم ودينكم وقد عولت على انى
أولى أمركم الملكة طاريون فانها كما علمتم من أصحاب العقل والرأى والتدبير فى الحرب والشجاعة والبراعة
فان قضى على فانها تكون مالكة امركم فما تقولون فقاموا باجمعهم وصفقوا له وقالوا له نعم الرأى الذى
رأيته ايها الملك فانجز أمرك فعندها وثب قائما وأزال التاج عن رأسه ووضعه على رأس طاريون
وامسك بيدها وأجلسها على السرير ووقف عن يمينها كأنه حاجب ووقف صاحب ارزن عن يسارها
وصفقت لها الملوك وبايعوها وتقدمت القسوس والرهبان وأخذوا لها عليهم العهد والميثاق وأجابوا
بالسمع والطاعة وبعدها زوجوا أخت طاريون بولد صاحب ارزن وخرجوا من البيعة فى خدمة طاريون
الى قصر الملك وأكلوا السماط وخلعت عليهم وزينت المدينة وضربوا خيامهم بظاهر البلد وعولوا على
قتال المسلمين (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى اسرائيل بن اسحق عن ابى الاخوص قال بلغنى ان
عياض بن غنم لما وجه خالدا الى ملك أرمينية وهى أخلاط واستبطأهم ساءت به الظنون فيهم فارتحل
من بدليس الى أرض أرزن ونزل بالمرج ووجه عيونه الى أخلاط فغابوا عنه أياما وعادوا اليه واخبروه
ان الملك قد ولى ابنته طاريون على المملكة وقد عقد لها التاج على رأسها وبايعها الملوك وزينوا المملكة
من أجل ذلك وقدم صاحب أرزن الروم وزوج أخت الملكة لابنه وان القوم قد عولوا على لقائكم فلما
سمع عياض ذلك قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم غدروا أصحابنا فقال المسلمون كيف ذلك
يا صاحب رسول الله قال لان اصحابنا مضوا الامر يرومونه وقد فسد عليهم فقال الواثق بالله وتوكل عليه وأقام
عياض على المرج عشرة أيام وحصل له مرض على امر الصحابة فأتته الناس يعودونه فقال اذا أراد الله
بعبده خيرا ازاره الناس (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه) وعوفى عياض فبينما هو قد ركب

فى غرة ذى القعدة سنة
ثمان ومائتين وألف (ثم
تولى الوزير صالح باشا
القيصرلى) فى عشرى
ربيع الاول سنة تسع
ومائتين وألف وعزل فى
ذى الحجة سنة عشر ومائتين
وألف (ثم تولى السيد أبو بكر
باشا) الطرابلسى يوم
الخميس الخامس والعشرين

مع وجوه الصحابة وهم يسيرون وقلبه مشغول من قبل خالد ومن معه واذ قد أتاه سعيد بن زيد وهو ينادى الوحا الوحا العجل العجل فاسرع اليه عياض وقال مابك يا ابن زيد يرحمك الله فقال الحق خالدا ومن معه فقد وقعوا فى بحر اللجاج وهم فى وسطه فلما سمع عياض قال وكيف ذلك قال ان طاريون لما ولاها أبوها الملك وجعل العهد لها ظفرت بابيها فقتلته وبعثت وراء الملوك على لسان أبيها فلما جاؤا اليها قتلتهم وان بعض غلمانها اطلع على سرها فمضى الى بقية البطارقة والولاة فاخبرهم بما صنعت فلبسوا السلاح وقعدوا على اهبة فلما كان بالامس ركبت هى فى جيش أبيها الى الميدان وركبنا نحن لركوبها فما علمنا الا والقوم قد أطبقوا علينا وقالوا لنا أظننتم ان المسيح غفل عن أمركم وانه لا يؤاخذكم بذنوبكم وقد امكن الصليب منكم وهموا باخذنا فقاتلناهم قتالا شديدا ما سمع احد بمثله وملأنا الارض من قتلاهم فلما جن الليل وضعت الحرب أوزارها وانفصل الجيش مع صاحب ارزن الروم وبقى مع الجارية نفر يسير من غلمانها وغلمان أبيها فافاضت عليهم الخلع والنعم وبعثت الى الارمن تقول لهم انما فعلت ذلك شفقة عليكم وصونا لحريمكم لانهم ارادوا أن يقبضوا على هؤلاء العرب ويقتلوهم فكان أصحابهم لا يتركون منكم مخبرا فلما بلغهم ذلك قال العقلاء منهم والله لقد فعلت معنا كل خير وأجابها من القوم خمسة آلاف رجل وانى تركت المصف وجئت اليكم مستنفرا فلما سمع عياض كلام سعيد امر الناس بالرحيل وسار تقريبا وخببا الى أن اشرفوا عليهم واذا بالحرب قد قامت على ساقها فكبر عياض ومن معه فارتجت منهم تلك الارض والجبال وحملوا وكان خالد واصحابه قد ارضوا الله بقتالهم فقاتلوا قتالا ما سمع على وجه الارض بمثله ولم يزالوا كذلك حتى انقشع الغبار وانفصل القتال وافتقدوا من قتل فوجدوا من قتل من بادية الاعراب مائة وعشرين رجلا وافتقد معاذ بن جبل ولده فلم يجده فلما جن الليل دخل ومعه رجال من المسلمين الى المعمعة فوجدوه يجود بنفسه وقد ناله جراحات فحملوه الى رحله وجلس أبوه عند رأسه فقال عبد الرحمن بن غنم أخو عياض لما رآيته يجود بنفسه بكيت وانتحبت فقال لى ما هذه الغزوة احب الى من كل غزوة غزوتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له يا بنى ستلقى ربك وكان لما أذن المؤذن للظهر فانصرف العسكر من صلاتهم الا وقد كفنه فى دراعته وهو متضمخ بدمائه فجاءه الناس فوجدوه قد دفنه فقالوا له يرحمك الله هلا كنت انتظرتنا حتى نحضر جنازته قال ليس ذلك من السنة وان ذلك فعل الجاهلية وقد كنا نشتهى ان نبطئ بموتانا ولكن أمرنا بانجاز موتانا فلما دفنه فى القبر ورجع الى رحله غسل رأسه ولحيته واكتحل ولبس برديه وأتى الى خيمة عياض وهو يكثر من الابتسام والتكبير وليس به الامايسليه عن ذلك وقال هنيئا لك يا ولدى فقال له عبد الرحمن وماذا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مات له ابن وكان به ضنينا وكان عليه عزيزا فحسن عليه عزاؤه ولم ير منه شئ فى قضاء الله الا غفر له وللميت وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله وزوجه الله من الحور العين ولما طلع النهار ركب المسلمون وطلبوا الجهاد واذا بخيل قد أتت وعليها فرسان بغير سلاح فلما قربوا منهم ترجلوا وقصدوا الامير فابتدر اليهم يوقنا وقال لهم من أنتم قالوا نحن أصحاب أرزن الروم وهذا مقدمنا وأشاروا الى شيخ منهم حسن الشيبة فراطنه يوقنا فقال ان الله دلنى عليكم وبت الليلة على نية القتال فرأيت المسيح ابن مريم فى النوم وهو يأمرنى باتباع محمد وقال لى ان نبى هؤلاء العرب هو الذى بشرت به فمن عدل عنه فليس منى فلما سمع يوقنا قوله ترجل هو وجميع من كان معه ومشوا معه الى عياض وحدثه بجميع ماجرى فقام له وصافحه هو والمسلمون وحدث عياضا بما حدث يوقنا ثم أسلم هو ومن معه ففرحت بذلك الجارية طاريون وسلمت اليه اختها وسار بها الى آرزن الروم وأرسلوا معه عشرة من المسلمين ليدعوا آرزن الروم الى الاسلام ويعلموهم شرائع الدين (قال الواقدى رحمه الله) وهم رواحة بن عبد الله وسلامة بن عدى والمرقال بن الاكوع وابن خويلد وجرير بن صاعد وعبد الله بن صبرة وسهل بن سعد ومصعب بن ثابت وحازم بن معمر وأبو غير بن بشار قال وودع درفشيل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

من ربيع الاول سنة احدى عشرة ومائتين وألف وتوجه الى غزة يوم السبت سابع صفر سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف وذلك بسبب قدوم طائفة الفرنسيس الى مصر فى ذلك الشهر فانهم قدموا الى الاسكندرية فى شهر المحرم من تلك السنة ثم قدموا منها

وارتحل والعشرة معه حتى وصل أرزن الروم ففرح أهل المدينة بهم وخرجوا للقائهم فلما استقر الملك في مجلسه طلب أكابر الناس وحدثهم بما رآه وعرض عليهم الاسلام فاسلم أكثرهم وأقبل العشرة يعلمونهم شرائع الاسلام والقرآن قال وسلم القلاع والحصون التى كانت لأخلاط الى المسلمين فنهم من أسلم ومنهم من أقام على اداء الجزية من عامهم الآتى وبعث عياض الى خوى وسلوامس ومايلى تلك الارض فأسلم أهلها الا القليل وبعث من المسلمين رجالا يعلمونهم الشرائع وأقر طاريون على أخلاط والله تعالى هو الموفق للصواب واليه المرجع والمآب

(ذكر فتح ارزن واسعرد وجبل مارون)

(قال الواقدى رحمه الله) قال عبد الله بن عقيل الجعدى عن أبى اسحق الهمدانى قالوا جميعا وفرادى أو من قال منهم انه لما فتح الله ديار بكر وأرمينية وأخلاط على المسلمين على يدى عياض بن غنم بعد فتوح أرض ربيعة أرسل وراء الغلام يرغون فى كفرتوثا فلما اقدم عليه قلده أمر ارمينية وأخلاط له وزوجته طاريون وأخذ عليهما موثقا من الله أن يعملا الناس بالعدل وان يتبعا الشريعة وان يأمرا بأمر الله ورسوله فقبلا ذلك وارتحل عياض من أرض ارمينية بعد ان بعث أفلح مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مائة رجل الى بلاد العراق حتى يدعوا أهلها الى الاسلام ووعدهم بالاجتماع هنالك قال فانصرفوا بالرسالة وأما عياض فانه سار على طريقه التى ورد عليها الى ارزن الروم وخرج منها الى اسعرد الى جبل مارون (قال الواقدى رحمه الله تعالى) كان الذى اسسها السموأل بن عاديا وكان قد سبق قبل ذلك الابلق الفرد من أرض تيماء ولما جاء وزير كسرى وطلبه هرب الى هذه الارض وبنى له فيها هذا البلد فلما نزل عياض عليها دعاهم الى الاسلام فاجاب العقلاء منهم ومن أبى أقر عليه الجزية وكتب لهم عهدا ورحل حتى نزل على الشعطاء وأساوح فاجاب أهلها ولم تكن الجزيرة يومئذ محدودة وان الذى بناها رجل من أهل برقعيد يقال له عبد العزيز بن عمر وكانت دجلة قبل ذلك فلما نزل عياض عليها وزارها ومن معه جبل الجودى وموضع السفينة وكان بجنبها أخباث كثيرة فكانت أهل تلك البلاد تتزح الاخباث وكان مالكها الجزيرى صالح فاجاب وأطاع وكان يسكن بعاديا وكانت تحت يده كواس والزعفران وقفه يزودربيس وأماكن كثيرة قال ولما بلغته الرسالة أجاب صالح وأطاع وأقبل الى عياض وأسلم وكتب لاهل بلده عهدا وانفذ لهم من يدعوهم الى الاسلام

(ذكر فتوح الاسماعيليات)

قال وارتحل عياض الى الجانب الغربى ونزل على بلد فيها بديع القبطى فاجاب صلحا على ما تقرر عليه وارتحل عياض الى ان نزل بالاسماعيليات وبعث عمرو بن جند ليغير على الموصل واعمالها ففى وأغار وأخذ الغنائم ووقع الصائح فخرجوا عليه وقاتلوه وانتزعوا منه الغنيمة وقاتل حتى قتل ودفن بالجانب الغربى فلما بلغ عياضا ذلك ارتحل من الاسماعيليات ونزل على الموصل فخرج اليه أهلها بالعدد والسلاح فكر عليهم خالد بجيش الزحف فجعلهم حطاما ولم يكن عليها يومئذ سور يمنع فاخذها بالسيف ونظر الى نينوى فاذا هى مدينة قد أخذت السهل والجبل فقال ماهذه فقيل هذه نينوى فقال لاهلها مدينة يونس ابن متى عليه السلام (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان يملك يومئذ الملك انطاق فكاتبه عياض فابى فانفذ اليه الجزيرى صالح فقال ائن لم تجب هؤلاء الى ما أرادوه والا أذقتك شرا ولا اترك لك عيشا فكتب اليه يقول انى أصالحهم الى ستة أشهر حتى أرى مايكون من أمر كسرى فان فتحوا بلده دخلت فى طاعتهم قال وكان هو ومن تحت يد كسرى فاجابه المسلمون الى ذلك وصالحوه على موجها ومرجها وكتب عياض الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعلمه بما فتح الله عليهم فكتب اليه يقول * بسم الله الرحمن الرحيم من عياض بن غنم الاشعرى الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أما بعد سلام الله عليك

الى مصر فى شهر صفر فاستقبلهم عسكر مصر عند الرحمانية وهزموا الى الجيزة فالتقوا بهم عند بشتيل قريبا من وسيم وحصلت مقتلة عظيمة وقدر الله ان المسلمين هزموا ففر مراد بك ومن معه من العسكر الذين يقاتلون فى البر الغربى الى جهة الصعيد وفر ابراهيم

ورحمته وبركاته فانى احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فالحمد لله الذى أيد
الاسلام بنصره وادحض الشرك بقهره ولله الحمد على ما أولى ومنح وأزال وكشف ورفع وصرف
من عظائم وأخذ من غنائم حمدا يزيد الآمال انفساحا والصدور انشراحا وقد لانت الشدة بعد
صلابتها ورقت الايام بعد قساوتها ويسر الله تعالى أمرها وقد اوردت الاعداء موارد المهالك
وضيقت عليهم المسالك فارتبكوا فى زقاقهم واشتركوا فى وثاقهم ولم يجدوا فى الارض نفقا ولا فى
السماء مرتقى واشتد بهم الفرق وازعجهم القلق وانهم احتالوا وخابوا وداهنوا وارسلوا وأظهروا
البعد عن الآثام والدخول الى الاسلام والتنزه من الظلم والجنوح الى السلم فاقررناهم على ذلك
بعد أن أشرفوا على المهالك فمنهم من أسلم وبايع ومنهم من أقام تحت الذمة وتابع وقد نشر الله أعلامنا
وأعز ديننا وقهر عدونا وشد سيوفنا وأعلى كلمتنا وأظهر شريعتنا وقد صرف الله سورتهم
وأخمد نارهم وأزال نصرتهم وكفى البلاد والعباد مؤنتهم والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته وبعث خمس ما تحصل من
ديار بكر مع شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم وضم اليه مائتى فارس وسلمه
الكتاب وأمره بالمسير فسار شرحبيل وبعد ايام وصل الى عياض من العراق عامر بن مزينة رسولا من
عند سعد بن أبى وقاص يستنجد عياضا على كسرى فانفذ له نجدة ثم فتح الله العراق على يد سعد وما جرى
له من الحروب والوقائع نذكر من أمره ما كان والله الموفق

❊ذكر فتوح العراق❊

قال حدثنا عبد الله بن محمد قال أخبرنا عبد الله بن جابر ❊(قال الواقدى رحمه الله)❊ أخبرنى من أثق به
قال لما وجه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه سعد بن أبى وقاص بالجيوش الى العراق لم يزل
سائرا حتى قدم أرض الرحبة واتصلت الاخبار بالنعمور بن ميسرة العبسى وكان يومئذ ملك العرب
بعد اياس بن قبيصة النعمان بن المنذر ملك من قبل كسرى بن اردشير فكتب اليه يعلمه أن جيوش المسلمين
قد أقبلت من المدينة وقد وجهها عمر بن الخطاب رضى الله عنه اليك وقد عول على أخذ العراق فاستيقظ
أيها الملك من غفلتك وانظر فى مصالح دولتك واعلم أن هذا الزمان هو الذى كنا نسمع به ولا نصدق
ونكذب به ولا نحقق ولا نظن أن أحدا يجسر علينا ولا يصل بجيشه الينا حتى جاء الوقت المقدور
وولى المدينة عمر وهو صاحب الفتوح ومصبح الملوك بشر صبوح فقم على قدم الهمم وسر الى أعدائك
وتقدم وقد أعلمناك لتكون على بصيرة من الامر واياك أن تهمل الامر فرب صغير أمر عاد كبيرا ويسير
عاد عسيرا والحرب أوله شرر وآخره نار تسعر والسلام قال وبعث الكتاب مع نجاب فلما وصل به الى
كسرى وقرئ عليه انتفض لذلك واهتز على سريره وأحضر الاساورة والموابذة والديلم والسهارجة وقرأ
عليهم كتاب الملوك وقال لهم ما ترون فى هذا الامر الذى قد وقفنا عليه وأشرفنا من زماننا عليه واعلموا أن
هؤلاء العرب قد أخرجهم الجدب والجهد فهم ينظرون لهم مواضع يسكنون اليها وينزلون فيها وقد أذاقوا
الروم شرا وأنزلوا بهم ضرا وملكوا المدائن واحتووا على الخزائن وكانت الروم قد اجتمعوا عن بكرة
أبيهم وما كان منهم أحد الا اتى الشام وتلاقوا فى الحرب بمكان يقال له اليرموك وهذه شرذمة من العرب
قد سرحوا الى بلادكم وقد عولوا على أن ينزعوا الملك من أيديكم ولا ينفعكم الا أن تكشفوا عن ساق العزم
وتتشحوا بوشاح الحزم وتذبوا عن أهلكم وأموالكم وأولادكم وحريمكم وبلادكم واعلموا أن العرب
لهم الطمع وقد دخل فى قلوبهم أن يملكوا بلادكم وحصونكم ومتى رأوكم ناكلين عن قتالهم فشلين عن
نوالهم مالوا عليكم ميلة الاسود على فرائسها فاحسموا موادهم من أول يوم وقد قيل فى الامثال من نظر فى
العواقب أمن غائلة النوائب ثم انه فتح خزائن الاموال والخلع وخلع على الهرمذان وقدمه على خمسين
ألفا وخلع على عطارد بن مهرود وقدمه على عشرين ألفا وخلع على قارين بن همام وقدمه على عشرين ألفا

بك ومن كان معه فى البر
الشرقى الى الشام وحقيقة
حال الفرنساوية الذين
حضروا الى مصر انهم فرقة
من الفلاسفة اباحية طبائعية
يقال لهم نصارى فاتوليقية
يتبعون عيسى عليه السلام
ظاهرا وينكرون البعث
والدار الآخرة وبعثة الانبياء
والمرسلين ويقولون ان الله

وامرهم

وأمرهم أن يضربوا خيامهم بأرض زرندان ففعلوا ذلك وكتب من وقته الى خراسان وما وراء النهر يستنفرهم ومن معهم من الاجناد على قتال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وصلت الكتب اليهم أقبلوا يهرعون الى العراق كالجراد المنتشر وكان في جملة القوم شهريار بن كادوا الفرحان الاهوازى والهزبل بن حسوم وجاسر الهمذانى ومعهم أربعون فيلا وفدا الجانيوس بن قتاد *(قال الراوى)* فلما اجتمعت الجيوش خرج كسرى يعرضهم بأرض شهرطاق وفراشة وكان رأس جيشه مهرمان فعرض الجيوش فاذا هي مائة ألف وخمسون ألفا غير الاتباع وقدم الديلم والعجم وأمامهم الفيلة وعليها دروع على ظهورها الاسرة بثياب الديباج وعلى كل سرير أربعون رجلا مقاتلة وهم يضربون بالطبول والصنوج في خراطيمها أعنى الفيلة السيوف ليقاتلوا بها وكان فيها فيل أعور كأنه الجبل العظيم وكان هو المقدم على الفيلة حيثما سار سارت وراءه وان وقف وقفت وقد ربط وراء الفيلة عجل يحمل بيوت السلاح والاموال فلما عولوا على المسير عاد الملك أردشير الى من ذكر من المقدمين وقال اعلموا يا أهل فارس انكم ما زلتم ملوكا وهيبتكم في قلوب الترك والديلم والروم والجرامقة وذلك لما كنتم عادلين في الرعية فادفعوا هؤلاء بالمال فان أبوا فدونكم والسيف فودعوه وساروا

ذكر فتوح الخورنق وقتل النعمان بن المنذر وفتح الحيرة والقادسية

قال الواقدى رحمه الله حدثنا الحسن بن اسحق قال أخبرنا سليمان بن عامر قال بلغنى ان سعد بن أبى وقاص قدم العراق في ثلاثين ألف فارس من بجيلة والنخع وشيبان وربيعة واخلاط العرب وما منهم من قدم العراق الا بأهله وولده وما قدم احد من ملوك الفرس الاعلاه كله حتى يقاتلوا بجد وعزم وبذلك وصاهم الملك كسرى قال وان سعدا ارتحل من الرحبة الى الحيرة البيضاء وكان هناك جيش النعمان بن المنذر وقد ضرب خيامه والسرادقات الى ظاهرها وقد اضاف اليه جميع العرب وهم من العراق في ثمانين ألفا وقد أفاض عليهم النعمان النعم والخلع ووعدهم من الملك كسرى بكل جميل وقال لهم ان هؤلاء عرب وأنتم عرب وهلاك كل شئ من جنسه وهؤلاء مثلنا وليس لهم فضل علينا وقد جعلنا الاكاسرة مقدمى دولاتهم حتى نكون لهم ركنا وعلى أعدائهم عونا وليس لاصحاب محمد فخر يفتخرون به علينا لكن نحن لنا الفخر عليهم وهم يزعمون ان الله بعث فيهم نبيا وأنزل عليهم كتابا يقال له القرآن ونحن لنا الانجيل وعيسى بن مريم وجميع الحواريين ولنا المذبح ولنا القسوس والناقوس والرهبان والشمامسة وعلى كل حال ديننا عتيق ودينهم محدث فاثبتوا عند اللقاء وكونوا عند ظن الملك كسرى بكم قال فبينما هو يقول ذلك اذ جاءه عمه الياس وهو صاحب الحرس فقال له أيها الملك ان أعداءنا قد انفذوا الينا رسولا فقال ائتنى به فاحضره وكان الرسول سعد بن أبى عبيد القارى فلما وقف بين يدى النعمان صاح به الحجاب والغلمان الارض للملك فلم يلتفت اليهم وقال ان الله أمرنا أن لا يسجد بعضنا لبعض ولعمرى ان هذه كانت العادة المعروفة في الجاهلية قبل أن يبعث الله نبيه محمدا عليه السلام فلما بعث جعل تحيته السلام وكذا كانت الانبياء من قبله وأما السلام فهو من أسماء الله تعالى وأما تحيتكم هذه فهى تحية جبابرة الملوك فقال النعمان لسنا من الجبابرة بل نحن أجل منكم لانكم توحدون في دينكم وتقولون ان الله واحد وتجحدون ولده عيسى بن مريم فقال سعد اخبرني عن عيسى بن مريم أكانت القدرة فيه حالة أم ربانية وجرى بينهم كلام كثير قال فاعجب النعمان كلام سعد وقال له يا ويح قومك ما الذى جئت به فقال ان الامير سعد بن أبى وقاص وجهنى اليك اذ أنت من العرب ويصل الينا ما نقص عليك وهؤلاء القوم علوج ليس لهم شريعة يؤدونها ولا فريضة يتبعونها ونحن ندعوكم الى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ولكم مالنا وعليكم ما علينا فان أبيتم فادوا الجزية فان أبيتم الى ما دعوناكم اليه فأذنوا بحرب من الله ورسوله فلما سمع النعمان كلام سعد ضحك استهزاء بقوله وقال لقد حدثتكم أنفسكم بالاباطيل أظننتم أن الفرس مثل الروم لا وحق المسيح بل هؤلاء أثبت جنانا وأشد طعانا وأوسع

واحد لكن بطريق التعليل ويحكمون العقل ويجعلون منهم مدبرين يديرون الاحكام يضعونها بعقولهم ويسمونها شرائع ويزعمون

ميدانا فليت شعري من نفخ في معاطسكم وحسن الامل في أنفسكم حتى جئتم من قحط البلاد تروممون ملك الاساورة وأخذ بلاد الاكاسرة ودونه حرب تصطفق أجرامه وتشب ضرامه وهذا الملك أردشير قد انفذ جيوشه وعساكره وكأنكم بهم وقد أقبلوا فينالون منكم ما يؤملون وما حدثتكم به أنفسكم تزيلونه من قلوبكم فقال سعد بن عبيد يا نعمان لقد تشدقت بالباطل وتفوهت بكلام غير عاقل أما علمت أن العاقبة للمتقين والله بكرمه يرفع عنا الباس ويظفرنا بجميع الناس وقال نبيه صلى الله عليه وسلم ستفتح على امتي كنوز كسرى وقيصر فاما كنوز قيصر فقد فتحها الله علينا وقد بقيت كنوز صاحبك فقال النعمان من أين كان لصاحبك العلم ومن أين ورثه وقد بلغنا انه كان لا يكتب ولا يقرأ فقال سعد بصره الله بالعلم في القدم وعلم ما كتب في اللوح المحفوظ بالقلم فلما سمع النعمان كلام سعد قال له يا ويح قومك ارجع الى قومك فليس عندنا جواب الا السيف قال فركب سعد وعاد فوجدهم قد نزلوا بالقرب منه فحدث سعد بما جرى له مع النعمان بن المنذر وما كان من جوابه وجعل الامير سعد بن أبي وقاص ينشد

ساحمل فيهم حملة عربية * ولا أنثني والله عنهم بعسكري
فما نرى النعمان في القيد موثقا * واما طريحا في الدماء المعفر

ثم أمر الناس بالرحيل فرحلوا وساروا الى أن أشرفوا على جيش النعمان قال فلما رأوا جيوش سعد أمر الناس بالركوب فتبادرت العرب الى خيولهم فركبوها وجنبت الجنائب وضربت الكاسات وتبادرت الابطال ونشرت الاعلام فلما وصل سعد رضي الله عنه والتقى القوم قد أخذوا أهبتهم رتب جيشه وصفهم وألفهم وجعل في الميمنة سعد بن عبيد القاري وفي الميسرة سعد العشيرة وفي الجناح الايمن سعد بن نجيبة وعلى الجناح الايسر سعد بن الاقيس الهلالي وأقام الامير سعد في القلب ومعه أبو محجن الثقفي وزهرة بن جوية وشرحبيل بن كعب (قال الواقدي) رحمه الله تعالى حدثنا أحمد بن عامر قال أخبرنا علي بن مسهر عن أبان عن الحسن قال فلما استوت الصفوف وترتبت كل قبيلة جعل الامير سعد يتخلل الصفوف ويعظ من فيها من عرب بجيلة وطيء وبني هلال والنخع وغيرهم ويقول هذا يوم لا نرى بعده مثله اما بلغكم ما فعل اخوانكم بالشام لما تكاثرت عليهم جموع الشام فاستيقظ المسلمون بقول سعد وقالوا نحن نحمل عليهم بشدة العزائم ولعل الله أن ينصرنا عليهم فصاحوا بخيولهم فخرجت كالرياح العواصف ولم يزالوا في القتال الشديد الى أن توسطت الشمس في قبة الفلك وقد ثبتت أصحاب النعمان ابن المنذر للضرب والطعان (قال الراوي) وان القعقاع بن عمرو التميمي أو بشر بن ربيعة التميمي احدهما التقى مع النعمان في كبكبة من الخيل والازدهارات على راسه فحمل القعقاع او بشر على الكبكبة ففرقها وعلى الكتيبة فمزقها ورمى النعمان بطعنة في صدره فاطلع السنان يلمع من ظهره فلما نظرت جيوش الحيرة الى الملك النعمان مجندلا ولوا الادبار يريدون القادسية نحو جيش الفرس وغنم المسلمون رحالهم وأموالهم وباتوا فرحين وافتقدوا من قتل من المسلمين فكانوا خمسمائة وثلاثين غالبهم من أهل نخع وقد ختم الله لهم بالشهادة وفي ذلك قالت خزانة بنت خالد بن جعفر بن قرط ترثي من قتل من المسلمين

فيا عين جودي بالدموع السواجم * فقد شرعت فينا سيوف الاعاجم
فكم من حسام في الحروب وذابل * وطرف كميت اللون صافي الدعائم
حزناه على سعد وعمرو ومالك * وسعد عميد الجيش مثل الغمائم
هم فتية غر الوجوه أعزة * ليوث لدى الهيجاء شعث الجماجم

قال وان المسلمين جمعوا الاموال واحتوى سعد على قصر الخورنق والسدير وترك جميع ما أخذه بالحيرة وترك عنده سالم بن نعيم بن مسروق وترك عنده مائة من أبناء المهاجرين والانصار قال وأما من انهزم من

أن الرسل محمد وداود وعيسى وموسى كانوا جماعة عقلاء وان الشرائع المنسوبة اليهم كناية عن قوانين وضعوها بعقولهم تناسب أهل زمانهم

جموع النعمان بن المنذر فوردوا على القادسية وعليها جنود الفرس مع رستم زاده بن اسفندياروممه
شهريار بن كنار والهزيل بن جشوم وحشرسوم الهمذانى والجناتيوس بن فتاك وشماهير بن حسوسا
قال فلما رأوا المنهزمين من جيش النعمان ملك العرب سألوهم عن أمرهم فخبروهم بقتل النعمان
وأخذ الحيرة وقصر الخورنق والسدير وجميع ما فيها قال فوقع التشويش فى عسكر الفرس وتمكن الخوف
من قلوبهم وكثرت الاراجيف وأما رستم فانه جمع الملوك والاساورة وملوك الديلم فى خيمته وقام على
سريره خطيبا فقال اعلموا أن الدولة بالسياسة والناموس بالرياسة وكأنكم بالعرب وقد أشرفوا عليكم
فاخرجوا واذهبوا اليهم واركبوا واخرجوا من عنده وأخذوا أهبة الحرب فبينما هم كذلك اذا بعسكر سعد
قد أشرف عليهم وهم على الخيل المضمرة العربية وعليها الفرسان الاسلامية والطائفة المحمدية فرتبوا
الصفوف وجعل رستم ملوك الفرس عن يمينه وملوك الديلم عن يساره ووقف رستم فى القلب ودارت به
الاساورة فبينما هم كذلك اذ بعث الامير سعد رسولا الى رستم وكان الرسول أبا موسى الاشعرى فقصد
القلب فلما رآه الحجاب أتوا اليه والترجمان معهم فقالوا له يا عربى ما الذى تريد قال أنا رسول من عند
صاحب الجيش فبلغوا رستم ما قاله أبو موسى الاشعرى فقال قولوا له ما لك وصول الى المقدم ولكن أفصح
لنا عما تريد حتى نأتيك بجوابه قال فبلغه الترجمان ما قاله فقال أبو موسى قل له ندعوكم الى الشهادة فان
أبيتم الاسلام فادوا الجزية فان أبيتم فالسيف أصدق شاهد وقد قال الله فى كتابه العزيز وكان حقا علينا
نصر المؤمنين فبلغهم الترجمان ذلك ورجع أبو موسى الى سعد فلما جن الليل هرب من عسكر رستم
جماعة والتجؤا الى عسكر المسلمين فلما أصبح رستم بلغه ان جماعة من عسكره هربوا الى عسكر المسلمين
فبعث رسولا الى سعد يطلب منه أن يرد عليه الذى هرب من الاساورة والمرازبة فقال سعد انا قوم
لا نضيع ذمامنا ولا ننقض عهدنا وقد أتوا الينا مستسلمين وفى صحبتنا راغبين فيجب علينا أن
نذب عنهم ولا نمكن أحدا منهم فعاد الرسول الى رستم وأعاد عليه الجواب فغضب وأمر الجيوش
بالزحف قال وكان الذى هرب الى جيش سعد شاور بن سليم ونسليك بن أكتم وضرار بن مكتال ومن
تبعهم فلما رأوا العساكر قد أقبلت تريد المسلمين قال القعقاع أيها الامير قد تقدمت الاعداء والفيلة
أمامهم ولا مقام لخيل العرب عند رؤيتها وصياحها فقال سعد أخلصوا النيات وأرضوا خالق الارض
والسموات وارشقوا الفيلة بالنبل واقطعوا مشافرها بالسيوف قال وكان أمام الفيلة فيل عظيم كأنه
جبل وكان اذا سار سارت واذا وقف وقفت وأينما توجه كانت وراءه قال فلما حملت الكتائب
واضطربت المواكب وجاءت الفيلة كأنها جبال وعلى ظهورها الابطال وقد أقبلت بالسيوف فى
خراطيمها فقتلت من عسكر المسلمين ولم تثبت لها خيل المسلمين فرفع سعد بن أبى وقاص كفيه
مبتهلا بالدعاء لرب الارض والسماء وقال ربنا افرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم
الكافرين قال زهرة بن جويرية فوالله لقد رأيت سعدا يدعو وعينى مع الفيلة واذا بالفيل الاعور
قد ولى يريد المدائن والفيلة باجمعها والرجال لا يقدرون على ردها وهى سائرة على وجوهها وكفى الله
المؤمنين القتال من الفيلة قال فلما ولت الفيلة غضب رستم وأقبل بعموده الذى من الذهب يضرب به وجوه
الفيلة ويلطم بفارسيته ويحرض قومه على القتال وهم يحملون خوفا منه وهو يطلب من هرب من جيشه
والخيل امامه منهزمة والمسلمون لا يتبعون المنهزمين ووقفوا مواقفهم وقد طابت قلوبهم بمعاملة الله فطمنوا
فى صدور الاعداء وقد اطلع الحق على قلوبهم فما وجد فيها غيره فبينما الامير سعد يحرض على القتال اذ
لقيه الاسود العنسى وهو طائش العقل ذاهل اللب فقال له ما وراءك يا ابن قيس فقال أيها الامير اياك أن
تعبر هذا الصف فان فيه الموت الاحمر والضيغم القسور وهو جبار من الفرس وقد قتل من المسلمين أربعة
ولقد قاتلته حتى كاد ان يأتى على ولولا أن من الله على بخالد بن جعفر بن قرط لكان قتلنى لان فيه شجاعة
وبراعة فقال له سعد يا مسكين وأين المفر من المقدور وقد قدر الله الاقدار أما سمعت قول الملك الجبار

ولذا جعلوا فى مصر وقراها
الكبار دواوين يدبرون
ما يناسب أهل البلاد
بحسب عقولهم وكان فى ذلك
رحمة بأهل مصر فافهم

أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ودخل الصف الذي ذكره الاسود واذا قد لقيه خالد
ابن جعفر ولونه قد تغير فقال له ما وراءك يا ابن جعفر فقال الثعبان الاغبر والاسد الغضنفر أيها الامير
ارجع عن هذا الفارس فانه علج عنيد وفي يده عمود من الذهب يورث به خصمه العطب وقد قتل
الاقران وأباد الشجعان وقد كاد ان يقضي علي لولا سعد العشيرة أدركني لكان أهلكني فلما سمع
سعد ذلك عظم عليه وقصد مكانه يريد أن يفدي الناس بنفسه وبروحه ويبذل في سبيل الله مهجته وهو
يخترق الصفوف فلقي سعد العشيرة فقال له ما وراءك يا ابن أوى قال ورائي جبار لا يقابل وبطل لا ينازل
ولولا بشر بن ربيعة لسقاني من عموده كاس القطيعة فلما سمع قوله قصد نحوه فوجد بشرا مصفر اللون
فقال له ما وراءك يا ابن ربيعة فقال ما قصر القعقاع اني لولاه لكنت من الهول على غرر فسار سعد على
طريق بشر وقد سلك سبيل توفيقه فلقي القعقاع وهو يفرق الكتائب ويصدم المواكب فقال له لله
درك يا ابن عمرو وأين فارس الفرس وكيف خاص من يدك فقال أيها الامير لولا انه دخل الصفوف لسقيته
كاس الحتوف وغاص في وسط الخيل ولم أبلغ منه النيل (قال الواقدي) رحمه الله ولم يزل القتال
بين المسلمين والكفار الى ان فرق الليل بينهم فرجعت كل طائفة الى مكانها فلما رجع رستم الى سرادقه
بعث غلمانه الى مقدمي عسكره فحضروا فقال لهم لقد خذلتم ونزل بكم العار والبوار فما الذي خذلكم وأي
شيء شغلكم ونزل بكم وأنتم أولوا البأس الشديد والامر العتيد وهؤلاء قوم كالانعام بهم ولا تحدثنا
أنفسنا عنهم بأمر وقد خذلوا فرسانكم وأوردوهم موارد الهلاك وقتلوا منكم الصناديد فبأي وجه
ترجعون الى المدائن وبم تحتجون عند الملك أردشير واني أرى دولتكم قد انصرمت وأيامكم قد انقضت
فقالوا أيها السيد لقد بلينا بقوم لا يرهبون الموت ولا يجزعون من الفوت وكلما طعنا صدورهم تقدموا
وكلما قللنا جموعهم صدموا فقال رستم ما أرى من الرأي الا اننا في نصف الليل نكبسهم فلعلنا نظفر بهم
ويكون لنا عند الملك اليد البيضاء فاستصوبوا رأيه وافترقوا الا جل أن يصلحوا شأنهم (قال الواقدي)
رحمه الله حدثنا عامر بن سويد قال لما رجعنا من قتال العدو الى خيمة سعد رأيناه جالسا على التراب
فلما رآنا قال مرحبا بقوم هجروا الدنيا وطلبوا العقبى كيف كان يومكم قلنا لقد شفينا نفوسنا
من الاعداء ونصرنا شرع نبينا المصطفى ولقد رميت منا رجال كثيرة من المسلسلة ينشابهم فقال
سعد اجمعوا الى العسكر جميعه وأمر واغلمانكم أن يجمعوا الشيح والقيصوم فاني أريد أمرا أرجو لكم
به النجاة من الله قال ففعل القوم ذلك فقال للموالي اجعلوا ما جئتم به من الشيح والقيصوم على ظهور
الابل ووجهوها نحو المسلسلة فاذا قربتم منها فاضرموا النار في ظهور الابل والذعوها بأسنة
الرماح حتى تدوسهم ونحن من ورائكم بسيوفنا قال ففعلوا ذلك فلما أتى الليل تقدموا امام العسكر
بالاموال والموالي من ورائهم الى ان قربوا من المسلسلة وأطلقوا النار في الشيح ولذعوها بالاسنة فلما
رأت الجمال ما على ظهورها من النار وما حل بها من الاسنة داست صفوف المسلسلة دوس الحصيد
وحطمتها على وجه الصعيد وركب الامير سعد مع الجيش ووضعوا السيف فيمن بقي من المسلسلة فبينما هم
كذلك واذا بعساكر الفرس قد أتوا وارتفع الضجيج وعلا العجيج وسميت تلك الليلة بليلة الهديرة ولم يزالوا
في القتال الى الصباح قال وسمعت قائلا يقول كفينا كهم فقلت من أنتم فقالوا نحن من خزيمة النخع ولم
يزالوا يقاتلون حتى والله ما بقي منهم أحد ولا بقي لهم نسل قال فلما طلعت الشمس ركب رستم بن اسفنديار
وركب جيشه عن آخرهم ووقفوا بأجمعهم فاستقبلهم الموحدون وسعد يتخلل الصفوف ويعظهم ويوصيهم
أي الامراء وكان في الليل قد طاف على العسكر فرأى أبا محجن الثقفي يشرب الخمر وقال له يا عدو نفسه
لقد محوت أجر جهادك وعبادتك والله لآخذن منك حق الله وجلده الحد وقيده (قال الواقدي) رحمه
الله أخبرنا يوسف بن عمر قال الاسدي عن طلحة ومحمد قالوا ان أول من فتح الحرب رستم وطلب البراز فخرج
اليه ابن نجيبة فقتله فخرج زهير فقتله فاراد القعقاع أن يخرج واذا بفارس قد أقبل الى رستم وهو كالريح

جعلوا من جملة ديوانها جماعة من المشايخ وصاروا يراجعونهم في بعض أشياء لا تليق بالشرع والسبب الذي أرجب لأهل مصر

فى هبو بها فصاح برستم صيحة أدهشته وطعنه فى خاصرته فاطلع السنان من الخاصرة الاخرى فنظر اليه
سعد فاذا هو أبو محجن فلما رأى أبو محجن وقد صنع ذلك برستم قال المتوكل عليه سألتك بالله أن تتركه
(قال الواقدى) رحمه الله تعالى حدثنا يوسف بن عبد الاعلى قال حدثنا عمر بن ابراهيم عن عبد الله بن
المبارك قال لما نزل سعد بن أبى وقاص على القادسية وقاتل عسكر الفرس وانهزمت الفيلة الى المدائن
وكان سعد رضى الله عنه يتنكر فى الليل ويمشى فى عسكره فمر فى بعض الليالى برجال من ثقيف فوجد أبا
محجن وهو يشرب ويترنم على خمرته فلما رآه غضب وقال له لقد ذهب أجرك ونقص قدرك بعد جهادك
للكافرين تتعرض لغضب رب العالمين أترضى لنفسك بذلك ثم انه حده وقيده وجعل عليه من يحفظه
فلما كان من الغد ووقع الزحف وبرز فارس العجم وكان منه ما ذكرناه عاد الى القيد فلما قتل رستم
بمشاهدة الناس أتى اليه سعد ليعلم حقيقة الامر فوجده فى القيد فقال له يا أبا محجن أنت صاحب
الفضيلة فقال الفضل لله ولرسوله فاقسم عليه فحدثه بحديثه فقال له اذا كان هذا صنيعك فاذهب فقد
عفوت عنك ومن عاد فينتقم الله منه فقال أبو محجن والله ما عدت أشرب بها أبدا وتاب (قال الواقدى)
رحمه الله تعالى حدثنا زائدة عن جده مروان بن أوس قال كنت بالقادسية وشهدت فتحها لما قتل رستم
وولده بحزشير وولت الفرس على عقبهم لا يلتفت أحد منهم الى ما وراءه من الاموال والاصحاب وما لهم
قصد الا السلامة لانفسهم وأتى نساء المسلمين ومعهم الماء فدرن بين القتلى والجرحى فمن وجدنه من
المسلمين فيه الرمق سقينه الماء ونضحن على وجهه وينقلن من قتل من العرب الى العرب ويتركن رمم
الفرس (قال الواقدى) رحمه الله تعالى حدثنا سليمان بن بشر عن أم كثير امرأة همام بن الحرث
قالت شهدت القادسية مع سعد فلما نزل النصر وانهزمت الفرس شددنا ثيابنا وأخذنا الماء وابتغينا
القتلى فمن كان من المسلمين سقيناه ورفعناه ومن كان من المشركين أخذنا ما عليه (حدثنا) الحرث
عمن أدرك ذلك قال لم يكن من قبائل العرب أكثر نساء من نساء بجيلة والنخع وكانوا فى ألف وسبعمائة
امرأة قال وأخذت المسلمون عدة لم يروا مثلها وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد وسفيان بن سليم
والمهلب بن غزوان والقادح بن عنبسة ونعمان بن نعيم وأربعون رجلا من المهاجرين والانصار وسنذكر من
قتل ممن كانوا يقرؤن القرآن اذا جن الليل كدوى النحل قال وأخذ المسلمون من الاموال ما لم ير مثله
ولما كان بعد الفتح بيوم جاءت النجدة التى بعثها عياض بن غنم من أرض الموصل وجاء من شهد
الفتوحات بالشام مع عامر بن الجراح وكان الذين قدموا سبعمائة فلما وصلوا الى عين التمر استعجل للنصرة
فترك الجيش وسار فى سبعين فارسا وأتت بقية السبعمائة بعد ذلك وكان معه قيس بن عبد يغوث وقيس
ابن أبى حازم وسعيد بن نزار ومالك الاشتر النخعى فتقدم هاشم وقيس معه فى السبعين (قال الواقدى رحمه
الله تعالى) حدثنا ابراهيم بن بشار قال أخبرنا محمد بن على عن سليمان بن أرقم ان عدة القتلى بالقادسية
تسعة وثمانون رجلا وكان المشهور منهم قيس وعطارد وهشام ومذعور ومقرب الاسود وعمرو بن قيس
والنعمان (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه) وبلغنا عن رجل من تميم عن امرأة منهم قالت شهدت
القادسية وصح للنساء لكل منهن ثلاثة وثلاثون مثقالا من العنبر ومثلها مسكا وأما الكافور فما كنا
نعبأ به الا من عرفه وكانت العرب تقول للسوقة هل لكم من ملح طيب وكانوا يعطون كيل كافور بكيل
ملح وان رجلا من العساكر عجن عجينا وجعل فيه من الكافور وجعل يذوقه بعد خبزه ويقول ما لهذا الملح
لا يطعم فى العجين وان رجلا ممن له خبر بالملح قال اعطيكم جراب ملح يطعم طعمه قال فأخذوه وأعطوا ملء
جرابه كافورا قال وان سعدا لما هزم الله العدو على يديه جمع الاموال كلها وكان الذى يقبض الاموال
سليمان بن ربيعة قال فكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من العامل بالعراق سعد بن أبى وقاص الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب اما بعد سلام عليك وانى أحمد الله
الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وانا وصلنا الى العراق والتوفيق يقدمنا والنصر

وقراءها بعض الانقياد
اليهم بعجزهم عن مقاومتهم
بسبب هروب المماليك
الذين معهم آلات القتال
وانهم عند قدومهم كتبوا

يؤيدنا وقد اطلع الله على قلوبنا وامتحن خفى أسرارنا فما وجد فيها سواه ولا نعبد الا اياه فوفى لنا بوعده اذ وفينا بصادق عهده فلقينا العدو وهو شاكى السلاح وغير راجع عن الطماح وقد شمر لنا عن ساق الجد فدارت لنا عليه الدوائر فهزمنا كتائبهم وزلزلنا مواكبهم واستأصلنا شأفتهم وقتلنا مقدمهم فجرى بذلك سابق القدر وأخذناهم أخذ عزيز مقتدر وملكنا الحيرة والقادسية وانزل الله باعدائنا الرزية فلما كان بعد الفتح بيوم قدم المرقال وهشام وسبعون رجلا من الصحابة وبعده بثلاثة أيام قدم سبعمائة من الشام من جند أبي عبيدة ولم اسلم لاحد شيأ من الغنيمة ونحن ننتظر أمرك فى ذلك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى جميع المسلمين وسلم الكتاب الى زيد بن عمرو فركب نجيبه وسار نحو المدينة (قال) اخبرنا أحمد بن عمرو قال حدثنى سابق بن مسلم قال وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يركب فى كل يوم نجيبه ويقصد طريق العراق الى قريب الظهر وذلك لما بلغه أن رستم نزل على القادسية قال فخرج على عادته اذ لقيه البشير وهو نوفل م فلما رآه نوفل أبرك ناقته وسلم على أمير المؤمنين وقال له أبشر بكل خير ودفع اليه كتاب سعد وهو يقول قد هزم الله العدو ونصر الموحدين وملكنا الحيرة والقادسية ومشى هو واياه يخبره بما كان الى أن دخلوا المسجد وهرع الناس اليهم الى أن غص المسجد بهم فرقى المنبر وقرأ عليهم كتاب سعد وقال ألا وان اخوانكم المسلمين يقرؤنكم السلام وقد اتبعوا الكتاب والسنة وحادوا عن طريق البدعة وأقاموا على شرائع الهدى وارادوا المشورة فيمن قدم عليهم فاما الجواب فالغنيمة لمن شهد الوقعة والمواساة لمن لحق بهم بعد الوقعة بثلاثة أيام ونزل عن المنبر وكتب الى سعد بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم وقد وصلنى كتابك فحمدت الله كثيرا بما فتح الله على أيديكم وانى قد أبليت بكم وأبليتم بى وانى والله لا أحصى شيأ من أموركم فاعلمه وأما اذا اجتمع صلح فاذا أشفق الوالى ونصحت الرعية فعلى الوالى العدل والاحسان وعلى الرعية الصبر والشكر واما الغنيمة فلمن شهد الوقعة والمواساة لمن أتى بعد ثلاثة أيام ومن شهد حربكم من مملوك وعتيق بعد ثلاثة أيام فأشركوه والزموا الاحسان فيما فتح الله عليكم وختم الكتاب وسلمه للرسول فسار يجد السير الى أن أتى سعدا ودفع اليه الكتاب فلما قرأه كتب اليه بعد البسملة يعلمه بما تجدد أما بعد يا أمير المؤمنين فانى لم أر فارسا مثل القعقاع بن عمرو التميمى فانه حمل فى العدو فى يوم واحد ثلاثين حملة يقتل فى كل حملة فارسا ولم ار فارسا مثل الحرث الكندى فانه كان يحمل فى المواكب فيقصم عروقها وارسل الكتاب الثانى والخمس مع سعد قال ووصل المنهزمون من الفرس الى المدائن ودخلوا الايوان وحدثوا كسرى بما جرى وبقتل رستم وولده فاغتم لذلك وأيقن ان دولة الفرس قد انقرضت وانصرمت فاحتجب ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع مات لانه حمل الهم على قلبه فقام بعده ولده يزدجرد ولم يكن له غيره (قال) حدثنا عبد الله بن مروان قال حدثنا نعيم عن جده وكان أحفظ الناس للفتوح قال لما وجه كسرى بن أردشير رستم الى قتال سعد أنفذ معه نصف بيت ماله وهى ستمائة ألف ألف الى المصف فلما صفت الصفوف وضعها أمام الجيش وقال كل من قتل فارسا كان له كذا وكذا ومن قتل راجلا فله كذا وكذا فصار ذلك كله الى المسلمين فأرسل الخمس مع سعد وهو مال كثير لا يحصى عدده لكثرته فلما وصل المال الى عمر بن الخطاب بكى وقال أف لمن يغتر بالدنيا أو يميل اليها ثم قرأ قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فوالله لم يلتمس منه قليلا ولا كثيرا ولا درهما ولا دينارا فقالت له حفصة يا أمير المؤمنين لو رفقت بنفسك وأكلت طعاما أطيب من طعامك ولبست ثوبا أميز من ثوبك فقد فتحت لك الفتوح وأتت لك الاموال فتمعر وجهه غضبا وقال لها انا شدتك الله اخبرينى عن أفضل ما اقتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت مال المسلمين قالت ثوبان كان يلبسهما يوم الوفد ويخطب فيهما يوم الجمعة والعيدين فقال اى طعام كان يأكل عندكن قالت خبز الشعير وكان عندنا فى أسفل عكة دسم فان تظاهر طعمه فيها يقول قد زدتن فى الدسم قال فأى بساط كان يبسطه عندكن قالت كان لنا كساء نجعله فى الصيف تحتنا

كتبها وفرقوها فى البلاد وذكروا فيها انهم ليسوا نصارى لانهم يقولون ان الله واحد والنصارى تقول بالتثليث وانهم

وفى الشتاء نفرش نصفه ونلتحف بنصفه فقال ياحفصة ان مثلى ومثل صاحبى كثلاثة نفر تتابعوا طريقا فمضى الاول وقد تزود زادا فبلغ ثم تبعه الثانى فسلك طريقه فمضى اليه ثم تبعهما الثالث فان لزم طريقهما ورضى بزادهما كان معهما وان سلك غير طريقهما لم يجتمع معهما أبدا

(ذكر فتح نهرشير)

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) وان عمر رضى الله عنه بعث الى سعد بان يمضى الى المدائن وأن يخلف النساء والاولاد فى الحيرة وعندهم من الجند جماعة ويجعل لهم شركة فى كل مغنم وكان مقام سعد بعد الفتح بالقادسية شهرين فلما استهل الشهر الثالث أنفذ على مقدمته زهرة بن جويرية وأتبعه بعبد الله وشرحبيل بن الشعطاء وأتبعهما بهاشم بن عتبة وخالد بن عرفجة صاحب الساقة وقسم الجيش معهم وقد غنموا ما كان فى عسكر الفرس من مال وسلاح وكراع وكان رحيلهم من القادسية لبضع أيام مضين من شهر شوال قال ونزل زهرة بالكوفة بمن معه ولحق به عبد الله وشرحبيل بمن معهما وتتابعت الجيوش وارتحل زهرة وسار الى بابل ونزل عليها واذا باناس من أهل السواد أتوا اليه وطلبوا منه أمانا فأعطاهم وقال لهم ما عندكم من خبر العدو فقالوا أيها الامير استعمل الحذر رحلها باو التيقظ بابواعلم ان رجلا من المرازبة قد ضمن لكسرى لقاءكم وردكم ومعه عسكر جرار فقال زهرة أبعد الله شره وجعل كيده فى نحره فبينما هو كذلك اذ أشرفت عليهم طلائع القوم وتبينت لهم البيارق والازدهارات فركب زهرة لقتالهم ورتب أصحابه للحرب وهو يقول ان ينصركم الله فلا غالب لكم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولما اشرفت الكتائب أطلقوا ألسنتهم بذكر الله وتسارعوا اليهم فأوسعوا لهم الميدان وتقدمت الصناديد وتأخرت الرعاديد وضج المسلمون بالتكبير وطعنوهم فى صدورهم ونحورهم واذ قد وقعت عين زهرة على فارسهم العميد وبطلهم الشديد فقصده دون غيره وتطاعنا وتضاربا وتقاربا وتباعدا ثم ان زهرة رماه بطعنة فى صدره فأخرج السنان من ظهره فخر الى الارض صريعا فلما رأوه ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وكان فيهم رجل من أكابرهم ذو عقل سديد ورأى رشيد فلما رأى ما حل بقومه اتى الى زهرة طائعا مختارا وعقد له معه صلحا فاعطاه أمانا وسأله عن خبر جيوش كسرى فقال يا سيد قومه اعلم ان أكابر من انهزم منهم بالقادسية قد اجتمعوا وهم النهرجان والمهراق الدارى والهرمذان فقال لهم القيروان باى وجه تعودون للملك كسرى وقد أعطاكم الوظائف والعطايا والولايات فاقيموا هنا حتى تبيض وجوهنا عنده أو نهلك عن آخرنا قال فلما سمع زهرة وعبد الله وشرحبيل وهاشم وخالد انتظروا واستعدوا حتى أتى واعلموه فقال استعينوا بالله وتوكلوا عليه وكانوا قد ملكوا الجسر فعبروا عليه وعدوا الى الجانب الآخر وأشرفوا على جموع القوم فوقعت فى الفرس الاراجيف وتمكن الخوف من قلوبهم وكلما عين الهرمذان والقيروان جيشهما ووصفاه فما انتقض بغيره فعلم ان ما فيهم خيرا وما كانت الا ساعة حتى فرق الله جموعهم وبدد شملهم وانطلقوا على وجوههم فمضى الهرمذان الى الاهواز وكانت كنوز كسرى فى جبل ظاهر الاهواز وكان عليها مقدما منهم ساوند فلما بلغه هزيمة العسكر نهبها وأما النهرجان ومهراق فانهما قصدا المدائن وعبرا نهرشير وهى مدينة الذنب قال فلما حصلوا بالعدوة القصوى وقطعوا الجسر قصدوا الايوان ويزدجرد هناك فدخلوا عليه وحدثوه بما جرى لهم مع العرب فلما سمع ذلك أيقن بزوال ملكه فلما كان الليل عول على أن ينفذ أمواله وذخائره الى نهاوند وتهيأ للحرب وأما زهرة فانه سار فى اثر القوم حتى جاوز سوار ونزل وأتى بعده هشام والمرقال ونزلا عنده حتى تكامل الجيش ونزل سعد بن أبى وقاص وارتحلوا الى كوثاريا وأشرفوا عليها فلما رأى الفرس عسكر المسلمين قد أشرف عليهم أخذوا أهبة القتال وتهيؤا ومقدمهم شهريار فلما وصل اليهم زهرة ورآه شهريار وقع الرعب فى قلوب أصحابه وماج بعضهم فى بعض ولولا خوفهم من شهريار لولوا الادبار ورتب زهرة أصحابه فلما استوت الصفوف خرج شهريار للبراز وعليه زى الملوك الاكاسرة وقال أنا شهريار فهل يبرز الى فارس لفارس أو أربعة لفارس أو عشرة لفارس فلما سمع زهرة

يعظمون محمدا ويحترمون القرآن وانهم يحبون العثمانلى ولم يأتوا الا لطرد المماليك الظالمة لانهم نهبوا أموالهم وأموال

قال والله لقد أردت برازك غير أنى لا أدع أحدا يخرج اليك الا عبدا فان قتلته فتكون قد قتلت عبدا
وان قتلك فهو المراد ثم انه دعا مولاه أبا نباتة الاعوجى فقال له دونك وهذا العلج واستعن عليه بالله
فخرج اليه أبو نباتة فلما وصل اليه ونظره استحقره لان شهريار كان مثل البعير فألقى نفسه على أبى نباتة
وقد جرد سيفه فلما رآه أبو نباتة قد وصل اليه صادمه كأنه أسد وتضاربا بالسيوف حتى تكسرت
فرمياها وتقابضا حتى سقطا الى الارض فوقع شهريار بأبى نباتة وهو يراوغه فوقعت ابهام شهريار
فى فم أبى نباتة فقطعها فارتخت أعضاؤه فانفلت وانقلب عليه فصار فوقه وجرد خنجره وطعنه به فى نحره
فقضى عليه فأخذ تاجه وسواريه وسلبه وفرسه وعدته وتوجه بها الى المسلمين فلما نظر جيشه ما حل به
ولوا الادبار وأقام زهرة هنالك الى الصباح وأقبل بقية جيش الموحدين فحدث زهرة سعدا بما جرى لمولاه
مع شهريار وكيف انهزم الفرس ففرح سعد بذلك وأمر أن يحضر أبا نباتة فأحضره فقال سعد عزمت
عليك الا لبست سواريه ودرعه وتاجه وركبت جواده قال ففعل فأعطاه السلب جميعه وقال له قد
أفلحت فكان أول مسلم سور بالعراق (قال الواقدى) رحمه الله تعالى حدثنا نوفل بن عدى قال أخبرنا
وائل بن غانم اليشكرى قال لما قدم سعد الى كوثاريا نزل فى المكان الذى سجن فيه ابراهيم الخليل
عليه السلام فصلى فيه وحمد الله وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم وقرأ وتلك الايام نداولها بين الناس
الآية قال وأقام سعد بمشهد كوثاريا أياما ثم دعا الناس اليه وقال لهم اعلموا أن الله تعالى قد نصركم
فى مواطن كثيرة وقد أراكم ما وعدكم نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم لما قال ستفتح على أمتى كنوز كسرى
وقيصر وقد ملكتم طرفا من كنوز كسرى والتمام على الله وقد عولت على العبور الى المدائن التى من
الجانب الغربى فقالوا جميعهم أيها الامير ما منا من يخالف ولا يبخل بنفسه على الله ورسوله فاعزم ولا
حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال فلما سمع قولهم قدم زهرة برايته وجيشه وأمره أن يسير فسار فى اثنا
عشر ألف فارس فما سار غير قليل اذ رأى بين يديه خيلا وعليها فوارس فأخذوا أهبتهم فاذا هم زهاء من
مائتين فارس من الفرس فأرسلوا منهم فارسا يعلم المسلمين أنهم أهل ساباط ومقدمهم يقال له سرزاد وهو
يطلب لاهل بلده صلحا وعهدا فقال له زهرة ائتنى به فلما قربوا منهم ترجلوا وأتوا المسلمين فتلقوهم
بالبشر والسرور فقال لهم زهرة من أنتم قالوا نحن أهل ساباط وهذا مقدمنا وقد اقبلنا نطلب صلحكم فقال
زهرة من قصدنا قبلناه ومن أراد صلحنا صالحناه واستقاموا ما نريد الفساد فى الارض ثم أمضى صلحهم
على ما وقع عليه الاتفاق بينهم قال وانطلق سرزاد الى قومه ومعه جماعة فرحين بالصلح ولما نزل زهير
فى نهمشير وجد كتائب الفرس وعليهم مقدم يقال له فيروز وهو فارس قومه ومعهم كتيبة كسرى التى
يعتمد عليها فى وقت شدته قال واجتمعت جيوش الموحدين عند زهرة مع سعد وتأهبوا للقتال (قال
الواقدى) رحمه الله تعالى فلما ترتبت الصفوف كان أول من برز واشتهر وسما وافتخر فيروز ورطن
بالفارسية وقال يا هؤلاء العرب لقد أطمعتم انفسكم فيما لا تصلون اليه وساءت ظنونكم وزعمتم انكم
تملكون العراق وتأخذونه من أيدى الاكاسرة وهذا ظن لا يصير أبدا ونحن كتيبة كسرى اولو الشدة
والبأس والقوة والمراس وأنا مقدمهم والرئيس فيهم فليبرز الى مقدمكم ويفعل مثل ما فعلت أنا من بين
قومى قال فما استتم كلامه حتى خرج اليه هاشم بن المرقال بجر قناته من ورائه وحمل عليه وحصل بينهما
حرب يشيب منه الطفل ثم ان هاشما طعنه فى صدره فأطلع السنان من ظهره قال فلما قتله هاشم ورجع
الى المسلمين قبله سعد بين عينيه فترجل هاشم وقبل رجل سعد وقرأ أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من
زوال قال وارتحلوا فى أثرهم الى ان نزلوا نهمشير وبقى كلما أقبلت قبيلة تكبر وتنزل الى ان احاطوا بهم من
كل جهة فأظهر القوم الزينة والسلاح والعدد والمجانيق وهم على الاسوار (قال الواقدى) رحمه الله
تعالى وأقام سعد على نهمشير شهرين وبعث خيله للغارات على شط الفرات والدجلة فأتوا ومعهم ألف
فلاح فضمهم الى سرزاد مقدم ساباط حتى يأتيه الجواب فيهم من عمر بن الخطاب رضى الله عنه ويرجعوا

تجارهم ولا يتعرضون للرعايا فى شئ * لكن لما دخلوا لم يقتصروا على نهب أموال المماليك بل نهبوا الرعايا وقتلوا جملة من الناس لما

الى مقرهم فكتب سعد الى أمير المؤمنين يقول بعد البسملة أما بعد سلام عليك ورحمة الله وبركاته فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه وانا نزلنا على نهر شير بعد ما لقينا فيما بين القادسية ونهر شير عسكرا مع قرط بن فيروز وظفرنا الله به وبمن معه وان فيروز قتله هاشم وانهزم من بقى معه ونزلنا بعد ذلك على نهر شير وبثثنا عساكرنا فاصابوا من الفلاحين الف نفر فما رأيك فيهم فاجابه ان من أتاكم من الفلاحين اذا كانوا مقيمين على عهدكم ولم يعينوا عليكم عدوكم فلهم أمانهم ومن لم يأتكم وهرب منكم وادركتموه فشأنكم واياه افعلوا فيه ما شئتم فلما جاء الكتاب خلى سبيلهم وارسل وراء الدهاقين فدعاهم الى الاسلام او الجزية فاجابوا الى اداء الجزية قال واما اهل مدينة نهر شير فشرعوا يرمون عسكر المسلمين بالسهام والحجارة والمجانيق فلما نظر سعد الى ذلك دعا مرزاد وقال له ان أهل هذا البلد لم يتركوا للصلح موضعا وأريد منكم ان تصنعوا لنا مجانيق فعمل مرزاد وعمل مجانيق فما مضت ثلاثة ايام حتى صنع له ذلك ونصب له ذلك على نهر شير أكثر من عشرين منجنيقا فأشغلوهم بها عن قتال المسلمين والعرب فرحت بذلك فلما طال على البلد الحصار خرجوا يقاتلون المسلمين وتبايعوا على الصبر فقاتلهم المسلمون قتالا شديدا وترامت الفرس بنشابها والعرب بنبالها وقال زهرة بن الجويرية قتالا يرضى الله ورسوله ثم ان زهيرا قال لسعد دعنى أتقدم لعلى أرمى بنبلة أو أضرب بسيفى هذا ضربة فتقدم ودخل العدو فتلقاه فارس اسمه شهرياض فحمل عليه وطعنه طعنة أخرج بها امعاءه وقتله فاجتمعت عليه الاعاجم فقتلوه وانهزموا ودخلوا المدينة وأغلقوا الابواب وصعدوا على الاسوار وبعدها اشرف علينا رجل منهم وقال ان الملك يقول لكم هل لكم فى الصلح على أن لنا ما بين دجلة الى هنا ولكم ما يأتيكم من دجلة الى خيلكم فتقدم اليه ابو مقرة الاسود بن قطينة وقد انطقه الله بما لا يدرى ما هو فاجابه بالفارسية وهو لا يعرف منها شيأ ولا يحسنها قال فرجع الرجل على السور فقلنا لابى مقرة ما قلت له فقال والذى بعث محمدا بالحق ما أدرى ما قلت له الا أن الله انطقنى بشئ ولعل ان يكون فيه خير للمسلمين ولا زالوا يسألونه حتى سأله سعيد بن أبى وقاص فقال والله يا أمير ما أعلم ولا أدرى فتعجب سعد من ذلك وامر الناس بالزحف والرمى وان لا احد من أهل المدينة يظهر لهم ولا يبين فقلنا لعلهم أن يكونوا بكيد ونناعكيدة واذا نحن فى اليوم الثانى برجل قد خرج الينا وهو ينادى الامان الامان فامناه وأتينا به الى الامير سعد فقال له ما الخبر قال ان القوم ليسوا فى المدينة وقد هربوا فقال سعد ومن أى شئ هربوا فقال الرجل ان الملك بعث اليكم رسولا يعرض عليكم الصلح فاجبتم انه لا يكون بيننا وبينكم صلح أبدا حتى نأكل عسل افريزيا نوح كونا فلما بلغته هذه الكلمات منكم قال واويلاه ان الملائكة تتكلم على السنتهم وترد علينا وتجيبنا عن العرب والله لئن لم يكن كذلك والا فاغا هو شئ ألقى على فم هذا الرجل فابرزوا الى القصوى فخرجوا من البلد وقد تركوا المتاع والاموال والرجال ولم يكن لهم غنيمة الا أنفسهم قال فلما سمع سعد ذلك من الرجل سجد لله شكرا وأمر المسلمين أن يدخلوا المدينة بالعدد خوفا من الكمين ففعلوا وركب سعد وتقدم المجاهدون ودخلوا وداروا بالبلد فلم يجدوا فى نهر شير أحدا من الفرس ووجدوا الاموال على حالها فاحتووا عليها وأقام سعد بها ثلاثة أيام وخرج الى الشط وأراد أن يعبر بالناس الى المدينة القصوى وهى أسبانير فلم يجدوا شيأ من السفن فاقام أياما من شهر صفر والناس يحرضونه على العبور الى ذلك الجانب وهو يأبى اشفاقا على المسلمين فبينما هو كذلك اذ جاءه اعلاج فوقفوا بين يديه ودلوه على مخاضة تخاض فأبى

﴿ذكر فتوح الايوان ودخول المسلمين فى الدجلة وفتوح أسبانير وهى المدينة القصوى﴾

فلما دلوه على المخاضة أبى وقال بحر عميق وما كنت أغرر بالمسلمين والله يصنع بهم ما يشاء فبينما هو كذلك اذ أتوه بعلج وأثوابه تقطر بالماء فسأله سعد عن حاله فقال كيف حالى والملك قد رأى فى منامه ان المسلمين قد عبروا اليه وقد استشعر بزوال ملكه وهو معول على الهرب وان يأخذ أمواله ويمضى الى خراسان قال

قامت عليهم أهل مصر بسبب طلبهم تفريد غرامة على البيوت وقتل منهم ما يقرب من الالف وهتكوا بعض الاعراض فى مصر

فلما سمع سعد ذلك جمع المسلمين وحمد الله واثنى عليه وقال أيها الناس ان عدوكم قد استعصم منكم
بهذه السفن وكسرى قد عول على الهرب باموالة ورجاله وانى قد عولت على العبور ان شاء الله تعالى
واعلموا انه ليس وراءكم من تخافونه لان الله قد ملككم معاقلهم وبلادهم وقد رأيت من الرأى أن نقطع
هذا البحر اليهم ونقدم عليهم فما انتم قائلون فقالوا جميعا قوى الله عزمك على الرشد فافعل ما أراد الله به
فعندها قال سعد رحمكم الله ونصركم أيكم يبتدئ أو يتقدم ويجس لنا المخاضة وينبش عليها من على
الشط حتى تتلاحق به الناس فابتدرها عاصم بن عمرو وانتدب معه ستمائة من اهل النخوة ممن شاع
ذكرهم وغاخرهم وعلت شدتهم وسار عاصم امامهم حتى وقف على الشط ومعه الكتيبة الخرساء
وهى كتيبة القعقاع بن عمرو رضى الله عنهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنا يونس بن عبد الاعلى عن
يوسف بن عمر وقال ابتدر عاصم وشرحبيل وأبو مقرن ومالك بن كعب الهمدانى ومثل هؤلاء السادات
وركبوا خيولهم واقتحموا الدجلة واقتحم بعدهم الستون والستمائة فى أثرهم وأول من نزل فى الماء
عاصم بن ولاد وأبو مقرن وشرحبيل ومالك بن كعب وغلام من بنى الحرث فلما رآهم الاعاجم وقد قربوا
منهم واعدوا الخيل التى تقدمت خيلا منهم اقتحموا الماء فاول من لقيهم من جيش سعد عاصم بن عمرو و
فلما التقى خيل فارس فى الماء صاح بأصحابه وقال شرعوا رماحكم الى الاعلاج واقصدوا أعينهم فلما
سمعوا كلام عاصم قصدوا عيون العدا وسقوهم كاس الردى فلما رأت الفرس ثبات العرب فى الماء
كثباتهم فى الارض للطعن والضرب ولوا الادبار والمسلمون فى أثرهم فقتلوا اغلبهم وما نجا الى الشط الا
القليل وملك المسلمون جانب الشط من جهة الفرس وتلاحق المسلمون فلما علم سعد ذلك أذن للمسلمين
بالاقتحام وقال لهم استعينوا بالله وتلاحق الجند ونزلوا الدجلة وهى ترمى بالموج والناس يجهدون فى
عومهم وهم لا يكترثون بالموج ولا بتلاطمه وكأنهم على وجه الارض ونزل بأهل فارس مالم يكن فى
حسابهم وقاتلوا قتالا شديدا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى من أثق به ان اول من عبر من
الجيش ستون فارسا خرجوا زمرا فاول زمرة تسعة أولهم عاصم والزمرة الثانية ثلاث وثلاثون قال عاصم
ابن عمرو وقد اقتحمنا الدجلة خيلا ورجالا ودواب حتى نزلنا لا نرى الماء من كثرة الناس وخرجت
خيلنا وهى تنفض معارفها وتصهل على الشط الهاما من الله قال ولما رأى الملك كسرى ان المسلمين قد
عدلوا الى الجانب الثانى أمر شهريار بن ساور أن يبرز للمسلمين ويقف فى مقابلتهم ففعل وأخذ كسرى
ماقدر على حمله من امواله من الدر والجواهر واليواقيت وما أشبه ذلك قال وان سعدا يخوض الماء
خوضا وهو يقول ذلك تقدير العزيز العليم قال ولم يغرق من الناس أحد (قال الواقدى) رحمه الله تعالى
حدثنى النعمان بن عاملة الضبى عن أبيه عثمان انهم سلموا عن آخرهم وان رجلا من بارق يقال له عرقدة
زال عن فرسه وكانت شقراء وكأنى أنظر اليها وصاحبها غريق فثنى اليه القعقاع بفرسه وأخذ بيده
وجره حتى عبر به فقالت الناس عجزت النساء أن تلد مثلك يا قعقاع ولم يذهب للناس فى الماء شئ الا قدحا
كانت علاقته رثة فانقطعت فذهب الماء بالقدح فقال صاحبه والله لأجهدن عليه وما كان الله ليسلبنى
قدحى من بين العسكر فلما عبروا أتى رجل من الناس ليغتسل واذا بالامواج قد رفعت القدح اليه فتناوله
وأتى به الى العسكر فعرفه صاحبه فأخذه (قال الواقدى) حدثنى عمرو بن تميم قال بلغنا انه لما عبرت
المسلمون تحامت الفرس وقاتلت قتالا شديدا وحمت أنفسها وعولت على أن تقاتل الى أن تموت وهم
خواص الملك واصحاب الايوان والحصون والقلاع ومقدمهم شهريار بن ساور فطعنه خالد بن غير فى عينه
ففقأها وانثنى عليه ضربة بالسيف فقتله واذا فاجأتهم خيله من نحو الايوان وقالوا لهم عمن تقاتلون فان
الملك هرب بأمواله وأهله وخدمه قال فلما سمعوا ذلك ولوا الادبار ولم يكن بالمدائن أعجب من عبور المسلمين
اليها وسموا يوم عبورهم الدجلة يوم الجراثيم لانه لم يكن أحد يعبر الا ظهرت له جرثومة يسير معها وهى من
القش المربوط حزما (قال) قيس بن ابى حازم خضنا الدجلة وهى تطفح فلما توسطناها كان يصل الماء

وقراها فان كل قرية حاربتهم نهبوا أموالها وقتلوا رجالها واخذوا نساءها وقتلوا من علماء مصر نحو ثلاثة عشر عالما

من الفرس للحزام فلما نظرت الفرس الى ذلك والمسلمون يعبرون من غير مشقة جعلوا يقولون بالفارسية
ديور يعنى جاء الجن وقالوا والله ما انتم تقاتلون انسا انما تقاتلون جنا فانهزموا وأراد المسلمون الدخول
الى الايوان فمنعهم سعد من ذلك وقال لهم اياكم والعجلة فى الامور فانها تورث الندامة وانى اخاف انها من
بعض مكائد العجم فلم يدخل اليه أحد قال وتقدم سلام الحجازى الى سعد وكان غلاما وقال له ايها الامير
والله لقد أرضيت اليوم الله ورسوله وقتلت المقدم عليهم ثم انه استشهد بقية رفاقه الستين فلم يشهد له أحد
منهم فقال للغلام الحجازى والله ما قتلته فنكس الغلام رأسه وأراد أن ينصرف واذ قد وثب رجل من
الصحابة اسمه هاشم بن عتبة وقال اسعد أيها الامير أنا رأيته وقد قتل مقدم الفرس فصدقه سعد وأعطى
الغلام سلبه (قال الواقدى) رحمه الله حدثنا عبد الله بن بشر قال حدثنا سليمان بن عامر قال أخبرنا
عبد الله ان يزجرد الملك لما كان بأعلى الايوان يوم خاض المسلمون الدجلة ورأى عبورهم والخيل
لا ترجع والعرب لا تجزع والصحابة يتحدثون وهم فى الماء كأنهم على الارض أيقن بزوال ملكه وذهاب
عزه فنزل وهو يبكى وأخذ من بيوت المال والخزائن من الثياب والآنية شيئا لا قيمة له ولا يعرف له ثمن
وترك ما بقى عنده من عدة الحصار من الزاد والبقر والغنم ومن كل الأطعمة والأشربة وكان اول من
دخل المدينة القصوى مسكن الملك وهى اسبانير يعقوب الهذلى ومعه الكتيبة الخرساء كتيبة القعقاع بن
عمرو فدخلوا يخترقون أزقة المدينة ولا يلقون أحدا قال فعزم سعد على الدخول فى المدينة القصوى لما أمر
زهرة بن الحوية أن يذهب بعسكره ويتبع المنهزمين وسير كتيبة أخرى مع المرقال فلحق بحاجب من
حجاب ابن كسرى فخاطبه بالفارسية فقال ان العرب قد عبرت الينا ولم يعرفه فطعنه المرقال فقتله وأخذ
غلمانه أسرى وموجودهم وأتى به الى سعد ويقال أحد مرازبة كسرى الكبار كان يوم دخول العرب
المدينة داخلها وكان غير مكترث بهم فخرج الى ظاهر داره ورجع يريد منزله واذا بغلمانه وهم خارجون
من الدار يهرعون وقد أخرجوا الامتعة فقال ما لكم قالوا ان الزنابير قد غلبت على منازلنا فأخرجتنا
قوة قال واشتد الصياح والبكاء والعويل من أهل المدينة وهم يلطمون على وجوههم فلما رأى
المرزبان ذلك أخرج لامة حربه ولبسها واتوه بجواده فشده وأسرجه فانقطع ثلاث مرات فربه فارس من
العرب فطعنه وقال خذها وأنا ابن المخارق ومضى عنه ولم يلتفت الى سلبه قال ودخل سعد يطلب الايوان
فلما دخل المدينة دخلها وهو يقرأ وأورثناها قوما آخرين فلما دخل الايوان ترجل وصلى فيه صلاة
الفتح ثمان ركعات لا يفصل بينها واتخذه مسجدا قال وكان فى الايوان تماثيل وصور فتركها على
حالها قال وأتم سعد الصلوات من يوم دخل الايوان فانه أراد المقام بها وجمع وكانت أول جمعة صليت
بالعراق وبالمدائن فى شهر صفر ثم ان سعدا تحول من الايوان بعد ثلاثة أيام الى القصر الابيض وأقام
سعد على قبض أموال الغنائم عمرو بن عمرو بن مقرن وأمره أن يجمع ما فى القصور والايوان والخزائن
والدور والاسواق وأن يحصيها وكان أهل المدائن لما رأوا العرب فى أرض واحدة خرجوا فرارا وأخذوا
معهم ما قدروا على حمله وما انفلت أحد منهم بشئ الا وأخذه منهم المسلمون وأتوا به الى سعد فتسلمه عمرو
وصبرها فى جملة ما جمعوه من الاموال وكان أول شئ جمعوه يومئذ بالقصر الابيض ثم منازل كسرى
وسائر دور المدائن قال جهد بن صبارد خلنا المدائن فررنا بأبيار عليها اغطية من رصاص فظننا انها
طعام ففتحناها فاذا هى أوان من ذهب وفضة ورأينا كافورا كثيرا فحسبناه ملحا فلما اعتبرناه وقال
وخرج زهرة فى طلب المنهزمين فانتهى الى جسر النهروان واذا عليه كثير من الفرس بأعظم عدة وأحسن
زينة وهم يزدحمون على الجسر قال ووقع بغل فى الماء فتكاثروا عليه وتكالبوا عليه وصاح بعضهم
على بعض قال ووقع منهم بغل آخر فصاروا فى هرج ومرج فلما رآه المسلمون قال زهرة ان لهذا البغل
لشأنا وما تكالب عليه القوم وصبروا مع ما فى قلوبهم من الخوف الا لأمر عظيم وقال احملوا عليهم وابذلوا
فيهم السيوف قال فحملنا عليهم حملة صادقة فقتلنا منهم أناسا كثيرة وولى الباقى منهزمين وأخذنا البغل

ودخلوا بخيولهم الجامع
الازهر ومكثوا فيه يوما
وبعض الليلة الثانية وقتلوا
فيه بعض علمائه ونهبوا منه
اموالا كثيرة وسبب

واذا عليه حلة كسرى وثيابه ودرعه ووشاحه التى كان فيها الجوهر وكان يجلس بها للمباهاة قال فأتيناه بها قال سهل بن سابق لما أخذنا البغل وأتيناه به لم ندر ما عليه * وعن يعقوب عن جده قال كنت مع من خرج فى طلب المنهزمين واذ نحن ببغلين مع اثنين وهما يرميان كل من يقربهما بالنشاب ولم يجسر أحد أن يدنو منهما فقصدتهما وحملت عليهما وقتلتهما وأتيت بالبغلين الى صاحب الاقباض وهو يكتب كل ما تأتى به العرب من سائر العراق فلما أتيته بالبغلين قال لى على رسلك حتى ننظر ما معك فحططت عنهما واذا فى الحمل الواحد تاج كسرى وجواهره وفى الحمل الثانى ثيابه وهى موشحة بالذهب منظومة بالدر وعن محمد بن طلحة والمهلب قالا خرج القعقاع فى طلب المنهزمين فلحق بفارس من الفرس وهو يكر على قوم من المسلمين وقد جزعوا منه وما أحد منهم يدنو اليه فقصده القعقاع بشدة عزمه وقال له دونك أيها الكلب اللئيم القتال وطعنه فقتله ووجد معه عيبات مغلقات ففتحوها فاذا بالعيبة الواحدة خمسة أسياف وفى الاخرى خمسة أسياف محلاة بالذهب ودروع كسرى ومغفره ومنطقته ودروع هرقل ملك الروم ودرع خاقان ملك الترك ودروع جماعة من الملوك قد اجتمعت عند كسرى من أيام غزواتهم وأما السيوف فكانت سيف كسرى وسيف هرقل وسيف مهود وسيف خاقان وسيف النعمان بن المنذر فلما رآها سعد قال يا قعقاع خذ أى سيف شئت وجاهد به العدو فأخذ سيف هرقل وأعطاه درع بهرام جور وأما بقية الاسلاب فأعطاها الكتيبة الخرساء الاسيف كسرى والنعمان فأمسكهما لأمير المؤمنين يرسلهما مع الخمس والتاج والثياب * وعن رجل من الصحابة قال كنت مع الناس فى طلب المنهزمين من خيل كسرى فبينما أنا على طريق اذا برجل ومعه حمار وكان راكبا عليه فلما رآنى ترجل وجعل يحث حماره على السير حتى انتهى الى نهر قد خرب فلم يمكنه العبور فدنوت منه فأخذ يرمينى بالسهام ففرغت عن رميه وحملت عليه فقتلته وأخذت الحمار ووجدت آخر ومعه حمار فتركه وانهزم فأتيت بهما الى صاحب الاقباض فاذا على أحدهما فرس مصوغ بالذهب والفضة مرصع بالدر والجواهر ولجامه كذلك وسرجه كذلك وعليه فارس كذلك واذا على الحمار الآخر ناقة من فضة وعليها كور من الذهب مرصع ولها زمام من ذهب وكل ذلك منظوم بالياقوت وعليها رجل من ذهب مرصع بالجوهر وكان كسرى يضيفهما للتاج وكان يباهى بهما ملوك الارض * وعن أبى عبيدة العبرى قال لما هبط المسلمون بالمدائن وجمع صاحب الاقباض الغنيمة وبقى الرجل يأتى بما معه فيدفعه الى صاحب الاقباض فقال صاحب الاقباض ما رأينا مثل هذا قط ثم قال للرجل الذى أتى بالحمارين بالله عليك هل أخذت شيأ منه فقال والله لولا الله لما أتيتكم بهما فقالوا له ومن أنت فقال والله لا أخبركم لتحمدونى ولكن أحمد الله وأرضى بثوابه ومضى فتبعوه واحد من موالى صاحب الاقباض فسأل عنه فقالوا هذا عامر بن عبد القيس قال وبلغ الخبر سعدا رضى الله عنه فقال أحلف بالله الذى لا اله الا هو اننا ما اطلعنا على أحد من أصحاب جيش القادسية يريد الدنيا ولقد اتهمنا ثلاث نفر فاتبعناهم فعجزنا عن وصف أمانتهم وزهدهم وهم طليحة بن خويلد الذى ادعى النبوة بعد النبى صلى الله عليه وسلم والثانى عمرو بن معديكرب والثالث هو قيس بن هبيرة (قال) حدثنا من شهد فتح المدائن قال خرجنا بعد فتح القصر الابيض وكان قد تحصن به رجال من المرازبة وكانوا أشد جلدا وأقوى عزيمة من جميع الفرس وتحالفوا أنهم لا يسلمون أبدا والذين حصلوا وتولوا حصارهم كتيبة الاهواز وهى كتيبة القعقاع فلما رأينا عزمهم على الموت بعد ناعر نشابهم وحجارة مجانيقهم وطال علينا ذلك وشكونا ذلك الى سعد وقلنا له قد حرمنا الجهاد بحصارنا هؤلاء الاعلاج فقال سعد لسلمان تقدم اليهم ودبر شيأ فيه مصلحة للمسلمين وأمنهم فتقدم اليهم سلمان وكلمهم بالفارسية فأمسكوا عن رميه وقالوا له من أنت فقال أنا رسول من المسلمين اعلموا أن الرجل يقاتل عن نفسه وماله وولده اذا رجا الخلاص وما أرى لكم من خلاص قط وهذا الملك قد انهزم وأخذنا مملكته وخزائنه وما بقى فى المدائن أحد غيركم فاتقوا الله فى أنفسكم ولا تهلكوها وسلموا الينا هذا

وجودها فيه ان أهل البلاد ظنوا ان العسكر لا يدخله فحولوا فيه امتعة بيوتهم فنهبوها ونهبوا أكثر البيوت التى حول الجامع

الحصن ولكم الامان الى أى جهة توجهتم لا يعارضكم منا أحد قال فلما سمعوا قوله قالوا لا نسلم حتى نملك
عن آخرنا ثم رموا سلمان بالنشاب فقرأ ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال
وكان الله قويا عزيزا واشار الى النشاب بيده فذهبت السهام يمينا وشمالا ولم يصبه منها شئ قال فلما رأوا
ذلك قالوا ازنهار فبحق من تشير اليه من أنت قال أنا روزبة وقد عمرت أربعمائة سنة ولحقت آخر أيام عيسى
ابن مريم وطفت الارض حتى لحقت بنبي هذه الامة صلى الله عليه وسلم فلما أتيته أكرمني وخدمته
وعظمني حتى انه جعلني من أهل بيته فقال سلمان منا أهل البيت فلما سمعوا قوله وحققوا معرفته علموا
أنه كان من عظماء أهل دينهم قال فصقعوا له وقالوا والله ما نخفى عليك شيأ من أمرنا وسبب قتالنا فانه
ليس بسبب مال ولا متاع وانما الملك قد مضى يريد نهاوند ولم يقدر على أخذ ابنته معه وهي مريضة وقد
سلمها الينا فلزمنا من أمرها ما لزم فان كنتم تعطونا الامان عليها سلمنا اليكم والا غوت يدا واحدة فلما
سمع سلمان منهم ذلك قال دعوا هذا الامر حتى أشاور الامير ثم عاد وحدث سعدا بما سمعه فقال يا عبد الله
ان المسلمين قد انتشروا فى العراق ونخاف أن يقع بهم أحد فلا يبقى عليهم ولكن قل لهم لكم علينا أن
نذب عنكم وتكونوا فى ذمامنا حتى تجاوزوا أى جهة تريدونها وبعد ذلك لا نضمن لهم ما يأتى عليهم قال
فحدثهم سلمان بما قاله الامير فقال العقلاء منهم لولا أن العرب على حق ما نصروا علينا ومن الرأى أن
نرجع الى دين هؤلاء العرب ونعيش فى ظلهم وان القوم لا يريدون ملكا وقد رأيتم هذا الرجل وما ظهر
لكم من كرامته قال ففتحوا باب السر وخرجوا الى العسكر وأتوا الى سلمان فأتى بهم الى سعد وأسلموا
على يديه فلما جرى ذلك بكى سعد وقال اللهم انصر الاسلام وقرأ قوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس
وبعث الى صاحب الاقباض وأخذ جميع ما فى القصر الابيض من الاموال وخزانة الملك فلما قسم
الغنائم على المسلمين أعطى أولئك أوفى نصيب وأنزل كل واحد منهم فى داره فلما رأى أهل البلد ذلك
منه وما صنع مع هؤلاء دخل فى دين الاسلام ومنهم ألوف اقتداء بالقوم ❋ قال الواقدى رحمه الله
تعالى ❋ حدثنا موسى بن عبد الله عن عمرو عن جده قال بلغنا غير هذا وذلك ان هاشم بن عتبة
تبع المنهزمين من جنود الملك فانتهى سيره الى مرج حلوان فالتقى بكتيبة من اهل فارس بالعدد
والسلاح والهوادج والخدم والجوارى والمماليك وقد دار بمحفة من العود الرطب وعليها من الثياب
الملونة المذهبة وأهلتها من الذهب مرصعة بالجوهر وهى تأخذ بالابصار فلما رأى هاشم ذلك كر عليهم
بكتيبته وحملوا بجملتهم قال فصبروا لهم وقاتلوا دون المحفة قتالا شديدا وكانت المحفة اشاهران ابنة الملك
يزدجرد بن كسرى وكان السائر بها ساقر بن هرمز فقتله وقتل أصحابه اكثرما كان مع ساقر وولى الباقى
منهزمين وتسلم هاشم المحفة وما حولها واتوا بذلك كله الى سعد واعلموه بان ابنة كسرى معهم فقرأ سعد قوله
تعالى قل اللهم مالك الملك الآية ثم اشرف سعد على ما بقى من الخزائن فوجد صندوقا عظيما ظاهره وباطنه
بالديباج المذهب وفى داخله بساط كسرى وهو البساط الذى كان يفتخر به على الملوك ملوك الدنيا كله
ذهب منسوج بالحرير منظوم بالدر واليواقيت الملونة والمعادن والجواهر المثمنة والزمرذ وكان طوله
ستين ذراعا قطعة واحدة فى جانب منه كالصور وفى جانب كالشجر والرياض والازهار وفى جانب كالارض
المزروعة المبقلة بالنبات فى الربيع وكل ذلك من الحرير الملون والمعادن على قضبان الذهب والزمرذ
والفضة وكان الملك لا يبسطه الا فى أيام الشتاء فى ايوانه اذ قعد للشراب وكانوا يسمونه بساط النزهة
والمسرات فيكون لهم شبه الروضة الزهراء فلما رآه العرب قالوا والله هذه قطيفة زينة قال ولما قسم سعد
على الناس الغنائم أصاب الفارس اثنا عشر آلف دينار وكلهم كانوا فرسانا ولم يكن فيهم راجل وأخرج
للغائبين مع النساء والحريم فى الحيرة نصيبهم وقسم الدور بين الناس وكان قد ولى القبض عمرو بن عمر
المدائنى وولى القسمة سليمان بن ربيعة وكان فتح المدائن فى شهر صفر وأخرج الخمس لعمر بن الخطاب رضى
الله عنه وأراد أن يقسم البساط فلم يدر كيف يقسمه فقال سعد معاشر المجاهدين انى رأيت من الرأى أن

ونشروا الكتب التى فى
الخزائن يعتقدون ان بها
اموالا واخذ من كان معهم
من اليهود الذين يترجمون
لهم كتبا ومصاحف نفيسة

نرسله الى عمر ليصنع فيه مايختاره فاجابوه عن لسان واحد نعم مارأيت أيها الامير فردوه الى صندوقه وأضافه الى الخمس وكتب الى عمر رضى الله عنه يقول بسم الله الرحمن الرحيم الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه من عامله على العراق سعد بن أبي وقاص أما بعد فسلام عليك وانى أحمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم على مامنحنا الله الظفر على العدو الذى أطاع شيطانه وأرخى فى ميدان العمى عنانه وقد أجرنا الله سبحانه على جميل العادة وأخذنا الملك من يزدجرد بن كسرى فى كثرة اطواده واحتراز رؤس أجناده الذين جاست الهيبة ديارهم وضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم وقد انهزم عدو الله بعد ماقتلنا جنده وأخذنا ابنته وانا منتظرون أمرك فيما يكون بعد هذا ونحن مقيمون على المدائن والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته وسلم الكتاب والمال الى بشر وضم اليه خمسمائة فارس وسلمه ابنة كسرى بجمعتها وخدمها ثم ان سعدا رأى رأيا أن يسير بشيرا يبشر عمر بفتح المدائن وبقدوم الخمس وبما أنعم الله على المسلمين ليكون أزيد هيبة وبهجة بالفتوح فارسل جيش بن ماجد الاسدى أو ابن هلال والله أعلم فخرج على ناقته وقصد المدينة يجد السير قال وكان عمر رضى الله عنه فى كل يوم بعد مايصلى الصبح يقرأ ما تيسر ويركب ناقته ويتوجه نحو طريق العراق ويرتقب مايرد عليه من أخبار المسلمين قال فخرج على حسب العادة واذا هو بجيش قد اقبل على ناقته فلما رآه عمر قصده وقال له ياعبد الله من أين اقبلت قال من المدائن ياأمير المؤمنين قال فما عندك من الخبر أقر الله عينك وغفر لنا ولك قال ابشر ياأمير المؤمنين بالفتح العظيم والسعد الجسيم وان الله سبحانه وتعالى قد هزم جند المشركين وقطع دابر القوم المجرمين وأخلى منهم ديارهم وأخفى آثارهم وزعزع مراكبهم وطحطح مواكبهم وكتائبهم وشتت جموعهم وأخلى ربوعهم وقصم آجالهم وفرق أحوالهم وترك مساكنهم خالية وأوطانهم خاوية قال فلما سمع عمر رضى الله عنه هذا المقال حمد الله وأثنى عليه وقالوا اخذلوا من مأمنهم وسار وهو يحدثه بفتح المدائن حتى دخل المسجد وتسامع الناس فاتوا حتى غص المسجد بالناس وأقبل جيش يحدثهم وهم يكثرون الثناء على الله ويصلون على النبى صلى الله عليه وسلم وبعدها وصل بشر بالمال ومعه ابنة الملك كسرى ولباسه وتاجه وسلاحه وبساطه فلما نظر عمر الى ذلك قال ان الذى أهدى الينا هذا الأمين فقال على كرم الله وجهه انك عففت فعفت الرعية فحمد الله وأثنى عليه وأفرز من الخمس سهم من غاب من المسلمين وقسم الخمس فى مواضعه ثم قال أشيروا على فيما أصنع فى هذه القطيفة أعنى البساط فقالوا رأيك أعلى فقال على كرم الله وجهه لم يدخل عليك جهل ولا تقبل شكا وانه ليس لك من الدنيا الا ما أعطيت فامضيت وابست فابليت وأكلت فافنيت قال فوالله لقد صدقتنى ياأبا الحسن ثم انه قسم البساط قطعا بين الناس قال فاصاب كل رجل منهم قطعة فباعها بنحو العشرين ألف دينار فلما فرغ من توزيعه وتوزيع مال الخمس دعا بحكم بن رواحة وكان من أجسم أهل المدينة وأجفاهم خلقة فالبسه زى كسرى ووشاحه وتاجه وسواريه ومنطقته وحلاه بحليته وعصابته وسيفه وسلاحه وعدته ونظر الناس اليه كانه كسرى فى ملكه فقال عمر رضى الله عنه اعتبروا بالدنيا وتقلباتها باهلها ومايرى من مصائبها وعطبها هذا كسرى مازال يفتخر على ملوك الدنيا بكثرة أمواله وذخائره وجواهره وعزه وجنوده ولم يقدم لنفسه شيئا ينفعه عند الله وغرته الامانى الكاذبة فاخذه الله من مأمنه وبقى مرتهنا بما اكتسب فى دينه ودنياه ثم قال أيها الناس هذا ملك المدائن قد انتقل عن أصحابه وتوزع بين أربابه أين تلك الحشمة والسلطان اين الجنود والاعوان أين الغلمان أين المماليك والخدام أين التاج والاكاليل أين الجيش والفيل أين الصاحب والخليل وقرا قوله تعالى قل متاع الدنيا قليل ثم قال أيها الناس من له منكم يد سابقة فليقم فقام عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضى الله عنه فقال أنا ياأمير المؤمنين ابن الصاحب والخليل وابن أول من آمن ووازر وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصر وأنفق ماله وتصدق ودخل معه

ومكث بونابارته امير الجيوش الفرنساوية فى مصر سبعة اشهر ثم فى غرة رمضان من تلك السنة توجه الى الشام لقتال الوزير

الغار وانتصر وجاهد بين يديه وحاجج من كفر وجادل وافتخر وأنزل الله فيه لا يستوى منكم من
أنفق من قبل الفتح وقاتل فقال عمر رضى الله عنه والله لقد صدقت وبقليل من فضله قد نطقت ثم أمر له
بخلعة وعشرة آلاف درهم ثم قال أيها الناس من يقم منكم فقام عثمان بن عفان وقال أنا من جهز جيش
العسرة وحفر بئر رومة وألف القرآن وجمعه وختمته فى ركعتين وتزوجت الابنتين وصليت الى
القبلتين وأنفقت المال فى حبه وأنزل الله فى حقى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة
ويرجو رحمة ربه فقال عمر رضى الله عنه أحسنت يا أبا الفتيان فمثلك من رفض الكذب وأبان الحق
وأمر له بعشرة آلاف درهم ثم انه نظر الى الاخوين الزاهدين والغصنين النضرين سيدى شباب
أهل الجنة وريحانتى نبى هذه الامة وقال لهما يا حبيبى ما الذى أخركما من مثلكما يفتخر وقال ألستما
سبطى الرسول ألبست أمكما فاطمة البتول أليس أبوكما سيف الله المسلول أليس فى بيتكما نزل
التأويل أليس كان سادسكما تحت العباء جبريل أليس فيكما أنزل الله الجليل ما على المحسنين من
سبيل فان افتخرتما فلكما الفخر البليغ ثم أمر لكل واحد منهما بعشرين ألف درهم فقال على لله درك
يا عمر ومن مثلك تكلم ونشر ومدح أهل البيت وأثنى وذكر خيرا وشكر ثم قال أيها الناس من كان لابيه
سابقة فليقم فقام عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وقال يا أبت أما أنا ابنك وأنت أبى لك الفضائل والحمد
والافتخار فى الامة ولك الوقار والرجاحة والفصاحة والنصاحة نصرت الاسلام والمرسلين واتبعت
سنن سيد المرسلين وأنزل فى حقك أرحم الراحمين يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين
وأنت الذى أظهرت الاسلام جهرا وقلت لا يعبد الله سرا فقال عمر يا بنى الشقى من يغتر بالدنيا
الساحرة والسعيد من يعمل للآخرة وقرأ من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم أمر له بألف درهم فقال
يا أبت أنا هاجرت وأنفقت ونصرت وزعزعت مواكب الروم وما قصرت وتأمر لى باليسير من مال الله
الكثير وتعطى هؤلاء ما أعطيت فقال يا بنى اسلك طريق الانصاف ولا تتبع الاسراف وأنا أقول
لك ان كان لك جدا كجدهما أعطيتك أو أم كأمهما وفيتك وان كان لك أب كأبيهما أرضيتك يا بنى
كل نسب ينفصل يوم القيامة ويخفى الانسب البتول ولما فرغ من ذلك أمر بابنة كسرى أن يوقفوها
فاوقفت بين يديه وعليها من الحلى والحلل والزينة والجواهر شىء كثير وأمر أن ينادى عليها فقال للمنادى
أزل عنها هذا القناع ليزاد فى ثمنها فتقدم اليها المنادى ليزيل عنها ذلك فامتنعت وضربته فى صدره
فغضب عمر وهم أن يعلوها بالدرة وهى تبكى فقال على كرم الله وجهه مهلا يا أمير المؤمنين فانى سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ارحموا عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر فسكن غضب عمر رضى الله عنه
ونظر اليها فرآها تحدق بالنظر الى الحسين بن على رضى الله عنهما فقال عمر رضى الله عنه سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وانى أرى هذه الجارية تحدق
بنظرها الى الحسين بن على وما خفى على انه ارادته من دون الناس أجمعين لانه ليس فينا أصبح وجها منه
ثم قال يا أبا عبد الله خذها هدية منى اليك فشكره على ومن حضر من المسلمين (قال الواقدى رحمه الله
تعالى) قال يونس بن عبد الاعلى حين قرأت عليه فى المسجد الاقصى فى شهر ربيع الاول سنة مائتين
وتسعين من الهجرة حدثنا عدنان بن ماجد الغنوى قال لما انهزمت الفرس من المدائن واستولى عليها
سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه وكان من أمره ما ذكرناه استقر قراره بالقصر الابيض وجلس حيث
كانت الاكاسرة تجلس فلبس عند ذلك ثياب النسك والخشوع وتسربل سربال الخضوع وعلم ان الدنيا
أضغاث أحلام وان الآخرة هى دار المقام وكلما نظر الى آثار الاكاسرة وملكهم ازداد يقينا ودينا على
دينه قال وأنشد عاصم بن عمر فى ذلك بعد فتح المدائن يقول

شهدنا بعون الله أفضل مشهد * بأكرم من يقوى على كل موكب
ركبنا على الجرد الجياد سوابحا * بكل قناة بل بكل مقضب

المعظم احمد باشا الجزار
فحاصره حصارا شديدا
فى عكا فلم يقدر الله ظفره به
وقتل معظم عسكره ورجع
الى مصر وترك جانبا من

وكنا بعون الله لا نرعوى اذا * تبادر طعن كالغمام المشطب
وكان جهاد قد ملكنا بامره * من الملك مستعلى البناء المذهب
ترانا وانا فى الحروب أسودها * لنا العزم لا يخفى لكل مجرب
نجول ونحمى والرماح شوارع * ونطعن يوم الحرب كل مخبب
قدمنا على كسرى بشدة حربنا * وماحربنا فى النائبات بمختبى

(ذكر فتوح مدينة نشاور)

وهى آخر فتوح العجم والعراق (قال ابو عبد الله الواقدى) رحمه الله تعالى وكان من قضاء الله وقدره ان ابن كسرى لما انهزم من المدائن مضى الى حلوان وانضاف اليه كل من وصل اليه من المنهزمين من الاساورة والمرازبة والديلم وغيرهم فقام فيهم خطيبا وذكر زوال ملكه وامر ابنته وخزائنه وامواله وبكى وبكت ارباب دولته ثم قال يا اهل فارس ان الدنيا دنية الفعال سريعة الزوال قريبة الارتحال وهذا ملككم قد زال وعزكم قد حال ودياركم قد سكنت ومعاقلكم قد اخذت وحصونكم قد هدمت واموالكم قد نهبت وبناتكم قد سبيت والعرب قد استولت على العراق ولا بد لهم منكم ولا منى لهم عنكم وستنظرون خيلهم وقد طلبت خراسان والرى وهمذان ومابقى لكم جهة تتوجهون اليها الا بلاد آبائكم واجدادكم فانتبهوا وانتهزوا الفرصة وازيلوا الغصة وادركوا مابقى من ايامكم ولا ترتدوا على ادباركم وقد بلغنى ان الدونوس العادى ابن هربن كيقباذ بن يزدجرد التقى هو والاسكندر بن القليس الرومى وما زالا يقاتلان ويقتتلان حتى قتل احدهما فاشمروا انتم عن ساق الجد ودونكم والقوم هذه الكرة امالكم واما عليكم فلعل النار والنور ينصرانكم وانفق فيهم ما كان معه فاستعدوا للقاء واخذوا على انفسهم وضربوا خيامهم فى مرج حلوان وجاء علماء دينهم واوقدوا لهم النار وقربوا لها القربان وتحالفوا ان لا ينهزموا ولو ماتوا عن آخرهم قال ومضت نساؤهم وبنات ملوكهم وابطالهم الذين قتلوا فى الثياب ملطخات بالدماء وهن يستفززن الجيوش والعساكر من بلاد العجم وغيرها قال وان الحجاب والمرازبة والاساورة تعاهدوا على ان لا يفروا او يموتوا عن آخرهم (قال الواقدى) رحمه الله تعالى حدثنى محمد بن عاصم بالكوفة بعد ما اخذها المسلمون قال لما فتحت المدائن واتخذها المسلمون وطنا فما كان دأبهم الا ان يحفروا دور الفرس ويخرجوا خباياهم وأموالهم قال عبد الله بن جحفة حضرت العرب وقد أخرجوا من ازاء القصر الابيض من مصنع هناك للفرس الا كامرة مملوءة من الذهب على صفة الفارس وقد سكبوا عليه الماء حتى غار فى الارض وكانت ملوك الفرس يفتخرون بذلك على سائر الملوك فوالله لو قسم ذلك على عرب بكر بن وائل لكان يسد منهم مسدا وجاءت عيون المسلمين الى سعد واخبروه بما فعل القوم واجتماعهم فى مرج حلوان فى مائة ألف وقد وجهوا اثقالهم ومايعز عليهم الى الجبل وهم يطلبون لقاءكم قال واجتمع المسلمون فى الايوان وقالوا أيها الامير ان العدو قد اجتمعوا بمرج حلوان وتعاهدوا على ان لا ينهزموا أبدا ويموتوا عن دم واحد يريدون مدائنهم قال فكتب سعد الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعلمه بذلك ويقول له ان أهل الموصل قد مات ملكهم الانطاق وقد تولى عليهم الشكان بن قالوص وارتدوا عن صلحنا وعول ملكهم على ان يكون عونا لاهل فارس علينا والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته فلما وصل الكتاب الى عمر أرسل يقول له يا سعد اعلم ان الله منجز وعده وبعث اليه هاشم بن عتبة فى اثنى عشر ألف فارس من المهاجرين والانصار ألفان والبقية من العرب قال وان ابن كسرى لما حصن حريمه وأمواله فى الجبل أمر على عسكره مهران الدارى ووصاه وسار مهران بالعسكر فركب معه ابن كسرى مقدار ميل وودعه ورجع الى حلوان والمدد يأتى اليه من سائر بلاد العجم قال ووصل مهران الى مدينة نشاور ونزل بها فى دار الولاية وأقام بها فلما كان الغد ركب فى وجوه قومه ودار بهم على أسوارها وأبوابها وأمر بتحصينها فى علوسورها ونصب آلات الحصار

عسكره فى العريش وكان قد حصن القاهرة ببناء القلاع حولها ثم جاء عسكر من جهة الروم الى ناحية ابى قير معهم مصطفى باشا

بالعرادات

بالعرادات والمجانيق وحفر خندقا عميقا وصب ثم حسكا من الحديد وجعله حول المدينة والخندق وما خلى
من اهل البلد صغيرا ولا كبيرا حتى استعمله فى السور والخندق وادخر القوت وعلف الخيل وما يحتاجه
للحصار واستوثق من اهل البلد الكبير والصغير منهم وأخذ رهائنهم وحلفهم على ان لا ينهزموا أبدا قال
فلما اتفق ذلك كله أقام ينتظر قدوم المسلمين قال وأما هاشم بن عتبة فانه سار فى اثنى عشر الف مجاهد
حتى أشرف على مدينة نشاور فوجدها محصنة بالعدد والعدد وقد أظهر الزينة والسلاح على الابراج
بالدروع والجواشن والمجانيق والعرادات والبيارق والاعلام ووضعوا فى أركان المدينة على الابراج
قباب حديد ليضرموا فيها النار ويسجدوا لها ويستنصروا بها على العرب فلما أشرف عليهم عسكر هاشم
ابن عتبة ضجوا بكلمة كفرهم وأشاروا الى الشمس والنيران يسجدون لهما قال والارض ترتج من تحتهم
والسماء ترعد من فوقهم والاكوان تسترجع وتصيح فى هلاكهم فنودوا من قبل الله ان اسكنوا عن
اضطرابكم فأنا الحليم الذى لا أعجل على من عصانى ولا أخيب من دعانى أنا الذى تسبح لى السموات ومن
فيها والارضون بنواحيها وقد سبق فى علمى ان أطهر هذه الارض من الارجاس وأبدلها بمن قلت فيهم
كنتم خير أمة أخرجت للناس انا الذى أمهل ولا أهمل وعزتى وجلالى لأطهرن هذه الارض من الكفرة
الملحدين والفئة المفارقين ولأبدلن بيوت النار بمساجد أذكر فيها آناء الليل واطراف النهار يعمرها
رجال قد أحسنوا الظنون وذكرتهم فى الكتاب المكنون ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن
الارض يرثها عبادى الصالحون (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنا عمرو بن ربيعة الشيبانى قال أخبرنا
احمد الطويل قال لما نزل هاشم بن عتبة على مدينة نشاور بمن معه من المسلمين لم يلتفتوا اليهم ولم يكترثوا بهم
وأروهم التجلد والشدة وجعلوا ابطالهم لا يخرجون اليهم فصعب ذلك على المسلمين والمدد واصل اليهم
من عند يزدجرد بن كسرى فاشتدت قلوب أعداء الله فقالوا للمهران الدارى أيها الصاحب ما الذى تنتظر
بنا فى قعودنا ومقامنا من وراء السور وقد اشتقنا الى القتال فاخرج بنا الى هؤلاء القوم فقد ضاقت صدورنا
وضاقت بنا المدينة وهذه الشمس المنيرة تنصرنا وتظفرنا على أعدائنا وكذلك النار والنور فلما رآهم
معولين على القتال أمرهم بالخروج وجعل على خيله جوزان بن جهران وأمره ان يزحف بالجيش فلما
فتح باب المدينة وخرج الفرس فرح المسلمون بذلك وتبادروا اليهم بأسرار صافية وهمم وافية يطلبون
القتال فى مرضاة الله ذى الجلال وأنفسهم لذلك مستبشرة نازحة وهممهم الى الحرب مسرعة فادحة
وقد سئموا من سكنى دار الغرور واشتاقوا الى سكنى القصور ومعانقة الحور وقالوا الهنا قد سئمنا من
هذه الدار واشتقنا الى دار القرار ومجاورة المختار فأنجز لنا ما وعدتنا وسامحنا اذا توفيتنا وأجرنا
من عذاب النار واحشرنا مع الكرام الابرار الذين قلت فى حقهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب
سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قال ولما ركب المسلمون جعل على مقدمة الخيل طلحة بن خويلد
وبقى هاشم على الساقة فقال أيها الناس والله لا تنال الجنة الا بحسن الاعمال فاتركوا من قلوبكم
الميل الى دار اللهو والاهوال والمقام فى دار الزوال جاهدوا لتدخلوا جنة عرضها السموات والارض
فهذه نار الحرب قد فاض تيارها وعلا دخانها واصطفقت أمواجها وبدا عجاجها فاركبوا فيها
سفينة النجاة والانجاد واقطعوا بشراع الاجتهاد هذا الطريق وانشروا أعلام الصدق قال واذا
اصطفت عساكر العجم ودقت بوقاتها ونشرت ازدهاراتها فهم كذلك اذ أقبل عليهم ملك الرى فى اثنى
عشر ألف فارس فلما رأى هاشم ذلك قال يا فتيان العرب لا تنظروا الى كثرتهم وقلتكم فقد كان المصطفى
صلى الله عليه وسلم يوم بدر فى ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا وخذل الكافرين وقد كانت قريش فى حدها
وحديدها وعددها وعديدها ونصر الله نبيه ورسوله قال الله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن
الله والله مع الصابرين واذا بالخيل قد حملت عليهم كأنهم السيل فقال هاشم اخلصوا النيات ولا تولوا
الادبار واعلموا أنه قد تولى عليكم الجبار قال وأطبق الناس بعضهم ببعض وسار وابن البسط

فتوجه اليهم بونابارته مع
عساكره وغدرهم وقتل
منهم جملة وأمر مصطفى باشا
المذكور مع بعض العساكر
الاسلاميين ورجع الى

والقبض وازدحمت الامم وقامت الحرب على قدم وقاتلت أبطال العجم وضربت بحرابها ورمت بصفاحها وفوقت بسهامها وأظلم الجو من الغبرة فى تلك الآفاق واعتمدوا على الضرب بالاسياف الرقاق وطعنت العرب بالرماح الدقاق وقلعت عرب اليمن بنبالها الاحداق ودنت الاعمار الى المحاق وبلغت الارواح التراق وعظم الانين والزعاق وصبرت الاعاجم على مالا يطاق وسقاهم العرب من أسنة رماحهم كاس الفراق ولم يزالوا فى القتال الى ان ذهبت الانوار وجاء الليل ومضى نور النهار وفى آخر يومهم قدم القعقاع بن عمرو ومعه اثناعشر ألف فارس فقويت قلوب المسلمين بقدوم عساكر الموحدين وأعلنوا بكلمة التوحيد فدوت من أصواتهم الجبال والتلال والرمال والحجر والشجر قال فلما سمع أعداء الله مانطقوا به ارتعدت فرائصهم فاستقبلوهم بنيات صادقة وهمم متوافقة وأعلنوا بذكر كلمة الحق والصلاة على سيد الخلق فبذلوا صوارمهم فى الاعدا وأوردوهم شراب الردى وقصدوا نحو أعدائهم وطلبوا بجهادهم منازل الجنة وطلقوا الدنيا بتاتا وعلموا انهم يصيرون أمواتا وصاروا بعد الالفة أشتاتا فوقعت الهزيمة على عسكر العجم وحمل المسلمون فى آثارهم وخذلهم الله فقتلوا من قتلوا وأسروا من أسروا وهرب الباقون وأخذ المسلمون مدينة نشاور وغنموا مافيها من الاموال وكان شيأ لا يقع عليه حصر وأقاموا فيها وبنوا الجامع وذكروا الله فيه ذكرا كثيرا ولما كمل الله لهم فتوح العراق وكتبوا بذلك كتابا الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعلمونه بذلك وبعثوا الخمس فوصل ذلك الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسر بذلك سرورا عظيما لحمد الله تعالى كثيرا وسرت المسلمون سرورا زائدا على مافتح من بلاد كسرى وأعمالها على يد سعد بن أبى وقاص واستوطنوا البلاد رضى الله تعالى عنهم اجمعين

مصر ومكث مدة قليلة ثم اخذ امواله التى جمعها من مصر وتوجه الى ناحية ابى قير وأخذ بعض عسكره ونزل فى البحر وذهب الى

❋ذكر فتوح البهنسا واهناس واعمالها وفضائل جبانتها❋

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ❋ اعلم وفقك الله ان مدينة البهنسا ذكر بعض المفسرين ان الله سبحانه وتعالى ذكرها فى كتابه العزيز بقوله عزوجل فى حق عيسى عليه السلام وجعلنا ابن مريم وأمه آية وأويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قال هى أرض البهنسا وكان من أمر عيسى عليه السلام ماسنذكره ان شاء الله تعالى واستشهد بها زهاء من خمسة آلاف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من الاعيان والامراء زهاء من أربعمائة ويتبعهم من الاشراف والصحابة نفر كثير منهم على بن عقيل بن أبى طالب والحسن بن صالح بن الحسين بن على بن ابى طالب الذى عمر جامعها وكان من أمره ماسنذكره ان شاء الله تعالى وزياد بن ابى سفيان بن الحرث بن عبد المطلب والفضل بن العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنذكر من استشهد من الصحابة الاعيان بها ان شاء الله تعالى عند الفتوح وأبنائهم وجماعة كثيرة وذكر جماعة من السادات الاخيار أن من زار جبانة البهنسا خاض فى الرحمة حتى يعود ومن زارها خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وانه لا يزورها مهموم الا فرج الله همه ولا مغموم الا أذهب الله غمه ولا صاحب حاجة الا قضيت باذن الله عزوجل والاماكن المستجاب فيها الدعاء منها عند مجرى الحصى ومقطع السيل وان هناك خلقا كثيرا من الشهداء ومشهد الحسن بن صالح بن الحسين بن على بن أبى طالب وعند قبر زياد بن ابى سفيان بن الحرث وعند قبر عبد الرزاق من داخل الباب وعند معبد عيسى بن مريم عليهما السلام وعند قبور الشهداء بسفح الجبل وقبليها مكان يعرف بالمراغة قبل الجبانة عندها قبور الشهداء هناك بسفح الجبل (روى) جماعة من الصالحين انهم قد جاوروا الجبانة المذكورة وكانوا من ارض المشرق وجماعة من اكابر الصالحين من أرض المغرب من اقصى الاندلس وانهم رأوا هذه الفضائل وبانت لهم فضائل وانوار وشاهدوا ذلك عيانا (وروى) اصحاب التاريخ رضى الله عنهم انه لم يكن بارض مصر من البحيرة مشهدا اكثر من أرض البهنسا وان مجرى الحصى عند مقطع السيل من الجهة الغربية قتل هناك خلق كثير واستشهد بها اربعمائة رضى

الله عنهم أجمعين وسنذكر ذلك عند الفتح ان شاء الله تعالى اما فضائل البحر اليوسفى الذى هذه المدينة على جانبه فهوا كثير عجائب منها انه غزير البركة لانه يفيض حتى يروى ماحوله من القرى والبلدان مع قليل من زيادة النيل ومنها أنه اذا زاد النيل شيأ قليلا يزداد فيه شئ كثير ومنها انه اذا انقطع عنه مدد النيل تفجرت من أصله عيون فصارت نهرا جاريا وهذا لا يوجد بغيره أبدا من الانهار ومنها أنه ينقسم بارض الفيوم ماء يسيرا فيروى زراعات واراضى شتى وضياعا وهذا لا يوجد لغيره أبدا ومنها انه دفن فيه يوسف الصديق عليه السلام وأقام الى زمن موسى عليه السلام فازداد بذلك بركة ومنها انه شقه جبريل عليه السلام بخافقة من جناحه بأمر الله عز وجل للسيد يوسف عليه السلام وحسدهم العمالقة على ذلك وقد ذكرت الرواة انه كان بين يوسف عليه السلام وبين صاحب مصر كلام بعد فراغ السنين المجدبة فانه لما اجتمعت بنو اسرائيل عند يوسف عليه السلام وحسدهم العمالقة على ذلك وذكروا ذلك الملك مصر فقال ملك مصر يا يوسف رد على ملكى فاجتمع رأيهم على الفرقة والقسمة فقسمت الارض أى أرض مصر فوقع الجانب الغربى ليوسف عليه السلام وكان قفرا ورمالا وتلالا فأراد ان يجرى له نهرا من النيل فجمع له مائة ألف عبد ودفع لهم المساحى والزنابيل وامرهم ان يحفروا من الجهة القبلية عند دفه الآن فحفروا ثلاث سنين وقد أجرى لهم مؤنة من خزائنه فكان كلما جاء النيل سد ما حفروا فقفل من الجهة الشرقية كذلك الى سبع سنين حتى اعياه ذلك وقلق قلقا شديدا فاوحى الله اليه يا يوسف قد استعنت برجالك ومالك ولم تستعن بى وعزتى وجلالى لو استعنت بى لحفرته لك فى اقل من طرفة عين فخر ساجدا لله تعالى وهو يقول سبحانك ما أعظم شانك واعز سلطانك ثم قام من سجوده ونزع ثوابه واغتسل ولبس المسوح وخرج الى الربوة وخر ساجدا متضرعا الى الله تعالى فاوحى الله اليه ارفع رأسك فقد قضيت حاجتك ثم أمر الله سبحانه وتعالى جبريل عليه السلام فخرقه بخافقة من جناحه وقال بعضهم بطرف ريشة من جناحه من فمه من الجهة القبلية الى آخر الفيوم فى أقل من طرفة عين بقدرة الله تعالى فعمر يوسف عليه السلام قناطر وبنى مدينة الفيوم وقسم الارض بينه وبين اخوته وبنيه فكانت أرض البهنسا الافرائيم ابن يوسف فشرع فى عمارتها وقطعت الاحجار وعمرت الاسوار والقناطر وكان النهر يجرى من وسطها من الجهة القبلية ثم يخرج من الجهة البحرية الى زمن الاسلام وسنذكر ذلك فى الفتح ان شاء الله تعالى وكان لها من الابراج والرساتيق مالا يوصف وسكنها جماعة من بنى اسرائيل واتخذوا دورا ومساكن وذلك جميعه غربى مصر وأرض البهنسا الى آخر الصعيد من الجهة الغربية كلها مختصة ببنى اسرائيل لا يشاركهم فيها احد غيرهم وجعل يوسف عليه السلام هؤلاء العبيد حوله فلاحين وزراعا بأرض البهنسا والفيوم وغيرها وشرع فى عمارتها وغرست فيها الاشجار على جانب البحر اليوسفى من الجهة الشرقية والغربية وكانت المرأة تخرج بمكتلها ومغزلها فى يدها والمكتل على رأسها فلا ترجع الا وقد امتلا من جميع الثمار من غير أن تمس شيأ بيدها فلما عصت بنو اسرائيل وجحدوا نعمة الله عز وجل وعملوا المعاصى نزع الله تلك النعمة من أيديهم وأعطاها لغيرهم فاحتووا على الملك دونهم بجحودهم نعمة الله وقتلهم أنبياء الله الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر حتى اتخذوهم أذلة بعد ان كانوا سادات واستعملوهم خولة وفعلة وبنائين وحجارين ونجارين واستخدموهم واستخدموا نساءهم وأبناءهم ولم يزل بنو اسرائيل فى أضيق عيش وأعظم بلاء وأشد كربة واعظم بلية من تكليف مالا يطيقون حتى انقذهم الله عز وجل ببعث موسى عليه السلام وليس هذا الكتاب مختصا بذلك واحتووا على المدائن والمزارع والبساتين

بلاد مع شدة محافظة مراكب الانجليز على الاسكندرية ومنعهم كل من يسافر من جهتها حتى قيل انه أرشاهم بدراهم

﴿ذكر خروج عيسى عليه السلام من مصر واقامته بارض البهنسا﴾

قال الله تعالى وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين الآية وتقدم انها البهنسا على اختلاف المفسرين قال اصحاب التواريخ وهم المسعودى وابو جعفر الطبرانى والواقدى وابن اسحق

وابن هشام واصحاب السير وأهل التفسير مثل سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وابن عباس رضى الله عنهم ومن تكلم في هذا الكتاب العجيب الذي لو كتب بالذهب لكان قليلا وقد جمع فيه كتب كثيرة وتواريخ وتفاسير وفتوحات قالوا كان مولد عيسى لمضى اثنتين وأربعين سنة من ملوك الطوائف وكانت الرياسة بالشام ونواحيها القيصر ملك الروم وهرقل كما تقدم في فتوح الشام وكان بالبهنسا اقنطاريوس والله أعلم باسمه فلما سمع الملك هيردوس بخبر المسيح قصد قتله وذلك انهم نظروا الى نجمه وقد طلع فعرفوا ذلك بحساب لهم في كتاب لهم فبعث الله ملكا الى يوسف النجار وأخبره بما أراد هيردوس وأن يعلم مريم أن تخرج الى أرض مصر فانه ان ظفر بولدك قتله فاذا مات هيردوس فارجعى الى بلادك فاحتمل يوسف مريم وابنها عيسى على حمار له حتى دخل مصر وورد أرض البهنسا وهى الربوة التى ذكرها الله في كتابه العزيز وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين وهناك بئر في المعبد يستشفون بمائها من الامراض وهى التى كانت مريم وابنها يستقيان منها ويتوضآن منها للصلاة وكان ماؤها عذبا يشرب تحت الارض * قيل ان مريم لما دخلت بولدها أرض البهنسا وجدا بئرا وليس عليها رشاء فطلب عيسى عليه السلام الماء ليشرب بعد أن عطش عطشا شديدا وبكى فحزنت أمه فارتفع الماء من قعر البئر حتى شرب منه وهى من ذلك اليوم تزيد ويعرف منها زيادة النيل فجعل النصارى لها عيدا الى يومنا هذا وهناك دير وزراعات والله أعلم ثم دخل مدينة البهنسا وأقام بها اثنتى عشرة سنة وأمه تغزل الكتان وتلتقط السنبل في أثر الحصادين حتى تم لعيسى المدة المذكورة * روى محمد الباقر قال لما جاء عيسى الى البهنسا وهو مع أمه شهرين كان ابن سنتين فلما كمل تسعة أشهر أخذته والدته وجاءت به الى الكتاب بأرض البهنسا فاقعده المؤدب بين يديه وقال له قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال عيسى بسم الله الرحمن الرحيم فقال له المؤدب قل أبجد فرفع عيسى طرفه وقال اتدرى ما أبجد فعلاه المؤدب بالدرة ليضربه فقال له يا مؤدب لا تضربنى ان كنت لا تدرى فاسألنى حتى أعرفك فقال قل لى فقال انزل من على مرتبتك فنزل من على مرتبته وجلس عيسى مكانه ثم قال الالف آلاء الله والباء بهاء الله والجيم جلال الله والدال دين الله والهاء هوية جهنم وهى الهاوية والواو ويل لاهلها والزاى زفير جهنم والحاء حطت الخطايا عن المستغفرين والكاف كلام الله لا مبدل لكلماته والصاد صاع بصاع والقاف قرب حيات جهنم من العاصين فقال لها المؤدب خذى بيد ابنك فقد علمه الله تعالى فلا حاجة له بالمؤدب (حدثنا) الحسين ومحمد بن الحسن المقرى قالا حدثنا الحكيم محمد بن احمد بن حمدون قال حدثنا محمد بن حمدون بن خالد قال حدثنا الحكيم بن نافع عن اسمعيل عن ابن مليكة عن عطية عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى عليه السلام ارسلته امه الى المكتب ليتعلم فقال له المعلم قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال عيسى عليه السلام وما بسم الله الرحمن الرحيم فقال المعلم لا ادرى فقال عيسى الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم ملك الله الى آخر ما جاء من الآيات والمعجزات التى ظهرت لعيسى عليه السلام بارض البهنسا قال وهب كان اول آية أراها عيسى عليه السلام بمدينة البهنسا للناس فى صغره ان امه كانت نازلة فى دار بالبهنسا من ارض مصر عند دهقان من دهاقنة الملك انزلها فيها يوسف النجار عنده حين اتى بها من ارض الشام الى مصر وكانت داره مأوى المساكين فسرق للدهقان مال جزيل من خزانته وكان الدهقان من اخصاء الملك صاحب البهنسا ولم يتهم المساكين فحزنت مريم على مصيبة الدهقان صاحب ضيافتها فلما رأى عيسى عليه السلام حزن امه قال يا اماه اتحبين ان ادلك على ماله قالت نعم قال قولى له يجمع المساكين الذين كانوا فى داره فقالت مريم للدهقان ذلك فجمع المساكين الذين كانوا فى داره فلما اجتمعوا اتى الى رجلين منهم احدهما اعمى والآخر مقعد فجعل الاعمى على كاهل المقعد وقال له قم به فقال له الاعمى انى ضعيف عن ذلك فقال له كيف قويت على ذلك البارحة فلما سمعوه يقول ذلك ضربوا الاعمى حتى قام به فلما استوى قائما وهو حامله اوصله الى كوة الخزانة فقال عيسى عليه السلام هكذا أخذ مالك البارحة

ليخلو له الطريق (وولى بدله) جمهور الفرنساوية كليبر سارى عسكر عليهم ثم ان همة مولانا المعظم والخاقان المفخم السلطان

لان الاعمى استعان بقوته والمقعد بعينه فقال الاعمى والمقعد صدقت فردا على الدهقان ماله فوضعه
الدهقان فى خزانته وقال يا مريم خذى نصفه فقالت انى لم اخلق لذلك ثم قال الدهقان اعطيه لابنك قالت
هو أعظم منى شأنا ثم لم يلبث الدهقان الاقليلا وعمل لولده عرسا فجمع اليه أهل المدينة كلهم فكان
يطعمهم شهرين فلما انقضى ذلك زاره أكابر البلاد وملوكها وليس عنده طعام ولا شراب ولا ادام فلما
اجتمعوا أمر عيسى عليه السلام بجرار الخمر الفارغة أن تملأ ماء ثم مر بيده على أفواهها وهو يمشى فكلما
مرت يده على جرة امتلأت شرابا هذا وهو ابن اثنتى عشرة سنة فازدادت أهل البهنسا فيه اعتقادا ومن
حولها من المدائن والقرى والسواد من أرض مصر وله آية أخرى بارض البهنسا قال السدى كان عيسى
عليه السلام يحدث الصبيان فى المكتب بما تصنع آباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد أكل أهلك كذا
وكذا فينطلق الصبى الى أهله ويبكى عليهم حتى يعطوه شيأ فيقولون له من أخبرك بهذا فيقول عيسى
فحبسوا أولادهم أى أهل البهنسا عنه وقالوا لهم لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم فى مكان فجاء عيسى
عليه السلام يطلبهم فقالوا لعيسى ليس هنا أحد فقال ما فى هذا البيت قالوا خنازير قال عيسى كذلك
يكونون ان شاء الله تعالى ففتحوا عليهم الباب فوجدوهم خنازير ففشا ذلك فى الناس وهابه الناس قال
السدى لما نزل عيسى عليه السلام بأرض البهنسا نزل فى قرية من قراها على رجل فاضافهم وكان للملك
خباز فجاء ذلك الرجل ذات يوم وهو مغتم حزين فدخل بيته ومريم عند زوجته فقالت لها مريم ما شأن
زوجك أراه كئيبا قالت لا تسألينى فقالت لها أخبرينى لعل الله أن يفرج عنك قالت لها ان ملك البهنسا
اذا خرج من مدينته يجعل على كبير كل قرية يوما يطعمه ويسقيه الخمر فان لم يفعل ذلك عاقبه واليوم علينا
وليس عندنا سعة قالت مريم قولى له لا يهتم فانى آمر ابنى ان يدعو له فيكفى ذلك فذكرت مريم ذلك لعيسى
عليه السلام فقال عيسى عليه السلام ان فعلت ذلك يقع شىء فقالت له امه لا تبال فانه احسن الينا
واكرمنا فقال عيسى قولى له اذا اقترب الملك فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم اعلمنى ففعل ذلك واذا بالملك
قد أقبل فارتجت الارض من الطبول والزمور والصناجق واقبلت العساكر فدعا عيسى عليه السلام
ربه عز وجل فتحول ماء القدور لحما وطعاما ملونا وماء الخوابى خمرا لم ير الناس مثلها قط فلما أكل الملك
ذلك الطعام وشرب سأل الدهقان من أين لك هذا الخمر قال من ارض الفيوم فلم يصدقه وقال للدهقان انه
يأتينى منها الخمر والعنب لعصره وليس يساوى هذا فقال من أرض أخرى فلما خلط عليه الكلام أنكر
عليه فقال أنا أخبرك عندى غلام لا يسأل الله شيأ الا اعطاه وانه دعا الله تعالى حتى جعل الماء خمرا وكان
للملك ولد يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك بايام وكان أحب الخلق اليه فقال ان كان كلامك صدقا فليدع
ربه أن يحيى لى ولدى فدعا عيسى وأعلمه بذلك قال أفعل لكنه ان عاش وقع شىء كثير فقال الملك لا أبالى بعد
أن أراه فقال عيسى ان فعلت ذلك اتتركونى انا وامى نمضى حيث جئنا قال الملك نعم فدعا الله تعالى فاحيا
الغلام فلما رآه اهل المملكة قد عاش تبادروا بالسلاح وقالوا اكل امواالنا هذا الملك بظلمه حتى اذا دنا
موته يريد ان يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما أكلنا ابوه فاقتتلوهما فذهب عيسى وامه والآيات فى ذلك
كثيرة يطول شرحها ذكرها ابو اسحق الثعلبى فى عرائسه والله تعالى اعلم

سليم توجهت الى مصر فارسل مولانا الوزير المعظم والصدر المفخم يوسف باشا المعدنى المغازى سارى عسكر على جيوش المسلمين

﴿ذكر فتح البهنسا وما فيه من الفضائل وما وقع فيه للصحابة رضى الله عنهم﴾

قالت الرواة باسانيد صحيحة عمن حضر الفتح من اصحاب السير والتواريخ مثل الواقدى وابن جعفر
الطبرانى وابن خلكان فى تاريخ البداية والنهاية ومحمد بن اسحق وابن هشام وكل منهم دخل حديثه فى
حديث الآخر لما فى ذلك من اختلاف الرواة عمن حضر الفتوحات وشاهد الوقعات من الصحابة رضى الله عنهم
قالوا وحضر ذلك معظم الصحابة وكبراؤهم مثل عبد الله بن عمرو بن العاص امير الجيوش على مصر واخيه
محمد وخالد بن الوليد وابنه سليمان وقيس بن هبيرة المرادى والمقداد بن الاسود الكندى وميسرة بن
مسروق العبسى والزبير بن العوام الاسدى وابنه عبد الله وضرار بن الازور ومن بنى عم النبى صلى الله

عليه وسلم مثل الفضل بن العباس وجعفر بن عقيل ومسلم بن عقيل وعبد الله بن جعفر ومن ابناء الخلفاء
مثل عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق وعبد الله بن عمر بن الخطاب وابان بن عثمان رضى الله عنهم وقد
اختصرنا فى أسمائهم خوف الاطالة وكلهم حدثوا بما عاينوا من الفتوح وما شاهدوا من الوقعات
وحدثوا بذلك أبناءهم رضى الله عنهم وقد أخذنا هذه الفتوح على قاعدة الصدق لاثبات فضل رسول الله
صلى الله عليه وسلم والصحابة رضى الله عنهم اذ لولاهم ما كانت البلاد للمسلمين ولا انتشر علم هذا الدين
ولقد نفذت سراياهم فى الارض شرقا وغربا حتى ولت الاعداء منهم هربا وسكبوا دماءهم فى الارض
سكبا واستباحوا أموال الكفار نهبا وسلبا والله قد جعل منهم فى قلوب اعدائه خوفا ورعبا فهم
نجوم الهداية وأهل الولاية قد شرعوا الشرائع ورتلوا القرآن ترتيلا قال الله فى حقهم تعظيما
وتبجيلا فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا (قال حدثنا) أبو عبد الله محمد بن المحدث
المصرى غفر الله له اطلعت على فتوحات كثيرة فوجدت فيها زيادة ونقصانا وكذلك تواريخ منقولة وكنت
قدمت المدينة يعنى البهنسا للزيارة ببيانها لما رأيت فى ذلك من الفضائل والفضل والاجر والخير والحبور
فان زيارتها تمحص الذنوب وتكشف الكروب وتحسن الاخلاق وتدر الارزاق وتورث النصر على
الاعداء وتكفى الباس والردى لما فيها من السادات الشهداء ممن باع نفسه لله وقتل فى سبيل الله
ابتغاء مرضاة الله ممن قال فى حقهم من له الفضل والمنة ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة فهم احياء عند ربهم يرزقون فزرنا الجبانة فى ساعة الاسحار ورأينا ما فيها من الانوار
وبزيارة قبور السادة والاخيار نرجو من الله أن يحط عنا الذنوب والاوزار فلما قضينا الزيارة ولاحت
لنا تلك الاشارة اخبرنا عن تلك السادة الامجاد وما كان لهم من الصبر على الغزو والجهاد فسألنى بعض
الاصحاب عن سبب فتح مدينة البهنسا ليدفع الباس والردى فحرك لذلك خاطرى حتى أسهرت لذلك
ناظرى وطالعت التواريخ والفتوحات وتجنبت المزاحات حتى انتخبت هذا الكتاب فهو كالدرة اليتيمة
التى لا يعرف لها قيمة ترتاح عند سماعه النفوس ويزول الهم والبوس ويشجع على الجهاد
ويعين على اقامة العدل فى البلاد ابتغاء لوجه الله الكريم راغبا فى ثواب الله العميم وذلك بعد الحمد لله
رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين ونحن نبتدى بسم الله الرحمن الرحيم
قال حدثنى من أثق به من الرواة ممن تقدم ذكرهم قال لما فتح عمر بن الخطاب رضى الله عنه مصر
والاسكندرية والبحيرة والوجه البحرى كله جميعا كان بالصعيد نوبة وبربر وديلم وصقالبة وروم وقبط
وكانت الغلبة للروم وكان أكثرهم روما ثم استشار عمرو بن العاص أصحابه أى جهة يقصد وهل يسير
بالجيوش شرقا أو غربا وما يصنع فاشاروا عليه بمكاتبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب
اليه يقول بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمرو بن العاص عامل أمير المؤمنين على مصر ونواحيها الى
عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه سلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد فانى أحمد الله
وأثنى عليه وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والسلام على من بالمدينة من المهاجرين والانصار والحمد
لله قد فتحت لنا مصر والوجه البحرى والاسكندرية ودمياط ولم يبق فى الوجه البحرى مدينة ولا قرية الا
وقد فتحت وأذل الله المشركين وأعلى كلمة الدين وقد اجتمعت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
من السادات والأمراء والاخيار والمهاجرين وانصار يطلبون الاذن من أمير المؤمنين هل يسيرون
الى الصعيد أو الى الغرب والأمر أمرك يا أمير المؤمنين فانهم على الجهاد قلقون وباعوا انفسهم لله رب
العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم وكتب هذه الابيات

صوارمنا تشكو الظما فى أكفنا * وأرماحنا تشكو القطيعة كالهجر
اليك افتقاد الحرب يا طيب الثنا * ويامن أقام الدين بالعز والنصر
فقد ولعت خير الكرام الى العدا * بنو شيبة الحمد السرى وبنو فهر

فتوحه من اسلامبول بالاوردى الهمايونى ومازال يسير ويجمع العساكر من البلدان الى أن وصل الى غزة هاشم فى شهر رجب

وصالت لؤى مع معد وغالب * وسادات مخزوم الكرام ذوى الفخر
تروم مسير اللاعادى على شفا * تمكن من أعلاهم البيض كالسمر
ترى كل علج فائص فى دلاصه * تجمع فى نقع تأجج كالجمر
بكل كميت صادق الوعد صائل * يرى درعه الزاهى تمكن بالصبر
ترى الموت فى وقع الوقائع مغنما * ونكسب من قتل العدا غاية الاجر

(قال الواقدى) رحمه الله تعالى فلما فرغ عمرو بن العاص من الكتاب عرضه على أصحابه ثم طوى الكتاب وختمه واستدعى برجل يقال له سالم بن بجيعة الكندى وسلم اليه الكتاب ودفع له ناقة عشارية فاستوى على كورها وخرج يريد المدينة وهو يقول

أسير الى المدينة فى أمان * وارجو الفوز فى غرف الجنان
وارجو ان يقرب لى اجتماعى * واعطى ما أريد من الامانى
ألا يا ناقتى جدى وسيرى * الى نحو النبى بلا امتهان
واقريه السلام وأنشديه * كلاما صادقا حسن البيان
الا يا اشرف الثقلين يا من * به شرف المدينة والمكان
فكن لى فى المعاد غدا شفيعا * اذا ما قيل هذا العبد عانى

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولم يزل سائرا الليل والنهار حتى قدم المدينة الطيبة الامينة بعد صلاة العصر فدخل واناخ ناقته على باب المسجد وعقلها بفضل زمامها ودخل فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم على قبره الشريف وصلى ركعتين بين الروضة والمنبر ثم تقدم فوجد عمر بن الخطاب فسلم عليه قال فرد عليه السلام وصافحنى وكان لما رآنى أقبلت وأنا فرحان قال سالم جاء بكتاب من مصر مرحبا به ثم التفت وعن يمينه على بن أبى طالب وعن شماله عثمان بن عفان وحوله من السادات والمهاجرين والانصار مثل العباس بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد وطلحة بن عبد الله وبقية الصحابة رضى الله عنهم حوله ثم ناولته الكتاب فقال ما وراءك يا سالم فقلت سالم فى الدنيا والآخرة ان شاء الله تعالى فقلت الخير والبشرى والامن يا أمير المؤمنين فلما اقرأ الكتاب فرح واستبشر وكانت تلك الغنائم قد وصلت الى المدينة قبل ذلك بأيام وقسمت على الصحابة رضى الله عنهم ثم انه استشار عمر رضى الله عنه على بن أبى طالب رضى الله عنه ومن حضر فأشار عليه على بن أبى طالب أن عمرو بن العاص لا يسير بنفسه ليكون أهيب له فى قلوب أعدائه وأن يجهز جيشا عشرة آلاف فارس ويؤمر عليهم خالد ابن الوليد رضى الله عنه فانه سيف الله فقال عمر صدقت وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد سيف من سيوف الله تعالى وفى رواية ان خالدا سيف لا يغمد عن أعدائه ثم بات سالم تلك الليلة فلما أصبح صلى الصبح فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل على أمير المؤمنين عمر يسأله الجواب فعندها استدعى عمر رضى الله عنه بدواة وقرطاس ثم كتب كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب الى عامله على مصر ونواحيها عمرو بن العاص سلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والسلام عليك وعلى من معك من المهاجرين والانصار ورحمة الله وبركاته وقد قرأت كتابك وفهمت خطابك فاذا قرأت كتابى هذا فاستعن بالله واربط الخيل وأرسل الامراء الى كل بلد أميرا يقيم شرائع الدين ويعلموا الاحكام ثم انتدب عشرة آلاف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر عليهم خالد بن الوليد وأرسل معه الزبير بن العوام والفضل بن العباس والمقداد بن الاسود وغانم بن عياض الاشعرى ومالك الاشتر وجميع الامراء وأصحاب الرايات ينزلون على المدائن ويدعون الناس الى الاسلام فمن أجاب له فله ما لنا وعليه ما علينا ومن أبى فليأمروه بأداء الجزية وان عصى وامتنع فالحرب والقتال وأمرهم اذا حاصروا مدينة

من شهور سنة أربع عشرة ومائتين وألف ثم وجه عسكرا أمامه الى العريش وتوجه بعدهم بنفسه اليها ففتحها الله عليه فى مدة

أن يشنوا الغارات على السواد وان بمصر مدينتين كما بلغنى احداهما يقال لها اهناس قريبة من مصر والثانية يقال لها البهنسا أمنع وأحصن وبلغنى ان بها بطريقا طاغيا سفاكا للدماء يقال له البطليوس وهو أعظم بطارقة مصر كما بلغنى وانه ملك الواحات فلا تقربوا الصعيد حتى تفتحوا هاتين المدينتين وعليك بتقوى الله فى السر والعلانية أنت ومن معك وأنصف المظلوم من الظالم وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وخذ حق الضعيف من القوى ولا تأخذك فى الله لومة لائم واقم أنت بمصر وارسل الاجناد وان احتجت الى مدد فأرسل وكاتبنى ان أرسل لك المدد والمعونة من الله عز وجل وأسأل الله تعالى أن يكون لكم بالنصر والمعونة والفتح والحمد لله رب العالمين ثم طوى الكتاب وختمه بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفعه الى سالم فأخذه وودع الصحابة وودع قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن توضأ وصلى ركعتين وسار ولم يزل سائرا حتى قدم مصر فوجد عمرا وأصحابه نازلين بأرض الجيزة وكان زمن الربيع وهو جالس فى خيمته وأصحابه عنده وهذه الخيمة كانت لملك القبط من الحرير الازرق والاحمر والاصفر سعتها ثلاثون ذراعا وقد فرش فيها فرشا كان للقبط وهو جالس يتحدث مع المقداد وخالد والفضل وغانم والامراء جميعهم رضى الله عنهم وهو كأحدهم قال سالم فانخت ناقتى فسمعت عمرا يقول وأنا خلف الخيمة قد أبطأ سالم فقال خالد كأنك به وقد أقبل فهو يت فاحس خالد بى من داخل الخيمة ولم يرنى بعينه ولا غيره ولا علم بى فقال سالم فقلت لبيك يا أبا سليمان فقال مرحبا بك يا سالم وحياك الله ثم تقدمت وسلمت على عمرو وخالد وعلى بقية الامراء ثم ناولته الكتاب فقرأه الى آخره وفهم ما فيه فلما سمع الامراء ما فيه فرحوا بذلك فرحا شديدا ثم ان عمرا استشار الامراء فى ذلك وكانوا لا يفعلون شيئا الا عشورة بعضهم ولذلك مدحهم الله فى كتابه العزيز بقوله عز وجل وأمرهم شورى بينهم فأشاروا عليه أن يرسل خلف الامراء والجنود المتفرقة فى البحيرة شرقا وغربا وأن يرتب الجيوش ويقصدوا الصعيد ويتوكلوا على الله عز وجل (قال الواقدى) وكانت الصحابة لما فتحت مصر والوجه البحرى قد تفرقوا فيهم فى الاسكندرية وأسوس ودمياط ورشيد وبلبيس وكان أكثرهم بوسط البحيرة فى المكان المعروف بالمنزلة مثل القعقاع بن عمرو التميمى وهاشم ابن المرقال وميسرة بن مسروق العبسى والمسيب بن نجيبة الفزارى فعندها استدعى عمرو رضى الله عنه بالنجابة والسعاة وعمرو بن أمية الضمرى ومثل هؤلاء رضى الله عنهم أجمعين وكتب الكتب وأرسلها للامراء فعندها أجابوا أجمعهم لانهم رضى الله عنهم كانوا أشوق للقتال من العطشان للماء البارد الزلال ووضعوا فى البلاد والمدائن من يحفظها أو يحرسها خيفة من العدو وأقبلوا نحو مصر مسرعين ونزلوا حولها وأخبر عمرو رضى الله عنه بقدومهم فدخل دار الامارة وهى قريبة من الجامع العمرى وأقبلت السادات والامراء يسلمون عليه وكان ذلك نهار الاربعاء عاشر شهر ربيع الاول سنة احدى وعشرين من الهجرة النبوية وقيل اثنتين وعشرين والله أعلم (قال حدثنا) محمد بن عبد الله قال حدثنا عبيدة بن رافع عن أبيه جحيفة عن جابر بن عبد الله الانصارى وحدث بذلك ابن سلمة رضى الله عنه قالوا لما قدمت الامراء والاجناد من الصحابة رضى الله عنهم أقاموا الاربعاء والخميس والجمعة فخطب عمرو رضى الله عنه بالناس فلما فرغ من خطبته أمر الناس أن لا يتفرقوا حتى يقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب فقرأ عليهم الكتاب فلما فرغ من قراءته تواثبوا كلهم كالاسود الضارية المشتاقة الى فرائسها وقالوا كلهم سمعنا وأطعنا ولا رواحنا فى سبيل الله بذلنا وللجهاد طلبنا وفى الثواب رغبنا والى الجنة اشتقنا ففرح عمرو بذلك وقال ان أمير المؤمنين قد أمرنى أن أولى عليكم سيف الله والنقمة على أعداء الله صاحب القتال الشديد والبطل الصنديد خالد بن الوليد (قال الراوى) وكان خالد بن الوليد صديق عمرو فى الجاهلية وأسلما فى يوم واحد ثم التفت عمرو الى خالد وقال ادن منى يا أبا سليمان فدنا منه فقال عمرو يا معاشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم كلكم لكم الفضل وانى لست بأفضلكم وفيكم من هو ذو قرابة ونسب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم السادة والامراء وانى كأحدكم وقد أمرت

يسيرة نحو خمسة أيام مع ان بونابارته لما ذهب الى الشام حاصرها أربعة عشر يوما فلم يقدر على أخذها مع كون من فيها شرذمة قليلة من

عليكم

عليكم خالد بن الوليد وأنتم تعلمون مافتح الله على يديه من البلاد وما أذل الله على يديه من الاجناد (قال الراوى) فوثب الفضل بن العباس رضى الله عنهما وقال أيها الامير انا بذلنا أنفسنا فى رضا الله عز وجل وما نريد بذلك الا رفعة عند الله عز وجل وان خالد من أخيارنا ولو أمرت علينا عبدا حبشيا لامتثلنا أمره فى رضا الله عز وجل فناهيك بخالد وهو سيد من سادات قريش عزيز فى الجاهلية والاسلام فتهلل وجه خالد وعمرو فرحا ثم امرهم بالنزول جميعا بأرض الجيزة قريبا من الهرم الشرقى وأقبلوا يضربون خيامهم حوله حتى تكاملت العساكر رضى الله عنهم أجمعين (قال الراوى) بسنده الى الواقدى رحمه الله وابن اسحق وابن هشام لما تكاملت الجيوش وذلك فى ربيع الآخر من السنة المذكورة صلى عمرو بأصحابه صلاة الصبح ثم قام من ساعته يمشى على قدميه وحوله جماعة من المسلمين ومعه خالد بن الوليد والمقداد بن الاسود الكندى والزبير بن العوام الاسدى والفضل بن العباس الهاشمى وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وعبد الله بن عمر بن الخطاب وهاشم بن المرقال والمسيب بن نجيبة الفزارى والعباس بن مرداس وأولاد عبد المطلب وبقية السادات حتى طلع على رابية وأشرف على الجيش فلما رأى اجتماعهم سر سرورا عظيما ثم أمر بعرض الجيش فتقدمت الامراء أصحاب الرايات وصار كل أمير يعرض جيشه وبنى عمه على عمرو بن العاص فكانت عدتهم فيما ذكر والله أعلم ستة عشر ألف فارس فانتدب منهم عشرة آلاف فارس كلهم ليوث عوابس وعليهم الدروع الداودية متقلدين بالسيوف الهندية معتقلين بالرماح الخطية راكبين الخيول العربية من خيار أمة خير البرية فعند ذلك قال لهم عمرو يا معاشر الامراء اصحاب الرايات والسادات الاخيار ان خالدا أمير عليكم فاسمعوا له وأطيعوا وكونوا كلمة واحدة ونازلوا المدائن والقلاع وشنوا الغارات على السواد ولا تقاتلوا قوما حتى تدعوهم الى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فان أبوا فادا الجزية فان أبوا فالقتال بينكم وبينهم حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين وارسلوا الطلائع ولا يكون فى الطلائع الا كل فارس كرار فى الحرب والقتال وثبتوا أنفسكم ولا يغرنكم كثرة أعدائكم فانتم الغالبون فقد ذكر الله فى كتابه المكنون المبين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وأحسنوا نياتكم وثبتوا عزائمكم فانتم الغالبون والله معكم وأنتم كلكم أهل الفضل والسابقة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلتم بين يديه ولا تحتاجون الى وصيتى بارك الله فيكم (قال الراوى) ثم ان عمرا استدعى باصحاب الرايات فكان أول من تقدم بعد خالد الزبير بن العوام رضى الله عنه وهو راكب على جواده الاغر شاك سلاحه فسلمه الراية وأمره على خمسمائة فلما اخرج بعسكره هز الراية وأنشد يقول

انا الزبير ولد العوام * ليث شجاع فارس الاسلام
قرم همام فارس هجام * اقتل كل فارس ضرغام
واننى يوم الوغى صدام * وناصر فى حربها الاسلام

قال ثم استدعى بالفضل بن العباس وأمره على خمسمائة فارس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسلم الراية بيده وتوجه وهو يقول

انى انا الفضل أبى العباس * وفارس منازل حواس
معى حسام قاطع للراس * وفالق الهامات والاضراس
افنى به الاعدا بلا الباس * وما على فيهم من باس

قال ثم استدعى بزياد بن أبى سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وسلمه الراية وكان رضى الله عنه فارسا عظيما وبطلا صنديدا فتسلم الراية وتوجه وهو ينشد

أنا الفارس المشهور يوم الوقائع * بحد حسام فى الجماجم قاطع
ورمحى على الاعداء مازال طائلا * اذا التحم الاعداء للضد قامع
وعزمى فى الهيجاء مازال ماضيا * برأى سديد للمحاسن جامع

عسكر مصر فلما فنيت ذخيرتهم طلبوا الامان وخرجوا منها واما الغرفساوية الذين كانوا فيها فعندهم ذخيرة كثيرة وجبخانة عظيمة لكن

أصول على الاعداء صولة قادر * واشبعهم ضربا ببيض لوامع
امام الوغى من آل ذروة هاشم * حماة البرايا كالبدور الطوالع
أنا ابن أبي سفيان من نسل حارث * تموت العدا مني وكل منازع

قال ثم استدعى من بعده عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وأمره على خمسمائة فارس وسلمه الراية فتوجه وهو يقول

أسير الى الاعادي باهتمام * بقلب صادق حسن الذمام
بابطال جحاجحة اسود * سراة في الوغى قوم كرام
أبيدهم عداة الدين جمعا * ولا أخشى من القوم اللئام
اذا ماجات في الهيجا برمحي * أصول به وفي أيدي حسامي

قال ثم استدعى من بعده عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وأمره على خمسمائة فارس فتسلم الراية وتوجه وهو يقول

وحق من أنزل الآيات في السور * وأرسل المصطفى المبعوث من مضر
لا أنثني عن لقا الاعداء ولو جمعت * حماة أبطالهم يوما كما الدبر
حتى ابيدهم ضربا واتركهم * فوق الثرى خشا مخدوشة الصدر
بكل قرم همام ماجد نجد * الى الوقائع يوم الحرب مبتدر
نحن الكرام الذي للدين أرسلنا * امام دين الورى غيث الندى عمر

قال ثم استدعى من بعده جعفر بن عقيل وأمره على خمسمائة فارس وسلمه الراية فتوجه وهو يقول

أنا ابن عقيل من لؤى وغالب * همام شجاع للاعادي غالب
حماة الوغى أهل الوفا معدن الصفا * الى جودنا تامسير الركائب
ولا يعرف المعروف الا بعرفنا * ولا الجود الا جودنا كالمواهب
علا مجدنا فوق الثنا وسناؤنا * علا شرفا من فوق كل الكواكب
فياويل أهل البغى منا اذا التقت * فوارسنا فيهم بحد القواضب

قال ثم استدعى من بعده أخاه الفضل وأمره على خمسمائة فارس وسلمه الراية فتسلمها وتوجه وهو يقول

اني أنا الفضل أبي عقيل * أسير للحرب بلا تمهيل
بحد سيف قاطع صقيل * به أبيد الكافر الجهول
أنا ابن عم أحمد الرسول * المرسل المبعوث في التنزيل

قال ثم استدعى من بعده المقداد بن الاسود الكندي وامره على خمسمائة فارس وسلمه الراية فتوجه وهو يقول

انا المقداد في يوم النزال * ابيد الضد بالسمر العوالي
وسيفي في الوغى ابدا صقيل * طليق الحد في اهل الضلال
معي من آل كندة كل قرم * يجيد الطعن في يوم النزال
فياويل العدا والروم منا * اذا التحم الفوارس في القتال
وهم صرعى كاعجاز النخل * تقطعها الفوارس بالنصال

قال ثم استدعى من بعده عمار بن ياسر وأمره على خمسمائة فارس وسلمه الراية فتوجه وهو يقول

أنا الهمام الفارس الكرار * أفني بسيفي عصبة الكفار
ان جات الخيل بلا انكار * وقام سوق الحرب من عمار
حمى لدين المصطفى المختار * صلى عليه الواحد القهار
وآله وصحبه الاخيار * ما بان ليل وأضا نهار

معونة الله ساعدت الوزير المذكور على اخذها ثم لما استقر ركابه هناك ذهب اليه جماعة من الفرنساوية ووسطوا بينهم وبينه جماعة

قال ثم استدعى من بعده العباس بن مرداس السلمى وأمره على خمسمائة فارس وسلمه الراية فتوجه وهو يقول

أنا العباس ذو رأى قويم * معى سادات آل بنى سليم
أذل بهم حماة البغى لما * ترى الهيجاء كالليل البهيم
وسيفى ماضى الحدين أضحى * لاهل الشرك كالموت العميم
به أفنى الطغاة بكل أرض * واقتل كل افاك أثيم
ونحن بنو سليم خير قوم * هدينا للصراط المستقيم

قال ثم استدعى من بعده أبا دجانة الانصارى رضى الله عنه وسلمه الراية فتوجه وهو يقول

أسير باسم الواحد المنان * جهرا لاهل الكفر والطغيان
أذيقهم ضربا على الابدان * بكل هندى مبيد الجان
أنصر دين المصطفى العدنانى * صلى عليه الملك الديان
وآله والصحب والاخوان * ما ناح قمرى على الاغصان

قال ثم استدعى من بعده غانم بن عياض الاشعرى رضى الله عنه وسلمه الراية وتوجه وهو يقول

انى اذا انتسب الفوارس أشعرى * قرم همام فى المعامع عنترى
بحماة أبطال الاعادى مزدرى * وبراحتى من القواضب أبترى
يوم التلاطم للفوارس مسكر * وأحوم حومات الغزال الجوذرى
فلاقتلن فوارسا وعوابسا * وأذيقهم منى العذاب الاكبر

قال ثم استدعى من بعده أبا ذر الغفارى وأمره على خمسمائة فارس وسلمه الراية فتوجه وهو يقول

سأمضى للعداة بلا كتئاب * وقلبى للقا والحرب صابى
ولى عزم أذل به الاعادى * وأرجو الفوز فيهم كالثواب
وان صال الجميع بيوم حرب * لكان الكل عندى كالكلاب
أذلهم بابيض جوهرى * طليق الحد فيهم غير آبى

قال ثم استدعى من بعده القعقاع بن عمرو التميمى والمغيرة بن شعبة الثقفى وميسرة بن مسروق العبسى ومالكا الاشتر النخعى وذا الكلاع الحميرى والوليد وعقبة بن عامر الجهنى وجابر بن عبد الله الانصارى وربيعة بن زهير المحاربى وعدى بن حاتم الطائى ومثل هؤلاء السادات رضى الله عنهم وقد اقتصرنا فى أشعارهم خوف الاطالة وكل واحد يسلمه راية ويؤمره على خمسمائة فارس قال فلما تكاملوا وتجهزوا خرج عمرو وأصحابه فودعهم وسارت الكتائب وتتابعت المواكب يطلب بعضها بعضا وخلفهم الذرارى والصبيان حتى أتوا الى الجيزة ونزلوا بمكان يعرف بالمرج الكبير قريب من تلك المدائن والقرى والرساتيق وتقدمت الطلائع يتجسسون الاخبار وقد كان بدهشور بطريق عظيم من قبل ماريوس صاحب اهناس وكان فارسا مكينا وكلبا لعينا قاتله الله وكان يقول فى نفسه انه يناظر البطليوس فى ولايته لكن البطليوس صاحب البهنسا لعنه الله كان أشد بأسا وأعظم مراسا وأكثر عددا وأقوى مددا وأوسع بلادا فكاتبه فى ذلك وكاتب روسال صاحب الاشمونين وكاتب اقراقيس صاحب قفط وكان يحكم على اخميم وكاتب الكيلاج وكان يحكم الى عدن والبحر المالح الى بلاد البجاوة والنوبة وحد السواد وتسامع الناس بمسير العرب الى الصعيد وكاتبت الملوك بعضها بعضا وماج الصعيد باهله الى حد الواحات ووقع الرعب فى قلوبهم فعند ذلك وثب مكسوح ملك البجاوة وحليف ملك النوبة وجمعوا ما حولهم من أرض النوبة والبجاوة والبربر وأتوا الى اسوان وكان مع ملك البجاوة ألف وثلثمائة فيل عليها قباب الجلد بصفائح الفولاذ فى كل قبة عشرة من السودان طوال القامة عراة الاجساد على أوساطهم وأكتافهم جلود النمور وغيرها ومعهم الدرق والحراب والكرابيج والقسى والمقاليع والاعمدة الحديد والطبول

من الانجليز فى اجراء الصلح بينهم فصالحوه على انه يترك لهم ما قبضوه من الاموال وان يدفع لهم جانبا يستعينون به على السفر وشرطوا

والقرون وكانت عدتهم عشرين الفا فلما وصلوا اسوان خرجوا الى لقائهم بعسكرهم واعلموهم بأمرهم وساروا اليهم بالملاقاة من الذرة والشعير والقصب ولحوم الخنازير والضباع وغيرها من الوحوش فأنزلوهم وضيفوهم ثلاثة أيام ثم خرج بطريق اسوان ومعه جيش حتى وصلوا الى ملك قفط صاحب القرية القريبة من قوص وعمل معهم مثل ذلك وسير معهم جيشا وساروا حتى وصلوا الى أنصنا وكان بها بطريق عظيم وبطل جسيم وكان منجما وكان يحكم شرقا وغربا وكانت مدينته عظيمة على شاطئ البحر وبها جند كثير وعجائب عظيمة ولها حصن عظيم من الحجر علوه ثلاثون ذراعا ومن داخلها قصور ومقاصير وكنائس وقلاع على اعمدة الرخام وغيرها فى المدينة فلما نزلت تلك العساكر على انصنا خرج اليهم بطريقها جريس بن قابوص وتلقاهم وأرسل معهم ابن عم له يسمى قيطارس وكان فارسا شديدا فى أربعة آلاف فارس ولم يزالوا سائرين حتى نزلوا بوادى البهنسا عند بطريق يسمى قلوصا من بطارقة البطليوس فلما سمع بهم البطليوس خرج الى لقائهم فى عسكر عظيم زهاء من خمسين الف فارس من البطارقة وعليهم الدروع المذهبة وأقبية الديباج المرقومة بالذهب الوهاج وعلى رؤسهم التيجان المكللة باللآلى والجواهر راكبين على خيول وبراذين مسرجة عليها سروج الذهب والجنائب مغطاة باغشية من الحرير الملون المرقوم بالذهب والفضة والخز وكان معهم خمسون صليبا طول كل صليب أربعة أشبار من الذهب تحت كل صليب الف فارس على كل صليب رمانة من الذهب المنقوش وهم فى زى عظيم عجيب وقد أكثروا من الطبول والزمور وضرب القرون والمعازف حتى ارتجت الارض ومعهم الجمال والبغال والجاموس فلما التقوا ترجلت الملوك والبطارقة للقائهم وسلم بعضهم على بعض وتكلموا فيما بينهم بسبب العرب فقال لهم البطليوس لا تطمعوا العرب فيكم ولا فى بلادكم فانما مثل العرب كمثل الذباب ان تركته أكل وان منعته فر وهلك فاثبتوا وأصدقوا العزم فلقد كاتبت لكم سنجاريب ملك برقة وكاتبت ملك الواح وكاتبكم بهم وقد أتوا اليكم ولولا أننى اخشى ان العرب يأتون الى بلادى لما يسمعون انى خرجت اليهم فيشتغل جماعة بقتالكم وجماعة يأتون الى بلادى فيملكوها وليس فيها من يذب عنها اذا خرجت معكم لكنت فى خدمتكم فانا نجد فى الكتب القديمة أنهم اذا ملكوا البهنسا ونواحيها فلا تقوم لاهل الصعيد قائمة قال كرماس الرومى وكان ممن أسلم بعد ذلك وحضر وحدث به يا معاشر الملوك والبطارقة انى قد أطلعت على الكتب القديمة وفيها انهم ان ملكوا البهنسا ونواحيها فلا تقوم لاهل الصعيد بعد ذلك قائمة قال فلما سمع الملوك ذلك صدقوه ثم انتدب من بطارقته عشرين ألفا ممن عرفت شجاعتهم وبراعتهم وملك عليهم صاحب الكفور وكان كافرا طاغيا وكان اسمه بولص وكان لعينا ودفع له صليبا من الذهب وعلما من الحرير الاطلس الاصفر مرقوما بالذهب فيه صورة الشمس ودفع لهم ما يحتاجون له من الجنائب والقباب والسرادقات ومضارب الديباج الملون وأوانى الذهب والفضة والصناديق المملوءة بالذهب والفضة والبراذين والبغال وعليها أحمال الحرير الملون وبعضها يحمل بالاوانى المذكورة والخيام والسرادقات وسارت العساكر وتتابعت الملوك بالمواكب يتلو بعضها بعضا حتى قربوا من مدينة دبا الكبرى فخرج اليهم بطريقها صندراس وتلقاهم وفعل معهم كما فعل البطليوس وأضافهم وجهز معهم جيشا عشرة آلاف فارس من صناديد بطارقته وولى عليهم بطريقا اسمه ارديس وكان يناظر بطريق الكفور فى الشجاعة والقوة والبراعة وساروا حتى قربوا من مدينة برنشت فخرج اليهم بطريقها فتلقاهم كان يناظرا لبطريق الاعظم رأس بطارقة الكوة ولم يزالوا سائرين حتى ملؤا الارض شرقا وغربا هذا ما جرى لهؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فانهم لما نزلوا قريبا من دهشور كما ذكرنا وكانت العيون من المسلمين من بنى طيئ ومذحج ينزلون ويتزيون بزى العرب المتنصرة يتجسسون الاخبار حتى اختلطوا بالعساكر المذكورة وكانوا حذاقا متفرسين فلما رأوا ذلك هالهم امره (قال الراوى) حدثنى سنان بن قيس الربعى عن طارق بن مكسوح الفزارى عن زيد بن غانم

شروطا كثيرة منها انهم يمكثون فى مصر والبر الشرقى مدة أربعين او خمسة وأربعين يوما يقضون فيها اشغالهم وبعد ذلك يذهبون الى

الثعلبي وكان ممن حضر الفتوح وشهد الوقعة صحبة جيش خالد بن الوليد رضي الله عنه قال بينما نحن
جلوس نصلح شأننا بالمرج ونحن على أهبة السفر اذ قدمت الجواسيس فأخبروا خالدا بقدوم العساكر
فقال لهم هل حزرتم الجيوش فقالوا انهم نحو مائتي الف فارس وخمسين ألف راجل من النوبة والبربر
والبجاوة والفلاحين وغيرهم وهم في اهبة عظيمة ومعهم ألف وثلثمائة فيل وعلى ظهورها الرجال كما وقع
في يوم حرب العراق فلما سمع الامراء ذلك اضطربوا وثبتوا جنانهم وقالوا قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا
وقال خالد لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قرأ الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ثم قرأ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله
والله مع الصابرين ثم ان خالدا قال لاصحابه لا تهتموا لذلك واصبروا وأنتم الاعلون والله معكم فليست
جموعهم بأكثر من جموع اليرموك ولا من جموع أجنادين ومع ذلك فقد ملكتم مصرهم التي هي تاج
عزهم وملكتم الوجه البحري وقتلتم مائة من ملوكهم وبطارقتهم وقد صارت الشام واليمن والعراق والحجاز
بأيديكم وقد دانت لكم البلاد وقد كنتم قليلا فكثركم الله وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها
وقاتلتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرتم بالملائكة ووعدكم على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم انه
يستخلفكم في الارض كما استخلف الذين من قبلكم ومن قتل منكم كان له الجنة وتنتقل روحه الى روح
وريحان ورب غير غضبان فلما سمعوا كلامه تهللت وجوههم فرحا وقالوا يا خالد نحن كنا بين يديك
وقد وهبنا انفسنا لله ابتغاء وجه الله ورضانه (قال الواقدي) رحمه الله تعالى ثم ان خالدا وجه يزيد
ابن معرج التنوخي الى عمرو بن العاص مسرعا وأعلمه بذلك فترك في مصر بن عمه خارجة وكان رجلا
صالحا وأخرج معه أربعة آلاف فارس وترك في مصر نحوا من اربعين فارسا من أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وجاء اليهم في أربعة آلاف فارس فلما أقبل سلموا عليه وقالوا كنا نحن نكفيك أيها الامير
فقال لهم أعلم ذلك ولكنكم في أول بلاد العدو وما ينبغي أن أقعد عنكم ففرحوا بذلك وتأهبوا للقاء
العدو وكانوا كل يوم يخرجون الطلائع ويتجسسون الاخبار فلما كان في بعض الايام خرج الفضل بن
العباس بن عبد المطلب وأخوه عبد الله بن العباس وجعفر بن عقيل وأخواه علي ومسلم وعبد الله بن الزبير
وسليمان بن خالد بن الوليد ومحمد بن فرحة بن عبد الله وعبد الله بن المقداد وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد
الله بن عمرو بن العاص وعمر بن سعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وزياد
ابن المغيرة بن شعبة وتبعهم من السادات نحو اربعمائة سيد من أولاد الصحابة والامراء أصحاب الرايات
وألف وستمائة من اخلاط العرب من المهاجرين والانصار والبوادر وعمهم وتقلدوا بسيوفهم واعتقلوا
برماحهم وتنكبوا بجحفهم وساروا الى قريب من دير هناك بسفح الجبل يعرف بدير المسيح يكشفون
الاخبار فبينماهم كذلك اذا بغبار طلع الى عنان السماء وانعقد فنظر بعضهم الى بعض وقالوا هذا غبار
وحش وقال بعضهم لو كان كذلك لكان تقطع قطعا وتفرق فرقا وانما هذا عسكر جرار وان الخيل اذا
داست بحوافرها ارتفع الغبار (قال الراوي) حدثنا أبو الزناد عن عبد الله عن أبي مالك الخولاني عن
طارق بن شهاب الجرهمي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال بينما نحن نتحدث مع الفضل واذا
بالغبار قد قرب منا وانكشف عن عشرة آلاف فارس ومعهم الاعلام والصلبان فلما رأونا ظنوا بلغتهم
ثم لم يمهلوا دون أن حملوا علينا (قال الراوي) وكان ضرار بن الازور قد انفرد ومعه مائتان من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل النجدة وساروا في طريق الجبل على غير الجادة فبينماهم يسيرون
اذا بالغبار قد ثار وانكشف عمن ذكرنا فلما عاينوهم أيقنوا بالهلاك فعندها وثب ضرار رضي الله عنه
وقال لا فرار من الموت فلم يمهلوهم دون ان داروا عليهم فرأوا ان لا بد لهم من القتال والتقت الرجال
بالرجال وصبر واصبر الكرام وأحاطت بهم الروم اللئام من كل جانب ومكان فلله در ضرار لقد قاتل قتالا
شديدا فلم يكن غير ساعة حتى قتل من جماعة ضرار جماعة وكبا به جواده فأسر وأسر واجماعة من

الجيزة يترددون ما بينها وبين
الصعيد والاسكندرية نظير
تلك المدة حتى يجمعوا
عساكرهم من البلاد
فأجابهم الوزير لذلك اسلامة

أصحابه وكان الذى قاتلهم رأس البطارقة صاحب بيت الكبرى فأوثقوا ضرارا وأصحابه كتافا وربطوهم على ظهور رخيولهم وأرسلوهم الى العسكر وانفلت من القوم مولى من موالى عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق يقال له سالم فسار مجدا فى مسيره حتى قدم على خالد وعمرو فعند ذلك وثب المسيب بن نجيبة الفزارى ورافع ابن عميرة الطائى وأخذا معهما ألفا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسارا ومعهما رجل من أسلم من الجيزة يدلهم على طريق غير الجادة وكمنوا هناك عند الدير وقد سبقوا البطريق الذى أسر ضرارا وأصحابه خمسمائة فارس (قال الراوى) وكانت خولة بنت الازور قد شق عليها أسر أخيها ضرار فلما سار القوم بالمسير وقالت أيها الامير أسألك بالطاهر المطهر الا ما سيرتنى مع هؤلاء عسى أن أكون مشاهدة لهم فقال خالد للمسيب ورافع انتما تعلمان شجاعتها وبراعتها فخذاها معكما فقالا السمع والطاعة ونزلوا بالمكان المذكور فبينما هم كذلك كامنون اذا بغبرة قد لاحت لهم فقال لهم رافع ايقظوا خواطركم فأيقظت القوم هممهم فاذا بهم قد أتوا محدقين بضرار وهو متألم من كتافه وهو ينشد ويقول

ألا بلغا قومى وخولة اننى * أسير رهين موثق اليد بالقيد
وحولى علوج الروم من كل كافر * وأصبحت معهم لا أعيد ولا أبدى
فلو أننى فوق الجحجل راكبا * وقائم حد العضب قد ملكت يدى
لأذللت جمع الروم اذلال نقمة * وأسقيتهم وسط الوغى أعظم النكد
فياقلب مت هما وحزنا وحسرة * ويادمع عينى كن معينا على خدى
فلو أن أقوامى وخولة عندنا * والزم ماكنا عليه من العهد
كبابى جوادى فانتبذت على الوغى * وأصبحت بالمقدور لم أبلغن قصدى

(قال الراوى) فنادته خولة من مكمنها لقد أجاب الله دعاك وقبل تضرعك ونجواك أنا خولة ثم كبرت وحملت وكبر رافع والمسيب قال جبير بن سالم وكنا اذا كبرنا تصهل الخيل الهاما من الله تعالى فما كان أكثر من ساعة حتى قتلناهم عن آخرهم وخلص الله ضرارا وأصحابه وأخذنا خيل القوم وأسلابهم وسلاحهم وكانت أول غنيمة (قال الراوى) ولما تخلص ضرار وأصحابه ركب جواده عريانا وأخذ قناة كانت مطروحة وحمل على القوم وهو يقول

لك الحمد يامولاى فى كل ساعة * مفرج أحزانى وهمى وكربتى
فقد نلت ما أرجوه من كل راحة * وجمعت شملى ثم أبرأت علتى
سأفنى كلاب الروم فى كل معرك * وذلك والرحمن أكبر همتى
فياويل كلب الروم ان ظفرت يدى * به سوف أصليه الحسام بنقمة
واتركهم قتلى جميعا على الثرى * كأنهم فى الارض من عظم ضربتى

(قال الراوى) رحمه الله فلما فرغ ضرار من شعره اذا بالخيل قد أقبلت منهزمة وكان السبب فى ذلك انه لما حملت الروم على الفضل بن عباس صاح هو وبنو عمه ولم يرعهم كثرة عدوهم وصبر واصبر الكرام واشتد الزحام وعظم المرام وجرت الدماء واسودت السماء وحمى الوطيس وقل الانيس وهمهمت الابطال وقوى القتال وعظم النزال ودارت رحى الحرب واشتد الطعن والضرب وجالت الرجال واشتد القتال وضربت الاعناق وسالت الاحداق وعظمت الامور وغابت البدور وكان المسلمون لا يظهرون فيهم لكثرتهم ولا يعرف بعضهم بعضا الا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وقد صبر الفضل صبر الكرام فلله در الفضل لقد اصطلى الحرب بنفسه فكان تارة يقلب الميمنة على الميسرة وتارة يقلب الميسرة على الميمنة ويقاتل والراية بيده ولله در مسلم بن عقيل وأخويه لقد قتلوا حتى

صدره فلما حضر بعسكره ونزل مابين الخانقاه السرياقوسية والمطرية تعللوا عليه بان الانجليز لم تمكنهم من السلوك فى البحر ومكثوا مدة

صارت الدماء على دروعهم كقطع أكباد الابل ولله در سليمان بن خالد بن الوليد المقتول بوقعة الدير قريبا من طرا بقرية تسمى دهر وط وقتل معه عبد الله بن المقداد وجماعة وسيأتى ذكر ذلك ان شاء الله تعالى (قال) محمد بن مسلمة الانصارى رضى الله عنه وقاتلنا قتال الموت وأيقنا ان المحشر من ذلك الموضع ولم نزل فى قتال من ارتفاع الشمس حتى غربت وقد قتل من الروم مقتلة عظيمة وتقدم الفضل الى بطريق عظيم راكب كأنه برج من ذهب وطعنه فى صدره فاخرج السنان من ظهره فلما رأت الروم ذلك شجعوا انفسهم وفشا القتال بيننا وبينهم وقتل من المسلمين اربعون رجلا وقتل منهم ثلثمائة لكن الرجل ما قتل منا حتى قتل جماعة من الروم فبينما نحن كذلك وقد أيقنا ان الموت فى ذلك الموقف ووطنا عليه نفوسنا واذا بغبرة قد طلعت والعجاج قد ارتفع وانقشع الغبار عن رايات اسلامية وعصابة محمدية زهاء من الفى فارس وفى أوائلهم فرسان أمجاد سادات أمجاد أحدهم المقداد والثانى زياد والقعقاع ابن عمرو وشرحبيل بن حسنة ومعهم ألف فارس فلم يمهل المقداد دون أن حمل وخاض فى الخيل وهو ينشد ويقول

ألا اننى المقداد أكبر صائل * وسيفى على الاعداء أطول طائل
اذا اشتدت الاهوال كنت أمامها * وأضرب بالسمر الطوال الذوابل
ولى همة بين الورى تردع العدا * لها تشهد الابطال بين القبائل
فليس لسيفى فى الانام مبارز * وليس لشخصى فى الانام منازل

ثم انه خاض فى وسط الحرب وحمل من بعده زياد بن أبى سفيان وهو ينشد ويقول

أنا زياد بن أبى سفيان * جدى يرى من أشرف العربان
كذا ابن عمى احمد العدنانى * معى حسام ثم رمح ثانى
أطعن كل كافر جبان * وكل قلب ناقص الايمان

(قال الراوى) ثم غاص فى وسط القوم فقلب الميمنة على الميسرة والميسرة على الميمنة وغاص فى القلب فولت الروم من بين يديه منهزمين وهو يضرب بالسيف فيهم طولا وعرضا ثم حمل من بعده القعقاع بن عمرو التميمى وهو ينشد ويقول

أنا الهمام الفارس القعقاع * ليث همام ضيغم مطاع
معى حسام يبرئ الاوجاع * ويقطع الهامات والاضلاع
يا ويل أهل الشرك والنزاع * منى اذا فى الحرب طال الباع

قال ثم حمل من بعده شرحبيل بن حسنة وهو يقول

ألا يا عصبة الاسلام صولوا * على الاعداء بالسيف الصقيل
أذيقوهم حياض الموت جهرا * بلذع السمهرى الرمح الطويل
وموتوا فى الوغى قوما كراما * شدادا فى المعامع والنزول

(قال الراوى) رحمه الله ثم تتابعت الفرسان يتلو بعضها بعضا هذا وزياد غائص فى القوم كما ذكرنا وقصد البطريق الاعظم صاحب بيا السكبرى وضربه على عاتقه الايمن بالسيف فاطلع السيف يلمع من عاتقه الايسر وقد أجابته المسلمون بتكبيرة واحدة وكبرت الجبال وارتجت الارض لوقع حوافر الخيل وحمل كل أمير على بطريق فقتله فلم تكن الا ساعة حتى ولوا الادبار وركنوا الى الفرار لا يلوى بعضهم على بعض وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون حتى بلغت الهزيمة جرزة وميدوم فبينما ضرار وأصحابه مقبلون واذا بالروم منهزمة كما ذكرنا وخيل المسلمين فى اثرهم يقتلون ويأسرون ولم يعلموا ما جرى اضرار ورفقته فلما رأوه سلموا عليه وهنؤه وأصحابه بالسلامة فقص عليهم ما جرى لهم واجتمعوا بالمسيب وأصحابه وأروهم مكان المعركة ومكان القتلى ففرحوا بذلك فرحا شديدا (قال الراوى) رحمه الله وان عمرا وخالدا لما خرج الفضل وأصحابه فلقاعليهم فقال خالد لعمرو يا ابا عبد الله لقد غرر الفضل وأصحابه بمن معهم

يخادعونه حتى جمعوا عسكرهم وغدروا الوزير المذكور وهجموا عليه بغتة فانكسر أمامهم وسببه انه اعتمد على الصلح المذكور لسلامة

من المسلمين وانى أخشى ان تكون للروم طليعة فيغيروا على أصحابنا قال عمرو وكذلك هجس بخاطرى يا أبا سليمان فما ترى من الرأى قال خالد الرأى عندى أن أرسل طليعة أخرى خلفهم قال نعم الرأى ثم استدعى بالزبير بن العوام وأبى ذر الغفارى رضى الله عنهما وأعلمهما بذلك وأراد خالد أن يركب معهما فمنعه الزبير وحلف لا يسير الا هو وانتخب معه فرسانا فساروا حتى قربوا من القوم والتقوا بالمسلمين فوجدوهم قد كسروا الروم كما ذكرنا ثم جمع المسلمون الاسلاب والسلاح والخيل ورجعوا الى أصحابهم وهم فرحون بالنصر على أعدائهم (قال الراوى) رحمه الله فلما رجع المسلمون الى العسكر وكان معهم ستمائة أسير أعلن المسلمون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فاجابهم المسلمون كذلك ولما عاينوا الاسلاب والاسارى معهم فرحوا بذلك وسلم بعضهم على بعض وتلقاهم عمرو وخالد وباقى الامراء وتفاءلوا بالنصر وقدموا الاسارى وعرضوهم على عمرو وخالد وأوقدوا النيران بالمرج وباتوا يقرؤن القرآن ويتضرعون الى الله الواحد المنان وليس فيهم الا من هو راكع أو ساجد (قال الراوى) رحمه الله هذا ما جرى لهؤلاء وأما المنهزمون فانهم مضوا الى البطارقة والملوك وأخبروهم بما وقع من أمرهم فعظم عليهم من قتل واستعدوا للقتال وركبوا خيولهم وابلهم وأفيالهم وتزينوا بزينتهم وساروا يجدون المسير وقد أكثروا الطبول والزمور والصنوج (قال) قيس بن الحرث وأقام المسلمون بعد الوقعة يوما فبينما نحن فى اليوم الثانى بعد صلاة الصبح وكان الاجاويد من الامراء والابطال فى كل يوم يركبون ويستنشقون الاخبار فبينما هم ينتظرون اذ ثار الغبار حتى تعلق بالجو وانكشف عن رجال وخيول كالجراد المنتشر والسيل المنحدر وارتجت الارض من ازدحام الخيل وقعقعة اللجم فرجعوا وأعلموا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاح الصائح فى العسكر النفير النفير يا خيل الله اركبوا وفى الجنة ارغبوا والثواب اطلبوا فتواثب المسلمون الى قدومهم ولبسوا دروعهم والى خيولهم فركبوها والى راياتهم فنشروها والى زينتهم فاظهروها والى قلوبهم من الغش فطهروها ونفوسهم لله باعوها فلم تكن الا ساعة حتى استعدوا وأقام خالد وعمرو ويعبيان قومهما للقتال فجعلا فى القلب أصحاب الطعن والضرب مثل الفضل بن العباس وبنى عمه من سادات بنى هاشم وهم جعفر ومسلم وعلى اولاد عقيل بن أبى طالب وزياد بن أبى سفيان بن الحرث ومثل هؤلاء الابطال وجعل فى الجناح الايمن الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود الكندى والمسيب بن نجيبة الفزارى وجعل فى الجناح الايسر القعقاع بن عمرو التميمى وهاشم بن المرقال وغانم بن عياض الاشعرى وأباذر الغفارى وجابر بن عبد الله الانصارى ومثل هؤلاء السادات رضى الله عنهم وثبت خالد وعمرو فى القلب ومعهما عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعقبة بن عامر الجهنى وبقية الصحابة من الامراء أصحاب الرايات عمن شهد الوقائع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله بن زيد عن أبى أمامة رضى الله عنه وكان من أصحاب الرايات قال بينما نحن كذلك اذا بأعلام المشركين قد انتشرت وراياتهم قد ظهرت وزينتهم وصلبانهم قد ارتفعت ولغتهم بالكفر قد طمطمت وأفيالهم قد أقبلت ورجالهم للقتال قد تبادرت فلما رأى المسلمون ذلك أخلصوا نياتهم ولم يهلهم ما رأوا من عدوهم وتضرعوا بالدعاء لخالقهم وقد استغاثوا بمالكهم وأكثروا من الصلاة على نبيهم ولم يزالوا سائرين حتى قربوا من القوم ورأوهم رأى العين فعند ذلك امسك المشركون أعنة خيولهم وسلاسل أفيالهم وألقى الله الرعب فى قلوبهم ثم خرج منهم بطريق من عظماء بطارقتهم كأنه برج مشيد من ذهب وهو لا يبين منه غير حماليق الحدق وتدوير الماق وبين يديه فارس من متنصرة العرب وهو يصيح بلى فيه يا معاشر العرب ارسلوا الى الملك أحدا يكلمه فأعلم المسلمون عمرا وخالد بن الوليد بذلك فأراد خالد ان يخرج اليه فمنعه الامراء من ذلك فعندها وثب المقداد بن الاسود وحلف لا يخرجن اليه الا هو بنفسه فقال عمرو وخالد يا أبا عبد الله انظر ما يكلمك به الاعلاج وادعهم الى كلمة الاخلاص المنجية يوم القصاص فان أبوا فالجزية عن يد وهم صاغرون فان أبوا قاتلناهم حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين (قال الواقدى)

صدره ولم يخطر بباله انهم يغدرون فارجع بعض العساكر والجبخانة والمدافع العظيمة ولم يقدم الا مدافع صغيرة لا تقاوم مدافعهم ثم

رحمه الله) فعندها ركب المقداد جواده وسار حتى وقف بين يدى البطريق وكان ذلك بواص صاحب الكفور الطاغى اللعين بطريق البطليوس وقد أتى باذن الملك والبطارقة فلما رآه كلمه بلسان عربى مبين ثم قال يا بدوى أأنت أمير قومك قال لا قال فانى لا أريد الا الأمير حتى اسأله عما بدا لى لعل ان تكون فيه مصلحة بينكم وبيننا فقال المقداد سل عما بدا لك وما تريد فانا قوم اذا فعل أحدنا أمرا وفيه نصح للدين ومصلحة للمسلمين لا ينكر عليه ذلك ويجيزله الامير ما فعل فاخبرنى عن أمرك وشأنك قال لا يكلمنى الا أمير القوم وان كان عنده خوف منى القيت سلاحى فقال المقداد ودضحك من كلامه ويحك يا عدو الله لو كنت أنت وأمثالك باسلحتهم ما فكرنا فيهم وان الواحد منا لووقع فى ألف منكم لتلقاهم بنفسه ولا اهمه ذلك والمعونة من الله تعالى فانا وطنا انفسنا على الموت ونعلم ان هذه الدنيا فانية ولا يبقى الا وجه الله تعالى فاسألنى عما بدا لك فقال له لا اسمع الا كلام الامير فدع عنك كثرة المطاولة قال المقداد ان لنا أميرين أحدهما متولى الامر والآخر قائد الجيوش فاى أمير تريد فقال أخبرنى باسمائهما قال أما الذى هو متولى الامر فيسمى عمرو بن العاص والآخر يسمى خالد بن الوليد فقال انى أريد خالدا فانى سمعت عنه أمورا واحوالا وان الروم تتحدث عنه بعجائب كثيرة (قال الراوى رحمه الله تعالى) وكان الملعون قد سمع بذكر خالد وفراسته وقال فى نفسه لعلى اغدره فانى ان قتلته كان لى الفخر على جميع الروم وينكسر بذلك ناموس العرب وان لم اقدر عليه اسمع ما يقول من خطابه قال فعند ذلك لوى المقداد عنان جواده ورجع الى خالد فعند ذلك قال خالد لاصحابه ان المقداد قد رجع وان عدو الله لا يريد الا اياى فان طلبنى مضيت اليه وان رأيت منه غدرا أخذت روحه من بين كتفيه واستعين عليه بالملك العلام (قال الراوى) فبينما خالد يتحدث بهذا الكلام اذا بالمقداد قد وصل واعلم عمرا وخالدا وقع فعندها خرج خالد رضى الله عنه مبادرا وعليه لامة حربه فتعلق به أكابر أصحابه خاف انه لا بد له من الخروج اليه ثم خرج مبادرا حتى وقف بين يديه فلما راى خالدا قد وصل اليه احترز على نفسه وأراد ان يخدع خالدا ويهجم عليه فقال خالد أيها البطريق ها أنا خالد سل حاجتك والذى جئت به واياك والمخادعة فانى جرثومة الخداع فقال بواص يا خالد اذكر لى الذى تريد وقرب الامر بيننا وبينكم واحقن دماء الناس واعلم أنك مسؤل عن ذلك وواقف غدا بين يدى الله عز وجل فان كنت تريد شيأ من الدنيا فلن نبخل به عليكم وندفعه صدقة منا عليكم لانه ليس عندنا فى الامم أضعف منكم حالا وقد علمنا انكم كنتم فى بلادكم قبل ان تفتحوا البلاد فى قحط وجوع وتموتون هزالا وقد ملكتم بلادا وشبعتم لحما وركبتم خيولا مسومة وتقلدتم بسيوف مجوهرة وسعدتم بعد فقركم وفاقتكم فان طلبتم منا شيأ أعطيناكم اياه بطيبة قلوبنا فلا تطمعوا فى بلادنا كما طمعتم فى غيرها واقنعوا منا بالقليل قال فلما سمع خالد مقالته قال يا كلب النصرانية واخس من غمس فى ماء المعمودية انه قد بعث الله الينا نبينا فهدانا من الضلالة وانقذنا من الجهالة وانما قد ملكنا الله بايدينا ما اغنانا به عن صدقتكم واحل لنا أموالكم واباح لنا نساءكم وأولادكم الا ان تقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله فان ابيتم ذلك فتؤدوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون فان أبيتم ذلك فالسيف حكم بيننا وبينكم حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين والله ينصر من يشاء وان الحرب والقتال احب الينا واشهى من الصلح وان كنتم تزعمون انه لم تكن أمة اضعف منا عندكم فانتم عندنا بمنزلة الكلاب فان الواحد منا يقاتل منكم ألفا وان هذا ليس بخطاب من يطلب الصلح فان كان هذا الطمع ترجو به ان تصل الى بانفرادى عن أصحابى فذلك منك بعيد وان اردت القتال فدونك فانى كفء لك ولاصحابك ان شاء الله تعالى فلما سمع بواص كلام خالد وثب فى سرجه وقال ليس لك عندى الا هذا السيف ثم جرد سيفه ودنا من خالد رضى الله عنه وشابكه وضرب بيده فى درعه ومنطقته ووثب كل منهما على الآخر واستغاث الملعون باصحابه وقال لهم بادروا الى فقد امكننى الصليب من أمير العرب فابتدر اليه البطارقة من كل جانب وخرج كردوس عظيم أكثر من مائتى فارس وجردوا السيوف وأتوا الى خالد

رجع من العسكر الذين كانوا بالمطرية جملة صحبة كتخدا الدولة عثمان كتخدا منهم نصوح باشا والى مصر حالا وابراهيم بك شيخ البلد

رضى الله عنه فلما رآهم خالد مقبلين اليه وثب وثبة الاسد وصاح بجواده وانتزع نفسه من البطريق بعد ان احاطت به الروم وجاء كردوس ثان وخالد يضرب فيهم يمينا وشمالا وعدو الله بولص يصيح ويقول ياويلكم خذوه قبل ان يفوتكم قال وكان ضرار والفضل بن العباس وعلى بن عقيل وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن طلحة وعبد الله بن المقداد وسليمان بن خالد رضى الله عنهم على كثيب قريب من الروم فلما رأوا الروم والسيوف بايديهم وقد أحاطوا بخالد ركضوا خيولهم وكان أول من ابتدر للحرب ضرار بن الازور رضى الله عنه وهو ينشد

عليك ربى فى الامور المتكل * اغفر ذنوبى ان دنا منى الاجل

يارب وفقنى الى خير العمل * وعنى امح سيدى كل الزلل

أنا ضرار الفارس القرم البطل * باعى على الاعداء أضحى المتصل

اقمع بسيفى الروم حتى يضمحل * مالى سواك فى الامور من أمل

(قال الراوى) رحمه الله حدثنا رفاعة بن قيس قال حدثنا حامد بن عياض عن أبيه عن جده عن نافع بن علقمة الربعى قال كنت فى القلب فى عسكر عمرو يوم وقعة الروم بمرج دهشور قال بينما نحن ننظر اذ رأينا السيوف جذبت وأحاطت بخالد بن الوليد فخرجنا كردوسا من أجاويد الرجال من طرف الميمنة وبادرناهم ولحقناهم واذا قد سبق من ذكرنا يعنى ضرارا والجماعة المذكورين فكان أول من قدم على الروم ضرار وهو عريان بسراويله قابضا على سيفه وهو يزأر كالاسد والقوم من ورائه متبعوه حتى وصلوا وضرار امامهم وهو واثب على جواده وثبة الاسد مسرعا وهو يهز السيف وهو زاحف على بولص فارتعدت فرائصه وقال ياخالد دعنى من هذا الشيطان واقتلنى أنت ولا تدعه يقتلنى فانى أتشاءم من طلعته فقال هو قاتلك لا محاله هذا مبيد الاقران هذا قاتل وردان وملك التركمان ومبيد عبدة الصلبان ومن يكفر بالرحمن فبينما هم فى المحاورة واذا بضرار قد أقبل وهز سيفه وصرخ ياعدو الله لم تغن عنك خديعتك شيأ أولا غدرك بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أراد يضربه بسيفه فصاح به خالد اصبر ياضرار حتى آمرك بقتله ووصلت اليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل يبادر الى قتله فقال لهم خالد اصبروا قال ونظر بولص لعنه الله الى ماحل به وقد جذبه ضرار من قربوس سرجه واقتلعه وجلد به الى الارض فغشى عليه فأشار بأصبعه وقال الامان الامان ياخالد فقال له خالد يا كلب النصرانية لا يعطى الامان الا لأهل الامان أنت رجل أردت أن تمكر والله خير الماكرين فلما سمع ضرار ذلك لم يمهل دون أن ضربه بالسيف على عاتقه الايمن فأطلع السيف يلمع من عاتقه الايسر فسقط عدو الله يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار وتبادرت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعوا السيف فيهم فلما رأى الروم ماحل بهم حملوا بأجمعهم وتقدمت أصحاب الفيلة وعلى ظهورها الرجال والتقى الجمعان واصطدم الفريقان واشتد القتال وعظم النزال وصفت الصفوف وازدحمت الالوف وتلفت النفوس وقطعت الرؤس وبطل القيل والقال وقتلت الرجال وزمجرت الابطال واشتد القتال واتسع المجال وعظم البلاء واسودت السماء وثار الغبار وقدحت حوافر الخيل الشرار وطمطمت السودان وكفروا بالرحمن وثار العجاج وزمجرت الاعلاج وقاتلت أصحاب الفيلة قتالا شديدا وقد قسموهم أربع فرق فرقة معا بلى الميمنة وفرقة معا بلى الميسرة وفرقة معا بلى القلب وفرقة معا بلى العسكر وتصايحت النوبة والبجاوة والروم فلله در خالد بن الوليد لقد قاتل قتالا شديدا فكان تارة فى القلب وتارة فى الميمنة وتارة فى الميسرة وكذلك الامير عمرو بن العاص والزبير بن العوام والفضل بن العباس الهاشمى والقعقاع بن عمرو التميمى وغانم بن عياض الاشعرى رضى الله عنهم على الساقة مع النساء والولدان والذرارى والصبيان وانقطع عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وعبد الله بن عمر بن الخطاب وهاشم بن المرقال الى كردوس ينوف على الف فارس من الروم والسودان فغاصوا فى أوساطهم وكان فيهم بطريق

حالا وبعض صناجق وقدم ايضا من جهة الصعيد بعض عساكر صحبة حسن بك الجداوى ومن جهة دمياط بعض أرنؤد ومحمد

من بطارقة الكورة اسمه عريان بن ميخائيل فلما رأى ما حل به وبأصحابه بادر الى الصليب ليقبله وينظر اليه ثم رطن الروم بلغتهم وأحاطوا بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا أن يتمكنوا منهم فعندها وثب عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما الى ذلك البطريق فحمل عليه وكان عليه ديباجة صفراء من فوق درعه وعلى رأسه بيضة تلمع كأنها كوكب وفي وسطه منطقة من الجوهر فتعاركا مليا وتصادما سويا ثم ان عبد الرحمن ضربه بالسيف في نحره فأطاح رأسه عن بدنه فلما رأى الروم ذلك حملوا على عبد الرحمن وأصحابه بأجمعهم حملة واحدة وصبر لهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل منهم مشتغل بنفسه عن نصرة صاحبه وأيقنوا بالهلاك وخرج عبد الرحمن وفي يده جرح هائل والدم يسيل على درعه فتناول السيف بيده اليسرى وجعل يقاتل بها وجرح هاشم بن المرقال أحد عشر جرحا في يده وفي وجهه وهو يمسح الدم مرارا فأيقنوا بالهلاك وكان الفضل بن العباس وبنو عمه ممن ذكرنا تارة في الميمنة وتارة في الميسرة وحملوا في عراض القوم حتى وصلوا الكردوس الذي فيه عبد الرحمن وعبد الله ابن عمر وهاشم بن المرقال فوجدوا الروم قد أحاطوا بعبد الله بن أبي بكر الصديق وعقروا جواده من تحته وأصحابه يذبون عنه وعبد الله بن عمر تارة يمنع عنه بالسيف وتارة بالرمح وجراحاته تتدفق دما وقد جرح عبد الله بن عمر في يده ست جراحات هائلة فلما رأى الفضل ذلك بادر هو وأصحابه وكانوا عشرين فارسا وخرقوا الصفوف وضرب فارسا ممن أحاط بعبد الرحمن على رأسه فقطع البيضة ونزل الى أضراسه فانجدل صريعا يخور في دمه وعجل الله بروحه الى النار فلما سقط عن جواده ابتدره عبد الرحمن وركب الجواد وقاتلوا أولئك حتى دفعوهم عن أصحابهم وكانت جماعة من الاوس وهمدان عملي الجناح الايسر فعطف عليهما كردوس من الروم والسودان فأزالوهم عن أماكنهم وكشفوهم عن مراتبهم وفروا بين أيديهم فصاح بهم أبو هريرة رضي الله عنه وابنه عبد الله ومالك بن الاشتر يا قوم لا تولوا فرارا من الموت أتريدون أن تكونوا عارا عند العرب فما عذركم غدا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم أما سمعتم قول الله عز وجل فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الآية الله الله الجنة تحت ظلال السيوف والموعد عند قبر المصطفى قال فلم يلتفتوا اليهم ولم يقبلوا كلامهم ووصلت الهزيمة الى غانم بن عياض الاشعري وأصحابه والنساء والصبيان فلما رأت النساء ذلك صحن في وجوههم وفعلن كما فعلن يوم اليرموك وصرن يضربن وجوه الخيل بالاعمدة وقاتلت خولة بنت الازور قتالا شديدا فلما رأى غانم ذلك وكان معه قيس بن الحرث ورفاعة بن زهير المخزومي وخمسمائة فارس من أهل الشدة والنجدة صاح غانم النجدة النجدة يا أصحاب رسول الله فتواثبوا اليهم وحملوا عليهم حملة واحدة بصدق نية وثبات فلما رأوا ذلك ولوا منهزمين *(قال الواقدي رحمه الله)* ولم يزل السيف يعمل في الرجال من أول النهار الى وقت العصر وانزل الله النصر على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الافيال والرجال الذين على ظهورها تضرب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنشاب فجاء مفرج بن عيينة الفزاري الى فيل مقدم على أربعمائة فيل فطعنه في احدى عينيه فاشتبك الرمح في عينه وما قدر ان يجذبه فبرطع الفيل هاربا وألقى ما على ظهره من الرجال وداسهم برجليه فقتلهم فتبعته الفيلة التي خلفه وألقت ما على ظهورها من الرجال وداستهم بأرجلها فصاح مفرج دونكم وخراطيمها ومشافرها فانها مقاتلها فابتدر بنو فزارة وبنو اقراد وبنو عبس يضربون مشافر الفيلة حتى قتلوا منها مائة وستين فيلا وقتلوا من على ظهورها من الرجال ولم تزل القوم في الكر والفر والقتال الشديد حتى جاء الليل وحجز الفريقين ورجعت الروم والسودان الى أماكنهم وتفقد المسلمون من قتل منهم فاذا هم مائتان وأربعون رجلا ختم الله لهم بالشهادة وتفقد المشركون قتلاهم فاذا هم خمسة آلاف من النوبة والبجاوة والروم فبات المسلمون يتحارسون الى الصباح ويقرؤن القرآن ويدفنون قتلاهم فلما أصبح الصباح وقاموا الى اصلاح شأنهم اذا بالروم والسودان قد أقبلوا بعددهم وعديدهم وقد أظهروا زينتهم واصطفوا خمسة صفوف كل صف أربعون ألفا والمشاة بين

بلك الالافي وعمالبك وانحاز الجميع في مصر ويسر الله لهم بعض الجبخانة والمدافع بهمة الخواجا السيد احمد المحروقي لطف الله به ومنعوا

أيديهم خمسون ألفا (قال) قيس بن علقمة لقد دخلت العراق ورأيت جنود كسرى والجرامقة
واليرموك وأجنادين ووقعة مصر والقبط وفتح اسكندرية ودمياط فلم أر مثل كثرتهم فى مرج دهشور
فلما رآهم وقد ركبوا ركب خالد وجعل يتخلل الصفوف ويقول لهم انكم لستم ترون بمصر
والصعيد جيوشا بعد هذا اليوم مثل هؤلاء وان كسرتموهم فلا تقوم لهم قائمة أبدا فاصدقوا فى الجهاد
وعليكم بالصبر واياكم أن تولوا الادبار فتستوجبوا بذلك النار والصقوا المناكب ولا تحملوا حتى آمر
بالحملة (قال الراوى) رحمه الله تعالى ورضى عنه وان البطارقة لما رأوا أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد عولوا على ضربهم شجع بعضهم بعضا وقال لهم بطرس أخو بولص المقتول اعلموا انكم
ان انكسرتم لا تقوم لكم قائمة بعد هذا أبدا ويملكون بلادكم ويقتلون رجالكم ويسبون حريمكم وعليكم
بالصبر ولتكن حملتكم واحدة ولا تتفرقوا وقدموا الفيلة أمامكم والرجالة خلف ظهوركم واستعينوا
بالصليب فهو ينصركم *(قال الراوى)* وأما عمرو وخالد فانهما قالا نريد من يكشف لنا عن القوم
ويعود فوثب الفضل بن العباس رضى الله عنهما وقال انا فسار حتى قرب من القوم ورأى زيهم وأهبتهم
ورأى شعاع البيض والبيارق والرايات كاجنحة النسور فلما رآه القوم قالوا فارس قد طلع ولا شك انه
طليعة فأيكم يبتدره فابتدره ثلاثون فارسا فلما نظرهم ولى كانه منهزم وركض قليلا حتى بعد ثم لوى عنان
الجواد نحوهم وطعن أول فارس والثانى والثالث فدخل رعبه فى قلوبهم فانهزموا وتبعهم وهو يصرع
فارسا بعد فارس حتى صرع منهم عشرين فارسا فلما قرب من الروم ولى راجعا الى المسلمين وأعلمهم بذلك
فقالوا له غررت بنفسك يا ابن عم رسول الله فقال ان القوم طلبونى وخفت أن يرانى الله منهزما فجاهدت
باخلاص فنصرنى الله عليهم واعلموا انهم لنا غنيمة ان شاء الله تعالى قال فاقبل عمرو وخالد يرتبان العساكر
ميمنة وميسرة وجناحين كما تقدم فى اليوم الاول فجعل فى الساقة زياد بن أبى سفيان بن الحرث فى ألف
فارس حول البنين والبنات والاموال وكانت فيهم النساء اللاتى تقدم ذكرهن فى أجنادين واليرموك
وهن عفيرة بنت غفار وأم أبان بنت عتبة أخت هند وخولة بنت الازور ومزروعة بنت عملوق وسلمة بنت
ذراع ولبنى بنت سوار وسلمى بنت النعمان وهند بنت عمرون وزينب الانصارية فهؤلاء من النساء
اللاتى عرفن بالشجاعة فقال لهن خالد يا بنات العرب لقد فعلتن فعالا أرضيتن الله ورسوله والمسلمين بها
وقد بقى لكن ذكر يتحدث به جيلا بعد جيل وهذه أبواب الجنان قد فتحت لكن وأبواب النيران قد
فتحت لاعدائكن وانى أحرضكن اذا جاءت الروم والسودان اليكن فقاتلن عن أنفسكن كما قاتلتن فى يوم
اجنادين ويوم اليرموك فان رأيتن احدا هاربا فاقدونكن واياه بالعمد واشرفن عليه بولده وقلن له الى أين
تولى عن أهلك وولدك وحريمك وحرضن المسلمين على ذلك فقلن أيها الامير ما يفرحنا الا أن نموت أمامك
يا أبا سليمان لنضرب وجوه الروم والسودان حتى لا يبقى لنا عذر قال فشكرهن على ذلك ثم عاد خالد الى
الصفوف وجعل يدور بينها بجواده ويحرض الناس على القتال وهو يقول أيها الناس انصروا الله
ينصركم وقاتلوا من كفر واحبسوا أنفسكم فى سبيل الله واصبروا على قتال أعداء الله وقاتلوا عن حريمكم
وأولادكم ولا تحملوا حتى آمركم بالحملة ولتكن سهامكم تخرج من كبد قوس واحدة فان السهام اذا
خرجت جميعا لم يخل أن يكون فيها سهم صائب واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون
واعلموا أنكم لا تلقون بالوجه القبلى مثل هؤلاء اللئام فانهم حماتهم وبطارقتهم وملوكهم فقالوا سمعا
وطاعة وأقبل خالد ووقف فى القلب مع عمرو بن العاص وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهم
وقيس بن هبيرة ورافع بن عميرة الطائى والمسيب بن نجيبة الفزارى وذى الكلاع الحميرى وربيعة بن
عباس ومالك بن الاشتر والعباس بن مرداس السلمى ونظائرهم من بقية الامراء ثم زحفوا بسكينة ووقار
فلما رأى الروم ذلك والسودان زحفوا وكانوا ملء الارض طولا وعرضا فلما التقى الفئتان وتراكم الجمعان
وقد أظهر أعداء الله فى زينتهم الصلبان والاعلام ورفعوا أصواتهم بالكفر والبهتان فبينما الناس كذلك

الفرنسيس من دخول
البلد وأحاطوا بجميع
جوانبها ومنعوا من يدخل
اليها ومن يخرج منها وحصل
للفقراء ضنك بسبب قلة

اذ خرج راهب كبير عليه جبة سوداء وقلنسوة وزنار فنادى بلسان عربي أيكم أمير القوم فيخاطبني
ويخرج الى فخرج اليه خالد فقال له أنت أمير القوم قال خالد كذلك يزعمون مادمت على طاعة الله وسنة
رسوله فان أنا بدلت أو غيرت فلا طاعة لى عليهم ولا امارة فقال القس اعلم انكم قد ملكتم بلادا وقدمتم الى
بلاد ما جسر ملك من الملوك أن يتعرض لها ولا يدخلها وان ملوكا كثيرة أرادوها فرجعوا خائبين وأفنوا
أنفسهم عليها ولبس النصر يدوم لكم وان الملوك أرسلونى اليكم فان سمعتم نجمع لكم مالا ونعطى لكل
واحد منكم ثوبا وعمامة ودينارا ولك أنت مائة ثوب ومائة عمامة ومائة دينار ولكل واحد حمل من البر
وحمل من الشعير ولك عشرة أحمال ولصاحبكم عمر عشرة آلاف دينار ومثلها ثيابا ومثلها عمائم ومائة حمل
بر ومائة حمل شعير وارحلوا عنا وانتم موقرون انفسكم فاننا عدد الجراد ولا تظنونا كمن لاقيتم من الفرس
والروم وأهل الشام والقبط فان فى هذا الجيش من النوبة والبجاوة والسودان والروم وكبار البطارقة
والاساقفة ونجمع عليكم مالا طاقة لكم به من بلاد السودان والواحات وكانكم بالنجدة قد وردت علينا
وان بقية الروم لم تأت اليكم وانما أرسلوا من يقاتل عنهم فقال خالد والله ما نرجع عنكم الا باحدى ثلاث
خصال اما تدخلوا فى ديننا أو تؤدوا الجزية أو القتال وأما ماذكرت انكم عدد الجراد فالله قد وعدنا
بالنصر على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وأنزله فى كتابه وأما ماذكرت انكم تعطوننا من الثياب
والعمائم فعن قريب نلبس ثيابكم وعمائمكم ونملك بلادكم جميعها كما ملكنا الشام ومصر والعراق واليمن
والحجاز والروم فقال الراهب انا أرجع وأخبر أصحابى بذلك فانى قد أتيت من قبل البطليوس صاحب مدينة
البهنسا وقد أرسلنى الى صاحب أهناس واتفق الملوك والبطارقة وأرسلونى اليكم وأنا أرجع اليهم
وأخبرهم بجوابك ثم ان القس لوى راجعا من حيث جاء فلما رجع اليهم وأخبرهم بذلك كاتبوا ملوكهم
على ذلك وأرسلوا جوابهم بالقتال فلما وصلت الكتب تقدمت الروم والسودان وقدموا بين أيديهم
الفيلة وامامهم الرجالة بالقسى والسيوف والدرق والمزاريق فصاح الفضل بن العباس ورفاعة بن زهير
المحاربى والقعقاع بن عمرو التميمى وشرحبيل بن حسنة والمقداد بن الاسود الكندى ومعاذ بن جبل
وقالوا يامعاشر المسلمين اعلموا أن الجنان قد فتحت والملائكة قد أشرفت والحور تزينت وأشرفت من
الجنان ثم قرأ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة ثم رتبوا الصفوف فتقدم خالد
وقال لهم اقرنوا المواكب واثبتوا واعلموا ان هؤلاء أكثر منكم بعشرة أمثالكم وازيد فطاولوهم الى
وقت العصر فانها ساعة النصر على الأعداء واياكم أن تولوا الادبار وازحفوا على بركة الله وعونه (قال
الراوى) وتزاحمت السودان والبربر والنوبة والبجاوة فلما تقارب الجمعان رمت أصحاب الفيلة نشابهم
فكانت كالجراد المنتشر فقتلوا رجالا وجرحوا أبطالا وخالد تارة يضرب بسيفه فى الميمنة وتارة فى الميسرة
وكان فى أصحاب الفيلة من السودان والبربر سواكن يسمونهم القواد شفاههم العليا مشقوقة وبها اخزام
من نحاس فاذا كان وقت الحرب لا يخرجون القواد الا اذا حمى الحرب واشتد الطعن والضرب وكانوا
سوادا طوالا طول كل واحد منهم عشرة أذرع فاذا أرادوا الحرب جعل فى كل خزام سلسلة بطرفين فى
كل طرف منها واحد من البربر فاذا وقع صلح بين الفريقين والا زحفوا بهم وأطلقوا السلاسل ودفعوا لهم
أعمدة من حديد طوالا فيضرب الواحد الفارس والفرس فيقتلهما بضربة ومنهم من يركب الفيلة ويقاتل
على ظهورها فلما التقى الجمعان خرجت تلك القواد وعلى أجسادهم جلود النمور فوق أكتافهم ومربوطة
على صدورهم وفى أوساطهم مثل ذلك وهم عراة الاجساد والرؤس ليس عليهم غير ماذكرناه وبأيديهم
الاعمدة والرجال يقودونهم بتلك السلاسل والجيوش ينظرون متى يؤمرون بالحملة فلما رأى المسلمون
ذلك فمنهم من ثبت ومنهم من جزع قال وبرز البطريق أخو بولص المقتول وهو راكب على جواد عال وعليه
لحاف من جلود الفيلة وقاتل (قال الراوى) حدثنى خالد بن أسلم عن طريف بن طارق وكان من الازد
قال لما فعل البطريق ذلك ولت الازد من بين يديه منهزمين واذا بفارس قد أقبل يركض بجواده وهو عارى

القمح لكن حصل لطف
بسبب كثرة الارز والعدس
والفول وكان ثمن ربع
الارز ثمانية وأربعين
نصف فضة والعدس اثنين

الجسد حتى قرب من القوم وانشد يقول

لقد ملكت يدى سنانا وصارما * أذل عداة السودان حيث قادما
وأتركهم شبه الرخام اذا مشى * عليه شجاع لا يزال مصادما
والا كأغنام مضين بقفرة * وأصبح مولاها عن السعى نائما
وقد ملك الليث الغضنفر رجمها * وأصبح فيها بالمخالب حاطما

(قال الراوى) رحمه الله وصاح الفارس أنا ضرار بن الازور أنا قاتل ملوك الشام أنا ناصر دين الاسلام
والمسلط على من يكفر بالرحمن أنا قاتل بولص الكلب ذى الطغيان قال فلما سمع الروم كلامه عرفوه
فتقهقروا الى ورائهم فطمع فيهم وحمل عليهم فقال بطرس من هذا البدوى الذى لم يزل عارى الجسد
ويقاتل بالسيف مرة وبالرمح مرة قالوا هذا ضرار بن الازور فتحير الملعون وقال هذا قاتل أخى ولقد
اشتهيت ان آخذ بثاره ثم عزم على الخروج اليه فسبقه بولص رأس بطارقة الكورة وقال انا آخذ بثارك
ثم حمل على ضرار فتجاولا طويلا واعتركا مليا فما كان أكثر من ساعة حتى طعنه ضرار طعنة صادقة فى
صدره خرقت الدروع وخرجت من ظهره فانجدل صريعا وعجل الله بروحه الى النار فقال بطرس هذا جنى
وليس للانسان أن يقاتل الجن ثم لبس لامة حربه وتعصب بعصابة من اللؤلؤ الرطب ولبس فوق درعه مثل
ذلك وخرج يطلب ضرارا فسبقه شدمادرس أحد بطارقة الكورة وحلف لا يخرج اليه غيره وحمل على
ضرار وقال دونك والقتال فلم يفهم ضرار ما يقول ثم حمل عليه واخرج صليبا من الذهب كان معلقا فى
عنقه فضحك ضرار عليه وقال انت تستعين بالصلبان وانا استعين بالملك الديان ثم ارى كل منهما ادهش
الناس من الحرب فصاح خالد وبقية الامراء ما هذه الفترة يا ضرار والجنة قد فتحت لك ولعدوك قد
فتحت النار فاستيقظ ضرار وحمل على البطريق وصاحت الروم بصاحبها وصاروا فى حرب عظيم
وحميت عليهم الشمس وثار الحرب حتى كل منهما الساعدان وعرق من تحتهما الجوادان فأشار
البطريق الى ضرار أن يترجل ويترجل البطريق معه شفقة على الجوادين واذا برأس بطارقة أهناس
قد أخرج له جوادا مجللا بالحرير ليركبه فلما نظر ضرار الى ذلك صاح بجواده اثبت معى هذه الساعة
والا أشكوك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فذرفت عين الجواد بالدموع وحمحم وجرى أكثر من جريه
المعتاد وتلقى ضرار البطريق وحمل عليه وطعنه بعقب الرمح فأرداه وأخذ جواده وأرادقته له واذا
بكردوس خرج من الروم ومعهم الكلب الكبير شاول أحد بطارقة الأشمونين وأحاطوا بضرار وكان على
رأس شاول تاج من الذهب الأحمر فلما رأى الصحابة الكردوس الذى خرج على ضرار والتاج يلمع على
رأسه قالوا لخالد ما سبب قعودنا عن نصرة صاحبنا وقد أحاطت به الروم فعندها اخرج خالد رضى الله عنه
فى عشرة من خيار قومه وهم الفضل بن العباس بن عبد المطلب وأخوه وعبد الله بن جعفر ومسلم وعلى
أولاد عقيل وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وعبد الله بن عمرو بن العاص
وعبد الله بن المقداد وقوموا الاسنة وأطلقوا الاعنة وصبر ضرار للروم حتى وصلت اليه الامراء وقالوا
أبشر يا ضرار فقد أتاك النصر والفرج وقد ذهب عنك الخوف والجزع فلا تخف من الكفار واستعن
بالله الواحد القهار فقال ضرار ما أقرب الفرج من الله والتقت الرجال بالرجال وطلب خالد صاحب
التاج والعصابة وضرار مع خصمه فلما رأى شاول البطريق المسلمين قد أحدقوا به وما حل بجماعته
اندهش وارتعد هذا وضرار مع خصمه وقد أراد الهرب فألقى ضرار نفسه من على جواده وتبعه حتى لحقه
ثم رمى الرمح من يده وتواخذ بالمناكب وتصارعا وكان عدو الله كأنه قطعة من جبل وضرار نحيف الجسم
غير ان الله أعطاه حيلا وقوة فلما طال بينهما العراك ضرب ضرار بيده فى بطن عدو الله فقلعه وجلد به
الارض فصاح يستنجد بالبطارقة وتصارخت الروم والسودان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم يمهله ضرار دون أن ركب عليه وهو يعج كالبعير فعندها أظهر ضرار سيفه ومكنه من نحره فقتله فزعق

وعشرين نصفا فضة والفول
قريبا من ذلك وسار
الفرنسيس يضربون البلد
بالمدافع والقنابر حتى
أتلفوا منها بعض أماكن

زعقة سمعها العسكران فحملت الروم والسودان هذا وضرار قد احتز رأسه وقام عن صدره وهو ملطخ بالدماء ثم كبر المسلمون ودنا الفريقان بعضهم من بعض والتحمت الابطال وقوى القتال وعظم النزال وسال العرق وازور الحدق وعظمت الرزايا وأظلمت الدنيا ودارت رحى الحرب وقوى الطعن والضرب وضاقت الصدور واشتدت الامور وضاقت المذاهب وقطعت المناكب وما كنت ترى الا دما فائرا وكفا طائرا وجوادا غائرا هذا وقد زحفت السودان وأصحاب السلاسل ذووا الكفر والطغيان وضربوا بالاعمدة الحديد ويومهم يوم شديد وبانت الشجعان وفر الجبان وبقى حيران هذا وعمرو بن العاص يحرض الناس على القتال ويقول يا أيها الناس ويا حملة القرآن اذكروا غرف الجنان فسر الناس بقوله ونشطوا وصارت السودان يضربون الفارس مع الفرس بالعمد الحديد فيقتلونهما جميعا وكذلك أصحاب الفيلة يرمون بالنشاب ويضربون بالحراب الى أن جاء وقت العصر وقد قتل من الفريقين خلق كثير وظفر خالد بخصمه شاول لعنه الله وضربه بالسنان فى صدره فخرج السنان يلمع من ظهره ووقع على الارض يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار قال ولما عظم القتال والبلاء قال رفاعة المحاربى وقد انتخب من بنى محارب ولبيد ومالك خمسمائة فارس وقصد الفيلة وقال يا وجوه العرب دونكم وأعينها ودنا من الفيل الابيض وهو قائدها وهى خمسمائة فيل وتقدم اليه والسيف فى يده وهو ينشد ويقول

يالك من ذى جثة كبيره * لقيت كل شدة خطيره

اليوم قد ضاقت بك الحظيره * حتى ترى ملقى على الحفيره

ولم يمت من ذلك الا القليل من الناس وذلك بفضل الله تعالى وهجموا عليها مرات كثيرة من كل طرف ولم يمكنهم الله تعالى منها ثم

قال ثم ضربه بالسيف فولى هاربا ثم برك وكان عليه عدة من السودان فى قبة من الاديم فلما سقط الفيل الى الارض قام علج عن ظهره وفى يده عمود فضرب به رفاعة فزاغ عنه وضربه رفاعة على عاتقه الايمن فأطلع السيف يلمع من عاتقه الايسر فسقط عدو الله يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار فتلاحقت العرب بأصحاب الفيلة وصاروا يطعنون الفيلة فى أعينها كما ذكرنا فولوا منهزمين قال وقصد خالد والمقداد وأجواد الامراء القواد الذين تقدم ذكرهم وطلبوا من الله النصر والثبات وصاروا يأتونهم وهم فارس عن اليمين وفارس عن اليسار فيقتلون مساك السلاسل ثم يمسكون أطراف السلاسل ويطلقون الاعنة فينقاد معهم كالبعير الشارد فيأخذون العمود من يده ويقتلونه شر قتلة ولم يزل القوم فى قتال ونزال وأهوال حتى جاء الليل وحجز بين الفريقين وقد قتل من الفريقين خلق كثير فأما المسلمون فقد قتلوا منهم اثنى عشر ألفا من الملوك والبطارقة خمسة عشر بطريقا وما كان من السودان وغيرها وباتت المسلمون يتحارسون الى الصباح (قال الراوى) رحمه الله وكان قد أثخن بالجراح جماعة من المسلمين فى ذلك النهار وكان المسلمون طائفة يدفنون القتلى وطائفة يداوون الجرحى وطائفة يقرؤن القرآن وطائفة يصلون وطائفة نيام من كثرة ما لحقهم من التعب وخالد بن الوليد والزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهم يدورون حول العسكر الى الصباح فلما لاح الفجر أذن المؤذنون وصلى عمرو بن العاص بالناس الصبح بسورة الفتح ثم دعوا الله عز وجل أن يرزقهم النصر ثم تبادروا الى خيولهم فركبوها ورتبوا صفوفهم كما ذكرنا فيما تقدم بالامس فلما فرغ المسلمون من تعبية الصفوف أقبل الامراء يحرضون الناس على القتال وقد جعلوا على الساقة رافع بن عميرة الطائى والحرث بن قيس ورفاعة بن زهير فى خمسمائة فارس (قال الراوى) قال عبادة بن رافع حدثنا سالم ابن مالك عن عبد الله بن هلال وكان فى خيل رافع قال لما رتبت الصفوف والتقى الجمعان وكثر القتال وكل واحد اشتغل بنفسه ونحن نذب عن النساء والصبيان والنساء اللاتى تقدم ذكرهن يقاتلن أشد القتال اذ جاءنا كردوس عظيم من البطارقة والسودان والبجاوة ومعهم زهاء من ستمائة فيل وغافلونا ونحن مشغولون بالقتال واقتطعوا قطعة كبيرة من الابل والرجال والنساء والصبيان زهاء من ألف بعير

وماتئى امرأة وغير ذلك وكان فى ذلك زائد بن رباح البكرى وعباد بن عاصم الغنوى ومعهما مائتا فارس
فقاتلوا قتال الموت حتى أثخنوا بالجراح وقاتلت النساء بالاعمدة والسيوف والخناجر فلله در عفيرة بنت
غفار وسلمى بنت زاهر ونظائرهما من النساء لقد قاتلن حتى ضربن بالسيف على رؤسهن وسالت الدماء
على وجوههن وهن يقلن الله الله يا نساء العرب قاتلن عن العسكر وعن أنفسكن والا صرتن بأيدى
الاعلاج الغلف والسودان فقاتلن قتال الموت وقتل من المسلمين خمسة عشر نفرا ختم الله لهم بالشهادة
وساقوا النساء والصبيان فرجع فارس الى خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وأعلمهما بذلك وهم فى أشد
القتال فتصايحت المسلمون وخرج جماعة من الامراء من وسط المعركة وهم الفضل بن العباس وعبد الله
ابن عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وزياد بن أبى سفيان وعبد الله بن أبى طلحة وضرار
ابن الازور وجماعة من الامراء وتبعهم ستمائة فارس من العرب من صناديد القوم وأدركوهم عند أول
الجبل وهم يريدون جهة الفيوم فعند ذلك زعق ضرار والفضل بن العباس الى أين يا أعداء الله
فتراجعت الروم والسودان عنهم واقتتلوا قتالا شديدا فابتدر ضرار الى مقدم السودان
وطعنه فى صدره فأطلع السنان يلمع من ظهره وكذلك الفضل بن العباس تقدم الى بطريق عظيم
وطعنه فى لبته فأطلع السنان يلمع من قفاه فانجدل يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار قال واستمروا
يقاتلون حتى قتلوا مقتلة عظيمة فلما عاينوا ذلك ألقوا ما بأيديهم من الغنيمة وولوا وتواثب
المسلمون وردوا السبى والحريم وردوا الاسارى وحلوهم وساعدتهم النساء بالاعمدة والسيوف
والخناجر فكانت النساء يضربن وجوه الخيل بالعمد فيكبوا الجواد بصاحبه فتتعلق المرأة بالفارس
وتجذبه الى الارض فتجلد به الارض ثم تفر به فتقتله حتى قتلن جماعة من الروم والسودان
والبجاوة وغيرهم فلما رأوا ذلك ولوا منهزمين من بين أيديهم وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون
حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة وأسروا منهم نحو ستمائة أسير من الروم والسودان وزحفوا وقد غنموا
اسلابهم وخيولهم (قال الواقدى) رحمه الله هذا ما جرى لهؤلاء وأما العسكر فانهم لم يزالوا فى قتال شديد
وأمر عتيد وضرب وطعان وقتل رجال وجندلة أبطال وفرسان وقد قامت الحرب على قدم وساق
وضربت الاعناق وصالت الشجعان وولى الجبان حيران ودارت رحى الحرب واشتد الطعن
والضرب وقطعت المعاصم وطارت الجماجم وحامت طيور المنايا وعظمت الرزايا واشتد الزحام
وعظم المرام وضاقت الصدور وعظمت الأمور واشتد الغبار وقل الاصطبار وقاتلت الامراء
بالرايات وبربرت السودان بلغاتهم ورفعت الروم اصواتها وضربت ببوقاتها وطعنت برماحها
ورمت بنشابها وحارت الافكار وعميت الابصار وثار الغبار وأظلم النهار وكان شعار المسلمين
يا نصر الله انزل وصبر المسلمون لهم صبر الكرام فلله در الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود والفضل بن
العباس وعقبة بن عامر والمسيب بن نجيبة الفزارى ونظائرهم من الامراء فلقد قاتلوا قتالا شديدا وابلوا
بلاء حسنا وصبروا صبر الكرام وأما عمرو وخالد والقعقاع بن عمرو وسعيد بن زيد فلقد كانوا يقاتلون
قتال الموت وزحفت الفيلة برجالها وقاتلت الروم بأبطالها والسودان بأفيالها وقد كانت الفيلة
تعطف على خيل العرب ويرمون بالنشاب فيخرج كالجراد المنتشر حتى قلعت أعين كثيرة فى ذلك اليوم
فما كنت تسمع الا من يصيح واعيناه وهذا يصيح وايداه والفيلة تحطم والسودان يرمون الابطال فعندها
وثب رفاعة بن زهير المحاربى وأتى الى خالد وعمرو وقال أيها الامراء ان تم هذا الامر هكذا هلكنا عن آخرنا
قالا فما الرأى يا أبا حازم قال الرأى أن نجمع ثيابنا ونغمسها زيتا ودهنا ونجعلها على رؤس الرماح ونجعل
فى أعلاها نارا ثم نأمر رجالا يجمعون القيصوم وغيره ونجعله فى غرائر على ظهور الجمال عريا ونشغلهم
بالقتال ثم تأتى الفرسان تمانعهم وتساق عليهم الجمال فانها اذا أحست بالنار حطمتهم فلا يصبرون على
ذلك والمعونة من الله تعالى فاستصوبوا رأيه وأعدوا رجالا لذلك وناوشوهم القتال فلم يكن الا ساعة حتى

بعد مضى ثلاثة وثلاثين يوما
هجموا على باب الشعرية
وحرقوا أطراف الحارات
التى بجوار سيدى عبد
القادر الدشطوطى وقتلوا

تهيأت المكيدة وجمعوا من الفرسان ألف فارس وصبغوا تلك الثياب بالدهن والزيت وأطلقوا النيران برؤس الاسنة وحملوا الغرائر بالقيصوم وغيره وأشعلوا فيه نارا ووضعوا الحراب فى أحناب الابل فلما أحست بالحراب فى أجسامها والنار فى ظهورها فعندها حطمت الروم والسودان فلما رأت الفيلة ذلك طارت عقولها وقطعت سلاسلها وداست قوادها ورمت ما على ظهورها من الرجال وداستهم باخفافها ورجعت خيل الروم وبراذينها وهربت بغالها وذابت قلوب رجالها وضربت الامراء فى الاعداء بسيوفها وطعنت برماحها ورمت بنشابها قال المسيب بن نجبة ولقد رأينا طيورا أظلتنا فى زى النسور وكان الطائر يرفرف بجناحه على وجه الكافر ورأسه ثم يضع مخاليبه فى عينيه فيرميه الى الارض فلم تكن الاساعة بعد صلاة العصر حتى ولت الروم الادبار وركنوا الى الفرار وتبعتهم المسلمون يقتلون ويأسرون حتى جاء الليل وأظلم النهار ووصلت الهزيمة الى القرية المعروفة بالدير والى اللاهون والى أهناس والى ميدوم وتبعتهم المسلمون الليل كله الى الصباح وقد تفرق شملهم وشرد جمعهم وأسر منهم جماعة كثيرة نحو خمسة آلاف وقتل منهم مالا يحصى (قال) رافع بن أزد الجهنى لما رجعنا الى مكان المعركة وجدنا الارض قد امتلأت من قتلى الروم والسودان والبجاوة وغيرهم واختلط جماعة من قتلى المسلمين بهم ما عرفناهم من الروم الا أن الروم كان بايديهم صلبان والمسلمون ليس لهم ذلك فميزناهم منهم بذلك وجمعنا جريد النخل والقصب ووضعنا على كل قتيل جريدة أو قصبة وذلك فى مكان المعركة ثم جمعناها وحصرناها فاذا الكفار تسعون ألفا وقتل فى الجبال والطرقات مالا يحصى وتفقد المسلمون من قتل منهم فاذا هم خمسمائة وثلاثون رجلا وجمعت المسلمون الغنائم والاموال ثم قسمت واخرج عمرو منها الخمس وكتب كتابا بالفتح وما جمعه من الخمس واستدعى بالامير هاشم بن المرقال رضى الله عنه وندب معه ثلاثين رجلا من خيار الجند وأمره بالمسير الى المدينة وأقام المسلمون بالمرج بعد الوقعة خمسة أيام حتى استراحوا ورجع من كان خلف المنهزمين ثم اجتمعوا الى عمرو واستأذنوه فى المسير الى الوجه القبلى فاذن لهم وودعهم ودعا لهم وقال يعز على فراقكم ولولا أن أمير المؤمنين لم يأمرنى بالمسير ما فارقتكم ثم رجع معه ثلاثة آلاف ومائة وعشرون وكان جملة من قتل ثمانمائة وثمانين ختم الله لهم بالشهادة وقيل ألف وقيل تسعمائة وأربعون على اختلاف الرواة والله أعلم أى ذلك كان (قال الراوى رحمه الله تعالى) ما أخذت فى هذا الكتاب الا على قاعدة الصدق والمعونة من الله تعالى فلما ملكت المسلمون البلاد وأذلت أهل الشرك والفساد وذلك ببركة الصحابة رضى الله عنهم فهم الرجال الابطال والسادة الاخيار والمهاجرون والانصار وأصحاب محمد المختار الذين فتحوا بسيوفهم الامصار وأذلوا الكفار وأرضوا العزيز الغفار وباعوا نفوسهم لله الواحد القهار بجنات تجرى من تحتها الانهار (قال الراوى رحمه الله) ولما رجعت المنهزمون الى الملوك والبطارقة وأخبروهم بذلك ووقع الرعب فى قلوبهم وحاروا فى نفوسهم ولم يدروا ما يدبرون وما يصنعون قال فصعب على بطريق أهناس وعلى صاحب البهنسا ما صنع ببطارقتها وعولوا على الحصار وجمعوا الآلة وصاروا يخزنون ما يحتاجون اليه وتيقنوا أن لا بد للعرب من أرضهم ووطنوا أنفسهم وكذلك بطارقة الصعيد وملوكه وضاقت نفوسهم عما حل بهم (قال الراوى) ووصل الكتاب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ففرح بذلك فرحا شديدا وقرأ الكتاب على على بن أبى طالب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرحوا بذلك فرحا شديدا ثم قسمت الغنائم على اهل المدينة وقسم لنفسه كاحدهم رضى الله عنه وعنهم وكتب جواب الكتاب ودفعه لهاشم وقال له قل لعمرو يحث الصحابة ويحرضهم على فتح الصعيد (قال الراوى) واما عمرو بن العاص رضى الله عنه فانه لم يرجع الى مصر حتى قسم الغنائم بين الصحابة وفضل أصحاب الولاء واهل السابقة ورجع الى مصر بعد أن جهز العساكر الى الصعيد (قال الراوى) رحمه الله ولما فارق

جماعة من الرجال ونهبوا الاموال وسبوا رجالا ونساء وهجموا واقبل ذلك على بولاق وقتلوا جماعة كثيرة ونهبوها وسبوا منها رجالا

عمرو بن العاص خالد بن الوليد والامراء رضى الله عنهم استشار بعضهم بعضا اى مكان يقصدون فاتفق رأيهم أن يسيروا ألف فارس طليعة وامر عليهم قيس بن الحرث ومعه جماعة من أمرائهم منهم رفاعة بن زهير المحاربي والقعقاع بن عمرو التميمي وعقبة بن عامر الجهني وذو الكلاع الحميري رضى الله عنهم وصاروا يسيرون فى وسط البلاد وبقية العساكر قريبة منهم فمن أطاعهم وطلب الأمان امنوه وصالحوه ووضعوا عليه الجزية ومن أبى قاتلوه ومن اسلم تركوه وسار خالد ببقية الجيش يريدون اهناس فانها كانت أعظم مدائن الوجه القبلي بعد الكورة وكانت حصينة آهلة بالخيل والآلة والعدة ولما احس بطريقها بمجيء الصحابة اليه جمع البطارقة وقد انكسرت جنودهم وخمدت نيرانهم وكلهم بانهزام جيوشهم وشاورهم فى امرهم وقال لهم خذوا اهبتكم وقاتلوا عن حريمكم واموالكم والا صرتم عبيدا للعرب يفعلون بكم ما يختارون وان شئتم صالحناهم حتى يعلم ما يكون من بطارقته فاجابوه وقالوا لا نسلم البلاد حتى نغلب ونجمع اموالنا فى هذه المدينة الحصينة ونقاتل فان غلبنا عولنا على الحصار واتفق رأيهم على ذلك فكان الذى أجابهم الى ذلك خرج بنفسه وأمواله ومن لم يجبهم الى ذلك أقام وكذلك بطارقة البهنسا منهم من انتقل الى البهنسا بماله واولاده ومنهم من اقام ببعض المدائن ممن عولوا على الاقامة والحصار والقتال وسار خالد بالجيش حتى قرب من اهناس وبين يديه الطلائع والامراء وهم يشنون الغارات على السواحل والبلاد فمن خرج اليهم صالحهم وعقد معهم صلحا صالحوهم ولهم الميرة والعلوفة والضيافة ومن أبى دعوه الى الاسلام فان أبى طلبوا منه الجزية فان أبوا شنوا عليهم الغارة حتى وصلوا قريبا من اهناس وبلغ الخبر الى عدو الله فقال لابد من لقائهم وقتالهم حتى انظر ما يكون من أمرهم ثم خرج الى ظاهر المدينة قريبا من السور ولم يبعد عنها وكان للمدينة أربعة أبواب فاغلق ثلاثة وفتح الباب الشرقي وأخرج الخيام والسرادقات وأكثر من العدة والزينة وقال ان دخلنا المدينة من غير قتال طمعت العرب فى جانبنا ثم فرق بطارقته وعرض جيشه فكانت عدتهم خمسين ألفا وقال اثبتوا وقاتلوا عن حريمكم ولا تكونوا أول جند اخذوا وأقاموا يتأهبون للقتال وينتظرون قدوم الصحابة رضى الله عنهم (قال الواقدى رضى الله عنه) وأما خالد فلما اقرب من اهناس استدعى بالزبير بن العوام وضم اليه ألف فارس من الامراء وغيرهم وأمره بالمسير ثم استدعى بالفضل بن العباس وضم اليه ألف فارس وسار على أثره ثم استدعى بميسرة بن مسروق العبسي وضم اليه ألف فارس وساروا على أثره ثم استدعى بزيادة بن أبي سفيان وضم اليه الف فارس وسار على أثره ثم استدعى بمالك الاشتر النخعي وضم اليه ألف فارس وسار على أثره وسار خالد ببقية الجيش (قال) حدثنا عون بن سعيد قال حدثنا هاشم بن نافع عن رافع بن مالك العلوى قال كنت فى خيل الزبير بن العوام رضى الله عنه لما توسطنا البلاد وتعرضنا لأهلها وشننا الغارة على السواد فوجدنا قطيعا من الغنم ومعها رعاة فلما احسوا بنا تركوها ومضوا فسقناها ثم سرنا قليلا واذا بنساء وصبيان مشرفة ونصارى من القبط وغيرهم فلما رأونا نفروا وكان معهم عشرون فارسا من العرب المتنصرة من جذام ومعهم بطريق من البطارقة عليه الزينة الفاخرة فلما عاينونا نفروا من بين أيدينا فاطلقنا الغارة عليهم فما كان غير بعيد حتى ادركناهم وقبضنا عليهم وسألناهم فاجابوا بانهم من قرى شتى وانهم يريدون أهناس فعرضنا عليهم الاسلام فامتنعوا فاردنا قتلهم فنعنا من ذلك الزبير رضى الله عنه وقال حتى يحضر الامير خالد ويفعل ما يريد قال وسرنا حتى قربنا من أهناس ورأينا المضارب والخيام والسرادقات فاعلن الزبير بالتهليل والتكبير وكبر المسلمون حتى ارتجت الارض لتكبيرهم وخرجت الروم الى ظاهر خيامهم ينظرون الينا وعدو الله مارنوس بن ميخائيل ينظر الينا والحجاب والنواب وأرباب الدولة من البطارقة حوله وعليهم أقبية الديباج وعلى رؤسهم التيجان المكللة وبايديهم العمد المذهبة والسيوف وهم محدقون به عن يمينه وشماله قال فلما اقبلنا عليهم تصايحوا ورطنوا بلغتهم وأعلنوا بكلمة كفرهم واستقلونا فى أعينهم ولما قرب الزبير من القوم هز

ونساء فلما رأى المسلمون ذلك وانهم كانتة كتوامن محل أحرقوه بالنار مالوا الى الصلح بعد طلب الفرنسيس له شفقة على الرعية وخرجت

الراية وأنشد يقول

أيا أهل أهناس الطغاة الكوافر * ويا عصبة الشيطان من كل فاجر
أتتكم ليوث الحرب سادات قومها * على كل مشكول من الخيل ضامر
فان لم تجيبوا سوف تلقون ذلة * ونقتل منكم كل كلب وفاجر

(قال الراوى) ثم نزل قريبا من القوم فلم يكن غير قليل حتى أقبل الفضل بن العباس رضى الله عنهما وحوله السادات الاماجد فكبر وكبروا معه وهز الراية وأنشد يقول

أيا أهل أهناس الكلاب الطواغيا * أتتكم ليوث الحرب فاصغوا مقاليا
أقروا بأن الله لارب غيره * والا ترو أمرا عظيما مدانيا
أقروا بأن الله أرسل أحمدا * نبيا كريما للخلائق هاديا

(قال الراوى رحمه الله) ثم نزل قريبا من أصحابه فلم تكن الا ساعة حتى أقبل الامير ميسرة بن مسروق العبسى وكبر هو والمسلمون فاجابه المسلمون فهز الراية وأنشد يقول

أتينا لاهناس بكل غضنفر * على كل صهال من الخيل أجرد
فان هم أطاعونا شكرنا فعالهم * ولا أبدناهم بكل مهند
ونخرب أهناسا ونقتل أهلها * اذا خالفوا دين النبى محمد

(قال الراوى) رحمه الله تعالى ونزل قريبا من الفضل ولما كان غروب الشمس أقبل زياد بن أبى سفيان رضى الله عنه بمن معه وكبر هو والمسلمون وهز الراية وأنشد يقول

هلموا الى أهناس يا آل هاشم * ويا عصبة المختار نسل الاعاظم
ودونكم ضرب السهام بشدة * وقطع رؤس ثم فلق جماجم
لننصر دينا للنبى محمد * نبى الهدى المبعوث من آل هاشم

(قال الراوى) رحمه الله وبات المسلمون رضى الله عنهم يقرؤن القرآن ويصلون على النبى صلى الله عليه وسلم وهم يتحارسون حتى لاح الفجر ثم أقبل المقداد رضى الله عنه بأصحابه وكبر هو والمسلمون ولما قرب من أصحابه هز الراية وانشد يقول

أنا الفارس المشهور فى كل موطن * وناصر دين للنبى محمد
لعل ننال الفوز عند الهنا * فيا فوز من أضحى نزيل المؤيد
ونقتل عباد الصليب جميعهم * بأسمر خطى وعضب مهند

(قال الراوى) رحمه الله تعالى ونزل بازاء الفضل وتكامل الامراء المتقدم ذكرهم قال ولما رأوا ونظروا أن ليس وراءنا أحد وقعدنا ذلك اليوم ولم نكلمهم ولم يكلمونا فلما كان اليوم الثانى عند طلوع الشمس اذا بالغبار قد طلع والقتام قد ارتفع من خيول عادية وعليها فوارس حجازية وكبر المسلمون ورفعوا راياتهم الاسلامية واعلامهم المحمدية فسمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الصياح فخرج الامراء الى لقائهم واذا فى أوائلهم خالد بن الوليد رضى الله عنه والى جانبه غانم بن عياض الاشعرى وأبو ذر الغفارى وأبو هريرة الدوسى واسمه عبد الرحمن وبقية الامراء والمهاجرين والانصار فلما رأت الروم ذلك من قريب دخل الرعب فى قلوبهم ونزل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من أهناس كل منهم فى مركزه واقاموا ذلك اليوم فلما كان اليوم الثانى جمع خالد الامراء وأصحاب الرايات واستشارهم فيمن يمضى الى بطريق أهناس فقال المقداد أنا له فقال له خالد انت له فخذ من شئت فاخذ معه ضرار بن الازور وميسرة بن مسروق العبسى وقال لهم خالد ادعوه الى الاسلام فان أبى فالجزية فان أبى فالقتال واحرصوا على أنفسكم (قال الراوى) رحمه الله تعالى وساروا الى القوم حتى قربوا من العسكر وهم يدوسون بخيولهم أطناب الخيام والسرادقات فصاحت بهم الحجاب من تكونون فقالوا نحن رسل فاعلموا البطريق بذلك فامر

العساكر من البلاد وتوجهوا الى الشام صحبة كتخدا الدولة وابراهيم بك وأما مراد بك فاصطلح معهم على ان يمكث فى الصعيد

باحضارهم فلما حضروا بين يديه صاحت بهم الحجاب والنواب الارض للملك فلم يلتفتوا اليهم ولم ينزلوا الا على باب سرادق الملك ووقفوا على الباب فاذن لهم فى الدخول فدخلوا وامسكوا لجم خيولهم فاراد الغلمان يمسكوها فامتنعوا من ذلك فاشار اليهم البطريق فتركوهم ثم دخلوا عليه فاذا هو جالس على سرير من الذهب مرصع بالدر والجوهر وحوله البطارقة جلوس والحجاب والنواب وأرباب الدولة قيام وبايديهم السيوف والاعمدة والرماح فلما رآهم تغير لونه واندهش وأذن لهم بالجلوس فقالوا لا نجلس على هذا الفرش فانه حرام علينا فامر بالبسط الحرير فرفعت ثم فرش انطاعا من الصوف ثم أشار اليهم فقالوا لا نجلس حتى تنزل عن سريرك قال فرطنت الروم فاشار اليهم فسكتوا وأرادوا أن ينزعوا منهم سيوفهم فامتنعوا من ذلك فتركوهم وكلمهم الملك فابوا حتى ينزل عن سريره فنزل وكلمهم بلسان عربى وسألهم عن حالهم فاجابوا انهم لا يفارقونه حتى يسلم هو وقومه أو يؤدوا الجزية أو القتال فامتنع عن ذلك وقال اذهبوا والموعد غدا للقتال وخرجوا من عنده على ذلك ورجعوا الى خالد واعلموه بذلك فتأهب الامراء للحرب فلما أصبح خالد صلى باصحابه صلاة الصبح وبادروا للحرب والقتال وصاحوا النصر يا خيل الله اركبى وللجنة اطلبى فركب المسلمون خيولهم وركزوا راياتهم واصطفوا ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وخالد فى وسط الجيش وعلى الساقة ميسرة بن مسروق العبسى ومالك الاشتر النخعى فى خمسمائة فارس من المهاجرين والانصار (قال الراوى) فلم تكن غير ساعة حتى برزت الروم وأظهرت صلبانها (قال) حدثنا رافع بن مالك عن عباد بن مازن عن محمد بن مسلمة الانصارى رضى الله عنه قال لما أقبلت رايات القوم عددناها فاذا هى خمسون صليبا تحت كل صليب ألف فارس فكان أول من افتتح الحرب بطريق عليه ديباجة حمراء وعلى رأسه بيضة معصب عليها بعصابة من جوهر فبرز اليه فارس من خثعم يقال له زيد بن هلال فقتله ثم طلب البراز فبرز اليه عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولم يمهله أن ضربه بالسيف على عاتقه الايمن فخرج يلمع من عاتقه الايسر فانجدل عدو الله يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وطلب البراز فبرز اليه فارس من الروم فقتله ثم آخر فقتله وطلب الميمنة وشوش صفوفهم وقتل أبطالهم ثم عاد الى القلب ثم خرج من بعده شرحبيل بن حسنة وفعل كفعله ثم حمل من بعده الفضل بن العباس ثم حمل من بعده العباس بن مرداس ثم من بعده أبو ذر الغفارى ثم تبادر المسلمون بالحملة فلما رأى الروم ذلك ايقظوا أنفسهم فى عددهم وعديدهم وتظاهروا بالبيض والدروع ولم يزل القتال بينهم حتى توسطت الشمس فى قبة الفلك (قال الراوى) رحمه الله ورضى عنه فعندها حمل خالد بن الوليد وغاص فى الميمنة فقلبها على الميسرة وغاص فى الميسرة فقلبها على الميمنة وقاتلت العرب قتالا شديدا حتى جاء الليل وحجز بين الفريقين وبات المسلمون يتحارسون وتفقد المسلمون بعضهم بعضا فاذا قد قتل منهم اثنان وأربعون رجلا ختم الله لهم بالشهادة الاعيان منهم ربيعة بن عامر الداودى وزيد بن ربيعة المحاربى وغانم بن نوفل المحاربى وصفوان بن مرة اليربوعى والبقية من اخلاط الناس وقتل من أعداء الله ألف وثلثمائة وأزيد ولما خلا عدو الله باصحابه تذاكروا ما وقع فى الحرب وصعب عليهم ما لقوه من العرب فاراد الملك الصلح فغلب البطارقة عليه وأعدوا للحرب والقتال فلما أصبح الصباح وبارق الفجر لاح صلى المسلمون صلاة الصبح ثم اصطفوا على ظهور خيولهم واصطفت الروم وبرزت البطارقة وأظهروا زينتهم وبرز بطريق عظيم يقال له صاحب طنسا وعليه لامة حربه وطلب البراز فبرز اليه الفضل بن العباس فتجاولا وتعاركا وتخافضا بقين فكان السابق بالضربة الفضل بن العباس فضربه بالسيف على رأسه فوصل الى أضراسه فانجدل صريعا يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار وبرز بطريق ثان فقتله ولم يزل كذلك حتى قتل أربعة من خيارهم فحملت الروم حملة واحدة وحمل المسلمون وحمل ضرار بن الازور رضى الله عنه واظهر شجاعته وحمل مذعور بن غانم الاشعرى والفضل بن العباس ومحمد بن عقبة ابن أبى معيط ومسلم وجعفر وعلى ابناء عقيل وعبد الله بن جعفر وسليمان بن خالد وعبد الرحمن بن أبى بكر

فى بلاد معلومة ويدفع لهم خراجها ثم بعد خروج العساكر وتوجههم الى الشام جمع كبير الفرنسيس كبير اهل البلد وطلب

وتجاهرت

وتجاهرت الامراء وعظم الخطب وكثر الطعن والضرب وثار القتام حتى صار النهار كالظلام وتراشقوا
بالنبال واشتد القتال وقطعت المعاصم وطارت الجماجم فما كنت ترى الاجواد اغاثوا ودمافاثوا
واشتد الكرب وكثر الطعن والضرب وسال العرق واحمر الحدق وجال خالد كالاسد وارغى وازبد فعند
ذلك رفع غانم بن عياض طرفه الى السماء وقال يا عظيم العظماء أنزل علينا نصرك كما أنزلته علينا في
مواطن كثيرة وانصرنا على القوم الكافرين فأمنت جماعة من الامراء على دعائه فما كان غير بعيد حتى
رأيت الرجال الكفار يتساقطون لا ندري بماذا يقتلون فلما رأى الروم ذلك فروا الى الباب وتبعتهم
المسلمون يقتلون ويأسرون وينهبون والحجارة تأخذهم من أعلى السور وهم لا يلتفتون الى ذلك ودخلوا
الى الابواب ودخل اللعين وصال عليهم خالد وجماعة من الامراء واقتطعوا قطعة من الروم نحو خمسة
آلاف وكان المسلمون قريبا من اللعين فاقتتلوا عند الباب ورموهم بالحجارة فقتلوا منهم نحوا من ثلاثة
آلاف وخرج من الباب نحو من ألف فارس وحملوا ودخل الباقون واغلقوا بابهم وطلعوا على
الاسوار واشتد القتال والحصار ورموا بالحجارة والنبال حتى فرق الليل بينهم (قال الراوى) رحمه الله
وأقام المسلمون على حصار أهناس ثلاثة أشهر وفي كل يوم يناوشونهم بالقتال والاسوار رفيعة
والابواب منيعة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يوم يشنون الغارات حتى يصلوا الى اطراف
الكورة (قال الراوى) رحمه الله فضعفت من أهل اهناس القوى ومات الضعيف وانقطع عنهم المدد
وضاقت أنفسهم وطمعت فيهم الصحابة ثم ان خالدا استشار أصحابه بماذا يصنعون وقد أعياه فتح الباب
فقال له المرزبان رضي الله عنه وكان من مرازبة كسرى وقد أسلم وخرج الى الجهاد وحبس نفسه
لله عز وجل وهو المقتول بالبهنسا قريبا من البلد شرقي البحر اليوسفي في وقعة صاحب طنجة ذات الاعمدة
وسيأتي ذكر ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى فقال المرزبان انا في بلاد الفرس اذا حاصرنا مدينة
ولم نقدر على فتحها أخذنا زيتا وكبريتا ووضعناه في صناديق من خشب وجعلنا لها اعوادا
تحملها رجال ورجال يذبون عنهم الى أن يصلوا الى الباب أو الى قريب منه ويجعلون في الصناديق نارا
ويولون فتعلق النار في الابواب ويذوب الحديد فتفتح الابواب وتعلق النار في الحطب والخشب والحجارة
فتهدمها فقال خالد نفعلها ان شاء الله تعالى فلما اصبحوا فعلوا ذلك وأسرعوا في جمع ما ذكرناه ووضعوه
في صناديق وجعلوا في اطرافها اعوادا طوالا من اسفلها وحملتها الرجال وخرج خلفهم الفرسان يقاتلون
والمرزبان امامهم يعلمهم كيف يصنعون وهم مستترون بالدرق والجحف والحجارة والنبال تتساقط عليهم
من اعلى السور حتى وصلوا الى اول باب من ابواب المدينة وهو الباب الشرقي وهو اعظم ابوابها فلما
قربوا من الباب رفعوا الصناديق على الباب والقوا النار في الزيت والكبريت ووضعوها وانقلبوا فلم
يكن أسرع من لحظة حتى تعلقت النار بحجارة الباب والاخشاب والحديد وثارت النار الى اعلى السور
حتى وصلت الى البرج فسقط البرج بمن فيه من الروم وهلك منهم جماعة كثيرة وتبادرت المسلمون الى
الباب وملؤا قرب الماء وأطفؤا تلك النار ودخلوا من الباب وقصدوا قصر الملك وكان حصينا على اعمدة
من الحجارة المنحوتة وكانوا اغلقوا أبوابه ففعلوا به كما ذكرنا ولما رأى الملعون ذلك لم يطق ان يصبر وامر بفتح
الباب وصاح الامان ومعه جماعة من حشمه وخدمه وبطارقته فعرضوا عليهم الاسلام فابوا فامر خالد
بضرب أعناقهم فمن اسلم تركوه ومن أبى قتلوه واستغاثت بهم السوقة والرعية وقالوا مغلوبون فمن
اسلم تركوه ومن بقي على دينه ضربوا عليه الجزية وهدموا دورا واماكن حتى صارت تلالا وغنم
المسلمون أموالا كثيرة من أواني الذهب والفضة والفرش الفاخرة ووضعوا فيها عبادة بن قيس فيها ومعه
ثلثمائة من المسلمين وخرجوا بظاهر المدينة ولم يبق الا من أسلم ومن وضعت عليه الجزية وعمروا بها مسجدا
ولما فرغ خالد من ذلك جمع الغنائم واخرج خمسها وارسله الى عمرو بن العاص يرسله الى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه الى المدينة وارسل لعمرو بن العاص سهمه ولاصحابه المؤمنين المقيمين بمصر ونواحيها واقام

منهم مالا عظيما نحو عشر
خزن وكل يجمع ذلك رجلا
من القبط يقال له يعقوب
ففرد ذلك على طوائف
الناس والحرف وصار

خالد بعد ذلك بالبهنسا هو وجماعته من الامراء اربعين يوما واستدعى خالد بعدى بن حاتم الطائى رضى الله عنه وأضاف اليه ميمون بن مهران وضم اليه ألف فارس وامرهم أن ينازلوا أول بلاد البطليوس لعنه الله وينازلوا اهل الكورة واذا وصل الى قيس بن الحرث يامره بالمسير الى قريب البهنسا ويقاتل من يقاتله ويسالم من يسالمه ويصالح من يصالحه حتى ياتيه المدد ثم ارسل فى اثره غانم بن عياض الاشعرى رضى الله عنه وضم اليه ألف فارس فيهم الفضل بن العباس والمسيب بن نجيبة الفزارى وأبو ذر الغفارى والمرزبان الفارسى وكذلك جعفر ومسلم وعلى وعبد الله بن المقداد وولد خالد سليمان ومحمد بن طلحة وعمرو ابن سعد بن أبى وقاص وشرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم خالد سيروا حتى تصلوا الى مدينة البهنسا وانا فى اثركم مالم يحصل لى ولاصحابى مانع وادعوا القوم الى الاسلام فان أجابوكم فلهم مالنا وعليهم ما علينا ومن أبى فالجزية ومن أبى فالحرب والقتال ونازلوا المدائن واقرنوا المواكب ولا تسيروا الايدا واحدة وفرقوا الكتائب وكونوا قريبين بعضكم من بعض غير متباعدين فاذا وقعت كتيبة منكم بما لا طاقة لها به تبعث النفير وثبتوا هممكم وأخلصوا نياتكم وقووا عزائمكم فاذا وصلتم الى البهنسا التى هى دار ملكهم ومحل ولايتهم فارسلوا الى الملك وادعوه الى الاسلام فان أطاع فاتركوه فى ملكه وان أبى فالجزية عن يد وهم صاغرون وان أبى فالسيف حكم حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين وبلغنى أنها مدينة كثير أهلها وانها كثيرة الخيل وحولها مدائن وبلاد وقرى ورساتيق فمن سالمكم وصالحكم فصالحوه ومن قاتلكم فقاتلوه وعليكم بالحزم واخلاص النية وصدق العزيمة قال الله تعالى فى كتابه المكنون يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ثم استدعى بالمغيرة بن شعبة رضى الله عنه وكان معه زياد الاكبر ابو المغيرة جد زياد الذى هو بقرية ديروط بقرب طنبدا وسيأتى ذكر زياد بن المغيرة وأصحابه هناك ان شاء الله تعالى عند وقعة الدير واستدعى بسعيد بن زيد أحد العشرة رضى الله عنهم وابان بن عثمان بن عفان وجدد عليهم الوصية وودعهم (قال الراوى) رحمه الله وسار عدى بن حاتم الطائى وميمون حتى وصلا ميدوم وما حولها فوجدوا قيس بن الحرث قد صالح أهل تلك الارض وعقد لهم صلحا وأقرهم بالجزية ماعدا جماعة وكذلك أهل برنشت بعد قتل بطريقهم وكذلك أهل تلك البلاد الى دهشور ونادى فى ذلك الاقليم بالامان وجبوا له أموالا عظيمة على الصلح والجزية وعبر جماعة من المسلمين الى البر الشرقى وهم رفاعة بن زهير المحاربى وعقبة بن عامر الجهنى وذو الكلاع الحميرى وألف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشنوا الغارات من العقبة التى هى قريب من قبلى حلوان على تلك القرى والبلاد فمن صالحهم صالحوه ومن أبى قاتلوه حتى وصلوا الى اطفيح ثم الى البرنبل وكان هناك بطريق يعرف بصول فخرج اليهم أهلها فصالحوهم على الجزية وعبروا من هناك وسار عدى بن حاتم حتى اجتمع بقيس بن الحرث قريبا من القرية المعروفة بقمن ونزل ميمون هو وجماعته بالقرية المعروفة بالميمون فقال له قيس بن الحرث لا تنزل هنا حتى يفتح لنا ما حولها من البلاد ويأتى خبر من الامير خالد بن الوليد ويأذن لنا عاير يد فأجاب الى ذلك ونزل عدى باصحابه بالقرية المعروفة ببنى عدى ثم سار وترك ابنه حاتما واخوته وأحاطوا بالقرية وسار قيس وأصحابه حتى وصلوا الى القرية المعروفة ببنوس والبلد المعروف بدلاص فخرج اليهم أهلها بعد قتل بطريقهم وصالحوهم وتوسطوا البلاد على ساحل البحر حتى نزلوا ببا الكبرى وغانم بن عياض على أثرهم وكان بها دير عظيم يعرف بدير أبى جرجا وكان له عيد عظيم يجتمعون اليه من سائر البلاد فوافق قدوم الصحابة قريبا من عيدهم فجاءهم رجل من المعاهدين وأعلمهم بذلك فانتدب قيس بن الحرث رضى الله عنه ومعه جماعة من اصحابه خمسمائة فامر عليهم رفاعة بن زهير المحاربى وأمرهم أن يشنوا الغارة على الدير قال وكان جماعة من رؤساء الكورة من الروم والقبط والخيول المسومة حول الدير يحرسونهم وهم فى أكلهم وشربهم وزينتهم وبيعهم وشرائهم فما أحسوا الا والخيل على رؤسهم فما قاتلوا الا قليلا وانهزموا ونهب أصحابه

يجمع ذلك منهم بمشقة عظيمة من ضرب وغيره حتى صار بعض الناس يموت من شدة الضيق والحبس وطلبوا من شيخ

وجميع مافى السوق من أثاث وغيره وساقوا الغنائم وأحاطوا بالدير فقاتلوا من على الدير فقطعوا السلاسل والاقفال وتعلق جماعة من الصحابة على الحيطان ودخلوا الدير وأخذوا منه امتعة وأثاثا وأوانى من ذهب وفضة وأسر واماثة أسير وساروا حتى توسطوا البلاد وكان بالقرب من البحر اليوسفى قرى كثيرة وبلدان وكان فيها مدينة تعرف بسحاق وكان بها بطريق من عظماء بطارقة البطليوس فلما بلغه قدوم الصحابة جمع جنوده الى البلد المعروف باقفهس والى البلدين المعروفين بشمسطا والبسلقون والى البلد المعروفة بنشابة فلما بلغه قدوم الصحابة جمع الخيل والروم والفلاحين والنصارى ستة آلاف وخرج يكشف بهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيس بن الحرث خرج اليه أهل ببا الكبرى وماحولها من السواد وكذلك أهل هوربت وعقد لهم صلحا وساروا فلما اقربوا من القرية المعروفة الآن ببنى صالح فبينما هم سائرون اذا بالغبار قد طلع وانكشف عن ستة صلبان تحت كل صليب ألف فلما رآهم المسلمون لم يمهلوهم دون ان حملوا عليهم واقتتلوا قتالا شديدا وثار الغبار وقدحت حوافر الخيل الشرار والتقى الجمعان واصطدم الفريقان فلله در رفاعة بن زهير المحاربى وعقبة بن عامر الجهنى وعمار بن ياسر العبسى وميسرة بن مسروق العبسى (قال الراوى) وقاتلت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتالا شديدا وصبروا صبر الكرام وكان عدو الله لاوى بن أرمياء صاحب سيزا فارسا شديدا وبطلا صنديدا فجال وصال وقتل الرجال فعندها برز اليه فارس من المسلمين يسمى سنان بن نوفل الدوسى فقتله فخرج اليه عمار بن ياسر العبسى فتجاولا وتعاركا وتضاربا وتطاعنا ووقع بينهما ضرب بتان وكان السابق بالضربة عمار اذ طعنه بالرمح فى صدره فاطلع السنان يلمع من ظهره فانجدل عدو الله يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار فعندها غضب الروم لاجل قتل صاحبهم وحملوا على عمار فى كبكبة من الخيل فعقروا الجواد من تحته وتكاثروا عليه فقتلوه رحمه الله وقتل من المسلمين خمسة عشر رجلا (قال) حدثنا سنان بن نوفل عن مالك عن غانم اليربوعى وكان فى خيل رفاعة بن زهير المحاربى قال بينما نحن فى القتال وقد عظم النزال ووطنا انفسنا على الموت ورفاعة يحرض الناس على القتال وهو ينشد ويقول

يامعشر الناس والسادات والهمم * ويا أهيل الصفا يامعدن الكرم
فسددوا العزم لاتبغوا به فشلا * ومكنوا الضرب فى الهامات والقمم
وخلفوا القوم فى البيداء مطرحة * على الثرى خمشا بالذل والنقم

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) وجعل يحرضهم ويقول يامعشر السادات والاقيال أبشروا فان الروم لم تقم لهم قائمة أبدا وابشروا بالحور والولدان فى غرفات الجنان وان الجنة تحت ظلال سيوفكم قال رفاعة فبينما نحن فى أشد القتال اذا بغبرة قد لاحت وانقشعت وانكشف الغبار عن الف فارس فى الحديد غواطس عليهم الدروع الداودية وعلى رؤسهم البيض العادية المجلية معتقلين بالرماح الخطية راكبين الخيول العربية فتأملناهم فاذا هم سليمان بن خالد بن الوليد وعبد الله بن المقداد وعبد الله ابن طلحة وأخوه محمد وزياد بن المغيرة والوليد ومحمد بن عتبة ومحمد بن أبى هريرة وجماعة من الصحابة والامراء وأبنائهم رضى الله عنهم وكان غانم بن عياض الاشعرى جهزهم طليعة قدامه فلما رأونا كبروا وكبرنا لتكبيرهم وخاضوا فى أوساطنا وطلب كل واحد منهم بطريقا من البطارقة فقتله فلما رأت الروم ذلك ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وتبعهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتلون وينهبون ويأسرون الى بلدة سيزا وماحولها من السواد الى سلقوس فأسروا منهم نحو خمسمائة أسير وقتل منهم ثلاثة آلاف وهرب الباقون الى القرى والبلاد ولما قتل بطريق شندا خرج اليهم أهلها من النصارى والسوقة وعقدوا معهم صلحا واتفقوا على اداء الجزية وكذا من حولهم من القرى ونزل هناك عمرو بن الزبير وجماعة من المسلمين وسار قيس بن الحرث أمام القوم حتى نزل قريبا من طنبدا والبلد المعروف بأسنا وكان بها بطريق يسمى بولياص بن بطرس وكان كافرا لعينا فخرج الى لقاء المسلمين هو وجماعته

السادات سيدى محمد أبى الانوار مال الاعظيم انحو خزنة وحبسوه وباعوا جميع متاعه فلم يف بثلث ماطلب منه فاخذوا منه فى نظير

ومعه ميرة وعلوفة فكان ذلك مكيدة منه وعقد مع المسلمين صلحا ووافقهم على اداء الجزية عن بلده وعن
اسنا وكانت تحت حكمه وارتحل قيس بن الحرث ومن معه وتأخر زياد بن المغيرة ونزل بالقرية المعروفة
بدهروط فعقد مع أهلها صلحا ونزل سليمان بن خالد وعبد الله بن المقداد وجماعة قريبا من البلد ومنهم من نزل
عند القرية المعروفة باطينة وصار جماعة يدخلون البلد ليلا ثم يعودون خوفا من المكيدة ولا حذر من قدر
الله عز وجل (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان المتخلفون خمسمائة فارس فجعلوا يسيرون على جانب البحر
ويشنون أى يغيرون على أهل السواد فمن صالحهم صالحوه ومن أسلم تركوه وسار قيس بن الحرث حتى
نزل بالبلد المعروف الآن بالقيس وبه سميت وكان بطريق من بطارقة البطليوس وكان من بنى عمه اسمه
شكور بن ميخائيل والله أعلم باسمه فدخل أهل السواد كلهم البلد وحاصرها حصارا شديدا نحو شهرين ثم
أعانهم الله تعالى وحرقوا بابا من أبوابها ففتحت ودخلوا اليها وكان بعد وقعة جرت بينهم فى مكان يعرف
بكوم الانصار فهزموهم هنالك وحاصروهم وفتحوا المدينة وقتلوا البطريق ونهبوا الاموال وأخذوا جميع
ما فيها بعد أن دعوهم الى الاسلام فامتنعوا من ذلك ثم شنوا الغارات على ما حولها من البلدان والبلد
المعروف بعاطى ثم الى الكفور فخرج اليهم بطريق كان ابن عم المقتول بدهشور لعنه الله وأخوه بطرس
وعقدوا مع المسلمين عقدا على الصلح واعطاء الجزية وسارت العرب الى البلد المعروف بالدير وعملوط
وما حولها من القرى ونزل زهير وجماعة من العرب بالمكان الذى يعرف بزهرة وأما بقية السواد الذى
حول البهنسا شرقا وغربا فلما تحققوا مجىء العرب هربوا الى البهنسا بأموالهم ونسائهم وذراريهم وتركوا
البلاد جميعها خرابا وكان البطليوس لعنه الله أرسل اليهم بطارقته فحملوهم الى البهنسا واستعد للحصار
وجمع عنده ما يحتاج اليه مدة الحصار (قال الواقدى رحمه الله) هذا ما جرى لهؤلاء وأما عدو الله بولياص
صاحب طنبدا فانه كاتب البطليوس يقول انى ما صالحت العرب الا مكيدة وانى أريد الغدر بهم فجهز لى
جيشا من البطارقة لعلى أن أظفر بجماعة من أبطال المسلمين وآخذ بثار من قتل منكم قريبا قال وكان
عدو الله كل يوم تأتيه الاخبار من العرب المتنصرة ومن غيرهم من أهل البلاد والسواد بما جرى للعرب
وباخبار من قتل من البطارقة وأخذ البلاد والاموال فحمل هما عظيما ولم يظهر ذلك لاحد من بطارقته
وانما كان يطيب قلوبهم ويقول بلدنا حصينة وان قاتلونا قاتلناهم وان غلبونا دخلنا بلدنا فلو جاءنا أهل
الحجاز جميعهم ما وصلوا الينا ولو أقاموا عشر سنين والله غالب على أمره وناصر دين الاسلام ومذل
الكفرة اللئام فلما بلغ البطليوس مكاتبة عدو الله بولياص فرح بذلك فرحا شديدا قال واستدعى
ببطريق من بطارقته يسمى روماس وضم اليه خمسة آلاف فارس من الروم والنصارى وغيرهم من أهل
القرى وأمرهم أن يسيروا تحت ظلام الليل فما جاء نصف الليل حتى وصلوا الى طنبدا ودخلوا الى بولياص
ففرح بذلك فرحا شديدا واستعدوا للهجمة على المسلمين قال وأصبح المسلمون وقد وصلوا صلاة الصبح واذا
بالخيل قد أقبلت اليهم فنادوا النفير النفير هاجونا وغدر بنا فركب المسلمون خيولهم وساروا الى قريب
الدير واذا بالروم مقبلين فى عشرة آلاف فارس وكانوا أعداء الله قد كمنوا كمينا قريبا من قناطر كانت هنالك
ونهر يجرى فيه الماء من النيل فى أوانه عميق غربى الدير قريب من البلد (قال الواقدى) رحمه الله ولما
رأى المسلمون لمعان الاسنة والبيض وخفقان الاعلام وبريق الصلبان الذهب والفضة تبادروا الى
خيولهم فركبوها وأعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وأقبلوا مسرعين نحوهم ولم
يفزعوا من كثرتهم وحرض بعضهم بعضا على القتال وكانوا قد سبقوا الى شرذمة من المسلمين كانوا نزولا
قريبا من الدير ووضعوا فيهم السيف وأحاطوا بهم وجالوا واتسع المجال الى قريب من دهروط فخرج سليمان
ابن خالد وعبد الله بن المقداد وعامر بن عقبة بن عامر وشداد بن أوس وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم
واشتد القتال وعظم النزال وعميت الابصار وقدحت حوافر الخيل الشرار ولمعت الاسنة وقرعت
الاعنة ودهشت الانظار وحارت الافكار وأحاطوا بالمسلمين من كل جانب فلله در سليمان بن خالد بن

البـاقى الـتزامه وتعلقاته ماعـدا العقار والرزق والتزام الحـريم ثم فى يوم السبت الحادى والعشرين من المحرم سنة خمس عشرة

الوليد وعبد الله بن المقداد لقد قاتلا قتالا شديدا وابليا بلاء حسنا ولله در زياد بن المغيرة لقد كان يقاتل تارة
فى الميمنة وتارة فى الميسرة وتارة فى القلب وأحاط بهم أعداء الله من كل جانب وقد صار المسلمون بينهم كالشامة
البيضاء فى جلد البعير الاسود وصبروا لهم صبر الكرام وكان أكثر المسلمين قد اثخن بالجراح واشتد
الكفار هذا والمسلمون قد انتدبوا أبطالا وجعلوها خلف ظهورهم وقاتلوهم قتالا عظيما هذا وأعداء
الله قد أحاطوا بهم وحجزوا بينهم وبين البلد وقاتل سليمان وأصحابه قتالا شديدا ووطنوا أنفسهم على
الموت وشجع بعضهم بعضا وصار سليمان بن خالد يقول الله الله الجنة تحت ظلال السيوف والموعد عند
حوض النبى صلى الله عليه وسلم وقاتل قتالا شديدا حتى اثخن بالجراح وقتل من المسلمين نحو مائتين
وعشرين قريبا من التل الذى هو غرب البلد المذكور وما قتل الواحد منهم حتى قتل من أعداء الله خلقا
كثيرا (قال الواقدى) ولما رأى المسلمون وسليمان بن خالد ما حل بأصحابه صار تارة يكر فى الميسرة وتارة
يكر فى الميمنة وأعانه بالحملة عبد الله بن المقداد وبقية الصحابة وتقدم سليمان بن خالد وطعن بطريق
اسناطعنة صادقة فارداه عن جواده وغاص فى القلب (قال حدثنا) أوس بن شداد عن علقمة بن سنان
عن زيد بن رافع قال كنت فى الخيل صحبة سليمان بن خالد وقد حجزنا المشركين وتقهقروا من بين أيدينا ولم
نشعر ان لهم كمينا اذ خرج الكمين علينا وقاتلناهم قتال الموت وقتل منهم جماعة نحو ألفى فارس وقتل
سليمان بن خالد من الصناديد والبطارقة من خيارهم نحو ثلاثين فارسا وكذلك عبد الله بن المقداد فاحاط
بسليمان بن خالد رضى الله عنه كردوس نحو ألفى فارس وعقروا جواده من تحته فضرب بالسيف فيهم حتى
قطعت يده اليمنى فتناول السيف بيده اليسرى فضرب بها حتى قطعت فاحاطوا به فلما تيقن بالقتل
التفت وقال يعز عليك يا خالد بن الوليد ما حل بولدك ولكن هذا فى رضا الله عز وجل وكان قد طعن فى
صدره نحو عشرين طعنة حتى قل حيله وسقط الى الارض ثم تنفس وقال الساعة تلتقى الاحبة رحمه الله
ولما رآه عبد الله بن المقداد على ذلك المصرع صاح لا حياة بعدك يا أبا محمد والملتقى فى جنات عدن ثم غاص
يقاتل فاحاطوا به واشتبكت عليه الاسنة وضرب ضربات كثيرة فى وجهه وهو يقطع الرماح ويمسح الدم
عن وجهه حتى سقط به الجواد وصاح واشوقاه اليك يا مقداد ثم تبسم وقال مرحبا ثم مات رحمة الله عليه
وأيقنا كلنا بالموت وان القيامة هنالك واذا بغبرة قد لاحت وانكشفت عن رايات اسلامية وعصائب
محمدية وفى أوائل القوم القعقاع بن عمرو التميمى والمسيب بن نجيبة الفزارى وسمرة بن جندب والفضل بن
العباس وزياد بن أبى سفيان وبنو هاشم وبنو عبد المطلب وسادات الاوس والخزرج وغانم بن عياض
الاشعرى ومن معه من الامراء والسادات فلم يمهلوهم دون أن حملوا عليهم حملة رجل واحد حتى اجلوهم
وقتل البطريق بولياص لعنه الله ومعه بطريق البطليوس وانهزمت الروم واتبعتهم المسلمون يقتلون
ويأسرون وينهبون حتى بلغت الهزيمة الى البحر اليوسفى ورموهم فى البحر وغرق منهم جماعة كثيرة
وقتل منهم فى المعركة نحو أربعة آلاف وأسر وانحو ألف ومائتى اسير وهرب منهم الى البطليوس جماعة
واختفوا الى الليل ودخلوا الى البطليوس وأعلموه بذلك فضاقت عليه الدنيا وضاق صدره وحار فى أمره
واستعد للقاء المسلمين (قال الواقدى رحمه الله تعالى) هذا ما جرى لهؤلاء وأما أهل طنبدا وأهل اسنا
كانوا لم يخرجوا ولم يقاتلوا فانهم لما وردت عليهم الاخبار ومعهم البطارقة سألوا بطريقهم القتال وكان
نصرانيا ولم يكن روميا وكان اسمه لوص وبه سميت البلد فابى فلما انهزم البطارقة خرج لوص ومعه جماعة
من أهل البلد وأتوا الى المسلمين وطلبوا منهم الصلح فصالحوهم وخرج أهل طنبدا وأهل اسنا من السوقة
والرعية وأولادهم وغيرهم وبكوا فى وجوههم وقالوا نحن قوم رعية وكنا مغلوبين على أمرنا فانا أهل ذمتكم
ورعيتكم قالوا بشرط أن تدلونا على من هربوا اليكم فاجابوهم الى ذلك وصاروا يأخذون المسلمين ويدخلون
الدور والمساكن ويقبضون على الروم ويسلمونهم الى المسلمين وكان النصرانى يقبض على الرومى ويأتى
به الى المسلمين حتى قبضوا من طنبدا واسنا نحوا من ألف وخمسمائة رجل من المطامير والابيار التى كانوا

ومائتين والف خرج رجل
على سارى العسكر المذكور
فقتله فى بستان خلف
البيت الذى فى الازبكية
وقبض على ذلك الرجل

يحبسون فيها الاسارى من المسلمين وغيرهم ولما اجتمعت الاسارى من الروم والنصارى أمر غانم بن
ابن عياض بضرب رقابهم على تل هناك يعرف بالكوم ورجعت المسلمون الى مكان المعركة فلما
عاينوا القتلى ورأوا سليمان بن خالد وعبد الله بن المقداد وعبيد بن الدارى بكوا عليهم وعلى من قتل معهم
من الامراء رضى الله عنهم وحزنوا عليهم حزنا شديدا وانشد عمار بن ياسر يرثى سليمان بن خالد وعبد الله
ابن المقداد ومن معهما بقوله

ياعين أذرى الدمع مثل الصبيب * ثم اندبى ياعين فقد الحبيب
وابكى لمقتول غدا فى الفلا * مجندلا وسط الفيافى غريب
وأبكى سليمان ولا تغفلى * فامره والله أمر عجيب
قد كان لا ينكر كل العدا * ان سل من غمد السيف قضيب
وتحذر الاعداء من بأسه * لو أنهم أعداد رمل الكثيب
فيا حمام الايك نوحى اذا * على فتى قد كان غصنا رطيب
واعلمى بما جرى خالدا * لعله يبكى بدمع صبيب
وأخبرى المقداد من بعده * بان عبد الله أضحى سليب
بل واندبى الاخيار من بعدهم * وكل قرم للمعالى مصيب
لا يلتقى البطلوس خيرا ولا * أجناده الانذال أهل الصليب
قد كمنوا جيشا لنا عامدا * يوم الوغى من كل كاب مريب
وحق من أعطى لنا نصره * فى كل واد ثم فتحا قريب
لنأخذن الثار من جمعهم * جهرا ونطفى من فؤاد لهيب

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) وان غانما رضى الله عنه جمع الشهداء ودفنهم فى ثيابهم ودروعهم
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله يوم القيامة
وجراحاتهم تقطر دما اللون لون الدم والريح ريح المسك (قال الواقدى) وأقام غانم رضى الله عنه بعد ان
دفن الشهداء قريب التل والامراء يشنون الغارات على السواحل وعدى بن جابر بن عبد الله الأنصارى
وأبو أيوب والمسيب بن نجيبة الفزارى فى الف فارس فاغاروا على أهل شرونة فخرج اليهم بطريق يعرف
بصندراس الجاهل وبطريق اهريت فى خمسة آلاف فارس واقتتلوا قتالا شديدا عند سفح الجبل
فبلغ الخبر غانم بن عياض الاشعرى فارسل اليهم كتيبة اخرى صحبة ابن المنذر والفضل بن العباس
والمرزبان فى الف فارس فلما رأى الروم ذلك وقع الرعب فى قلوبهم وكان بينهم حرب عظيمة ثم ان الفضل
ابن العباس قصد البطريق الجاهل لعنه الله وضربه ضربة هاشمية على رأسه فقطع الخودة والبيضة
والرفادة الى أن سمع خشخشة السيف فى اضراسه فكبر وكبرت المسلمون لتكبيره فسقط عدو الله يخور
فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار وكان الفضل بن العباس فارسا شديدا وبطلا صنديدا
فغاص فى وسط المشركين وفتك فيهم والمرزبان حمل على بطريق شرونة فقتله وحمل ابن المنذر على
بطريق اهريت فقتله فلما رأى الروم ذلك ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وتبعتهم المسلمون يقتلون
ويأسرون وينهبون الى المكان المعروف بالدير واهريت وغرق منهم خلق كثير وقتل منهم الف
وخمسمائة فارس واسر منهم ألف وخمسمائة وتحصن منهم جماعة من الروم والنصارى فى مدينة الجاهل
وكانت حصينة فحاصرها المسلمون سبعة أيام وحرقوا الابواب وهدموا الجدران واخرجوهم من البيوت
واخربوا تلك المدينة الى يومنا وخرج الى المسلمين نصارى من شرونة واهريت وعقدوا مع المسلمين صلحا
واعطوا الجزية وانزلوا مرة الكلبى فى مائتين من أصحابه وغيرهم وابن عمرو بن العاص فى المكان
المعروف ببنا فخالد فى مائتى فارس وعبر المسلمون البحر ونزل عامر بالعرب فى مائتى فارس قريبا من

فادعى انه جاء من الشام
منذ ثلاثين يوما واختبأ
فى رواق الشوام بالجامع
الازهر وسمى جماعة منه
كان عندهم فاحضروهم

طنبدا واسناو بها القرية وارتحل غانم بن عياض رضى الله عنه ببقية الجيش ولما تكاملت المسلمون ارسل بين يديه المسيب بن نجيبة الفزارى والعباس بن مرداس السلمى والفضل بن العباس الهاشمى وعامر بن عقبة الجهنى وزياد بن أبى سفيان بن الحرث فى ألف وخمسمائة فارس فساروا الى مكان يعرف بالجرنوس وكان هناك قلعة ومرج للملك البطليوس وكان فى زمن الربيع ينزل هناك بالخيام والمضارب حول القلعة وتجتمع عنده البطارقة ويقيم أشهرا ثم ينزل على الاقليم ثم يعود الى البهنسا (قال الواقدى) رحمه الله وأرسل لوص الى البطليوس لعنة الله عليهما يطلب منه جيشا فبعث بطريق من بطارقته فأرسل اليه بطريقا كافرا لعينا اسمه شاقم وبه سميت البلد التى هى قريب من البهنسا وكان الجيش عشرة آلاف فارس والله أعلم (قال) حدثنا مسلم بن سالم اليربوعى عن شداد بن مازن عن طارق بن هلال أنه كان فى خيل العباس بن مرداس السلمى قال بينما نحن نسير اذ رأينا غبرة قد ثارت وكان ذلك وقت الضحى فتأملناها فانكشفت عن عشرة أعلام وعشرة صلبان من الذهب الاحمر كل صليب يلمع كأنه كوكب فتأهبنا للحملة وتأهبوا لنا فلم يمهلونا دون أن حملوا علينا وحملنا عليهم واحاطوا بنا وقاتلت الروم قتالا شديدا ورطنوا بلغتهم وأعلنوا بكلمة كفرهم وصبرنا لهم صبر الكرام وقاتلنا قتال الموت فلله در غانم بن عقبة والمسيب بن نجيبة الفزارى والفضل بن العباس وزياد بن أبى سفيان لقد قاتلوا قتالا شديدا وعصب الفضل رأسه بعصابة حمراء وكذلك فعل زياد بن أبى سفيان بن الحرث كما كان يصنع عمهما حمزة وقاتلا قتال الموت فلم تكن الا ساعة وقد قوى الحرب والقتال حتى أشرف علينا الامير غانم بن عياض الاشعرى مع بقية الجيش فقوى قلبنا وكبرنا فاجابونا بالتهليل والتكبير فتقدم الفضل بن العباس الى بطريق شاقم وكان فارسا شديدا وعليه ديباجة مفصصة بالذهب وفى وسطه منطقة بالذهب مرصعة بالجواهر وقد عصب رأسه بعصابة من الجواهر وبيده عمود من الذهب طوله ثلاثة أشبار وأزيد وهو تارة يضرب بالسيف وتارة يضرب بالعمود فلما رآه الفضل ظن أنه يريده فحمل عليه الفضل وهو ينشد ويقول

يا أيها الكلب اللعين الطاغيا * ومن أتى لجيشنا معاديا
أبشر لقد وافاك ليث ضاريا * بحد سيف فى عداه ماضيا
كان له الرب العظيم واقيا * من كل كلب اذ يكون طاغيا

قال فلم يفهم ما يقول الفضل وحمل عليه وتعاركا وتجاولا وضرب الفضل رضى الله عنه فحاد عنها وعطف عليه وانتزع العمود من يده وضربه ضربة هاشمية قرشية ابان بها رأسه عن بدنه ونظر اليه لم يسقط وعاد عليه وهو جثة بلا راس فتلقاه فارس من المسلمين اسمه زهير فوجده مكببا بكلاليب فى سرجه فنزع الكلاليب فسقط عدو الله كالطود بعد ان تضمخ تاجه ومنطقته دما فقال له الفضل ان السلب لى نخذه لك فقد وهبتك اياه لا أعدمنا الله مكارمكم يا بنى هاشم وعطف على لوص فقتله وقتل كل أمير وبطريقا وغيره وحملات المسلمين حملة رجل واحد فبددوا شملهم فولوا منهزمين بين أيديهم واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون وينهبون الى ان وصلوا الى البحر اليوسفى والقوهم فى مكان قريب من شاقولة فسميت القرية بذلك وتحصنت جماعة بقلعة المرج فاحاط بها المسلمون وحرقوا الابواب وهدموا الجدران واستخرجوا ما هناك وقتلوا من الروم مقتلة عظيمة نحوا من ثلاثة آلاف واسروا نحوا من ألف وقتل من المسلمين ثمانية واربعون رجلا من اعيانهم سيف الانصارى رضى الله عنهم أجمعين ودفن هو وأصحابه بمكان الوقعة وكان زياد بن المغيرة وجماعته نزولا فى أماكنهم قريبا من طنبدا كما ذكرنا حول البلد المعروف بدهروط وكان زياد صديقا للامير سليمان بن خالد بن الوليد رحمه الله فكتب كتابا للامير خالد بن الوليد يعزيه فى ولده سليمان ويقول

يا خالدان هذا الدهر فجعنا * فى سيد كان يوم الحرب مقداما
مجندل الفرس فى الهيجا اذا اجتمعت * وللصناديد يوم الحرب خصاما
لا عالك الضد من أبطالنا أملا * ان حاز ساعده القصاص صمصاما

وقتلوهم وهم ثلاثة علماء صلحاء وصلبوا القاقل وقفل الجامع الازهر وبعد اخراج غالب الكتب منه وشرعوا فى بناء قلاع

ياطول ماهزم الاعدا بصارمه * أنالهم منه تنكيسا وارغاما
كأنه الليث وسط الغاب اذ وردت * له العدا وعلى الاشبال قد حامى
ياعين جودى بفيض الدمع منك دما * بل واندبى فارسا قد كان ضرغاما
والسيد الفرد عبد الله قد حكمت * به المنايا وحكم الله قد داما
نجل الفتى العلم المقداد خير فتى * قد كان فى ملتقى الاعداء هجاما

(قال الواقدى) فلما وصل الكتاب الى خالد بن الوليد كان قريبا من الدير ببقية الجيش وهو ينفذ السرايا
وأهل البلاد يأتونه بما صالحوه عليه من المال وغيره وقد جهز عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وعبد الله
ابن عمر بن الخطاب وعقبة بن نافع الفهرى والزبير رضى الله عنهم بالف فارس الى الفيوم وسيأتى ذكر
ذلك فى موضعه ان شاء الله تعالى فلما ورد الكتاب على خالد سقط الى الارض وخر مغشيا عليه ثم أفاق
واسترجع وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم انا لله وانا اليه راجعون ثم قال اللهم انى احتسبت
سليمان البك اللهم اجعله فرطا وذخرا واعقبنى عليه صبرا واعظم لى بذلك أجرا ولا تحرمنى الثواب
برحمتك يا أرحم الراحمين ثم قال والله لآخذن فيه ألف سيد من ساداتهم ولأقطعن ساداتهم وفرسانهم
وانى أرجو ان آخذ بثاره ان شاء الله تعالى ولأقتلن البطليوس أشر قتلة لعلى ان أشفى بذلك غليل
صدرى وحرارة كبدى وليكون على يدى خراب دياره وانهزام جيوشه وزوال ملكه وهطلت
مدامعه على وجنته أحر من الجمر ثم جعل يسترجع ويقول من الشعر

جرى مدمعى فوق المحاجر منهمل * وحر فؤادى من جوى البين يشتعل
وهام فؤادى حين اخبرت نعيه * فليت بشير البين لا كان قد وصل
لقد ذوب الاحشا وأجرى مدامعى * صبيبا وعن نار الفؤاد فلا تسل
سأبكى عليه كلما أقبل المسا * وما ابتسم الصبح المنير وما استهل
لقد كان بدرا زانه الحسن طالعا * فاصبح بعد النور والزهو قد أفل
وكان كريم العم والخال سيدا * اذا قام سوق الحرب لا يعرف الوجل
أحاطت به خيل اللئام بأسرهم * وقد مكنوا منه المهند والاسل
وعيشك ألقاهم صراعا على الثرى * عليهم بسوق الطير والوحش محتفل
فوا أسفا لو أننى كنت حاضرا * بأبيض ماضى الحد فى الحرب مكتمل
وحق الذى حجت قريش لبيته * وأرسل طه المصطفى غاية الامل
لأقتل منهم فى الوغى ألف سيد * اذا سلم الرحمن وانسع الاجل

(قال الواقدى رحمه الله) وأقبلت الامراء يعزون خالدا ومدامعهم تفيض من عيونهم ويقولون أعظم الله
لك أجرا وأعقبك عليه صبرا وجعله لك غدا فى المعاد ذخرا والله لقد عدمنا القوى وقد أبيد القلب من
حشاشتنا وأكتوى ونحن لفقده ذاهلون انا لله وانا اليه راجعون وكذلك يعزون المقداد فى ولده عبد
الله وبلغ الخبر عمرو بن العاص بمصر وهو مقيم بها فكتب لهما كتابا بالتعزية وبلغ الخبر المدينة لعمر بن
الخطاب فاسترجع هو وبقية الصحابة مثل على بن أبى طالب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبد الله ومن
كان حاضرا من الصحابة بالمدينة الطيبة رضى الله عنهم وعلى ساكنها أفضل الصلاة والسلام وكتبوا الى
خالد والمقداد كتابا يعزونهما فلما وصل الكتاب الى خالد والمقداد اطمأنا لما عليهما من الصبر وما لهما من
الاجر والثواب *(قال الواقدى)* رحمه الله تعالى هذا ما جرى لهؤلاء وأما البطليوس لعنه الله فانه لما
تحقق مجىء العرب الى مدينة البهنسا فتح خزائن الاموال وفرق المال والسلاح والعدة من الملبوس
والدروع وغير ذلك وفرق على البطارقة وعلى غيرهم من الجند وكان هناك بيت مقفل كان كرنافيه صفة
العرب وأسماؤهم فامر بفتحه وهو يظن ان فيه مالا مدخرا فمنعه القسوس والرهبان من ذلك فابى ففتحه

وسور فعمروا السور من باب النصر الى باب الحديد وجعلوا جامع الظاهر قلعة وهدموا قواصره وجعلوا منارته برجا

فلم يجد فيه الا صفة العرب وأسماءهم كما ذكرنا أول الكتاب فنظر لذلك ودخل الكنيسة وجلس على سريره وجمع حوله البطارقة فاستشارهم فى أمره فقام شيخ كبير راهب وكان مطاعا عنده مسموع الكلام كبير السن وكان عمره مائة وعشرين سنة فقام وعليه جبة سوداء وعلى رأسه قلنسوة وفى يده عكازة من الآبنوس ملبسة بالعاج والذهب فقرب من الهيكل وتكلم بكلام لا يفهم ثم قال بعد ذلك يا أهل دين النصرانية وبنى ماء المعمودية قد كانت دولتكم قائمة وكلمتكم مسموعة مادمتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتعدلون فى الرعية وتأخذون للمظلوم من الظالم وتنصفون الضعيف من القوى وتواسون الفقير ولا تمدون أيديكم الى شئ من اموال الناس وتهابون الزنا وكانت الدولة لكم وقلوب الرعية منجذبة اليكم وداعية لكم وكان الملك فيكم والآن لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر وظلمتم الرعية وجرتم فى الاحكام وحكمتم بغير الحق ولا تأخذون للضعيف حقه من القوى ومددتم أيديكم الى أموال الرعية وفشت فيكم المعاصى فتغيرت قلوب الرعية ومدوا ايديهم بالدعاء عليكم ودعاء المظلوم مستجاب وكثرة الظلم خراب فيوشك أن تنزع هذه النعمة من أيديكم وتعود الى غيركم بكثرة ذنوبكم وشؤم معاصيكم وبدعاء المظلومين عليكم فلاجل ذلك سلطت عليكم العرب فملكوا بلادكم وقتلوا رجالكم ونهبوا اموالكم وسكنوا منازلكم واستولوا على معاقلكم فتيقظوا من غفلتكم وذبوا عن حريمكم وأموالكم ولا تمكنوا العرب من جانبكم وهذه مقالتى لكم جميعا فلما سمع البطليوس لعنه الله كلام القس وما تكلم به التفت الى بطارقته وجماعته ونوابه وقال هل سمعتم ما قال أبوكم قالوا سمعنا قال فما عندكم من الرأى قالوا نحن معك وبين يديك ونقاتل العرب ولا نطمعهم فينا كما طمعوا فى غيرنا وان غلبونا استعددنا للحصار وعندنا من الميرة والعلوفة ما يكفينا عشر سنين وأزيد وبلدنا حصين ولا نسلم أنفسنا ولا يكون علينا عار عند الملوك قال فشكرهم البطليوس على ذلك ووثب قس آخر وكان يناظر ذلك القس فى المعرفة واستخرج كتابا معلقا كان عنده فى صندوق من الآبنوس مقفل بأقفال من الفولاذ وقال يا أهل دين النصرانية وبنى ماء المعمودية اسمعوا ما نعته لكم العلماء والكهان والحكماء انه يبعث نبى فى آخر الزمان يسمى محمد بن عبد الله من بنى عدنان يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه يبعثه الله نبيا الى جميع البشر مولده بمكة ودار هجرته طيبة ثم يقيم أياما ويتوفاه الله عز وجل ثم يتولى الامر من بعده رجل يسمى أبا بكر وتزداد العرب به فخرا ويجهز العساكر الى الشام ثم لم يلبث الا اياما قلائل ويتوفاه الله تعالى ويتولى الامر من بعده الرجل الاصلع الاحور المسمى بعمر وهو صاحب الفتوح ومصبح الاعداء بأشأم صبوح تفتح على يديه الامصار ويبعث سراياه الى سائر الاقطار وانا نجد فى الكتب القديمة ان هذه المدينة تفتح على يد رجل أسمر وشجاع غضنفر فارس شديد وبطل صنديد يسمى بخالد بن الوليد فان سمعتم قولى وقبلتم فاعقدوا مع العرب صلحا فان الدولة لهم ودينهم الحق ولو قاتلهم أهل المشرق والمغرب غلبوهم ببركة الله وبركة نبيهم محمد قال فلما سمع البطارقة كلامه غضبوا غضبا شديدا وأرادوا قتله فمنعهم البطليوس من ذلك وقال له كأنك خفت من سيوف العرب وأنا أعلم ان الرهبان والقسوس لا قلوب لانهم ليس لهم اكل الا العدس والزيت والليمون والاشياء الرديئة ولا يعرفون اللحم فلاجل ذلك ضعفت قلوبهم فلولا مقامك من قديم الزمان وورثتك للملوك القدماء لبطشت بك وائن عدت الى مقالتك هذه لأقتلنك شر قتلة قال فسكت القس الراهب وخرج البطليوس من وقته وساعته وجلس فى قصره ذى الاعمدة ثم استدعى ببطارقته وخلع عليهم ورفع لهم الاعلام والصلبان وعرض عليه جيشه فاذا هم ثمانون ألفا غير السوقة والمشاة فسر بذلك سرورا عظيما ثم استدعى ببطريق من بطارقته يدعى قابيل وكان أحد جلساء السرير وكان لا يقطع أمرا دونه فخلع عليه ودفع له ثمانين ألفا وأمره بملاقاة العرب ثم استشار خواص مملكته فى الاقامة فى البلد أو الخروج الى ظاهرها فقال له ذو الرأى من بطارقته أيها الملك انك اذا أقمت فى البلد استضعفوا رأينا وأمرنا واذا كنت بجانب المدينة

وهدموا اكثر بيوت الحسينية وهدموا ايضا معظم بولاق وبعض مساجدها وتبدلت احوال مصر تبدلا زائدا وخرج اهلها منها ولم

لا تجد العرب ان تصل الينا ونجعل البلد خلف ظهرنا ونقاتل من خارج الابواب ويساعدونا من فوق
الابراج فاذا عظم الامر فلا ندخل المدينة الا من أمر عظيم فاستصوب رأيهم ثم انه أمر الفراشين ان
يخرجوا الخيام والسرادقات والقباب بظاهر المدينة وأخرج واله سرادقا عظيما سعته سبعون ذراعا
وارتفاعه مثل ذلك على أعمدة من الخشب المصفح بالذهب والفضة وهو من الحرير الملون الازرق والاحمر
والاخضر والابيض والاصفر والاسود ومقضب بقضبان الذهب والفضة مرصع باللؤلؤ وفيه تصاوير من
داخله ومن خارجه من جميع أجناس الطير والوحوش والكواكب وفرش فيه من الفرش وبسط
الحرير الملون ووضع فيه المساند والوسائد والانطاع واطناب السرادقات حرير ملون بأوتاد من عاج
وآبنوس فى حلق من ذهب وفضة وعلق فيه قناديل وسلاسل من ذهب وفضة ووضع فيه سريرا من خشب
الساج المنقوش المصفح بالذهب الوهاج على قوائم بزماهين من ذهب وفضة طوله سبعة أذرع وعرضه مثل
ذلك وارتفاعه مثل ذلك يصعد اليه بدرج من خشب مصفح بصفائح من ذهب وفضة وعليه فرش من حرير
ووسائد ومساند ونمارق وحوله ثمانون كرسيا مصفحة بالخشب الآبنوس يجلس عليها أرباب الدولة
وأصحاب الصولة وضرب حوله من الخيام والسرادقات مالا يوصف له عد (قال الراوى) حدثنا جماعة
من الصحابة ممن شهد الفتح وعاين السرادقات انه لما هرب الملعون ودخل المدينة وكان السرادق منصوبا
مقابل الباب البحرى المعروف بباب قندوس أمر بطريقا من بطارقته اسمه سمعان ان ينصب سرادقه
الذى وهبه له عند باب توما وهو الباب القبلى وأمر بطريقا اسمه اصطافين ان ينزل فى الجانب الشرقى
قريبا من القناطر على ساباط معقود على أعمدة من الحجارة فأمره أن ينزل ومعه عشرة آلاف فارس
حول القلعة قال هبار بن أبى سفيان أو سلمة بن هاشم المخزومى ما نزلنا على مدينة من مدائن الشام ولا
رأينا أكثر عددا ولا أكثر زينة من مدينة البهنسا ولا أقوى قلوبا منهم وأكثروا من الصلبان ونصبوا
السرادقات والمنجنيقات على الاسوار واسبلوا على الاسوار جلود الفيلة المصفحة بصفائح الفولاذ
ورتبوا الرماة والمجانيق والسهام وغير ذلك (قال الراوى) رحمه الله هذا ما جرى لهؤلاء وأما الامير عياض
ابن غانم الاشعرى رضى الله عنه فانه لما قرب من البهنسا استشار أصحابه مثل أبى ذر الغفارى وأبى
هريرة الدوسى ومعاذ بن جبل وسلمة بن هاشم المخزومى ومالك الاشتر النخعى وذى الكلاع الحميرى رضى
الله عنهم ومعهم ألفان من أصحابهم وأمرهم بالنزول فى الجهة الشرقية وقال لهم ان قاتلوكم قاتلوهم
ونازلوا القلعة حتى تأخذوها وعبر الامير عياض من الجهة البحرية ومعه أصحاب الرايات والامراء
والطليعة من هؤلاء السادات وهم الفضل بن العباس وأخوه عبد الله بن العباس وشقران وصهيب
ومسلم وجعفر وعلى أولاد عقيل بن أبى طالب وعبد الله بن جعفر وزياد بن أبى سفيان وتتابعت خلفهم
السادات وأصحاب المروآت مثل نعيم بن هاشم بن العاص وهبار بن أبى سفيان وعبد الله بن عمرو
الدوسى وسعيد بن زبير الدوسى وحسان بن النضر الطائى وجرير بن نعيم الحميرى وسالم بن فرقد اليربوعى
وسيف بن أسلم الطائفى ومعمر بن خويلدة السبكى وسنان بن أوس الانصارى ومخلد بن عون الكندى
وابن زيد الخيل ومثل هؤلاء السادات أصحاب الرايات رضى الله عنهم وتتابعت الكتائب يتلو بعضها
بعضا وعبروا الى الجانب الغربى فبينما هم سائرون واذا بعدو الله قابيل قد أقبل بالبطارقة المتقدم
ذكرهم فلما التقى الجمعان عند سفح الجبل تحت المغارة أشار الى أصحابه فامسكوا عن المسير وتقدم
الى رابية عالية والى جانبه رجل من العرب المتنصرة وأمره بان ينادى برفيع صوته قربوا الى البطريق
رجلا منكم ذا خبرة يكلمه فوثب اليه جرير الحميرى وأتى الى عياض وقال أيها الامير أتأذن لى آن أكلمه قال
نعم ان طلبوا الصلح ورفع القتال صالحناهم حتى يحضر الامير خالد بن الوليد ويفعل أمره وان أرادوا
القتال قاتلناهم واستعنا بالله تعالى عليهم وهو حسبنا ونعم الوكيل (قال الراوى) رحمه الله فعندها سار
حتى وقف بازاء البطريق وقال له سل حاجتك فقال له أأنت أمير القوم قال لا ولكنى متكلم عن الامير

يبق منهم الا القليل لما
سمعوا بوصول بعض
العساكر الاسلامية الى
العريش ثم لما طال عليهم
الحال وضاق عليهم

فقال

فقال له لم تركتم بلاد الشام والنعم العظام وأتيتم الى هذه البلاد وكنتم فى بلاد الحجاز تقاسون جوعا وعريا
فذقتم فواكه الشام وثمار الحجاز وخيرات اليمن فلم يكفكم ذلك حتى أتيتم الى مصر وقهرتم القبط وأتيتم
الى بلاد الفرس وقهرتم ملوكها ولم تكتفوا حتى أتيتم الينا وهجمتم علينا فى بلادنا وقتلتم أبطالنا ونهبتم
أموالنا ونحن نتغافل عنكم ونمهل أمركم حتى غلظت شوكتكم وقصدتم مدينتنا التى هى دار ملكنا
ومحل ولايتنا ولقد طلبها من قبلكم من الفراعنة والجبابرة والقبط والقياصرة والاكاسرة والجرامقة
ورجعوا خائبين وأنتم هجمتم علينا وقتلتم رجالنا فقولوا لنا ما الذى تريدون منا فان كنتم تريدون
مالا وترجعون عنا فقد أناعن الملك بذلك وترحلون عنا وتردون لنا ما ملكتم من بلادنا وان الملك لا يخالف
لى أمرا فاخبرونى ما الذى تريدون وما الذى تطلبون فقال له جرير أفرغت من كلامك فقال له نعم قال
له جرير خذ جوابك أما قولك كنا فى ضيق حال فهو كما ذكرت لكن أنعم الله علينا بالاسلام وهو أول نعمة
ثم أمرنا بالجهاد وان الله تعالى أباح لنا أموال المشركين ماداموا محاربين وأمرنا أن نجاهدكم حتى
تؤدوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون أو تسلموا أو تقاتلوا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين وأما قولك
المال فليس هو غرضنا ولا متاع الدنيا شهواتنا وان بلادكم عن قريب تكون لنا وأموالكم غنيمة لنا
نتقاسمها (قال الواقدى) فلما سمع البطريق الكلام غضب غضبا شديدا وقال أنا كفء لكم دون
الملك ثم أمر أصحابه بالحملة على جرير قال فلويت عنان جوادى الاوالخيل قد ركبتنى فعندها تواثب
المسلمون واقتتلوا قتالا شديدا وتبادرت الرجال وزمجرت الابطال وزحفت الاقيال وتراشقوا
بالنبال وتضاربوا بالنصال وتطاعنوا بالعوال والتقى الجمعان واصطدم الفريقان واشتد النزال
وكثرت الاهوال وقاتلت الفرسان وولى الجبان حيران فلله در المغيرة بن شعبة وعون بن ساعدة وعبادة
ابن تميم والفضل بن العباس رضى الله عنهم لقد قاتلوا قتالا شديدا وأبلوا بلاء حسنا ولم يزل القتال يشتد
من ارتفاع الشمس الى الغروب فعندها وثب عبد الله بن جعفر الى قابيل وضربه ضربة فخادعنها
عدو الله وولى هاربا وتبعه جماعته نحو ثلثمائة فارس ولم يزل الفريقان فى قتال ونزال الى ان غابت
الشمس وافترق الجمعان وقد قتل من المسلمين نحو خمسين رجلا ختم الله لهم بالشهادة وقتل من
الروم نحو ألفى فارس قال واجتمعت الروم حول قابيل وولى هاربا الى أن وصل الى البطليوس فلما
رآهم وبخهم وقال لهم بأى وجه تفرون من العرب ولم تصبروا لهم وقد فشلتم وجزعتم فقال له
قابيل أيها الملك ليس الخبر كالعيان وهؤلاء ليسوا بانس وانما هم جن فى القتال ولولا الاجل حصين
ما عدت اليك فغضب الملك وقال اسكت قد تمكن رعب العرب من قلبك وستنظر ما يكون من أمرهم ثم
بات فى قلق شديد حتى أصبح الصبح ولم يأمر قومه بالركوب وقال امهلوا حتى أنظر ما يكون من أمرهم

❊ذكر فتوح البهنسا ونزول الصحابة وقتل البطريق❊

(قال الراوى) رحمه الله تعالى ولما أصبح المسلمون صلوا صلاة الصبح ثم تبادروا الى خيولهم فركبوها فلم يجدوا
لاعداء الله خبرا ولا أثرا وتيقنوا أنهم انهزموا ومضوا الى مدينتهم فسارت المسلمون الى أن قربوا من
البهنسا فلاحت لهم المضارب والخيام والسرادقات والاعلام (قال الراوى) حدثنا قيس بن منهال عن عامر
ابن هلال عن ابن زيد الخيل قال لما أشرفنا على مدينة البهنسا ورأينا تلك المضارب قال عياض رضى الله
عنه اللهم اخذلهم وانصرنا عليهم اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا واخزهم انك على كل
شئ قدير وأمن المسلمون على دعائه قال فلما أقبلنا على مدينة البهنسا كبرنا وهللنا فخرجوا الى ظاهر الخيام
وبأيديهم السيوف والدرق والقسى والنبال ورأينا خلقا كثيرة على الابراج وأراد جماعة من العرب
الحملة عليهم فمنعهم الامير وبقية الامراء من ذلك وقالوا لا حملة الا بعد انذار ثم انهم لم يأتوا الينا ولا ناوشونا
بقتال واستقلونا فى أعينهم ❊قال الواقدى❊ ونزل المسلمون بجانب الجبل عند الكثيب الاصفر قريبا
من البياض الذى على المغارة نحو المدينة هذا ما جرى لهؤلاء وأما أبو ذر الغفارى وأبو هريرة الدوسى

المعاش فى الارياف رجعوا
الى مصر وضربت الجزية
عليهم كبقية طوائف
النصارى واليهود والفرنج
القاطنين بمصر ثم فى يوم

ومعاذ بن جبل ومسلمة بن هاشم ومالك الاشتر وذو الكلاع الحميري فانهم ساروا حتى نزلوا قريب القوم
وباتوا تلك الليلة فلما أصبحوا خرج أعداء الله لقتالهم فقال مالك الاشتر ياقوم ان أعداء الله قد خرجوا
لقتالكم فاشغلوهم بالقتال وأرسلوا جماعة منكم يملكون الجسر واستعينوا بالله فعندها خرج المرزبان
ومعه ثلثمائة فارس حتى وصلوا الى الجسر والحجارة تتساقط عليهم من أعلى السور حتى ملكوا الجسر
وجعلوا في أماكن المخاضات حراسا بسيوف محدودة واقتتل المسلمون وأعداء الله قتالا شديدا وثبتوا
في القتال سبعة أيام وكلما أتوا الى مكان المخاضة وجدوه مربوطا بالرجال وصار كل ليلة تهرب منهم جماعة
من الروم ويهيمون على وجوههم يريدون الصعيد فتلقاهم رافع بن عميرة الطائي ومعه سرية من أصحاب
قيس بن الحرث عند البلد المعروف بادقار وكانوا نحو الى البحر اليوسفي يشنون الغارات على تلك
السواحل فبينماهم كذلك يسيرون اذ سمعوا دوي حوافر الخيل فظنوا انهم مسلمون فكلموهم فلم يرد
عليهم أحد فلحقوهم وحملوا عليهم وكانوا ستمائة فارس ففروا من بين أيديهم فقتلوا منهم نحو مائتين وهرب
الباقون وقتل من المسلمين ثلاثة وهرب الروم نحو المخاضة فغرق منهم مائة وأسروا منهم مائتين وهرب
الباقون وسألوهم عن سبب خروجهم فاخبروهم انهم يريدون فعند ذلك أوثقوهم كتافا وأتوا بهم مكتفين
مع نفر من المسلمين الى أن أوصلوهم الى عياض بن غانم الاشعري فاعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة
على البشير النذير وأقبلوا نحوهم ففرحوا بالاسارى ثم عرضوهم على الامراء المتقدم ذكرهم فعرضوا
عليهم الاسلام فأبوا فضربت أعناقهم والروم ينظرون الى ذلك ثم زحفت عليهم الصلبان واقتتلوا قتالا
شديدا وحمي الحرب وكثر الطعن والضرب من ارتفاع الشمس الى وقت العصر وفشا القتل في الروم فلما
رأوا ذلك ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وصعدوا على القلعة وغلقوا الابواب واستعدوا للحصار ونصبوا
آلات القتال (قال) هذا ما جرى لهؤلاء وأما الصحابة رضي الله عنهم فانهم نزلوا في سفح الجبل والوادي
في المكان المتسع من الجهة البحرية والجهة الغربية فلما جاء الليل أوقدوا نيرانهم واجتمعت كل قبيلة
ببني عمها يقرؤن القرآن ويصلون على محمد أشرف ولد عدنان وما فيهم الامن هو راكع أو ساجد
أو داع لله عز وجل لعله أن ينصرهم على عدوهم وباتت الروم اللئام يشربون الخمر داخل المدينة وخارجها
وقد أعلنوا بكلمة كفرهم حتى ضجت منهم أرض البهنسا واستغاثت الى الله عز وجل فناداها بلسان
القدرة اسكني يابهنسا وعزتي وجلالي لاهلكنهم ولاسكننك قوما يوحدوني من خيار خلقي ولأجعلن
تلك البيع مساجد للصلاة والجمع فلما سمعت الارض الخطاب من قبل رب الارباب مالت فرحا واهتزت
طربا وبقيت منتظرة وعد ربها بزوال كربها فلم يكن الا قليل حتى أزال الله عنها أهل الكفر
والطغيان وعبدة الصلبان واسكنها خير امة أخيار من المهاجرين والانصار من أصحاب محمد المختار
يصلون بها آناء الليل وأطراف النهار وجعلت البرية مدافن للسادات الشهداء الاطهار وصار عليها
بعد الظلام أنوار وصارت زيارتها تحط الخطايا والاوزار (قال الواقدي) ولما أصبح الصباح صلى
المسلمون صلاة الصبح وجلسوا ينظرون ما يكون من أمر الروم واذا بقس قد أقبل راكب بغلة وعليه
مدرعة من شعر وقلنسوة وزنار فسار حتى وصل قريبا من العسكر ثم تكلم بلسان عربي وقال يامسلمون
أريد أمير العرب (قال الراوي) حدثنا قيس بن شماس عن كعب بن همام عن شداد بن أوس وكان
من أصحاب الرايات قال بينما نحن جلوس نتحدث مع الامير عياض بن غانم اذ أقبل عبد الله بن عاصم
وأخبر عن ذلك القس قال فأذن له الامير عياض بالدخول فدخل القس فوجد الامير عياضا جالسا في
خيمته على فراش من أدم وحشوه من ليف وفرش المشركين التي اكتسبوها مطوية على جانب وحوله
السادات والامراء رضي الله عنهم كلهم جلوس حوله وهو كأنه أحدهم وسيوفهم على أفخاذهم وعليهم هيبة
ووقار فلما دخل القس اندهش وحار وأخذه الانبهار ثم التفت يمينا وشمالا وقال ياقوم أيكم الامير حتى
أكلمه فانكم كلكم أراكم سادات وأمراء وعليكم هيبة ووقار فأشاروا الى الامير عياض فالتفت اليه

الخميس سادس عشري
شوال سافر عبد الله جاك منو
لكونه بلغه ان جماعة
من الانجليز والمسلمين
وصلوا الى ساحل ابي قير

وقال يافتى أنت امير قومك قال كذلك يزعمون مادمت على طاعة الله عز وجل فقال له القس ان الملك البطليوس قد أرسلني اليكم يدا الرأى والخبرة ليسأله عن أمركم فاءمل أن يكون ذلك سبب حقن الدماء بينكم وبينه قال فعندها التفت الامير عياض الى أصحابه وقال ماتقولون فيما أتاكم به هذا القس ومن ينطلق اليه ويخاطبه ويعود الينا قال فوثب المغيرة بن شعبة وقال أنا أمضى اليه وأريد معى عشرة رجال من الامراء ذوى المروأة والبأس فقال له الامير اختر من شئت وفقك الله وسدد ك ورد ك الينا سالما غانما أنت ومن معك قال فالتفت وراءه وقال أين سعيد بن عبد القادر أين أبو أيوب الانصارى أين خالد بن زيد الانصارى أين زيد بن ثابت الانصارى أين مسعود البدرى اين جرير بن مطعم أين أبو يزيد العقيلى أين معاوية بن الحكم الثقفى اين عمار بن حصين اين زيد بن ارقم فأجابوه بالتلبية فقال لهم خذوا اهبتكم وانطلقوا معى على بركة الله وعونه قال فتبادر هؤلاء الامراء السادات الى خيامهم ولبس كل واحد درعه وتنكبوا بجحفهم وتقلدوا بسيوفهم واعتقلوا برماحهم (قال الواقدى رحمه الله) ثم ان المغيرة رضى الله عنه دخل الى خيمته ولبس درعه وشد وسطه بمنطقته وهى من الادم وفيها خنجران واحد عن اليمين وواحد عن الشمال وتقلد بسيف من جوهر واعتقل برمح أسمر وركب جواده الادهم وأخذ كل واحد منهم عبده راكبا على بغلة وودعهم فالتفت الامير عياض وقال للمغيرة اعرف يا أبا شعبة ما تكلم به هذا الملعون فما عرفتك الا مفلح الحجة فادعوه الى الاسلام ومافرض عليه من الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وما أبيح من الحلال وماحرم من الحرام فان أبى فالجزية فى كل عام فان أبى فالقتال بحد الحسام ونرجو النصر من الملك الديان بجاه محمد خير الأنام قال فقال المغيرة أرجو من الله الملك الوهاب المعونة فى رد الجواب وسارت الامراء والقس أمامهم راكب على بغلة وعبيدهم خلفهم على بغالهم وكل عبد عليه لامة حربه وساروا وهم معلنون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير قال زياد بن ثابت ولما فارق القوم الامير عياضا نظرت اليه وعيناه تذرفان بالدموع حتى بلت دموعه لحيته وهو يقرأ القرآن فقلت ألا أيها الامير ماهذا البكى فقال لى يا ابن ثابت هؤلاء والله أنصار الدين فان اصيب رجل منهم فما يكون عذرى عند الله عز وجل قال وسار المغيرة واصحابه حتى اشرفوا على عسكر العدو واذا هو ملء الارض وهو نازل حول مدينة البهنسا فصاح المغيرة ومن معه يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هم كذلك اذ اقبل اليهم بطريق ومعه رجل من العرب المتنصرة راكب الى جانبه ومعهما نحو مائة فارس وساروا بين أيديهم حتى وصلوا الى قريب سرادق الملك ولاح البطليوس وهو جالس على السرير فعند ذلك خرج لهم الحجاب والنواب وأرباب الدولة والصولة وقالوا قد وصلتم وبلغتم الى سرادق الملك فانزلوا عن خيولكم وانزعوا سيوفكم فقال المغيرة أما خيولنا فننزل عنها وأما سيوفنا فلا ننزعها فانها عزنا وما كنا بالذى ينزع عزه الذى يعتز به دهره قال فاخبر الحجاب الملك بذلك فقال دعوهم يدخلون بسيوفهم فنادتهم الحجاب ادخلوا (قال الراوى) رحمه الله ورضى الله عنه فعندها ترجل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خيولهم وامسكوها العبيدهم وأقبلوا يتبخترون فى مشيهم ويجرون حمائل سيوفهم ويخترقون صفوف الكفار وهم لايهابونهم الى ان وصلوا الى سرير الملك فدخلوا الى ان وصلوا الى النمارق والفرش والديباج والملك جالس على سريره ولما نظر المسلمون الى ذلك عظموا الله تعالى وكبروه فارتج السرادق وتغيرت ألوان القوم وصاح بهم الحجاب الارض للملك فلم يلتفتوا اليهم قال المغيرة لاينبغى السجود الا للملك المعبود ولعمرى كانت هذه تحيتنا قبل فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم نهانا عن ذلك فلا يسجد بعضنا لبعض قال فسكتوا قال فامر الملك بكراسى من ذهب وفضة فنصبت لهم فلم يجلسوا عليها وكانوا من حين دخلوا آمروا بعض عبيدهم أن يطووا البسط من تحت أرجلهم الى ان وصلوا الى فرش الديباج فشالوها على جنب فقالت لهم البطارقة قد أسأتم الادب معنا اذلم تسجدوا للملك ولم تمشوا على فرشنا فقال المغيرة ان الادب مع الله تعالى أفضل من الادب معكم والارض أطهر من فرشكم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جعلت لى

الاسكندرية ولما وصل هناك وقع بينه وبينهم حروب وهزم الفرنسيس وقتل منهم خلق كثير وانحازوا الى الاسكندرية

الارض مسجدا وطهورا وقال الله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى (قال الواقدى رحمه الله تعالى) لم يكن بين البطليوس وأصحابه ترجمان لانه كان أعرف أهل زمانه بلسان العربية فعند ذلك أمرهم بالجلوس فقال المغيرة اما أن تنزل عن سريرك وتكون معنا على الارض أو تأذن لنا بالجلوس معك على السرير لان الله تعالى شرفنا بالاسلام قال فاشار لهم بالجلوس معه على السرير بعد ان أزالوا تلك الفرش وجلس المغيرة الى جانبه فالتفت البطليوس لعنه الله اليهم وقال لهم أيكم المتكلم عن أصحابه فاشاروا الى المغيرة رضى الله عنه والصحابة جلوس وأيديهم على مقابض سيوفهم فالتفت البطليوس الى المغيرة وقال له ما اسمك فقال عبد الله المغيرة فقال يا مغيرة انى أكره أن أبداك بالكلام فقال المغيرة تكلم بما شئت فان عندى لكل كلام جوابا ثم ان البطليوس أفصح فى كلامه وقال الحمد لله الذى جعل سيدنا المسيح أفضل الانبياء وملكنا أفضل الملوك ونحن خير سادة فقطع عليه المغيرة فقالت الحجاب والنواب لقد أسأت الادب مع الملك يا أخا العرب فابى المغيرة أن يسكت وقال الحمد لله الذى هدانا للاسلام وخصنا من بين الامم ببعث محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فهدانا به من الضلالة وأنقذنا به من الجهالة وهدانا الى الصراط المستقيم فنحن خير أمة أخرجت للناس نؤمن بنبينا ونبيكم وبجميع الانبياء وجعل أميرنا الذى هو متول علينا كاحدنا لو زعم انه ملك وجار عزلناه عنا فلسنا نرى له فضلا علينا الا بالتقوى وقد جعلنا الله نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ونقر بالذنب ونستغفر منه ونعبد الله وحده لا شريك له ولو أذنب الرجل منا ذنوبا تبلغ مثل الجبال فتاب منها قبلت توبته وان مات مسلما فله الجنة قال فتغيرلون البطليوس ثم سكت قليلا وقال الحمد لله الذى ابتلانا بأحسن البلاء وأغنانا من الفقر ونصرنا على الامم الماضية ولقد كانت جماعة منكم قبل اليوم يأتونا الى بلادنا فيمتارون البر والشعير وغيره ونحسن اليهم وكانوا يشكروننا على ذلك وأنتم جئتمونا بخلاف ذلك تقتلون الرجال وتسبون النساء وتغنمون المال وتنهبون المدائن والحصون والقلاع وتريدون أن تخرجونا من بلادنا وديارنا وأنتم لم تكن أمة من الامم أضعف حالا منكم لانكم أهل الشعير والدخن وجئتم بعد ذلك تطمعون فى بلادنا وأموالنا وحولنا جنود كثيرة وشوكتنا شديدة وعصابتنا عظيمة ومدينتنا حصينة والذى جرأكم علينا انكم ملكتم الشام والعراق واليمن والحجاز وارتحلتم الى بلادنا وأفسدتم كل الفساد وخربتم المدائن والقلاع ولبستم ثيابا فاخرة وتعرضتم لبنات الملوك والبطارقة وجعلتموهن خدما لكم وأكلتم طعاما طيبا ما كنتم تعرفونه وملأتم أيديكم بالذهب والفضة والمتاع الفاخر واللآلى والجواهر ومعكم متاعنا وأموالنا التى من قومنا وأهل ديننا ونحن نترك لكم ذلك جميعه ولا ننازعكم عليه ولا نؤاخذكم بما تقدم من فعلكم من قتل رجالنا ونهب أموالنا والآن فارحلوا عنا واخرجوا من بلادنا فان فعلتم فتحنا خزائن الاموال وأمرنا لكل رجل منكم مائة دينار وثوب حرير وعمامة مطرزة بالذهب ولاميركم هذا ألف دينار وعشرة عمائم وعشرة ثياب ولكل امير منكم كذلك وللخليفة عليكم عشرة آلاف دينار ومائة ثوب حرير ومائة عمامة بعد ان نستوثق منكم بالايمان انكم لا تعودون الى الاغارة على بلادنا هذا كله والمغيرة ساكت فلما فرغ البطليوس من كلامه قال له المغيرة قد سمعنا كلامك فاسمع كلامنا ثم قال الحمد لله الواحد القهار الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال له البطليوس نعم ما قلت يا بدوى فقال المغيرة أشهد ان لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المرتضى ونبيه المجتبى فقال له البطليوس لعنه الله لا أدرى أن محمدا رسول الله ولعله كما يقال حبيب الرجل دينه ثم التفت الى المغيرة وقال يا عربى ما أفضل الساعات فقال ساعة لا يعصى الله فيها قال صدقت يا أخا العرب لقد بان لى رجحان عقلك فهل فى قومك من له رأى مثل رأيك وحزم مثل حزمك قال نعم فى قومنا وعسكرنا أكثر من ألف رجل لا يستغنى عن رأيهم ومشورتهم وخلفنا أمثال ذلك وهم قادمون الينا عن قريب فقال البطليوس ما كنا نظن ذلك منكم وانما بلغنا عنكم انكم جماعة جهال لا عقول لكم فقال المغيرة كنا كذلك حتى بعث الله فينا محمدا صلى الله

فاحتاط بها المسلمون والانجابز وقطعوا البحر الملح حتى أحاطوا بها وانحاز جملة منهم الى الرحمانية وتحصنوا بقلعة بنوها هناك فتوجه

عليه وسلم فهداناوأرشدنا فقال البطليوس لقد أعجبني كلامك فهل لك في صحبتي فقال المغيرة يسرني ذلك اذا فعلت ما أقول لك قال وما هو قال تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله قال البطليوس لا سبيل الى ذلك ولكن أردت أن أصلح الامر بيني وبينكم قال المغيرة رضى الله عنه قال المغيرة رضى الله عنه الامر الى الله وأما قولك لنا انا أهل فقر وبؤس وضر فقد كنا كذلك وكنا أهل جاهلية لا يملك أحدنا غير فرسه وقوسه وابله وكنا لا نعظم الا الاشهر الحرم حتى بعث الله الينا نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم نعرف أصله ونسبه صادقا أمينا نقيا اماما رسولا أظهر الاسلام وكسر الاصنام وختم به النبيين وعرفنا عبادة رب العالمين فنحن نعبد الله ولا نعبد غيره ولا نتخذ من دونه وليا ولا نصيرا ولا نسجد الا لله وحده لا شريك له ونقر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد أمرنا أن نجاهد من كفر بالله واتخذ مع الله شريكا حل ربنا وعلا لا هو واحد لا تأخذه سنة ولا نوم فمن اتبعنا كان من اخواننا له ما لنا وعليه ما علينا ومن أبى الاسلام فالجزية يؤديها عن يد وهو صاغر فمن أداها حقن الله دمه وماله ومن أبى الاسلام والجزية فالسيف حكم بيننا وبينه والله خير الحاكمين وهي على كل محتلم في العام دينار وليس على من لم يبلغ الحلم جزية ولا على امرأة ولا على راهب منقطع في صومعته فقال البطليوس لقد فهمت قولك عن الاسلام فما قولك عن الجزية عن يد وهو صاغر فاني لا أدرى ما الصغار عندكم فقال المغيرة رضى الله عنه وانت قائم والسيف على راسك فلما سمع البطريق كلام المغيرة غضب غضبا شديدا ووثب قائما ووثب المغيرة من موضعه وانتضى سيفه من غمده وكذلك فعل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كفعله وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله (قال الراوى) رحمه الله حدثنا مسلم بن عبد الحميد عن طارق بن هلال عن عبد الله بن زافع قال كنا مع المغيرة وجذبنا السيوف ووثبنا على القوم واخذتنا غيرة الاسلام وما في اعيننا من جيوش البطليوس شيء وعلمنا ان المحشر من ذلك الموضع فلما راى البطليوس منا ذلك وتبين له الموت من شفار سيوفنا نادى مهلا يا مغيرة لا تعجل فتهلك وانا اعلم انك رسول والرسول لا يقتل وانما تكلمت بما تكلمت لاختبركم وانظر ما عندكم والآن لا نؤاخذكم فاغمدوا سيوفكم قال فاغمدنا سيوفنا وتقدم المغيرة حتى صار في مكان البطليوس وزحزحه الى آخر السرير وكان المغيرة رجلا جسيما فاتكأ عليه حتى كاد ان يخلع نخذه من موضعه قال ثم التفت الى المغيرة وقال ما قولكم في المسيح بن مريم قال المغيرة عبد الله ورسوله قال فمن أين خلق قال خلقه الله من تراب ثم قال له كن فكان ودل على ذلك القرآن العظيم قال عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون قال فما الدليل على ان الله واحد فقال المغيرة القرآن العظيم قوله تعالى على لسان نبيه قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال له البطليوس ما رأيت مثل حذقك وجوابك يا أعور وكان المغيرة رضى الله عنه أصيب في احدى عينيه يوم اليرموك فقال له المغيرة ان ذلك لا يعيبني ولقد أصيبت عيني في الجهاد في سبيل الله من كلب مثلك وأخذت بثارى من الذى فعل بي ذلك فقتلته وقتلت جملة منهم والثواب من الله عز وجل أعظم من ذلك فقال البطليوس ما أحذق جوابك فهل في قومك مثلك قال قد قلت لك فينا أهل العلم والرأى ومن لا أساوى في علمهم شيأ وأنا رجل بدوى فلو رأيت على بن أبي طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم المختار مقاتل الكفار ومبيد الفجار والليث الكرار والبطل المغوار قال أهو معكم في هذا الجيش فقد سمعت بشجاعته وبراعته وأريد ان أنظر اليه فقال له المغيرة قاتلك الله ان الامام عليا كرم الله وجهه أعظم قدرا من أن يسير بنفسه الى كلب مثلك قال فهل أحد غيره قال نعم مثل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى هو خليفتنا وعثمان بن عفان وعبد الرحمن وسعيد وسعد وأبي عبيدة ابن الجراح رضى الله عنهم وأمراء متفرقين في الحجاز واليمن والشام والعراق ومصر كل أمير يقوم بألف مثلك في الشجاعة والبراعة وغير ذلك وأما سيف الله الامير خالد بن الوليد أمير هذا الجيش ومعه عصابة من الامراء فكأنك به وقد أقبل علينا برجال وأى رجال سادات شداد وأمراء أمجاد فقال له عند

المسلمون والانجليز الى رشيد وأخذوها ثم توجهوا منها الى الرحمانية واخذوها ايضا فتوجه الفرنسيس الذين كانوا فيها وانحازوا

ذلك انى أريد أن أصلح الامر بينى وبينكم وأريد قبل الحرب أن أنظر الى جماعة ممن ذكرت (قال الراوى)
رحمه الله تعالى وكان عدو الله أراد أن يغدر بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفهم المغيرة منه ذلك
فقال غداة غد آتيك منهم برجال تنظر اليهم قال ففرح عدو الله وأضمر المكر لاصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورد الله كيده فى نحره (قال الراوى) ثم وثب المغيرة وأصحابه وخرجوا من عند البطليوس
وما صدقوا بالنجاة وركبوا خيولهم وأمر البطليوس حجابه ونوابه أن يسيروا معهم الى قريب من عسكرهم
قال ووصل المغيرة وأصحابه الى الامير عياض بن غانم الاشعرى وحدثه بما جرى له مع البطليوس فقال
عياض وحق صاحب الروضة والمنبر ما ترككم الا خوفا من سيوفكم وهذا رجل حكيم الا ان الشيطان
قد غلب على عقله (قال الراوى) ولم يناموا تلك الليلة الا وقد اخذوا أهبتهم للحرب واستعدوا فلما أصبح
الصباح أذن المؤذنون فى عسكر المسلمين فاسبغوا الوضوء وصلوا الصبح ثم ركبوا خيولهم وقد علموا ان العدو
مصبحهم وقد عبوا صفوفهم وكانت الجواسيس من العرب يدخلون فى عسكرهم وينقلون الاخبار
ووصلت جواسيس عياض بن غانم اليه وأعلموا بذلك وان الروم متأهبون للقتال فرتب جيشه ميمنة
وميسرة فجعل فى الميمنة الفضل بن العباس وجعل فى الميسرة أبو أيوب الانصارى وجعل فى القلب
القعقاع بن عمرو التميمى (قال) حدثنا قيس بن عبد الله قال حدثنا مالك بن رفاعة عن سعيد بن عمرو
الغنوى قال حضر أرض البهنسا عشرة آلاف عين رأت النبى صلى الله عليه وسلم وفيهم سبعون بدريا
والامراء وأصحاب الرايات نحو ألف وأربعمائة ودفن بأرض البهنسا من الصحابة والسادات نحو خمسة
آلاف وسيأتى ذكر ذلك ان شاء الله تعالى (قال الراوى) رحمه الله وكان على الرجالة معاذ بن جبل وعلى
الساقة والنسوان والصبيان سعد بن عبد القادر والضحاك بن قيس قال وصار الامير عياض يتخلل
الصفوف ويقول الله الله الجنة تحت ظلال السيوف يا أهل الاسلام اعلموا ان الصبر مقرون بالفرج
وان الله مع الصابرين والصابرون هم الغالبون وان الفشل سبب من أسباب الخذلان فمن صبر على
حد السيف فاذا قدم على الله أكرم منزلته وشكر سعيه والله يحب الصابرين وصار يقول ذلك لاصحاب
الرايات قال وما فرغ الامير عياض من تعبية الصفوف الا وعساكر البطليوس والروم قد أقبلت ومعهم
النصارى والفلاحون والعرب المتنصرة وأمامهم صليب من الذهب الاحمر زنته خمسة ارطال وفى أربعة
جوانبه أربع جواهر كالكواكب (قال) حدثنى سنان بن الحرث الهمدانى عن شداد بن أوس وكان
ممن حضر الفتوح الى آخرها قال وأقبلت الصلبان وأنا أعدها صليبا بعد صليب حتى عددت ثمانين صليبا
تحت كل صليب ألف ومعهم القسوس والرهبان وهم يتلون الانجيل وأكثر أعداء الله فى عسكرهم من
الرايات والاعلام فبينما الناس كذلك اذ أقبل بطريق وعليه درع مذهب ولامة حرب وهو يرطن بلغته
وطلب البراز فبرز اليه القعقاع وتعاركا وتجاولا ثم طعنه القعقاع فى صدره فاطلع السنان يلمع من ظهره
فخرج علج آخر وقد غضب لقتل صاحبه وكان من أصحاب الجلوس على السرير مع الملك وطلب البراز فبرز
اليه رجل من الازد فمنعه الامير عياض من ذلك وقال اذهب فلست كفأه قال فبرز اليه المسيب بن نجيبة
الفزارى وضربه ضربة فتلقاها العلج بحجفته فطار السيف من يده وضرب العلج المسيب فضيعها ونظر
ان أحدا يناوله سيفا فلم يجد فاراد الرجوع واذا بالقعقاع بن عمرو وأقبل وبيده سيف فناوله اياه فكر
راجعا وضرب البطريق على عاتقه الايمن فاطلع السيف من عاتقه الأيسر فانجدل صريعا يخور فى دمه
وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما رأت الروم ذلك حملوا على المسلمين حملة واحدة واشتد القتال
وعظم النزال وعدو الله البطليوس راكب على جواد أهداه له صاحب ملك صقلية والبربر يساوى
خمسمائة دينار وكان أيام الحصار يصعد به ويرمح على أسوار المدينة وسيأتى ذكر ذلك ان شاء الله تعالى فى
موضعه وعلى بدنه درع مذهب وفى وسطه منطقة من الجوهر وعلى رأسه تاج تلمع جواهره كالكواكب
والصلبان والاعلام مشتبكة على رأسه وقد حمل كردوس من الروم على ميمنة المسلمين فصبر لهم صبر

الى مصر وخرجوا مع من فيها
الى ملاقاة المسلمين الذين
قدموا فى البر من الشام مع
حضرة الوزير الاعظم
يوسف باشا وحصل بينهم

الكرام ثم حمل كردوس آخر فيه ضرار والفضل بن العباس وأخيه عبيد الله وأولاد عقيل وعبد الله
ابن جعفر وسادات بنى هاشم لقد قاتلوا قتالا شديدا وأبلوا بلاء حسنا وتقدم الفضل الى حامل الصليب
وطعنه فى صدره فاطلع السنان يلمع من ظهره وسقط الصليب منكسا الى الارض فنظر اليه البطليوس
فايقن بالهلاك وهم أن يأخذه فلم يجد لذلك من سبيل قال فأحاط به المسلمون وصار الفضل وسادات بنى
هاشم يذبون ويرجعون الروم عن الصليب ولما رأى الفضل ازدحام النصارى والروم حمل عليهم حملة
منكرة وأسعفه بنو عمه بالحملة والامراء فقهروا الروم وقتلوا منهم جماعة وازدحم المسلمون على الصليب
يريدون أخذه فقال لهم الفضل انه لى دونكم ثم عطف عليه ومال فى ركابه وأخذ الصليب وكر راجعا الى
المسلمين وسلمه لعبد الله يسلمه لعبده مقبل وكان راكبا مع المسلمين فاخذه ومضى الى خيمته قال وحمل
الفضل بن العباس ثانيا وحملت الامراء واشتد القتال وعظم النزال وسالت الدماء وكثر العرق
وازورت الحدق قال ولما رأى عدو الله البطليوس ذلك حمل على المسلمين ومعه طائفة من البطارقة
نحو خمسة آلاف وكانوا على جناح الميسرة فقتلوا من المسلمين جماعة وجرحوا جماعة وصبروا لهم صبر
الكرام هذا والفضل رضى الله عنه تارة يكر فى الميمنة وتارة يكر فى الميسرة وحمل الامراء جميعهم فلله
در القعقاع بن عمرو التميمى والمسيب بن نجيبة الفزارى والبراء بن عازب ومعاذ بن جبل وزيد الخيل
لقد قاتلوا قتالا شديدا حتى بقى الدم على دروعهم كقطع أكباد الابل وتوسط المسلمون كتيبة منهم فبرز
بطريق عظيم الخلقة كأنه برج فحمل عليه سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد ان يضربه
وسطا عليه واذا بضربة أتته من خلفه فأردته عن جواده وسقط والرمح مشتبك فى اضلاعه وخشخشة
الرمح فى عظم ظهره ثم جذب الرمح وهو ملقى على الارض ونزل جماعة وأخذوا اسلابه قال فتأملنا من
ضرب البطريق فاذا هو يزيد بن أبى سفيان رضى الله عنه قال فلما رأى الروم ذلك حملوا حملة منكرة
وقامت الحرب على ساق واحدة وضربت الاعناق وشخصت الاحداق وتضاربوا بالصفاح وتطاعنوا
بالرماح واشتد الكفاح ورطنت الروم بلغتهم ولم يزالوا فى قتال ونزال حتى غابت الشمس وافترق
الجمعان وقد قتل من المسلمين نحو مائتين وخمسين ختم الله لهم بالشهادة ونالوا درجة السعادة وبات
الفريقان يتحارسون والمسلمون يقرؤن القرآن ويصلون على محمد أشرف ولد عدنان قال وان المسلمين
أوقدوا النيران وأتوا الى مكان المعركة وميزوا القتلى فلما رأى الامراء ما حل بهم وبأولادهم بكوا
وقالوا لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (قال) رحمه الله وقتل من المشركين نحو ألفين وخمسمائة وقتل
من خيارهم وعظمائهم نحو عشرين من أرباب الدولة وحاشية الملك وأصحاب السرير فلما رأى
البطليوس ذلك صعب عليه وكبر لديه وجلس فى سرادقه وحوله أكابر دولته من حجابه ونوابه وقدم له
الطعام والشراب فامتنع عن ذلك ثم التفت الى حجابه وبطارقته ووبخهم توبيخا عظيما وقال مثلكم
لا يصلح لخدمة الملوك فما هذا الخوف والفشل الذى دخل فى قلوبكم وتريدون أن تصيروا معرة عند الملوك
بفعالكم هذه فقالوا أيها الملك ان هذا اليوم ما أخذنا فيه أهبتنا وما كنا نظن أن العرب فيهم هذه
الشجاعة فقال وما عندكم من الرأى أترضون بالعار والذل ولا سيما وقد أخذ الصليب من أيديكم
وخذلتموه فقالوا أيها الملك سوف ترى منا ما يسرك فى غد انا نكمن لهم كمينا ونخرج لهم ونقاتلهم ويخرج
عليهم الكمين ونأمر جماعة يسلسلون أنفسهم وهم الرماة كعادة الروم أن يفعلوا ونقاتلهم ولا نمكنهم من
مدينتنا ولو قتلنا عن آخرنا فاستوثق الملك منهم بقولهم ثم كتب كتابا وأرسله تحت الليل الى بطريق طنجة
وقلعة الابراج يسألهم النجدة وكانوا بطارقة شدادا كل بطريق تحت يده عشرة آلاف بطريق من حملة
السلاح فلما ورد عليهم الكتاب جهزوا النجدة والاهبة وسيأتى ذكر ذلك ان شاء الله تعالى (قال الراوى)
رحمه الله وأصبح المسلمون فصلوا صلاة الصبح وتبادروا الى خيولهم فركبوها ثم صفوا صفوفهم ورتبوا
مواقفهم كما ذكرنا أولا وصار الامير عياض يحرض الناس وقد جعل فى مكانه المغيرة بن شعبة وعطفوا على

مقتلة عظيمة فنصر الله
المسلمين وهرب الفرنسيس
الى مصر وذلك فى اوائل
المحرم سنة الف ومائتين
وست عشرة وقد حبسونا

أصحاب الرايات وقال لهم أطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة واذا القيتم العدو فاحملوا حملة واحدة ولا تخافوا ولا ترهبوا ورتب الامراء كاليوم الاول ولم يركبوا حتى دفنوا شهداءهم فى ثيابهم ودمائهم قال فما شعرنا الا والروم قد أقبلوا علينا وربطوا بلغتهم علينا وابتدر منهم خمسة آلاف فنزلوا عن خيولهم وأرسلوها مع غلمانهم وحفروا لهم حفائر الى أوساطهم ووضعوا غرائر النشاب أى الصناديق بين أيديهم وأقسموا بالمسيح لا يزولون ولو قتلوا عن آخرهم وكانوا ثلاثة صفوف (قال الراوى) رحمه الله حدثنا سنان ابن أبى عبيدة عن زياد بن الحرث عن عبد يغوث وكان من أصحاب الرايات قال بينما نحن نتأهب للحرب وللحملة اذا بالروم قد حملوا علينا حملة واحدة وحملت ميمنتنا واختلط القلب بالقلب ورمت المسلسلة بنشابها فكان يخرج منهم عشرة آلاف سهم كأنها تخرج من كبد قوس واحدة كالجراد المنتشر أو السيل المنحدر فجرحت رجالا وقتلت أبطالا وولت خيل العرب نافرة وصبرت جماعة من الامراء وحمل الفضل بن العباس وأخوه وسادات بنى هاشم وكذلك زياد بن أبى سفيان والمغيرة بن شعبة والمسيب بن نجيبة الفزارى وجميع الامراء واقتتل الفريقان قتالا شديدا وفشا القتل فى المسلمين وثبت القوم لقتال العرب وعدوّ الله البطليوس تارة يكر فى الميمنة وتارة يكر فى الميسرة وتارة فى القلب وحوله كتائب المشركين (قال الراوى) فصبرنا صبر الكرام ووطنا أنفسنا على الموت والامراء يحرضون على القتال وقد قتل من الفريقين طائفة الا أن القتل لم يبن فى المشركين لكثرتهم ولم نظن أن القوم لهم كمين اذ خرج للقوم كمين من خلفنا والمسلسلة من بين أيدينا وأحاطوا بنا وصرنا بينهم كالشامة البيضاء فى جلد البعير الاسود وقتل جماعة من السادة والامراء وأخلاط الناس فلله در سادات بنى هاشم وأبان بن عثمان بن عفان فلقد قاتل أصحاب الرايات براياتهم وقاتل عدوّ الله فى القلب وأنكى فى المسلمين وقتل رجالا وجندل أبطالا وكلما طلبه فارس من المسلمين لم يجده الا وهو قد صار فى وسط الروم قال فعندها تقدم القعقاع والمسيب بن نجيبة الفزارى وقالا قربوا الجمال فى وجوه القوم يا وجوه العرب فساقوا الابل وجعلوها بين أيديهم تلقى النشاب وحملوا على المسلسلة وداسوهم بالابل وسنابك الخيل وأقبلت الرجالة والرماة يقتلونهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة هذا والروم على حالهم فلما رأى عدوّ الله ما حل بقومه من فعل المسلمين بهم ازداد طغيانا ولم يزالوا كذلك حتى غابت الشمس ثم أنزل الله نصره على المسلمين فتظاهروا عليهم وتقدم جعفر بن عقيل الى كتيبة من الروم وغاص فى أوساطهم وطعن البطريق المقدم عليهم فقتله فتكاثرت الروم عليه فقتلوه وكذلك فعل أخوه على فقتل منهم جماعة فقتلوه وكذلك زيد بن زياد فقتل منهم جماعة فقتلوه رحمة الله عليهم وعظم النزال واشتد القتال والجؤهم الى ورائهم فلما رأت الامراء والسادات وبنو هاشم ما حل بهم تواثبوا كالاسود الضارية وحملوا على الروم وألجؤهم الى الابواب واقتتلوا قتالا شديدا عند باب الجبل والباب البحرى (قال الراوى) رحمه الله تعالى وكانت ليلة لم تر الصحابة مثلها وقتل الصحابة رضى الله عنهم ألوفا وقتل منهم جماعة بظاهر البلد نحو خمسمائة وتظاهر المسلمون بعد ذلك عليهم وألجؤهم الى السور واقتتلوا قتالا شديدا وعظم البلاء وعدوّ الله يحمى أصحابه وهم فى أشد القتال وكان شعار المسلمين تلك الليلة ينادون يا محمد يا محمد يا نصر الله انزل وقتل جماعة من المسلمين عند الابواب وعظم النزال وكان يسمع ضرب السيوف على الدرق كالرعد وبريق السيوف كالبرق ولمعان الاسنة كالكواكب وأحدقت المسلمون بالروم وعدوّ الله يحمى قومه تارة يكون عند باب قندوس وتارة يكون عند باب توما فى جماعة من قومه حتى دخل الروم جميعهم ولم يبق الا من انقطع من قومه أو كبا به جواده ولم يزالوا كذلك حتى طلع الفجر فعلوا على الاسوار وضربوا بالنواقيس والبوقات والقرون وغلقوا الابواب ورموا الاقفال فلما أصبح الصباح صلى المسلمون صلاة الصبح وأتوا الى موضع المعركة وتفقدوا من قتل منهم فاذا هم خمسمائة وعشرون رجلا من باب توما الى باب قندوس ختم الله لهم بالشهادة (قال الراوى) ولما رأى المسلمون ذلك بكوا بكاء شديدا وأعظم الناس حزنا الامير عياض

فى القلعة مع اخواننا من العلماء خوفا من قيام اهل البلد عليهم كما وقع منهم سابقا فمكثنا فى القلعة مائة يوم من تسعة فى ذى

لا حل من قتل تحت رايته وكان أكثر الشهداء الاعيان من قريش وبنى هاشم وبنى المطلب وبنى نوفل وبنى عبد شمس فلما راى مسلم بن عقيل اخوته وماحل بهم ورأى الفضل بن عباس وعبد الله بن جعفر وسادات بنى هاشم ماحل ببنى عمهم نزلوا عن خيولهم وعانقوا شهداءهم واسترجعوا فى مصابهم فعند ذلك أنشد همام بن جرير يقول

يا عين ابكى لا تملى البكى * سحى دموعا مثل سكب الغمام
وابكى على السادات من هاشم * وعصبة المختار خير الانام
نوحى على الليث ابن عم النبى * هو جعفر المشكور ليث همام
وابكى على الشهداء لا تغفلى * مالاح برق أو تغنى حمام
فلا لقى البطلوس خيرا ولا * أجناده أهل الصليب اللئام
لنأخذن الثار ياقومنا * بطعن خطى وحد الحسام

قال ووارى المسلمون شهداءهم ثم ان الامير عياضا فرق الامراء على الابواب فنزل السادات من بنى هاشم وغيرهم مثل زياد بن أبى سفيان والوليد وأخيه محمد واسامة بن زيد وأبى أيوب الانصارى وفضالة بن عبيد وأوس بن حذيفة وعمرو بن حصين ورافع بن خديج وابى دجانة وجابر بن عبد الله وبقية الامراء قال ونزل القعقاع بن عمرو التميمى والمسيب بن نجيبة الفزارى وامثالهم من الامراء بالفى فارس على باب الجبل والمغيرة بن شعبة وابو لبابة والمهلب الطائى ونظراؤهم بالامراء بالفى فارس عند باب توما قال وعبى القوم آلات الحصار ورتبوها على الاسوار وأقاموا مدة شهر لا يقاتل بعضهم بعضا بل كل يوم يركب البطليوس لعنه الله جواده المتقدم ذكره ويلبس لامة حربه ويطلع بالجواد على أعلى السور وحوله المشاة من خلفه وقدامه وبايديهم السيوف المحددة والدرق والدبابيس والاطبار المذهبة والقسى والنشاب وكان عرض السور يمشى عليه خيالان متكاتفان باللبس الكامل قال هذا ماجرى لهؤلاء واما خالد فانه أرسل عبد الرحمن بن أبى بكر وعبد الله بن عمر الى الفيوم وجرى بينهم وقعات وحروب اختصرنا ذكرها خوف الاطالة فان المقصود الذى عليه مدار هذا الكتاب هو فتح البهنسا وما وقع فيها والله أعلم ثم انهزم من انهزم حتى اتصلوا الى مدينة الفيوم وحاصروها أياما قلائل ثم فتحوها وفتحوا الفيوم فى أقل من شهر وأخذوا الاموال والغنائم ورجعوا الى خالد رضى الله عنه وكان مقيما بالنورية كما ذكرنا (قال) هذا ماجرى لهم وأما أبو ذر الغفارى وأبو هريرة الدوسى وذو الكلاع الحميرى ومالك الاشتر النخعى فانهم لما صاروا رقاب القوم كما ذكرنا حاصروا القلعة كما ذكرنا نحو عشرين يوما واقتتلوا قتالا شديدا (قال) حدثنا قيس بن مالك عن منصور بن رافع عن أبى المنهال وكان من أصحاب مالك الاشتر قال بينما نحن محاصر القلعة وقد تظاهروا علينا اذ نحن بغبرة وقت الفجر وكانت ليلة مقمرة فلاحت لنا خيل وقعقعة لجم فتبادرنا الى خيولنا فركبناها واتضح النهار وبانوا ذا عشرون صليبا تحت كل صليب ألف فارس وكان السبب فى ذلك بطريق طحا ذات الاعمدة وبطريق قلعة ذات الابراج وما حولهم لما بلغهم كتاب البطليوس تجهزوا بانفسهم وجمعوا ما حولهم من الروم والنصارى وخرجوا أول الليل خوفا من العرب فأصبحوا الاعلى القلعة والنيل كان فى أول زيادته والمسلمون قد أخذوا المعابر والقناطر التى على البحر اليوسفى فقطعوها وساروا حتى نزلوا على القلعة وكان بلغهم حصارها فلم تشعر المسلمون الا وقد أقبلوا وهجموا عليهم وأتوا الى نحو باب المدينة الشرقى فوجدوا الامير زيادا وأصحابه هناك قال مالك الاشتر يا وجوه العرب اجعلوا البحر خلف ظهوركم وقاتلوا أعداءكم واستعينوا بخالقكم هذا والروم صاحوا وطوطوا بلغتهم ورطنوا من أعلى السور وكذلك أهل القلعة دقوا الطبول وضربوا بالنواقيس فلم يزالوا على المسلمين متقابلين وجاءت كتيبة من الروم الى جانب البحر كما ذكرنا نحو ثلاثة آلاف وكان الامير زياد رضى الله عنه فى نحو مائتين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فحملوا

القعدة الى اواخر صفر سنة ست عشرة ومائتين والف وسبب خروجنا من الحبس وقوع الصلح بين المسلمين وبين الفرنسيس على ان

عليهم وصبر والهم صبر الكرام وقتل الامير زياد رحمه الله تعالى وقتل معه جماعة من المسلمين ختم الله لهم
بالشهادة وركب بقية المسلمين وقاتلوا قتالا شديدا وصبروا والهم صبر الكرام (قال الراوى) فسمع
المسلمون وهم حول المدينة فأتوا الى الجانب الشرقى فوجدوا السيوف مجذوبة والرايات مرفوعة وقد
قتل جماعة من المسلمين على شاطئ البحر نحو اربعين رجلا فصاحت المسلمون ما بالكم فأجابهم المسلمون
على شاطئ البحر من الجانب الشرقى دهينا ولا تدرون ما فعلوا بنا فعندها هجم القعقاع بفرسه البحر
وقال بسم الله وعلى بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انك تعلم اننا افضل من بنى اسرائيل عندك
وقد فرقت لهم البحر فسار ولم تبتل قوائم فرسه وانحدر الى جانب القلعة وكانت بقرب البحر فاقتحم البحر
خلفه نحو من ألفى فارس الى أن طلعوا الى البر الشرقى واقتتلوا قتالا شديدا قال فبينما نحن فى أشد
القتال اذا بغبرة قد لاحت وانكشفت عن ألف فارس يقدمهم رفاعة بن زهير المحاربى وهم من أصحاب
قيس بن الحرث وكانوا فى بلد تسمى بردوها وكانوا صالحوا أهلها فجاءهم رجل من المجاهدين واخبرهم
بسير أهل طحا ذات الاعمدة وصاحب قلعة الابراج لقتال المسلمين وعلموا أن البحر حاجز بينهم وبين
أصحابهم فاتوا الى الامير قيس بن الحرث واستأذنوه حتى وصلوا وهم فى القتال كما ذكرنا فلما رأوا القوم
كبروا فأجابوهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ثم حملوا عليهم وقاتلوهم قتالا شديدا وكان
الفضل بن العباس وزياد بن أبى سفيان ومسلم بن عقيل فى جملة من عبر الى البر الشرقى فعندها وثب
القعقاع بن عمرو التميمى على بطريق القلعة فقتله وكذلك الفضل بن العباس وثب على بطريق
طحا ذات الاعمدة فقتله وزياد بن أبى سفيان على بطريق عظيم فقتله فلما رأى الروم ذلك ولوا الادبار
وركنوا الى الفرار وهرب منهم جماعة فالجؤهم الى البحر فغرق منهم جماعة وأسر منهم نحو من ثلاثة آلاف
واتوا بهم الى نحو السور قريبا منه وضربوا اعناقهم والبطليوس ينظر اليهم هو وأصحابه ودفن الامير
زيادا الى جانب البحر تحت جدران القلعة ورجعت المسلمون ونصبوا الجسر بالاخشاب والاحجار تتساقط
عليهم وهم لا يفكرون حتى عبروا الى الجانب الغربى باجمعهم واشتد الحصار وأقام المسلمون محاصرين
مدينة البهنسا تسعة أشهر (قال الراوى رحمه الله تعالى) وان المدينة كان لها باب سر تحت الارض من
تحت باب الجبل من عند تل هناك يظن من رآه أنه مغارة أو حفر فى الجبل وكان يخرج منه عيونه ومن
يأتيه بالطعام وغيره سرا تحت ظلام الليل الى ذلك المكان ويخرج الرجل وفرسه على يده الى ظاهر السرب
فلاجل هذا لا يعجزهم الحصار وكان اذا احتاج الى أمر مهم يخرج من يثق به من ذلك المكان ويوقد
الشمع والفوانيس ليلا ويخرج من يختار من ذلك الباب وكان الملوك القدماء ما وضعوا ذلك الباب الا
لاجل الحصار وكانت عيونه تخرج وتأتيه بالاخبار وكان خالد بن الوليد رضى الله عنه لما فتح الفيوم
صارت الميرة والعلوفة والارز والعسل وغير ذلك يأتى للصحابة من الفيوم ومن الوجه البحرى تأتى اليهم
الميرة قال فأرسل الامير عياض رضى الله عنه الامير ميماس بن حام وأرسل معه مائتى فارس من
المسلمين ومعهم جمال وبغال يأتونهم عاذكرنا وكان خالد قد أرسل يعلمهم بذلك وانهم يرسلون الى الفيوم
ويأخذون ما يحتاجون اليه قال وسار ميماس حتى وصل الفيوم وكان عليهم متكلما من قبل خالد الامير
عرفجة قال وسار ميماس ومن معه حتى قدموا الفيوم وأوسقوا الجمال والبغال وارادوا الرجوع الى أرض
البهنسا حتى وصلوا الى دير هناك فى الجبل قال هذا ما جرى لهؤلاء واما عيون البطليوس فاخبروه بذلك
فاستدعى ببطريق من اصحاب السر يراسمه ميخائيل بن بطرس وكان معروفا بالشدة والبراعة وأمره
ان يأخذ معه ألفا من الروم وينطلقوا الى طريق الفيوم ويكمنوا لهم فى الدير ثم يخرجوا عليهم فخرجوا
من باب السرب واحدا بعد واحد فى ظلام الليل وساروا حتى وصلوا الى دير وكمنوا هناك حتى رأوا المسلمين
فخرجوا اعليهم فالتقى الجمعان واصطدم الفريقان وقاتلت المسلمون قتالا شديدا (قال الراوى) رحمه الله
تعالى حدثنا أبو محمد البدوى حدثنا أبو العلاء المحاربى قال شداد بن اوس وكان فى خيل ميماس لما التقى

يخرجوا من البلد ويسافروا على رشيد وابى قير ووقع بينهم شروط كثيرة منها ان يرسلوا الى عبد الله منو فى الاسكندرية أمان يدخل

الجمعان واحاطت بنا اعداء الله وظننا ان المحشر من ذلك المكان ووطنا انفسنا على الموت وقاتل الامير عياض بعد ان سلم الراية لولده منيع فقاتل حتى قتل ثم قاتل من بعده مازن حتى قتل ولم تكن غير ساعة حتى قتل من المسلمين نحو مائة فارس واسروا الباقين قال وكان فى القوم عبد الله بن انيس الجهنى رضى الله عنه احد سعاة النبى صلى الله عليه وسلم فلما راى ذلك خرج كالريح الهبوب وقام يجرى وكان قد دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وعمرو بن أمية الضمرى بالقوة والبركة فى المشى وكانا لا تدركهما الخيل العتاق ولا النجب السوابق فسار حتى اشرف على العسكر وصاح النفير النفير اركبوا يا مسلمون قال فتواثبت الفرسان اليه وسألوه فقص عليهم القصة فتواثب المسلمون الى خيولهم فركبوها وكل يقول أنا امضى فعندها استدعى الامير عياض بعبد الله بن جعفر الطيار أخى على بن أبى طالب وضم اليه الف فارس من الصحابة رضى الله عنهم من أهل الشدة وساروا أول الليل ومعهم رجل من المعاهدين يدلهم الى أن قربوا من قرية هناك بسفح الجبل فكمنوا هناك الى أن جن الليل اذ سمعوا حوافر الخيل فتواثبوا الى خيولهم فركبوها واذا بالروم قد أقبلوا عليهم والاسارى معهم موثقون بالحبال على ظهور خيولهم وكانت ليلة مقمرة فصاحت المسلمون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وحمل القوم واقتتلوا قتالا شديدا فعندها صاح عبد الله بن جعفر رضى الله عنه يا قوم أيعجز أحدكم عن خصمه قال فتواثبت الامراء والسادات رضى الله عنهم يقتلون ويأسرون وبادر عبد الله بن جعفر الى مقدم الجيش لعنه الله وكان عليه درع مصفح فطعنه فى صدره طعنة قرشية هاشمية فأطلع السنان يلمع من ظهره وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما رأى الروم ذلك انهزموا وتبعتهم المسلمون يقتلون ويأسرون وينهبون فما أصبح الصباح حتى قتل منهم نحو خمسمائة وأسروا الباقين وخلصوا المسلمين من الاسر وغنموا اسلاح الروم وأموالهم وخيولهم وترك عبد الله بن جعفر الاسارى وخمسمائة من المسلمين عند القرية وأمرهم أن لا يبرحوا حتى يأتيهم وأمر عليهم عبد الله بن معقل وساروا حتى أتوا الى محل المعركة ووجدوا القتلى وعندهم نصارى من المعاهدين يبكون وحلفوا لهم أن لا علم لهم بذلك فنزلوا عن خيولهم وأخرجوا لهم زادا فأكلوا وواروا شهداءهم وكر عبد الله راجعا الى اصحابه وحملوا رؤس القتلى ورأس عدو الله ميخائيل امامهم وجنبوا خيولهم واخرجوا لهم زادا فأكلوا وساقوا الاسارى حتى وصلوا الى العسكر بالميرة والعلوفة ومعهم من العسل والسليط قال واعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير واجابتهم المسلمون الى مثل ذلك وانقلب العسكر والروم على الاسوار ينظرون ما الخبر فرأوا تلك الرؤس على رؤس الرماح ورأس عبد الله ميخائيل أمامهم فصعب عليهم وكبر لديهم ولطموا على وجوههم وذهبوا الى البطليوس وأعلموه بذلك فصعب عليه واستدعى بجواده فركبه وصعد على السور حتى أشرف على المسلمين فلما رأى ذلك عظم عليه وقال ما هؤلاء انس واغاهم جن فلما رأى المسلمون البطليوس أتوا الى الامير فاعلموه بذلك فركب الامراء معه حتى أتى الى تل هناك عال مقابل باب قندوس واستدعى بالاسارى وعرض عليهم الاسلام فأبوا فضرب رقابهم والروم ينظرون الى ذلك فغضب عند ذلك البطليوس غضبا شديدا وحل هما عظيما (قال الراوى) رحمه الله ثم ان عدو الله استشار اصحابه فيما يفعل وانه يريد الخروج بنفسه والكبسة عليهم قال فنهض اليه بطريق اسمه كراكر وكان فارسا شديدا وقال أنا أيها الملك أكفيك هذا المهم وأكبس عليهم لعلى أن انال منهم منالا وأريد معى جماعة شدادا فقال الملك خذ من شئت فانتدب معه عشرة بطارقة تحت يد كل بطريق ألف وجاؤا الى كنيستهم وفتحوا الانجيل فى وجوههم وساروا الى أن وصلوا الى الابواب والبطليوس يحرضهم ويوصيهم بالهجمة عليهم ماداموا على غفلة ثم أمر الحراس بفتح الباب لهم وهو باب قندوس وكانوا الف حارس بوابين على الباب وكان للباب ثلاثة أبراج بين كل برجين باب وشراريف وخرجوا وهم مستعدون لذلك والمسلمون على غفلة عما دبر القوم لا يدرون ما يراد بهم وكان على حرس المسلمين تلك الليلة من جهة باب قندوس زائد بن ثابت وعبيد الله بن عباس وعبد الله

فى الصلح المذكور واما ان يحاربوه وخرجوا من مصر يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر صفر المذكور وذهبوا الى الجيزة ثم توجهوا

ابن معقل والبراء بن عازب ومالك الاشتر وذو الكلاع الحميرى (قال الراوى) حدثنا عوف بن سعد عن سعيد بن طارق الثقفى عن أبى يزيد عن مالك الاشتر قال بينما نحن نسهر تلك الليلة والمسلمون قد هجعوا فى مراقدهم من شدة البرد وكثرة السهر ووضعوا أسلحتهم ومنهم من له ورد يقرؤه ومنهم من يصلى اذ رأينا فتح الباب وخرجوا وهم كالسلاهب وبأيديهم الفوانيس ومشاعل النار وحملوا على الجيش فتبادرنا اليهم وصحنا النفير دهيتنا يا مسلمون ثوروا فقد غدر كم القوم فلما سمع المسلمون الصياح تبادروا وثاروا من مضاجعهم كالاسود الضارية فهذا يأخذ سيفه وهذا يأخذ رمحه وهذا عارى الجسد لم يمهل حتى يلبس ثيابه وهذا يشد وسطه بمئزره وهذا عليه قميص واحد وثاروا فى صدور الرجال هذا وعدو الله قد عطف على جماعة من المسلمين قبل أن ينتبهوا ووضع السيف فى عراضهم فما أفاق بعض القوم الا والسيف قد أطاح رأس هذا وقطع زند هذا وطعن نحر هذا وهكذا وكثر الصياح وعظم البلاء وكثرت القتلى وعدو الله كرار عليه ديباجة حمراء مقصبة بالذهب تلمع من فوق الدروع وعلى رأسه بيضة عليها جوهرة تضىء كالكواكب وهو يهدر كالجمل الهائج وهو يرطن بلغته وخلفه جماعة والذين على الاسوار يصيحون ويزعقون بشعارهم ويضربون بقرونهم وبوقاتهم وطبولهم وأوقدوا مشاعلهم من أعلى السور حتى بقى مثل النهار هذا وقد ثارت الامراء أصحاب النجدة وذووا المروآت واعتقلوا بسيوفهم وركبوا خيولهم فمنهم من ركب جواده عريانا ومنهم من ركب بسرج بغير لجام ومن أسرع ماشيا فلله در الفضل بن العباس وابن عمه الفضل ابن أبى لهب وعبد الله بن جعفر وزياد بن أبى سفيان والقعقاع بن عمرو والمسيب بن نجيبة الفزارى والمغيرة ومسلم وأبى ذر الغفارى وأبى دجانة وأبى أمامة وغفار بن عقبة وأبى زيد العقيلى ومثل هؤلاء السادات رضى الله عنهم لقد قاتلوا قتالا شديدا وأبلوا بلاء عظيما وطعن جماعة من المسلمين وجرح جماعة من النصارى قتالا شديدا وأما الذين هاجوهم فى أول الوقعة فقتل منهم جماعة نحو المائتين وثمانين رجلا واقتتل النصارى قتالا شديدا وأقبل الفضل بن العباس الى البطريق كرار لعنه الله وضربه بالسيف على عاتقه الايمن فاطلع السنان يلمع من عاتقه الايسر فوقع يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار واتبعه بالحملة ابن عمه عبد الله بن جعفر فقتل بطريقا آخر ولم تكن الا ساعة وقد جاءتهم بقية الامراء من على أبوابهم وتركوا أماكنهم من يثقون به وساروا الى أن وصلوا اليهم وحملوا عليهم حملة منكرة وقتلوا منهم مقتلة عظيمة نحوا من ثلاثة آلاف من الروم والنصارى فلما رأى الروم ذلك فروا نحو الباب وتبعهم المسلمون الى الباب فخرج كردوس عظيم من الروم وحموا المنهزمين وأسر المسلمون من الروم نحو ألف ومائتين وخمسين وأتوا الى مكان المعركة يتفقدون من قتل منهم فاذا هم أربعمائة وخمسة وثلاثون رجلا ختم الله لهم بالشهادة فلما رأى المسلمون ذلك شق عليهم وكبر لديهم وأسرعوا تحت الليل وجمعوا الشهداء ودفنوهم فى ثيابهم ودمائهم فى مكان يعرف بالطحى عند مجرى الحصى ومنقع السيل فدفنوهم هناك كل اثنين وكل ثلاثة وكل أربعة وكل خمسة فى قبر وقدموا أهل السابقة وأصحاب القرآن وكان يعرف ذلك المكان بقبور الشهداء الاخيار والدعاء هناك مستجاب مجرب مرارا وتحط هناك الاوزار لمن يكثر من الدعاء والتطوع والاستغفار (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ما حدثت فى هذا الكتاب الا على قاعدة الصدق وأذكر ما وقع من الامور وحدث عن أصحاب التواريخ وثقات المحدثين من أصحاب السير ومن سماع كلامه كالدر رفهذا كالعقد النفيس فى السلوك والتأسيس لايليق سماعه الا لذوى البصائر والعلماء والملوك فانه نزهة الناظر ويشرح الخاطر لم يجمع أحد مثله من أهل السير لما فيه من الامثال والعجائب والاخبار الصحيحة المنقولة عن ثقات المحدثين يتلذذ بذلك المستمعون ولنرجع الى سياق الحديث ﴿قال الواقدى رحمه الله﴾ حدثنا عبد الله بن عبد الواحد القارى عن أبى سراقة بن نوفل الخزرجى عن أبى لبابة بن المنذر وكان من أصحاب الرايات قال ولما وارينا الشهداء ورجعنا الى خيامنا وعدو الله البطليوس قد غلق الباب وألقى الاقفال وعلوا على الاسوار قال ولما رجع المنهزمون الى

منها يوم الاربعاء رابع شهر ربيع الاول من السنة المذكورة الى رشيد وابى قير صحبة حسين باشا القابودان وعساكر كثيرة

البطليوس

البطليوس صعب عليه وكبر لديه وأظلمت الدنيا فى وجهه وحمل هما عظيما على من قتل من بطارقته وجماعته ونوى المكائد والمصائب للمسلمين (قال الراوى) رحمه الله ورضى عنه هذا ما جرى لهؤلاء * وأما الصحابة رضى الله عنهم فانهم اجتمعوا عند الامير وتذاكروا ما حصل للمسلمين من البطليوس لعنه الله واتفق رأيهم أن يرسلوا الى الامير خالد بن الوليد رضى الله عنه ويسألوه أن يسير اليهم بنفسه وبمن معه وكتب كتابا يقول فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) من عبد الله عياض بن غانم الى الامير خالد بن الوليد اعلم أيها الامير اننا فتحنا الشام والعراق واليمن والحجاز ولم نجد فى الترك والروم والفرس والديلم ألعن من هذا الملعون بطريق البهنسا البطليوس ولا أكثر منه خداعا ولا مكرا ولا حيلة وانها مدينة آهلة بالخيل حصينة بالرجال وقد خدعنا مرارا وقد قتلوا منا رجالا فأنجدنا بنفسك وبمن معك من المسلمين والسلام ورحمة الله وبركاته عليكم وطوى الكتاب وسلمه الى عبد الله بن المنذر فأخذه وأتى به الى الامير خالد فوجده نازلا على النورية فسلم عليه ودفع له الكتاب فلما قرأه وفهم ما فيه استرجع وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم التفت الى عبد الله وقال قل للامير عياض ان الامير خالدا قادم عليك برجال وأى رجال والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين من المهاجرين والانصار فرجع عبد الله ثانى يوم الى البهنسا ورد الكتاب الى الامير عياض بن غانم قال ثم استدعى الامير خالد بأبى عبد الله الزبير وضم اليه ثلثمائة فارس وأمرهم بالمسير الى أرض البهنسا وقال لهم اذا وصلتم الى أرض البهنسا فاعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فسار الزبير رضى الله عنه فلما بعد وادعا بالمقداد بن الاسود وضرار بن الازور ودفع لهما مائتى فارس وأمرهما أن يسيرا على أثرهما وقال لهما لا تأتيا الا حتى يدخل الزبير وابنه ثم استدعى بعبد الرحمن بن أبى بكر وعبد الله بن عمر رضى الله عنهما وضم اليهما مائتى فارس وأمرهما بالمسير على أثر المقداد ثم استدعى بسعيد بن زياد بن عمرو بن نفيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقبة ابن عامر الفهرى ودفع لهما مائتى فارس وأمرهما أن يسيرا وبات الامير خالد تلك الليلة ولما أصبح صلى وسار معه بقية الامراء من المهاجرين والانصار الاخيار رضى الله عنهم (قال الراوى رحمه الله) وسار الزبير رضى الله عنه بمن معه حتى أشرف على البهنسا فكبر وكبر معه المسلمون وأنشد يقول

أتيناكم على خيل عتاق * شبيه الريح يوم الاستباق
عليها كل صنديد همام * شديد الباس يوم الحرب واقى
نذل حماتكم بالسمر لما * نجول بها مع البيض الرقاق
ونقتل كل ملعون وباغ * على الاسلام من أهل النفاق
ونحن حماة دين الله حقا * نقر بأن رب العرش باقى
وأن محمدا خير البرايا * رسول الله للعلياء راقى

قال وأشرفت الروم على أبواب المدينة ينظرون اليهم فما لبثوا غير قليل حتى أشرف عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وعبد الله بن عمر رضى الله عنهما وكبر وكبرت المسلمون قال ثم أنشد يقول

أنا الفارس المشهور للحرب فى الوغى * أذل بسيفى كل باغ ومعتدى
وأحمل فى الابطال حملة من له * الى الغاية القصوى أعاظم مقصد
أنا ابن أبى بكر الذى شاع ذكره * خليفة خير المرسلين محمد
فياويل من وافى حسامى رأسه * وياويل من عاجلته بمهند

(قال الراوى) ثم أشرف من بعده عبد الله بن عمر وكبر وكبرت المسلمون لتكبيره ثم أنشد يقول

أتيناكم على خيل عتاق وضمر * بكل يمان ذى حداد وأسمر
بكف شجاع باع لله نفسه * يرى الموت فى الهيجاء أفخر مفخر
نذلكم بالسيف فى الحرب والقنا * ونقتل منكم كل باغ ومفترى

من المسلمين والانجليز وانزلوهم فى المراكب وامتلأت مصر بعساكر المسلمين وبعض عساكر الانجليز ودخل الوزير

(قال الراوى رحمه الله) ولم يزل كل أمير ينزل بجماعته حتى تكاملوا وتأخر الامير خالد وبقية الامراء الذين معه ولما بات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصبحوا قال ضرار بن الازور والامراء للامير غانم أظنكم أنتم المحاصرين وأعداؤكم فى أكل وشرب فما هذا القعود ثم رجعوا للابواب وضرار ينشد ويقول

سأضرب فى العلوج بكل عضب * شديد الباس ذى حد صقيل
وأضرم فى علو الباب نارا * وارمى القوم بالخطب الجليل
وأترك دارهم منهم خرابا * ولم أمهل بذى شيخ كفيل
فويل ثم ويل ثم ويل * لهم منى بعشتد العويل
سأقتل كل باغ كان منهم * بحد السيف والباع الطويل

قال ولم يزل يترنم بهذه الابيات وتراموا بالسهام والمقاليع واقتتلوا قتالا شديدا فاشتدت حمية عميد الروم وجمع الملعون البطارقة من ذوى الشدة والباس وكان هو فارسا شديدا وبطلا كماذ كرنا وفتح باب الجبل وخرج منه كانه شعلة نار على جرائد الخيل والرماة بين يديه يرمون بالنشاب والمجانيق من أعلى الابراج واقتتلوا قتالا شديدا وجرح من المسلمين جماعة وكانت مقتلة عظيمة وبقية الامراء لا يعلمون وأنكى من المسلمين جماعة قال فعندها ضجت الامراء أصحاب الرايات وأقبل علج عظيم من البطارقة وطلب البراز فبرز اليه المغيرة بن شعبة فحمل عليه البطريق واقتتلا قتالا شديدا فضربه المغيرة بالسيف فطاح من يده وبادر عدو الله الى المغيرة ليضربه واذا بفارس قد أقبل بيده سيف مجذوب فلوح به الى المغيرة واذا هو عبد الرحمن بن أبى بكر فأخذه المغيرة وضرب به البطريق فخادعها وقرب من المغيرة وتجاذبا وكلما أراد المغيرة أن يسطو على العلج يمانع عن نفسه ونظر ضرار بن الازور الى ذلك فترجل عن جواده وسعى بين الصفوف حتى قرب من البطريق وضربه فى حزامه فقطعه فسقط عدو الله وهو جاذب المغيرة الى الارض فعندها تكاثرت الروم على ضرار والمغيرة فأرادوا قتلهما واذا بثلاث فوارس قد أقبلوا واخترقوا الصفوف أحدهم عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق والثانى عبد الله بن عمر بن الخطاب والثالث المقداد بن الاسود الكندى رضى الله عنهم فأزالوهم عن مراكزهم وقتلوا ثلاثة من الروم وفرقوا الكتائب عنهم وضرب ضرار البطريق فقتله قال ومال عبد الرحمن بن أبى بكر وركب ضرار جوادا من خيل المقتولين وأخذوا الاسلاب هذا وعدو الله البطليوس لعنه الله تارة يكر فى الميمنة وتارة يكر فى الميسرة وطلب البراز فبرز اليه المقداد بن الاسود الكندى رضى الله عنه وتعاركا وتجاولا وتطاعنا قال المقداد بن الاسود قاتلت ملوكا وفتحت قلاعا ولاقيت حروبا فى الجاهلية والاسلام فلم ار اخدع من البطليوس ولا اشد باسا ولا اصعب مراسا منه فتقاتلا حتى كل الجوادان والتفت الى وقال ما أجرأ فرسك كيف تقاتل عليه وهو بثلاث ارجل قال المقداد فن شفقتى على جوادى طأطأت رأسى لأنظر الى قوائمه فضربنى بالسيف ضربة قوية فقطعت الخودة والزفادة وأثرت قليلا فى رأسى فظن الملعون أن خصمه قد قتل فلوى عنان فرسه فاستيقظ المقداد وتبعه فساق جواده المتقدم ذكره وأحاط به أصحابه (قال) فبينما الناس فى أشد القتال اذ أقبل الامير خالد بن الوليد رضى الله عنه ومعه الامراء المتقدم ذكرهم وأعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وفى أوائل القوم خالد وهو ينشد ويقول

رمى الله صبا للقا جاء يسرع * وصبا على الفرسان بالرمح يقرع
ومن باع لله المهين نفسه * وكان الى الهيجاء بالامر أطوع
فويلك يا بطلوس من سيف خالد * اذا اشتدت الهيجاء والحرب يرفع
فلا رحم الرحمن بطلوس كافرا * ويلعنه كل الملائك أجمع

الاعظم مصر يوم الخميس
فى موكب عظيم عليه أبهة
الجمال وهيبة الكمال
وامتلأت قلوب أهل مصر
فرحا وسرورا لم يحصل لهم

فان قدر المولى سأخرب داره * وأتركها من بعده وهي بلقع
بحد حسامي اذا ماحذبته * تذل له كل العداة وتخضع

(قال الراوي) رحمه الله ثم ان خالدا رضي الله عنه حمل بمن معه واقتتلوا قتالا شديدا وقاتل البطليوس لعنه الله قتالا شديدا وقتل رجالا وجندل أبطالا فعندها حملت الامراء وأصحاب الرايات وذووا المروآت واقتتلوا بين الجبل والباب قريب التل الاحمر قتالا شديدا وعطف خالد على البطليوس وصال عليه وكان الى الميسرة يراوغه الى الميمنة ومن الميمنة الى الميسرة فعندها عطف خالد عليه وحازه بين الصفوف وحمل عليه فعندها فر الى القلب وأحاط به أصحابه وقومه ووضعت الامراء السيوف فيهم وتبعه الامير خالد وساق جواده الى الباب واقتحمه وتبعه قومه وانهزموا الى الباب ودخلوه وتبعهم المسلمون واقتتلوا عند الباب وقتل من الروم نحو أربعة آلاف ودخلوا الباب وأغلقوه وأوثقوه بالاقفال وعلوا على الاسوار وأسر المسلمون منهم نحو ألف وخمسمائة فعرضوهم على الامير خالد وكان فيهم من كبار البطارقة فعرض عليهم الاسلام فامتنعوا فأمر بضرب رقابهم وافتقد المسلمون أصحابهم فاذا قد قتل منهم مائتان وثمانون رجلا ختم الله لهم بالشهادة *(قال الواقدي) رحمه الله هذا ما جرى لهؤلاء واما عدو الله البطليوس فانه حل به هما عظيما وحصل له مالا ينبغي شرحه وأمر بجمع البطارقة فلما اجتمعوا اشتكالهم أمر العرب وما لقوا من الحرب وقال لهم ما الرأى عندكم فقالوا كنا بين يديك فاذا أمرتنا بالقتال قاتلنا على سور بلدنا قال سأدبر لكم أمرا وهو تدبير من خاض الحروب وعرفها ثم أمر باجتماع الناس خاصتهم وعامتهم فاجتمعوا اليه الا من بقي على الابواب خوفا من المسلمين فلما تكاملوا واجتمعوا قال اني عزمت ان أهجم على القوم في هذه الليلة وأكبسهم في أماكنهم والليل مدلهم وأنتم أعرف بمسالك البلاد من غيركم فلا يبقى منكم أحد الا ويتأهب ويخرج معي من بابه ونكبس القوم وأخرج أنا بنفسي ومن معي من باب توما وأرجو وصولي الى مسرتي والا أموت بحسرتي وأبيدهم أولا بأول لعلي ان أصل الى أميرهم فآخذه أسيرا وابلغ مقصدي قالوا حبا وكرامة ثم بعث فرقة الى باب الجبل وفرقة الى باب قندوس وفرقة الى الباب الشرقي وانتدب معه سادات قومه ومن عرف بالشجاعة وأخذهم معه ثم أقبل على القوم قبل انصرافهم وقال سآمر صاحب الناقوس أن يخفق لكم الناقوس خفقة عند خروجي من الباب فتخرجون جميعا فامتثلوا ما أمرهم به وقاموا ينتظرون الاشارة واما صاحب الناقوس فاحتمله وصعد به على اعلى السور أى البرج وفعل ما امره به البطليوس فخرج القوم كاللاهب وخرج البطليوس في عشرين ألف فارس من الشجعان وهو يوصيهم وقال أسرعوا في مشيكم فاذا وصلتم الى القوم فاحملوا عليهم ومكنوا السيوف والخناجر من رقابهم ومن صاح منهم الامان فلا تبقوا عليه الا ان يكون امير القوم ومن أبصر منكم الصليب الذي أخذ منا فليأخذه ومن أتى به أكرمته ثم أمر صاحب الناقوس ان يضرب به فضرب به ضربة سمعها اهل الابواب ففتح البوابون وتبادروا للخروج وخرج اللعين وسمع المسلمون الصوت فبادروا من أماكنهم مسرعين يحفر بعضهم بعضا وهم على يقظة وتبادروا كالاسود الضارية المشتاقة الى فرائسها فلم تصل القوم اليهم الا وهم على حذر الا انهم غير مرتبين فتجاول القوم في ظلام الليل وسمع الامير خالد ذلك منهم فصاح واغوثاه وامحمداه واسلاماه كيد قومي ورب الكعبة اللهم انظر اليهم بعينك التي لا تنام وانصرهم على عدوهم ولا تسلمهم الى شر خلقك ثم سار خالد وهو مكشوف الرأس بلا خودة وألهته الزعقة عن لبس السلاح وسار الى قومه وهو ينشد ويقول

فاض دمعي واعتراني حزني * ضاق صدري وبراني شجني
رب سلم من نزول المحن * وانصر الاسلام ياذا المنن
بالنبي الهاشمي العدني * احمد المختار طه المدني

(قال الراوي) رحمه الله ورضى عنه ثم وصل الى باب توما ومعه خمسمائة من السادات واصحاب النجدة مثل

فرح مثله لكثرة ما وقع لهم من طائفة الفرنسيس من أخذ أموالهم وقتل رجالهم وهدم بيوتهم حتى صاروا فقراء ثم في يوم الاحد السابع

الفضل بن العباس والفضل بن أبي لهب وزياد بن ابي سفيان بن الحرث وعبد الله بن جعفر بن ابي طالب والمقداد بن الاسود وزيد بن ثابت وعبد الله بن زيد ومسلم بن عقيل وأبي ذر الغفارى وعبادة بن الصامت وبحر بن مسلم وعقبة بن نافع والمغيرة بن شعبة والمسيب بن نجيبة الفزارى رضى الله عنهم وعلت أصوات المسلمين بالتهليل والتكبير والقوم من أعلى الاسوار قد رطنوا بلغتهم وتصارخوا عندما استيقظ المسلمون وحمل خالد على القوم ونادى يامسلمون اتاكم الغوث من رب العالمين انا الفارس الصنديد والبطل المجيد انا خالد بن الوليد ثم حمل فى وسط الروم بمن معه فقتل رجالا وجندل ابطالا وهو مع ذلك مشتغل القلب بالامير عياض وبقية الامراء الذين على الابواب وهو يسمع صراخهم وزعقاتهم (قال الواقدى رحمه الله ورضى عنه) حدثنا عبد الله بن عون قال حدثنا جابر بن سنان عن عقبة بن عامر قال كان الروم والنصارى من اعلى السور يرمون بالحجارة والسهام ولقيت المسلمون من عدو الله البطليوس امرا عظيما لم يروا قبله مثله وكان اول من وصل اليهم البطليوس لعنه الله فصبرت له المسلمون صبر الكرام وقاتل عدو الله البطليوس قتالا شديدا وقال أرونى الذى اخذ صليبى بالامس فلما سمع الفضل بن العباس صوته قصد جهته وقال ها انا صاحبك وغريمك انا مبيد جمعكم وآخذ صليبكم أنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعطف عليه البطليوس عطفة الاسد على فريسته وقال اياك طلبت ثم انفرد له وصادمه فلم ترى الناس فى طول الايام ضربا كضربهما فى تلك الليلة ورأى الفضل منه شيأ لم يره فى طول عمره ولم يزالا كذلك الى أن مضى من الليل شطره وكل قرم مع قرمه ولم يزالا فى كر وفر وضرب ورد لم ير أحد مثله وصبر له الفضل صبر الكرام ولاح له من عدو الله ضربة فتلقاها فى جحفته فانقطع سيف الفضل وطمع فيه عدو الله وظن انه يأخذه اسيرا واذا بفارسين قد اقبلا ومن ورائهما كتيبة من الفرسان قد هجموا على الروم واذا بخولة بنت الازور واخت ضرار قد حملت على فارسين من الروم فجندلتهما وهى تجندل فى الابطال وفرسانهم فلحقها فارسان احدهما عبد الرحمن بن أبي بكر والثانى عبد الله بن جعفر وتبعهما ثلاثة وهم ابان بن عثمان بن عفان فخلصوا خولة بعدان احاطت الروم بها وعطفوا على عدو الله البطليوس فكر راجعا فى كردوس من الروم حتى دخل مدينة البهنسا وقاتلت الروم من على الاسوار قتالا شديدا وكان خالد رضى الله عنه تارة يكر عند باب الجبل وتارة عند باب توما وتارة عند باب قندوس وكان عياض بن غانم الاشعرى عند باب الجبل فى ذلك الوقت فلبس سلاحه ودنا من القوم بمن معه من الامراء مثل المقداد وضرار بن الازور وشرحبيل ومسلم وعقيل وزياد وعبد الله ابن العباس وعمرو بن ابي ذئب وعبد الرحمن بن أبي هريرة والمسيب والحرث بن مسلم وزيد بن الحرث وأبي ذر الغفارى ومحمد بن مسلمة رضى الله عنهم فعطفوا نحو الباب وكبروا وكبر القوم من ورائهم فخرج اليهم بطريق عظيم ومعه عشرة آلاف فارس وكان اسم البطريق يوحنا فاقتتلوا قتالا شديدا فتكاثر الروم على عبد الله بن عبادة بن الصامت فقاتل قتالا شديدا ورمى بحجر من اعلى الباب فقتله رحمه الله وقتل من الامراء وفرسان المسلمين عند الباب زهاء من مائتين وقتل من الروم نحو ألف وحمل عياض والامراء والتقى القوم فصارت الاحجار والسهام تتساقط عليهم وهم لايولون عنهم فلما الجؤهم الى الباب واختلطوا بهم خشيت الروم ان يصيبوا اصحابهم بسهامهم وحجارتهم فأمسكوا أيديهم وقتل من الروم مقتلة عظيمة واما خالد فقاتل قتالا شديدا ماروى مثله فبينما الناس كذلك اذ أقبل ضرار بن الازور وهو ملطخ بالدماء وهو جامد عليه كأكباد الابل فقال له خالد ماوراءك من الاخبار ياضرار فقال اخبرك ياأبا سليمان انى قتلت فى ليلتى هذه مائة وستين رجلا وقتل قومى مالا يعد وقد كفيتكم من خرج من باب الجبل (قال الراوى) وكانت ليلة لم ير الناس مثلها وهجم الامير عياض هو وأصحابه على من بداخل الباب واقتتلوا قتالا شديدا ووصلوا الى ساباط الباب وكان له باب آخر فاغلق من دونهم على كردوس من الروم فقتلوا هناك وتسلق المسلمون على البرج وقتلوا من فيه وكانوا خمسمائة وقتل فى تلك الليلة هناك نحو

والعشرين من شهر ربيع الآخر جاء الخبر بان المسلمين ملكوا الاسكندرية بعد قتال شديد ومات خلق كثير من الانجليز والمسلمين

الف واما باب قندوس فكان عليه الزبير بن العوام وعقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو بن العاص والفضل
ابن ابى لهب والمغيرة وجماعة من الامراء فتواثبوا الى الباب واقتتلوا قتالا شديدا وقتل من المسلمين
نحو مائة وعشرين رجلا غير الاعيان واما باب توما فكان عليه خالد وخرج منه البطليوس فاقتتل
الفريقان وقتل من المسلمين جماعة نحو مائتين وثمانين رجلا فى المكان المعروف بالمراغة وغلقوا
الابواب واستعدوا للحصار وهذا كان أول فتح (قال الراوى رحمه الله) حدثنا سنان بن مفرج العجلانى
عن أبى محمد الشاكرى عن زيد بن رافع عن ابى امامة قال واقام خالد بعد الوقعة على البهنسا اربعة اشهر
لا يقاتلهم ولا يناوشهم فطال عليهم المكث وضجروا فأتوا الى خالد وشاوروه فى القتال فأذن لهم وكان جملة
من قتل فى وقعة الابواب نحو ستمائة فارس ختم الله لهم بالشهادة (قال الراوى رحمه الله) فلما استأذنت
الصحابة خالدا فى القتال لم يقدر أن يمنعهم ولما أصبحوا اقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع مثله فاشتد الحصار
على اهل البهنسا وقالوا للبطليوس ما بقى لنا صبر على القتال والحصار فقال لهم اصبروا واثبتوا على أن
أكيد العرب بمكيدة ولما اشتد الحصار عليهم أتوا الى بطريق يسمى توما صاحب الباب واتاه السوقة
والنصارى والعوام وقالوا له لقد ضاق علينا الحصار فنجعل لك مالا وافتح لنا الباب حتى نأخذ لنا امانا
من العرب فأجابهم الى ذلك فصبرهم الى جانب من الليل وفتح لهم الباب فخرج نحو مائتين من تجار البلد
وخرجوا من باب السر وأتوا الى خالد وصالحوه على أن يفتحوا لهم الباب وجعلوا للمسلمين جعلا معلوما
واتفقوا على ذلك وكتبوا أسماءهم ورجعوا هذا ما جرى لهؤلاء وكان الكلب ابن عم توما حاضرا واسمه
ارمياء فمضى الى البطليوس واعلمه بذلك فعندها أرسل البطليوس بطريقا يقال له حرقيائيل ومعه ألف
بطريق وقال اكمنوا وائتونى بالخبر على جليته فمضوا وتفرقوا وهم مشاة قريبا من باب توما واذا بهم قد
اقبلوا فلما رأوهم عرفوهم وفتحوا لهم الباب فدخلوا فعندها تواثبوا عليهم وامسكوهم وسحبوهم الى
البطليوس لعنه الله فلما رآهم وبخهم توبيخا عظيما وقال ائتونى بالسياط ونصب اخدودا من حديد ثم
ضربهم ضربا شديدا وأتى بالنار واحرق جميع اموالهم وأمر باحضار البطريق فاحضر بين يديه فاخذه
ومضى الى القصر هو وجميع اعوانه واستدعى بالخشب وصلبهم على أعلى السور واقاموا هناك يوما وليلة
ثم أمر بضرب رقابهم وطرح رؤسهم للمسلمين قال الامير عياض للامير خالد هؤلاء أهل ذمتنا وقد قتلهم
البطليوس لعنه الله (قال الراوى) رحمه الله وأما الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فانه قلق على
المسلمين قلقا شديدا فارسل كتابا الى عمرو بن العاص يقول فيه ما سبب انقطاع كتبك عنى وأنا فى قلق
على المسلمين وعلى خالد ومن معه واعلم انك لا ترسل لى الا بالفتح والغنائم وان احتاج خالد الى نجدة فارسل
الى أبى عبيدة فقد كاتبته بأن يرسل له جنودا من الشام والسلام فلما وصل الكتاب الى عمرو أرسله الى
خالد فقال خالد لا نطلب النجدة والمعونة الا من الله تعالى ثم ان خالدا عظم عليه الامر واشتد الحصار
وكان كل يوم يرجع الى المدينة ويقاتل قتالا شديدا وفقد من المسلمين جماعة كثيرة قتلوا بالحجارة والنشاب
وهجم عدو الله على المسلمين وكادهم مرارا وقال خالد للامير عياض وللمسلمين لا شك أن لاصحابنا عيونا
وجواسيس ثم ان خالدا ركب ومعه الفضل بن العباس والمقداد وزياد بن أبى سفيان وعياض وطافوا
حول العسكر واذا برجل من العرب المتنصرة جالس على قطيفة خارج العسكر فانكر أمره خالد وقال له من
أى العرب أنت فسكت فقال له الامير عياض انطق بالحق من لك من الاهل ههنا فسكت فقال له خذ الماء
وتوضأ فلم يحسن ذلك فقال له صل فلم يحسن ذلك فضربوه فأقر بأنهم خرجوا ثلثمائة من باب السر وردوا
وبقى هو فضرب عنقه وانقطعت الجواسيس فكانوا يقاتلون قتالا شديدا وكان لخالد عبد فى خيمته
اسمه فلاح يصنع له كل يوم قرصين من شعير واحد له وواحد للعبد فقعد خالد ثلاثة أيام يأتى السفرة فلا يجد
فيها شيئا ولم يكلم العبد وكان عنده بعض تمر يتقوت به حتى فرغ فعندها قال خالد للعبد يا ولدى قال الله
تعالى وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام ولك ثلاثة أيام لم تصنع فيها قرص شعير قال يا سيدى

وحصروهم فى البرج ثم
طلبوا الامان وكان ذلك
فى يوم الجمعة الثمانية عشر
من الشهر المذكور ثم طلبوا
مدة فأعطوهم ذلك

ماقطعت عندك ذلك ولكن أصنع لك كل يوم وأعلقه فى طبق الخيمة فلم أجده قال خالد ان لهذا شأنا عظيما ثم قال للعبد قف خلف الخيمة وأخف نفسك وانظر من يفعل هذا فلما كان الغد ركب خالد للقتال وصنع العبد القرصين وأكل قرصا ووضع قرص سيده فكان معتادا أن يشيله له فجاء كلب أسود عظيم من جهة البلد ودخل الخيمة وأخذ القرص فى فمه ومضى فتبعه العبد حتى أتى السرب يخرج منه الماء يجرى من باب البحر تحت الارض الى تحت سور المدينة من جهة القبلة ويدخل المدينة ويظهر من الجهة البحرية من خارج البلد فلما رآه العبد رجع وأعلم الامير خالدا فمضى معه ورأى ذلك ففرح بذلك فرحا شديدا ثم أتى الى الامراء وأعلمهم بذلك وقال لهم أريد منكم مائة رجل قد باعوا أنفسهم لله عز وجل فيمضون معى وجماعة شداد يكونون مقابل الباب فاذا فتحنا الابواب دخلوا الينا فانتدب منهم مائة رجل من خيار القوم منهم عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبى بكر وزيد بن ثابت وعقبة بن عامر ومسلم بن عقيل وزياد بن أبى سفيان وأخوه هبار والمسيب بن نجيبة وأخوه والمقداد بن الاسود ورافع وأبوزر بن العقيلى ومثل هؤلاء السادات وقد اقتصرنا فى أسمائهم خوف الاطالة ورتب خالد رضى الله عنه عبد الله بن جعفر والزبير بن العوام وابنه عبد الله والفضل بن العباس والفضل بن أبى لهب وضرار بن الازور ومثل هؤلاء مقابل الباب وصبروا الى غروب الشمس وأتوا الى ذلك السرب ودخلوا اليه فى الماء كل واحد بسراويله وسيفه وكان أولهم الامير خالد وكل من دخل يدع سيفه وحجفته مع صاحبه حتى يدخل ويأخذهما حتى دخل ثمانون رجلا ورجع عشرون لم يسعهم السرب وضاق عليهم فولوا وهم متأسفون لما فاتهم من الشهادة والفتح وتواثبت الامراء المذكورون وأخفوا نفوسهم تحت الجدار الى جزء من الليل فتبادروا الى الباب فوجدوه موثقا من داخله فعالجوا الاقفال والروم سكارى ففتحوا الباب وذبحوا كل من وجدوه فى دهليز الباب وكانوا ستين رجلا ثم علوا على السور وجماعة منهم أخذوا المفاتيح ففتحوا الباب وثاروا على الروم فقتلوا جماعة منهم فى أعلى البرج وقتلوا بطريق البرج وأعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فاجابهم المسلمون بمثل ذلك ودخلوا من الباب الى سوق المدينة وتبادرت جماعة الى القصر فلما أحس عدو الله بذلك وأن المسلمين ملكوا عليه الابواب وضع منديلا فى عنقه وخرج وهو يقول الأمان الأمان وفعل جماعة كذلك فأبى خالد ووضع السيف فيهم وقاده أسيرا وقال له ياعدو الله لا أمان لك عندى الآن تسلم وقبض على جماعة من بطارقته ووضع السيف فيهم وقتل من الروم نحو ثلاثة آلاف وقتل من المسلمين فى تلك الليلة فى وسط البلد مائة وأربعة وثمانون رجلا قريبا من سوق المدينة وعند الابواب وعند القصر وجاء عياض ومعه جماعة من الامراء فشكا اليهم أهل البلد وقالوا الأمان فرق لهم الامير عياض رحمه الله وصار عدو الله يتملق بين أيديهم فغلبوا على رأى خالد حتى صالحهم على ألف ألف مثقال من الذهب الابريز وألف ألف أوقية من الفضة البيضاء وعشرة آلاف وسق من البر والشعير والجزية من العام القابل وخالد لا يطمئن قلبه الى شىء من ذلك وغلب الامراء على رأيه وجاؤه وقالوا له لقد أضر بنا المقام بهذا البلد فاترك الأشفق منا علينا ونرى من الرأى أن ترسل الى عمرو وتعلمه بذلك وهذا الكلب وجماعته موثقون الى أن يجىء الجواب فعندها كتب خالد كتابا الى عمرو يخبره بذلك فلما بلغه ذلك رد لهم الجواب أنهم يستوثقون منه بالايمان ويأخذون منه ما صالحهم عليه ويتركونه ومن صاح الغوث الغوث فاتركوه والانفر منكم أهل الصعيد ففعل خالد وقلبه نافر وأطلقه بعدما استوثق منهم بالايمان فى كتبهم المذكورة وأطلقوه وشرط عليهم أن لا ينزل عندهم أحد الامن يقبض المال فخرجوا الى ظاهر المدينة وبقى عنده فضالة بن زيد السلمى وعون بن ساعدة الكندى ومقسوم بن سعيد الجهنى ومائتان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج الميرة والعلوفة وصار كل يوم يركب ويتردد الى الامراء ويهب وأعطى ولم يترك أميرا الاخادعه حتى طابت نفوسهم عليه الاخالدا والفضل بن العباس والمقداد وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق والزبير بن العوام فانهم لم تطب نفوسهم اليه وأقاموا شهرين على ذلك

وبعدها أنزلوهم فى المراكب شيأ فشيأ وخلت منهم البلاد وأراح الله منهم العباد وكان مدة تصرفهم فى مصر ثلاث سنين وشهرا

وأرسل جميع الغلال الى خزينته فى هذا الزمن وخزن مايحتاج اليه واستدعى بكبار قومه ومن يثق به واتفق رأيهم على قتل المسلمين والغدر باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبروا الى ان مضى جزء من الليل وهجم على المسلمين على حين غفلة فى ألف بطريق واوثقهم كتافا وجعل فى افواههم الاكر وفتح الابواب وادخلهم المدينة وهجم على المسلمين ووضع السيف فيهم وهم رقود فما انتبهوا الا والسيف يقطع فى نحورهم وكانت وقعة عظيمة وثار خالد ومن معه وكان الزبير راقدا فسمع الصياح فقال دهينا ورب الكعبة ثم ركب وركبت معه زوجته وقاتلت النساء قتالا شديدا وعدو الله تارة يكر ميمنة وتارة يكر ميسرة والسيف يعمل والرجال تقتتل وكانت ليلة شديدة وصار خالد يقول ياقوم أماقلت لكم فما سمعتم لخالد وانحاز زياد بن أبى سفيان واخوه هبار وميسرة بن مسروق وفضالة بن عبد شمس وعقيب بن يعقوب وعبادة بن تميم وجندبة الكلبى الى تل هناك واحاط بهم طائفة من الروم من كل مكان فقاتلوا قتالا شديدا وانحدر زياد رضى الله عنه من التل وتبعه أصحابه فاحدقت بهم الروم ودارو بهم كدوران السوار بالمعصم وقتلوا زيادا وجميع من ذكرنا من الامراء وقاتلت نسيبة الانصارية أم أبان واسماء ابنة أبى بكر ونعمانة ابنة المنذر ونظائرهن فى تلك الليلة قتالا شديدا وقتل جماعة من المسلمين واتى خالد وحمل عليهم وجعل يقلب الميمنة على الميسرة والميسرة على الميمنة قال واطبق عليهم هو وجميع الامراء فهزموهم الى الابواب وقد قتلوا منهم مقتلة عظيمة وهرب عدو الله وتحصن هو وقومه وغلقوا الابواب ولما أصبح أمر بالحصار وأمر باحضار المأسورين وصعد بهم الى اعلى البرج وضرب رقابهم فشق ذلك على المسلمين وصعب عليهم مافعل عدو الله باصحابهم وأتى خالد رضى الله عنه ومعه بقية الامراء الى مكان المعركة فوجدوا الشهداء مطروحين ووجدوا زيادا رضى الله عنه وفيه عشرون طعنة بالرمح واربعون ضربة بالسيف والى جانبه أخوه هبار وفى رأسه عشرون ضربة بالسيف وواحدة فى فخذه قطعته فبكى خالد عليهم بكاء شديدا وبكى عليهم سائر الامراء وابطال المسلمين ونعاهم الامير خالد بهذه الابيات وهى له خصوصا

هوام دموعى كالسحائب تهمع *	وقلبى من فقد الاحبة يفزع
واظلمت الدنيا على نور عبرتى *	وكاد فؤادى بالجوى يتقطع
لفقد زياد أحرق البين مهجتى *	وغاب صوابى وهو فى الارض يصرع
لقد كان فى بحر المعامع صائلا *	يزلزل أركان العدا ويضعضع
وقد كان مقدام الفوارس كلها *	بكل مكان للاعادى مقمع
لحى الله يوما فيه حانت وفاته *	واجفانه مع اسهم الدهر تدمع
أيا سيدا من آل هاشم لم يزل *	له رتبة بالمجد والجود ترفع
يعز علينا أن نراك معفرا *	ورأسك من فوق الجنادل تسفع
بجانبك الهبار أضحى مهبرا *	طريحا على رأس الثرى وهو مطبع
الا لعن الرحمن بطلوس قومه *	واللعنه مع كل قوم تجمعوا
لقد غدر السادات من آل هاشم *	نجوما واقمارا على الناس تطلع

(قال الراوى) ثم بكى المسلمون بكاء شديدا على من قتل منهم من الامراء والابطال وجمعوهم وصلوا عليهم وواروهم فى حفرهم الى جانب التل فاذاهم ثمانون أميرا وثلثمائة وسبعون رجلا ختم الله لهم بالشهادة (قال الراوى) وأقام المسلمون ثلاث سنين الا انهم يشنون الغارات على السواد والسواحل ومضى القعقاع بن عمرو وهاشم وأبو أيوب وعقبة بن نافع الفهرى بالفى فارس وأغاروا على حد برقة ثم اعادوا وهذا أحد الآراء فى فتح المغرب قال رضى الله عنه ولما طال الحصار والمكث على أهل البهنسا اجتمعت المسلمون عند خالد واستشاروه فيما يفعلونه وماذا يكون من الرأى فوثب عبد الرزاق الانصارى

وكان خروجهم بهمة مولانا سلطان سلاطين أهل الارض الذى صرفه الله فى طولها والعرض مالك رقاب الامم سيد سلاطين

وعبد الله بن مازن الدارى وكعب بن ناثل السلمى وأبو مسعود البدرى وأبو سعيد البياضى وقالوا يا قوم قد وهبنا أنفسنا الله عز وجل ولعل أن يكون للاسلام فرج فاصنعوا منجنيقا واملؤا غرائر قطنا وقالوا يأخذ كل واحد منا سيفه وحجفته ويدخل فى غرارة قطن فاذا كان الليل ونامت الحراس فالقونا على أعلى السور واحدا بعد واحد والمعونة من الله فى فتح الباب كما فتحتم قصر الشمع بمصر ودير النحاس وكما فعلتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاستصوبوا رأيهم فلما أصبحوا قطعوا الاخشاب وصنعوا منجنيقا وصنعوا له حبالا وأحضروا غرائر وملؤها قطنا والرجال داخلها وصبروا الى الليل ودخل هؤلاء السادات رضى الله عنهم بعد ان جربوا بالمنجنيق حجرا بعد حجر فسقط على أعلى السور والبرج فشرعوا فى رميهم منهم أبو مسعود البدرى وعبد الرزاق الى أن رموهم جميعهم وصاروا فوق أعلى السور ورتب خالد أصحابه على الابواب وأما عبد الرزاق وأصحابه فلما صاروا على الجدار نزلوا الى البرج فاذا هو مغلق والحراس نيام فنزلوا الى الدهليز بين البابين فوجدوهما مغلقين موثقين ففتحوا البوابين عن آخرهم ووجدوا المفاتيح تحت رأس كبيرهم فى جانب سريره فأخذوها وفتحوا الابواب واذا بالباب الثانى الذى ينتهى الى القصر مسدود بالحجارة فاحتالوا على قلع حجر بعد حجر فقلعوها ورموا الاحجار وفتحوا الابواب وكل ذلك فى أقل من ساعة بعونة الله عز وجل وصعدوا الى البرج فعالجوه وفتحوه وقتلوا جماعة واستيقظ جماعة وثاروا عليهم وخافوا على الباب أن يؤخذ منهم وان يحال بينهم وبينه وهو باب السور الذى بظاهر المدينة ففتحوه وصاحت الروم واستيقظ البطليوس وركب جواده وكان على حذر وركب المسلمون ودخلوا الباب وخرجت البطارقة والبطليوس من قصره وزحفت الروم الى الباب وكان أول من قتل فى ذلك اليوم عبد الرزاق وعثمان بن مازن وكعب بن ناثل السلمى بداخل الباب (قال) حدثنا قيس بن مازن الحميرى عن عبادة بن سالم السكاكى عن أبى مسعود البدرى وكان أول من فتح الباب قال ليس هو على هذه الصفة واخبرنا سالم بن حامد عن أبى عبد الله عن أبى محمد الانصارى عن عبد الله البدرى قال كان أبو محمد الحسنى يقرأ هذه الفتوح بالجامع الغزى العمرى على الشيخ أبى عبد الله حتى بلغ الى هنا وذكر الفتوح وفتح الباب وان الرجال وضعت فى الغرائر قال يا بنى ليس الامر كذلك فقد روى عن ابن مسعود وهو الصحيح عمن فتح الباب قال انهم قطعوا أخشابا ونصبوا سلما للتسلق عاليا على جدار المدينة وصبروا الى الليل وأسندوه الى الجدار وتسلق منهم أربعون رجلا ومنهم السبعة المذكورون وفتحوا الباب كما ذكرنا واستيقظ الروم وخرجوا اليهم بعد فتح الباب فكان السابق اليهم عبد الرزاق رضى الله عنه فقتلوه وقتلوا معه من ذكرنا أولا وتسابق المسلمون الى الباب فكان أول من دخل ضرار ابن الازور وهو يزعق ويقول هذه الابيات

الجن تفزع يوم الحرب من فزعى * اذا أتيت الى الهيجا بلا جزع
ياويل من صنع الارصاد يخدعنا * ونحن جرثومة الامكار والخدع
لارضين الهى فى جهادهم * وقتل أبطالهم بالسيف والدرع
ياويل كلب العدا البطليوس ان وقعت * عينى عليه لارديه الى النزع
عيب على اذا ما التقيته هنا * وأفلق الرأس منه غير مرتدع

ثم دخل من بعده خالد وهو يقول

اليوم يوم الوفا والطعن بالاسل * والضرب بالقضب فى الهامات والقلل
ياويل بطليوس كلب البهنسا اذا * لاقيته بطليق الحد معتدل
ان لم أذقه بكاسات المنون هنا * فلا سلمت ولا بلغت من أملى

قال ثم دخل من بعده ذو الكلاع الحميرى وهو يقول

انى امرؤ حميرى عالى فى النسب * أهل الثنا والوفا والجود والحسب

العرب والعجم مولانا السلطان سليم خان لازال محفوفا برعاية الحنان المنان وبتدبير وزيره الاعظم

أسد غضافرة سود جحاجحة * تردى الكماة غدا فى الحرب بالقضب
الحرب عادتنا والطعن همتنا * وذوا الكلاع أنا عال على الرتب
تبت يد الروم ما يدرون أن لنا * صوارما تترك الاعضاء كالقصب

قال ثم دخل من بعده الزبير بن العوام وهو يقول

أيا بطلوس يا كلب العينا * ويا نسل الطغاة الارذلينا
أتتك حماة دين الله حقا * وأولاد الجياد الخيرينا
خيار الناس نسل بنى نزار * كراما فى الاعادى قاطعينا
اذا احتبك العجاج بهم تراهم * يجولك كالسباع الضارينا
ولا منهم جبان قط يهزم * ولا نذل فتلقاه حزينا
وليس ترى سوى مقدام قوم * أثار الحرب صنديدا أمينا

قال ثم دخل من بعده عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وهو يقول

أتينا اليك بكل قرم * شديد العزم فى يوم النزال
وجيش فاق فى الآفاق طرا * على الاعداء بالسمر العوالى

قال ثم دخل من بعده عبد الله بن جعفر وهو يقول

اليوم طاب الطعن فى اللئام * والضرب فى الاعناق بالحسام
وأنصر الاسلام باهتمام * ولم أزل عن سادتى أحامى
أنا الشجاع الفارس الهمام * ومرد الاعداء فى الحمام

قال ثم دخل بعده الفضل بن العباس وهو يقول

ألا اننا السادات من آل هاشم * ليوثا ذوى بطش شديد العزائم
لنا تشهد الابطال فى كل معرك * وتذكرنا أهل كل المواسم
اذا اشتدت الاهوال واشتبك القنا * رأيت لنا فى ذاك فعل الضراغم

قال ثم دخل من بعده الفضل بن أبى لهب وهو يقول

أنحوك يا بطلوس عزمى قد طاب * بحد حسام كالشهاب اذا انقدب
يطير شرار النار من لمعانه * بكف شجاع الخيل ابن أبى لهب
فويلك يا ملعون منه اذا سطا * بصارمه يوم العجاج وان وثب

قال ثم دخل من بعده عياض بن غانم الاشعرى وهو يقول

لا أنثنى يوم الهياج عن العدا * بمهندى الصمصام الآن قطع
فالويل للبطلوس من سطواتنا * لأفرقن بحد سيفى ما جمع

قال ثم دخل من بعده المقداد بن الاسود وهو يقول

أنا الكندى كالليث الشجاع * وانى فى العدا قد طال باعى
وتشهد لى الرجال بكل حرب * وللهيجاء منقاد الطباع
فوا ثارات عبد الله انى * عليه ذاهل حيران ناعى

قال ثم دخل من بعده أبان بن عثمان وهو يقول

نحن الليوث ذوو المعروف والكرم * وفى المعامع يوم الحرب والهمم
مجندلون العدا فى كل معترك * وقاهرون لهم فى كل مصطدم
لا يعجبنك يا بطلوس جيشك فى * هذا المقام فعندنا الكل كالرخم

قال ثم دخل من بعده مسلم بن عقيل وهو يقول

ومشيره الانخم * صاحب الاوصاف السنية * والاخلاق المرضية * من هو حقيق بقول الشاعر

ضناني الحرب والسهر الطويل * وأقلقني التسهد والعويل
فواثارات جعفر مع علي * وما أبدا جوابك يا عقيل
سأقتل بالمهند كل كلب * عسى في الحرب أن يشفي الغليل

قال ثم دخل من بعده شرحبيل بن حسنة ثم القعقاع بن عمرو التميمي ثم مالك الاشتر ثم عبادة بن الصامت ثم أبوذر الغفاري ثم أبو هريرة الدوسي ثم ابنه عبد الرحمن ثم معاذ بن جبل ثم شداد بن أوس ثم قيس بن هبيرة ثم عقبة بن عامر ثم أبو دجانة الانصاري ثم جابر بن عبد الله ثم البراء بن عازب ثم النعمان ابن بشير ثم سعيد بن زيد أحد العشرة الكرام رضي الله عنهم أجمعين قال ثم الانصار يتلو بعضهم بعضا بهمم وعزائم قال ثم خرجت الروم وقاتلت قتالا شديدا وتواثبت جماعة من الامراء مثل الزبير بن العوام وابنه عبد الله وعبد الرحمن بن أبي بكر الى باب البحر واقتتلوا قتالا شديدا وتقدم عبد الرحمن والزبير الى الباب والروم على أعلى السور ونزل عن جواده وصلى ركعتين والحجارة تتساقط عليه وهو لا ينزعج لذلك وتقدم هو والفضل وعبد الرحمن بن أبي بكر الى الباب وجعلوا السلاسل من فوق وصعدوا الى أعلى البرج وهدموا الشرفات ووضعوا السيف في الحراس وفتحوا الباب ووثب شرحبيل بن حسنة والفضل بن العباس وأبوذر الغفاري وأبو أيوب الانصاري الى باب قندوس ووثب المسيب بن نجبة الفزاري والقعقاع بن عمرو والامير عياض بن غانم الاشعري الى باب الجبل وفتحوا الابواب واقتتلوا قتالا شديدا وقاتلت الروم قتال الموت الى أن طلعت الشمس وارتفعت وقاتل عدو الله البطليوس قتالا شديدا وقتل رجالا وجندل أبطالا واقتتلوا في الازقة والشوارع وبين الابواب وتقدم خالد وهو يصيح واثارات سليمان وطعنه طعنة صادقة في صدره فاطلع السنان يلمع من ظهره فوقع يخور في دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما رأى الروم ذلك ولوا الادبار وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون وينهبون وقتل من الروم نحو ثلاثين ألفا بوسط البلد وأسر منهم عشرون ألفا وأنشد خالد رضي الله عنه يقول

وبالبهنسا الغرا أبيدت جيوشنا * ثلاث سنين بابها ليس يفتح
ثماني آلاف عداد جيوشنا * وكل همام عن ثمانين يرجح
فما فتحت الا وقد صار جيشنا * ثلاثة آلاف عداد تصحح
ولم أر في أرض الصليب كمثلها * ولا جيشها الماء على السور يسرح
ولا مر لي يوم كمثل حروبها * لان بها البطليوس ليث مجحح
وكان له جيش وعدة جيشه * ثمانون ألفا بالحديد توشحوا
وكنا غلبناهم ثمانين مرة * يخادعنا البطليوس عنهم فنصفح
ثلاث مرار نحن نفتح بابها * وترتد للكفر الذميم وتجنح
وقد لعب الهندي يوم فتوحها * وكلت أيادينا وفي الروم نذبح
ثلاثون ألفا قد محتها سيوفنا * وأكبادنا من حرها النار تقدح
الى أن ملأنا البر والبحر منهم * وقد شبعت أسد الفلا وترنحوا
وولت ثلاثون الألوف شواردا * وعشرون ألفا منهم قد تجرحوا
فمنهم قضى نحبا ومنهم بباطني * ومنهم أناس في المقابر روحوا
وبطليوسهم ذاك النهار قتلته * وقد كان مقدام الجيوش مرجح
فبادرته في الحال حتى تركته * صريعا عليه الغانيات تنوح
وعاجلته في الرأس مني بضربة * فاضحى بها شطرين ملقى ومطرح
وعاد بسيف ابن الوليد مجندلا * تمر به كل الحوادث تفلح

خلق كماء المزن طيب مذاقه * والروضة الغناء طيب نسيم
كالغيث الا أن جود يمينه * أبدا وجود الغيث غير مقيم

ولما في بطليوس هم صار جمعهم * كما شبه أغنام وغاب المسرح
وقد كان في بحر الهياج مغلغلا * تولى سرايا قومنا منه مرح
فلله ما أعداه لقد كان فارسا * يفوق على جيش عظيم ويرجح
وقد فرحت أكبادنا وترغت * لعمرك والا كباد بالنصر تفرح
أقمنا بأرض البهنسا بعد فتحها * ثلاثين يوما للمساجد نصلح
وصرت الى أرض الصعيد معاجلا * بالفين من خيل الصحابة ترمح
من البهنسا الاسوان جمعا فتحتها * بعشر شهور بعدها ليس تلمح
وعندى الثلاثون الذى شاع ذكرهم * وكل فتى يا صاح بالآلاف يرجح
ورحنا فتحنا الهند والسند كله * وأسيافنا فى الغمد لله تسبح
وفى كل أرض عسكر قد تركته * يقيمون دين الحق والحق يوضح
وهذا كلام ابن الوليد الذى جرى * فكن سامعا معنى الذى لك أشرح
فما مثله فى معمع الحرب سيد * ولا مثله فى جوهر النظم أفصح
ومن بعد ماذا صلوا على أشرف الورى * نبى له كل البرية تجنح
عليه سلام الله مالاح بارق * وما غرد القمرى اذا الصبح يطفح
وأصحابه والآل والعترة التى * أقاموا الدين لله والشرك زحزحوا

(قال الراوى رحمه الله ورضى عنه) وصار المسلمون يصعدون الى البيت ويأخذون الرجال من بين حريمهم من الروم ويقتلونهم حتى كات سواعدهم من الذبح وجرى الدم فى الازقة وصارت القتلى فى الشوارع والاسواق مطروحين وخرجت اليهم النصارى والقبط وهم يبكون ويقولون نحن أهل ذمتكم ونحن عوام وتجار وسوقة وكنا مغلوبين على امرنا وقتل خيارنا باسيافكم فاجبرونا وارحمونا يرحمكم الله وأراد خالد أن يفعل بهم كما فعل باصحابهم فمنعه الامير عياض وبقية الامر ويقولون هؤلاء قد صاروا رعيتنا وليس لهم بطش فتركوهم وقالوا بشرط أن تدلونا على من أخفى نفسه فى المغاير والمخابى ومن فر من الباب الشرقى وغرق فى الماء فدلوهم على الجميع ولم يزالوا يقتلون ذلك اليوم كله وفى اليوم الثانى استدعوا بنجارين يعملون عربات لحمل القتلى من المسلمين واخذوا دواب أهل السواد من البقر تسحب العربات والفلاحون عملوا عليها وصاروا يضعون كل ثمانية وستة وعشرة فى حفيرة ويردون عليهم الرمل حتى صاروا تلالا وشهروا وقبورهم ووضعوهم بدروعهم وثيابهم ودمائهم رضى الله عنهم وأخذوا ألواح رخام وكتبوا عليها أسماءهم وأنزلوها فى مدافن قبورهم ورجعوا الى قتلى أهل البلد فواروهم أهلهم الى قبورهم وكان جملة من قتل من المسلمين فى ذلك اليوم نحو أربعمائة وأزيد الاعيان منهم صاغر بن فرقد وعبد الله بن سعيد وعبد الله بن حرملة وعبد الله بن النعمان وعبد الرزاق الانصارى وعبد الرحيم اللخمى وأبو حذيفة اليمانى وأبو سلمة الثقفى وأبو زياد اليربوعى وأبو سليمان الدارانى وابن أبى دجانة الانصارى وأبو العلاء الحضرمى وأبو كلثوم الخزاعى وأبو مسعود الثقفى وهاشم بن نوفل القرشى وعمارة بن عبد الدار الزهرى ومالك بن الحرث وأبو سراقة الجهنى والبقية من أخلاط الناس وقتل عند سوق القمارين نحو عشرين ودفنوا هناك وعند سوق الصابون جماعة كثيرة وقبورهم من العطارين فى جانب القبو ونحو أربعين وقبورهم من البحر اليوسفى جماعة عند السور رضى الله عنهم (قال الراوى) ولما وارى المسلمون شهداءهم صعدوا الى قصر البطليوس والى قصور البطارقة ودورهم ومقاصيرهم فوجدوا فيها من آنية الذهب والفضة مالا يوصف ومن المتاع والحلى والحلل واللآلى والنمارق والجواهر والبسط والوسائد والمساند واقتتلت الروم على بغلة محملة عند باب السر فغلبهم المسلمون عليها وأخذوها فاذا عليها صندوقان فيهما أحجار معادن فاشترى رجل من المسلمين من بيت المال حجرا بستة آلاف دينار فباعه على غشوميته

كالدهر لكن فيه حلم واسع
عمن جنى والدهر غير حليم
كالسيف الا انه ذو رحمة
والسيف قاسى القلب غير
رحيم

بمائة ألف دينار وأخذوا بساط البطليوس وكان مثل بساط كسرى سداه حرير وذهب مرصع
بالمعادن فأرسلوه مع الخمس الى المدينة فجعل لعلى بن أبى طالب فيما حصل له من البساط عشرون ألف
دينار وغنمت المسلمون غنائم كثيرة من أوانى الذهب والفضة وغير ذلك (قال الراوى) رحمه الله تعالى
حدثنا عون بن عبيدة عن عبد الحميد بن أبى أمية قال هدم المسلمون القصر والكنيسة وتلك الدور
وفتحوا خزائن البطليوس واستخرجوا جميع ما فيها من الذهب والفضة وغير ذلك ولم يتركوا فيها شيأ أبدا
وقسم خالد الغنيمة بين المسلمين فكان للفارس عشرة آلاف مثقال من ذهب وألف أوقية من فضة ومن
الثياب والملبوس وغير ذلك ما لا يوصف ولما دخلوا الكنيسة ورأوا تصاويرها وقناديلها الذهب والفضة
والستور الحرير المنقوشة والاعمدة وغير ذلك تعجبوا وقرأ خالد ما اتخذ الله من ولد الآية وقال لا اله الا الله
محمد رسول الله فصاح المسلمون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وقرأ عياض الاشعرى
كم تركوا من جنات وعيون الى قوله وأورثناها قوما آخرين واخربوا تلك البيعة وجعلوا بجانبها مسجدا
على أعمدة من الرخام مسقوف عليها بتلك الاخشاب وهو الجامع الاول قبل بناء الحسن بن صالح هذا
الجامع الآن وبقية الاخشاب والحجارة جعلوا منها مساجد وربطا (قال الراوى رحمه الله تعالى) حدثنا
عبد الحميد عن قيس بن مهران عن أبى جعدة قال بمدينة البهنسا اربعون رباطا ومن المساجد مالا يعد
وأخربت الصحابة تلك المعالم وبنوا دورا لانفسهم واختطوا بها أماكن وشوارع وأقام خالد ومن معه
بمدينة البهنسا يصلحون المساجد والربط ويخرجون المعالم شهرا كاملا ثم أخرج الخمس وأرسله لعمرو بن
العاص ومن معه من المسلمين وهو نازل بمصر على قدر سهامهم وقال له ارسل الخمس مع أبى نعيم
الانصارى والفضل بن فضالة وأبى دجانة الى عمر بن الخطاب وهو بالمدينة فلما ورد الكتاب على عمرو بن
العاص فرح بذلك فرحا شديدا ثم كتب عمرو لعمر كتابا مع ابى نعيم صحبة كتاب خالد وسير معه ثلاثين صحابيا
حتى دخل المدينة ودخل على عمر بن الخطاب فوجد عنده جماعة وقد أخرج لهم قصعا وفيها سف من ثريد
فلما رآنا طاقفنا وتهلل وجهه فرحا وجلسنا كلنا نأكل وهو قائم على رؤسنا متكئ على عصا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغنا من الاكل ناولناه الكتابين فقرأهما وفرح فرحا شديدا ونادى فى
الناس الصلاة جامعة فخطب وحمد الله واثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم
الكتابين واستدعى بالصحابة وقسم عليهم الغنيمة ولم يترك لاهله درهما ولا دينارا ولا ثوبا رضى الله عنه
وأخذنى ومضى الى بيته بيت ام كلثوم بنت على بن ابى طالب رضى الله عنه وادخلنى اليه فاذا فيه فراش
من أديم حشوه ليف ووسائد من صوف وقطيفة واحدة فجلست فقال لام كلثوم هل عندك شئ من التمر
قالت لا الا اللبن الحامض قال ذلك لى وان عندنا ضيفا فحضرت بعكة من سمن وقليل من عسل وفطير مع
جارية فاكلت قليلا من المذكور وأخرجت الباقى لاصحابى وشرعت احدثه عن البطليوس وهو تارة يبكى
وتارة يضحك من فعله ويبكى على من قتل من المسلمين والامراء وخرجنا الى مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعد ذلك وجاءت الناس يهرعون ويسألون عن أهاليهم منا فأخبرناهم عمن مات ومن
قتل فضج الناس وأهل المدينة بالبكاء وعلت الاصوات على من قتل وجاء الناس لعلى وله عقيل
ولبنى هاشم يعزونهم فيمن قتل وأقمنا بالمدينة سبعة أيام ورجعنا الى مصر بكتاب عمر الى خالد
فأمره بالمسير الى الصعيد (قال الراوى) رحمه الله هذا ما جرى لهؤلاء وأما خالد رضى الله عنه فانه
بعد شهر ترك أناسا من الصحابة بأرض البهنسا من جميع القبائل وخرج بألفى فارس الى أرض الصعيد
وكانت القبائل من بنى هاشم وبنى المطلب وبنى مخزوم وبنى عبد الدار وبنى زهرة وبنى نزار وبنى جهينة
وبنى مزينة وبنى غفار والاوس والخزرج ومذحج وفهر وطئ وخزاعة وكان الامير عليهم مسلم بن عقيل
وأحاطوا بالاماكن وجعلوا بالمدينة أسواقا وشوارع وسكن أكثر الصحابة فى جانب البحر اليوسفى
وخلوا من الآخر الى الجانب الغربى شارعا واحدا لاجل أن تسبح دوابهم فى البحر وأقام مسلم بن عقيل

وأوصافه الجميلة لا تحد
وأخلاقه الحسنى لا تحصر
ولا تعد سألك اللهم أن
تكسو الايام ملابس العز

واليا